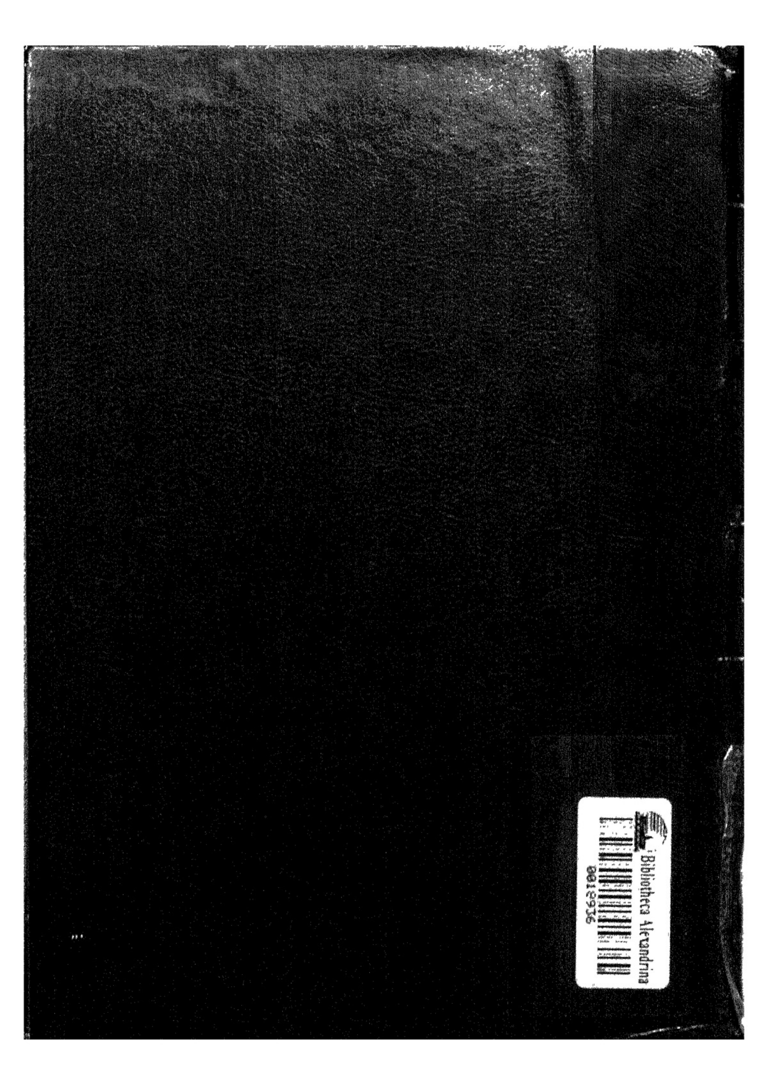
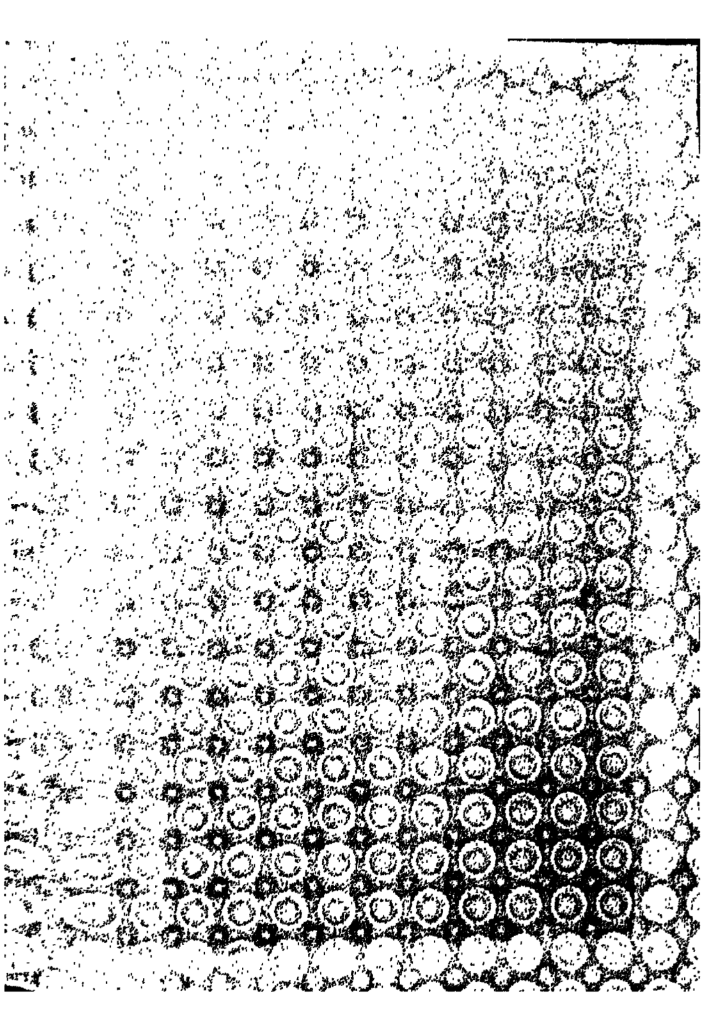

Bibliotheca Alexandrina
0018936



دار الكتب المصرية



كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

الجزء الخامس عشر

تحقيـــق

عبد السلام محمد هارون

القاهرة

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

بيان

عهدت دار الكتب إلى الأستاذ عبد السلام محمد هارون الأستاذ بكلية دار العلوم بتحقيق الجزء الخامس عشر من كتاب الأغانى ؛ الذى رأت الدار أن تستعين بالعلماء المختصّين فى علوم العربية وآدابها لتحقيقه و إنجازه .

وقد رجع سيادته إلى ما اقتنته الدار من أصول هذا الجزء ؛ وهى النسخ التى أعطيت لها الرموز : أ ، ب ، ح ، س ؛ وقد سبق وصفها فى مقدمة الجزء الأوّل ، والنسخة التى رمز لها بالحرف ط ؛ وقد وصفت فى مقدمة الجزء الثانى .

كما رجع إلى مصوّرات هذا الجزء، مما ورد أخيرا للدار من مكتبتى ميونيخ وتوبنجن ؛ من أجزاء هذا الكتاب ؛ وهى التى أعطيت لها الرموز : مب ، مط ، ها ؛ وقد وصفت فى مقدّمة الجزء الرابع عشر منه

ربيع الثانى سنة ١٣٧٩ هـ .

أكتوبر سنة ١٩٥٩ م .



بسم الله الرحمن الرحيم

الجـــزء الخامس عشر

من كتاب الأغانى

صـــوت

٥ هَلْ فى ادِّكار الحبيبِ من حَرَجِ * أَمْ هَلْ لهمِّ الفؤادِ مِن فَرَجِ

أم كيفَ أنْسَى رحيلَنا حُرُمًا * يوم حَلَلْنا بالنَّخل من أمَجِ [1]

يومَ يقولُ الرسولُ قد أذِنَتْ * فأْتِ على غير رِقْبَــةٍ فلِجِ

أقبلتُ أســعَى إلى رحالِهمُ * فى نَفحةٍ من نسـيمِها الأَرِجِ

الشعر لجعفر بن الزُّبير[2]، والغناء للغَرِيض، خفيفُ ثقيلٍ أوّل، بإطلاق الوتر

١٠ فى مجرى البِنصر، عن إسحاق . وذكر عَمرو بن بانَةَ أنه لدَحْمانَ فى هــذه الطريقة والمجرى . وذكره يونُس بغير طريقةٍ وقال : فيه لحنان : لابن سُريج والغَرِيض . وذكر الهشامىّ أنّ لحن ابن سُريج رملٌ بالوُسطى .

---

(١) أمج، بالتحريك : بلد من أعراض المدينة .

(٢) الأبيات نسبت فى معجم البلدان إلى عبيد الله بن قيس الرقيات .

أخبار جعفر بن الزُّبير ونسبه

نسبه

جعفر بن الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ ابن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤى بن غالب . وأم جعفر بن الزبير زينب بنت بشر بن عبد عمرو[(١)] ، من بنى قيس بن ثعلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر ابن وائل .

٥

قصته مع سليمان ابن عبد الملك فى فرض الأعطيات

أخبرنى الطُّوسى قال : حدّثنا الزبير بن بكّار قال : حدّثنى مصعب بن عثمان قال : أخبرنى جدّك[(٢)] عبد الله بن مُصعب عن[(٣)] أبى عثمان بن مصعب ، عن شعيب ابن جعفر بن الزبير قال :

فرضَ سليمانُ بن عبد الملك للناس فى خلافته، وحرِص العرضُ . قال : وكان ابن حزم[(٤)] فى ذلك محسنًا يعلَمَ الله ، إنّه كان يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفَعهم بذلك .

١٠

قال شُعيب بن جعفر بن الزبير : فقال لى سليمان بن عبد الملك : من أنت؟ قلت : شعيب بن جعفر بن الزبير . فقال : ما فعَلَ جعفر ؟ فقال له عمر ابن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين[(٥)] على الكبرَ والعيال . فقال : قُلْ له يحضُر الباب .

---

(١) هكذا ما فى ط ، مب ، مط . وفى م : « بن عبد عزى من بنى قيس » وفى سائر النسخ : « بن عبد عمرو بن قيس » .

١٥

(٢) كذا فى ط ، مب ، مط . وهو الصواب ، إذ أن عبد الله بن مصعب ، هو جدّ الزبير بن بكار . وفى بعض النسخ : « جدى » بدل « جدك » ، تحريف .

(٣) م : « عن عثمان » .

(٤) هو محمد بن حزم ، ذكر المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٧٥ أنه كان قاضى سليمان بن عبد الملك .

٢٠

(٥) يا أمير المؤمنين ، من ط ، مب ، مط .

فقال لجعفر، احضُر الباب . فدعا المنذر بن عبيدة بن الزبير، فرفع معه رقعةً وأرسله إلى عمر بن عبد العزيز، فيها قوله :

يا عُمَـرَ بن عمر بن الخطّاب * إنّ وقوفى من وراء الأبواب

* يَعدِلُ عندى حَطْمَ بعضِ الأنياب (١) *

قال : فلما قرأها عمر عَذَرَه عند سليمان، فأمر له سليمانُ بألف دينارٍ فى دَينه، وألف دينارٍ معونةً على عيـاله ، و برقيقٍ من البِيض والسُّودان ، وكثير من طعام الجارى (٢) ، وأن يُدَان من الصَّدقة بألفى دينار . قال : فلما جاء ذلك إلى أبى قال : أعطيتَه من غير مسألة ؟ فقيـل : نعم . قال : الحمـد لله ، ما أسخى هـذا الفتى ! ما كان أبوه سخيا ولا ابن سخيٍّ . ولكنّ هذا كأنه (٣) من آل حرب . ثم قال :

فما كنت ديانا (٤) فقد دنت إذ بَدَتْ * صُكوك أمـيرِ المؤمنـين تدور

بوَصْلِ أولى الأرحامِ قَبلَ سؤالِهم * وذلك أمرٌ فى الكرام كثيرُ

قال بعض من روى هذا الخبَر عن الزبير : الناس لا ينظرون فى عَيب أنفسهم، وما كان لجعفرٍ أن يعيبَ أحدًا بالبخل؛ وما رئى فى الناس أحدٌ أبخل منهم أهـلِ البيتِ ولا من عبد الله بن الزبير خاصة ، وما كان فيهم جوادٌ غيرَ مصعب .

خاصـم أخاه عبـد الله وقـال شـعرا

قال الزبير : حدّثنى عمى، قال : كان السلطان بالمدينة إذا جاء مال الصـدقة أَدَانَ مَن أراد من قريش منـه (٥) ، وكتب بذلك صَكًّا عليـه ، فيستعبِدُهم به ،

(١) يعدل : يساوى . س : « بعدك » . أ ، ط : « بعض أنياب » ، أى أنيابى .

(٢) ط ، مب : « ومن طعام الجار » .

(٣) كأنه ، ساقطة من ط ، مب .

(٤) أراد بالديان هنا المقترض ، كالمديان .

(٥) ط ، مب ، مط : « منها » ، برجوع الضمير إلى « الصدقة » .

ويختلفون إليه ، ويديرونه[1] ، فإذا غضب على أحدٍ منهم استخرجَ[2] ذلك منه ، حتّى كان هارونُ الرشيدُ ، فكلّمه عبدُ الله بن مصعب فى صُكوكٍ بقيت من ذلك على غير واحدٍ من قريش ؛ فأمر بها فخُرِّقت عنهم ، فذلك قولُ ابنِ الزبير :

فما كنتُ ديّانًا فقد دِنتُ إذ بَدَتْ * صكوكُ أميرِ المؤمنين تدورُ

قال الزبير : وحدّثنى عمّى مُصعبٌ قال :

شهد جعفرُ بن الزبير مع أخيه عبدِ الله حربَه ، واستعمله عبد الله على المدينة ، وقاتل يومَ قُتِل عبد الله بن الزبير، حتّى جَمَد الدمُ على يده؛ وفى ذلك يقول جعفر :

لعمرُكَ إنّى يوم أجْلَتْ ركائبى[3] * لأطْيَبُ نفسًا بالجِلادِ لدى الرُّكْنِ

ضنينٌ بمن خَلْفِى شحيحٌ بطاعتى * طِرادُ رجالٍ لا مُطاردة الحُصْنِ

— الحصن : جمع حِصان ، يقول : هذا طرادُ القتال لا طراد الخيل فى الميادين —

غداةَ تحامَتْنا تُجِيب وغافِقٌ * وهَمْدانُ تبكى من مُطاردةِ الضُّبنِ[4]

قال الزبير :

عاتب أخاه عروة وقال شعرا

وحدّثنى عمى مصعبُ بن عثمان ؛ أنّ جعفر بن الزبير كانت بينه وبين أخيه عروةَ معاتبةٌ، فقال فى ذلك :

---

(1) س : «ويداورونه» . أ : «ويديرونه» ، وأثبت ما فى ط ، مب ، مط . يقال : أدرته عن الأمر ، إذا طلبت منه تركه .

(2) الاستخراج : استصفاء أموال من اتهم باختلاس الدولة ، وكانوا يستخدمون كل ما لديهم من وسائل التعذيب والإرهاق لاستخراج هذه الأموال ، وكان لهذا قيم يسمونه «صاحب الاستخراج» . انظر البيان والتبيين للجاحظ (٢ : ١٦٦) .

(٣) ط ، مب ، مط : «كتائبى» موضع «ركائبى» .

(٤) تجيب ، بضم التاء وفتحها : بطن من كندة . س : «بخيت» ، تحريف . والضبن ، لعله يعنى بهم بنى ضبينة ، وهم حى من قيس .

لا تَلحَيــنِّى يا بْنَ أُمّى فـإنّنى * عدُوٌّ لمن عاديتَ يا عُرْوَ جاهدُ
وفارقتُ إخوانى الذين تتابَعوا * وفارقتُ عبدَ الله والموتُ عاند[1]
ولولا يمــينٌ لا أزال أبرُّها * لقــد جمعتْنا بالفنــاء المقاعد[2]

رثاؤه لولده

قال الزبير : أنشدتنى عَمّتى أسماءُ بنت مصعب بن ثابت، لجعفر بن الزبير، وأنشدنيه غيرُها يرثى ابنًا له[3] :

٥

صـــــوت

أهاجَكَ بينٌ من حبيبٍ قد احتمَلْ * نعمْ ففؤادى هائمُ العقــلِ مُختبَلْ
وقالوا مُحَــيْرات اليمــام وقدّموا * أوائلَهم من آخرِ الليل فى الثّقَـل[4]
مررنَ على ماءِ العُشَــيرة والهوى * على مَلَلٍ يا لهفَ نفسى على مَلَل[5]
فتَى السنِّ كهلُ الحِــلمِ يهتزُّ للندَى * أمرُّ من الدِّفْلَى وأحلى من العسَلْ[6]

١٠

فى هــذه الأبيات خفيف رمل بالبنصر، نسبه يحيى المكى إلى ابن سريج، ونسبه الهشامىّ إلى الأبجر، قال : ويقال إنه لابن سهيل .

قصة فى بيتين من شعره

فأخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المــدائنى ـــ وخبره أتمّ ـــ قال : اصطحب قوم فى سفر، ومعهم رجلٌ يغنّى، وشيخٌ عليه أثر النُّسك والعبادة، فكانوا يَشتهونَ أن يغنّيهم الفتى ويَستحْيُون من الشّيخ، إلى أن

١٥

(١) العاند : العاتى الشديد .
(٢) ا ، س : « لا أراك » تحريف ، صوابه فى ط ، مب ، مط .
(٣) كذا فى ط ، مب ، مط . وفى بعض النسخ : « لها » .
(٤) و يقال أيضا « محيرات الثمام » كما فى معجم البلدان ، وهو موضع ذكر فى غزاة بدر .
(٥) العشيرة بلفظ التصــغير ، كما فى معجم البــلدان . وملل : واد ينحــدر من ورقان حتى يصب فى الفرش .
(٦) الدفلى ، بكسر الدال : نبات شديد المرارة .

٢٠

بلغوا إلى صُحَيرات اليمام، فقال له المغنّى : أيها الشيخ إنّ علىّ يميناً أن أنشدَ شعراً إذا انتهيتُ إلى هذا الموضع ، وإنّى أهابُك وأستحِى منك؛ فإن رأيت أن تأذنَ لى فى إنشاده أو تتقــدّم حتّى أوفِىَ بيمينى ثم نلحقَ بك فافعَــلْ . قال : وما علىّ من إنشادك؟! أنشِدْ مابدا لك . فاندفع يغنى:

وقالوا صُحَــيرات اليمــام وقدّموا * أوائلَهم من آخرِ الليــل فى الثَّقَلْ

ووردْنَ على ماء العُشَــيرة والهوى * على مَالِ يا لهف نفسِى على مَلَلْ

فجعل الشيخُ يبكى أحرَّ بكاءٍ وأشجاه، فقالوا له : مالكَ يا عمِّ تبكى ؟ فقال : لا جُزِيتم خيرًا ؛ هــذا معكم طُولَ هذا الطريق وأنتم تبخَــلُون علىّ به أتفرّج به[1] ويقطــع عنّى طريقى ، وأتذ كّرُ أيامَ شــبابى . فقالوا : لا والله ما كانَ يمنعُنا منه غيرُ هيبتك . قال : فأنتم إذًا معذورون . ثم أقبل عليه ؛ فقال : عُدْ فديْتُك إلى ما كنتَ عليه. فلم يَزَلْ يغنّيهم طُولَ سفرِهم حتّى افترقوا .

شعره فى ترقيص ابنته أم عروة

قال الزبير : وأخبرنى مصعب بن عثمان أن أمّ عروة بنت جعفرِ بن الزبير أنشدته لأبيها جعفرٍ وكان يرقّصها بذلك :

يا حبّــذا عُروةُ فى الدّمالــجِ[2] * أحَبُّ كلِّ داخــلٍ وخارجِ

شعره فى ابنه صالح فى غزوه أرض الروم

قال : وأخبرتنى أن أخاها صالحَ بنَ جعفرٍ غزا أرضَ الروم، فقال فيه جعفر :

قد راحَ يومَ السبتِ حِينَ راحُوا[3] * مع الجمَــال والتُّقى صَــلاحُ

مِنْ كلِّ حىٍّ نَفَرٌ سِمــاحُ * بيضُ الوجوهِ عَرَبٌ صِحــاحُ

وفــزِعوا وأخــذ الســلاحَ * وهم إذا ما كُرِه الشِّياحُ[4]

* مصــاعبٌ يكرهها الجراحُ *

(١) أتفرّج به : ألتمس الفرج عما أنا فيه من ضيق .

(٢) الدمالج : جمع دملج ، وهو حلية تلبس فى العضد . ط، مب، مط : « فى الروائح » .

(٣) فى بعض النسخ : « حتى راحوا » ، صوابه فى ط، مب، مط .

(٤) الشياح : المقاتلة . وهذا الشطر من ط ، مب، مط .

قال الزبير : ولجعفر شعرٌ كثير قد نُحِلَ عمرَ بن أبي ربيعة ودخَلَ في شعره . فأمّا الأبياتُ التي ذَكرتُ فيها الغناءَ فمن الناس مَن يرويها لعمر بن أبي ربيعة ، ومنهم مَن يرويها للأحوص وللعَرْجيّ ، وقد أنشَدنيها جماعةٌ من أصحابنا لجعفر بن الزبير . وأخبرني بذلك الحرَميُّ ، والطوسيّ ، وحبيب بن نَصر المهلّبي ، وذكر الأبيات .

٥ وأخبرنيه عمّي عن ابن أبي سعد [عن سعيد بن عمرو عن أم عروة بنت جعفر مثله . قال ابن أبي سعد][1] : قال الحزاميّ : الناس يَرْوُونها للعَرْجيّ ، وأُمّ عروةَ أصْدَقُ .

تزوجه امرأة من خزاعة

أخبرني الطوسيّ قال حدّثنا الزبير قال : حدّثني سعيد بن عمرو الزبيريّ قال : تزوّج جعفر بن الزبير امرأةً من خُزاعة وفيها يقول :

١٠ * هل في ٱدّكارِ الحبيبِ من حَرَجِ *

الأبيات . وزاد فيها بيتين وهما :

تُسفِر عن واضحٍ إذا سَفَرتْ * ليس بذي آمَةٍ ولا سَمِجِ[2]

وسقط البيت الآخر من الأصل .

وفاته وكثرة من شيع جنازته

قال الزبير في رواية الطوسي : حدّثني مصعب بن عثمان وعمي مصعب قالا :

١٥ كان جماعةٌ من قريش مُتنحّين عن المدينة ، فصدر عن المدينة بَدَويّ فسألوه : هل كان للمدينة خبر ؟ قال : نعم مات أبو الناس . قالوا : وأنّى ذلك؟ قال : شهده أهل المدينة جميعاً ، وبُكِيَ عليه من كلّ دار . فقال القوم : هذا جعفر بن الزبير ، فجاءهم الخبر بَعْدُ أنّ جعفرَ بن الزُّبير مات .

---

(١) هذه التكلة من ط ، مب ، مط فقط .

٢٠ (٢) الآمة ، كقامة : العيب . والسمج : القبيح ذو السماجة .

شعره فى زواج الحجاج ببنت عبد الله بن جعفر

أخبرنى عمى قال: حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال: حدّثنى إبراهيم بن معاوية عن أبى محمد الأنصارىّ، عن عروة بن هشام بن عروة عن أبيه؛ قال:

لمّا تزوج الحجّاجُ وهو أميرُ المدينة بنتَ عبد الله بن جعفرِ بن أبى طالب، أتى رجلٌ سعيدَ بن المسيِّب فذكر له ذلك، فقال: إنى لأرجو أن لا يجمع الله بينهما، ولقد دعا داعٍ بذلك فابتهل، وعسى الله، فإن أباها لم يزوّج إلا الدواهم. فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرَدَ البريدَ إلى الحجاج، وكتب إليه يُغْلِظ له ويقصِّر به، ويذكُر تجاوُزَه قدْرَه، ويُقْسِمُ بالله لئن هو مَسَّها ليقطعن أحبَّ أعضائه إليه، ويأمُره بتسويغ أبيها المهر[1]، وبتعجيل فراقها. ففعلَ، فما بقى أحد فيه خير إلا سَرّه ذلك.

وقال جعفر بن الزبير وكان شاعرًا فى هذه القصة:

وجدتُ أميرَ المؤمنين ابنَ يوسُفٍ * حَمِيًّا من الأمر الذى جئتَ تَنْكَفُ[2]

ونُبِّئتُ أنْ قد قالَ لمّا نكحتَها * وجاءت به رسْلٌ تخُب وتُوجِف[3]

ستَعلمُ أنى قد أنِفتُ لمَا جرَى * ومثلُكَ منه عَمْرَكَ اللهَ يُؤنَفُ

ولولا انتكاسُ الدهرِ ما نالَ مثلها * رجاؤُك إذ لم يرجُ ذلك يُوسَفُ

أبِنتَ المصفَّى ذِى الجناحَين تبتغى * لقد رُمْتَ خَطْبًا قدرُه ليس يُوصَفُ[4]

(١) التسويغ: الإعطاء.

(٢) ابن يوسف، أراد يابن يوسف، يعنى الحجاج. والحمى: الذى أخذته الحمية، وهى الأنفة والغيرة. ويقال نكف عن الأمر: عدل.

(٣) الخبب والإيجاف: ضربان من السير السريع.

(٤) ذو الجناحين: جعفر بن أبى طالب. كان قد حمل لواء المسلمين فى يوم مؤتة بيمينه فقطعت، ثم بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه فقتل وخرّ شهيدا، فيقولون: إنه عوض من يديه بجناحين يطير بهما فى الجنة. الإصابة ١١٦٢.

صـــوت

كأنْ لم يكُن بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفا * أنيس ولم يســـمُرْ بمكّةَ سامرُ[1]
بَـلَى نحنُ كنّا أهلهـا فأبادنا * صروفُ الليـالِى والجـــدودُ العواثر[2]

عروضه من الطويل . الشعر فيما ذكر ابنُ إسحاق صاحب المغازى لمُضَاض ابن عمرو الجرهمىّ . وقال غيره : بل هو للحارث بن عمرو بن مضاض .

أخبرنا بذلك الجوهرىّ عن عُمَر بن شـبة عن أبى غسان محمـد بن يحيى عن غسان بن عبد الحميد . وقال عبد العزيز بن عمران[3]: هو عمرو بن الحارث بن مضاض . والغناء ليحيى المكى ، رمل بالوسطى عن عمرو . وفيـه لإبراهيم الموصلى ماخورىّ بالبنصر . وفيه لأهل مكة لحنٌ قديم ذكَره إبراهيمُ ولم يجنّسْه .

(١) الحجون ، بفتح الحاء : جبـل بمعلاة مكة . والصفا : من مشاعر مكة لحف أبى قبيس .
(٢) الجدود : الحظوظ . العواثر ، يعنى بها النوائب .
(٣) ابن عمران ، من ط ، مب ، مط .

ذكر خبر مُضاض بن عمرو

أمر إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل أن يتزوج ابنته

هو مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمىّ . وكان جدُّه مضَاضٌ قد زوّج ابنتَه رَعْلة ، إسماعيلَ بنَ إبراهيم خليلِ الرحمن ، فولدت له اثنى عَشَر رجلًا أكبرُهم قَيْذارُ ونابت . وكان أبوه إبراهيم عليه السلام أمرهُ بذلك لأنّه لما بنى مكة وأنزلها ابنَه قدِم عليه قَدْمةً من قَدَماته ، فسمع كلامَ العرب وقد كانت طائفةٌ من جرهم نزلت هنالك مع إسماعيل ، فأعجبتْه لغتُهم واستحسَنَها ، فأمر إسماعيلَ عليه السلام أن يتزوّجَ إليهم ، فتزوّجَ بنتَ مضاض بن عمرو ، وكان سيّدَهم .

حرب جرهم وقطوراء

فأخبرنا محمد بن جرير ، قال : حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة بن الفَضْل عن محمد بن إسحاق . وأخبرنى محمد بن جعفر النحوى قال : حدّثنا إسحاق بن أحمد الخزاعى قال حدّثنا محمد بن عبد الله الأزرق قال : حدّثنى جدّى عن سعيد بن سالم عن عثمان ابن ساج عن محمد بن إسحاق . ورواية إسحاق بن أحمد أتمّ ، وقد جمعتها :

أن نابتَ بن إسماعيلَ ولِىَ البيتَ بعد أبيه ثم تُوُفِّىَ ، فولى مكانه جدُّه لأمه مُضاضُ بن عمرو الجرهمى ، فضمّ ولدَ نابت بن إسماعيل إليه ، ونزلت جُرهمٌ مع مَلِكهم مضاض بن عمرو بأعلَى مكّة ، ونزلَتْ قَطُوراء مع ملِكهم السَّمَيْدع أجيادَ ، أسفلَ مكّة[1] . وكان هذان البطنانِ خرجا سَيّارةً من اليمن ، وكذلك كانوا لا يخرُجون إلا مع ملكٍ يُمَلِّكونه عليهم ، فلما رأوا مَكّةَ رأَوْا بلدًا طيِّبا ، وماءً وشجرا ، فنزلَا ورضى كلُّ واحدٍ منهما بصاحبه ولم ينازِعْه ، فكان مُضاض يَعْشِر[2] من جاء مكّةَ من أعلاها ،

(١) أجياد : أرض بمكة ، أو جبل بها .

(٢) عشره يعشره عشرا ، من باب نصر : أخذ عشر ماله .

وكان السَّميدع يَعشِر مَن جاءها مِن أسفلها ومن كَدَاء[1]، لا يدخُل أحدُهما على صاحبه في أمره، ثم إن جرهمًا وقَطُوراءَ بَغَى كلٌّ واحد منهما على صاحبه، فتنافَسوا في المُلْك حتّى نَشِبت الحربُ بينهم، وكانت ولايةُ البيت إلى مُضاضٍ دونَ السَّميدع، فخرجَ مضاضٌ من بطنِ قُعَيقِعان مع كتيبتِه في سلاحٍ[2] شاكٍ يتقعقع — فيقال: ما سميت قُعَيْقِعان إلا بذلك — وخرج السميدع من شِعب[3] أجيادَ، في الخيل الجيادِ والرجال — ويقال: ما سميت أجيادًا إلا بذلك — حتى التقَوا بفاضح، فاقتتلوا قتالا شديدا، وفُضِحت قَطُوراء — ويقال: ما سُمِّى فاضحًا إلا بذلك — ثم تداعى القومُ إلى الصلح فساروا حتّى نزلوا المطابخ شِعبًا بأعلى مكّة، وهو الذى يقال له الآن شعب ابنِ عامر فاصطلحوا هنـاك، وسلّموا الأمر إلى مضاض؛ فلمّا اجتمع له أمرُ مكّة، وصار مَلِكَها دونَ السَّميدع نَحَرَ للناس فطبَخُوا هنالك الجُزُر، فأكلوا، وسُمّى ذلك الموضع المطابخ.[4] فيقال: إنّ هذا أوّلَ بَغْىٍ بمكّة، فقال مضاض بن عمرو فى تلك الحرب:

نحنُ قتلنا سيِّدَ الحيِّ عنوةً * فأصبحَ منها وهو حيرانُ مُوجَعُ

— يعنى أنّ الحىَّ أصبح حَيرانَ موجَعا —

وما كانَ يبغى أن يكونَ سَواؤنا[5] * بهـا مَلِكًا حتّى أتانا السَّميدعُ

فـذاق وبالًا حـين حاوَلَ مُلْكَنا * وحاولَ مِنَّا غُصَّـةً تُجـرَّعُ[6]

ونحنُ عمَـرنَا البيتَ كُنّا وُلاتَه * نُضارِب عنه مَنْ أتانا وندفع

(١) كذا فى أ، ط، مب، مط. وفى سائر النسخ: «كدى». أما الممدودة فهى بفتح الكاف، وأما المقصورة فبضمها. فقيل المقصورة بأسفل مكّة والممدودة بأعلاها؛ وقيل العكس أيضا. انظر معجم البلدان.

(٢) السلاح الشاكى: ذو الشوكة والحد. (٣) الشعب، بالكسر: الطريق فى الجبل.

(٤) الكلام بعده إلى قوله: «ثم رموا بالجدب من خلفهم» ساقط من ط.

(٥) سواؤنا: لغة فى سوانا. (٦) أ: «يجرع».

وما كان يبغى ذاك فى الناس غيرُنا * ولم يك حىٌّ قبلنا ثَمَّ يمنعُ

وكُنّا ملوكًا فى الدهور التى مضتْ * ورِثْنا مُلوكًا لا تُرام فتُوضَعُ

قال عثمان بن ساج فى خبره :

انتقام من استخف بحق البيت

وحدّثنى بعضُ أهلِ العلم أنّ سيلًا جاءَ فدخل البيتَ فانهدم ، فأعادته جرهم على بناءِ إبراهيم ، بناهُ لهم رجلٌ منهم يقال له أبو الجدرة واسمه عمرو الجارود ، وسمّى بنوه الجَدَرة . قال : ثم استخفّتْ جرهمُ بحقّ البيت ، وارتكبوا فيه أمورًا عظاما ، وأحدثوا فيه أحداثًا قبيحة ، وكان للبيت خِزانة ، وهى بئرٌ فى بطنه ، يُلقَى فيها الحَلْىُ والمتاع الذى يهدى له ، وهو يومئذ لا سَقْفَ عليه ، فتواعَدَ عليه خمسةٌ من جرهم أن يَسرِقوا كلَّ ما فيه ، فقام على كلّ زاوية من البيت رجلٌ منهم واقتحم الخامس ، فجعل الله عزّ وجل أعلاه أسفلَه ، وسقط منكّسًا فهلَك ، وفرّ الأربعة الآخرون .

خبر إساف ونائلة

قالوا : ودخل إسافٌ ونائلةُ[1] البيتَ ففجَرَا فيه ، فمسخَهما الله حَجَرين ، فأُخرِجا من البيت . وقيل إنّه لم يَفجُر بها فى البيت ، ولكنه قبّلَها فى البيت .

وذكر عثمان بن ساج عن أبى الزناد ، أنه إساف بن سهَيل ، وأنها نائلةُ بنت عمرو بن ذئب . وقال غيره : إنها نائلة بنت ذئب . فأُخرِجا من الكعبة ، ونُصِبا ليعتبِر بهما من رآهما ، ويزدجرَ النّاسُ عن مِثْلِ ما ارتكَبا ، فلما غَلَبتْ خُزاعةُ على مكة ونُسِىَ حديثُهما ، حوّلهما عَمْرُو بن لُحَىّ بن كلابٍ بعد ذلك ، فجعلهما تُجاهَ الكعبة يُذبَحُ عندَهما عندَ موضع زمزم .

دفاع مضاض عن حرمة البيت

قالوا : فلما كثر بغىُ جرهم بمكّة قام فيهم مضَاض بن عمرو بن الحارث ابن مضاض فقال :

(١) هما اللذان يزعم العرب أنهما مسخا حجرين فجعلا صنمين يعبدان . وإساف ، بفتح الهمزة وكسرها . وكان هذا الصنم على الصفا . وأما نائلة فكان على المروة . وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة .

يا قوم احذَرُوا البغىَ ، فإنّه لا بقاء لأهله ، وقَدْ رأيتم مَن كان قبلكم من العماليق استخفُّوا بالحَرَمِ ولم يعظِّموه وتنازعوا بينَهم واختلفوا، حتّى سلطكم الله عليهم فاجتحتموهم[1] فتفرّقوا فى البلاد، فلا تستخفُّوا بحقِّ الحرمِ وحُرمةِ بيت الله، ولا تظلموا مَنْ دخَله وجاءه معظِّما لحُرماته ، أو خائفا ، أو رغِب فى جِواره ، فإنّكم إنْ فعلتم ذلكم تخوّفتُ أن تخرجوا منه خروجَ ذُلٍّ وصَغَار، حتّى لا يقدرَ أحدٌ منكم أن يصلَ إلى الحرم ، ولا إلى زيارة البيت الذى هو لكم حِرْزٌ وأمْن ، والطَّيْر تأمَن فيه .

فقال قائل منهم يقال له مجدع : ومن الذى يُخرجنا منه ؟ ألسنا أعزَّ العربِ وأكثرَهم مالا وسلاحا ؟ فقال مضاض : إذا جاء الأمرُ بطَلَ ما تذكرون ؛ فقد رأيتم ماصَنَع الله بالعماليق ! قالوا : وقد كانت العماليق بغَتْ فى الحرمِ ، فسلّطَ الله عزّ وجل عليهم الذَّرّ[2] فأخرجهم منه، ثم رُمُوا بالجَدْبِ مِن خلفِهم حتّى ردّهم الله إلى مساقط رءوسهم ، ثم أرسلَ عليهم الطوفان — قال : والطوفان : الموت — قال : فلما رأى مضاض بن عمرو بَغْيَهم ومُقامَهم عليه ، عَمَد إلى كنوز الكعبة ، وهى غَزَالانِ من ذهبٍ ، وأسيافٌ قَلَعِية[3] ، فحفر لها ليلًا فى موضع زمزم، ودفنها . فبيناهمْ على ذلك إذ سارت القبائلُ من أهلِ مَأرِب، ومعهم طُرَيفة[4] الكاهنة، حين خافوا سَيلَ العرِم، وعليهم مزيقياء وهو عمرو بن عامر بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نَبْت ابن مالك بن زَيد بن كهلانَ بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعرُب بن قحطان ، فقالت لهم

(١) الاجتياح : الاستئصال والإهلاك . (٢) الذر : صغار النمل .

(٣) القلعية : نسبة إلى القلعة بالفتح والتحريك ، وهو بلد ببلاد الهند تنسب إليه السيوف الجياد .

(٤) طريفة ، بالقاف فى ط ، أ ، مب . وفى سائر النسخ بالفاء .

طُرَيفة لمّا قاربوا مكة[1] : « وحَقٌّ ما أقول[2]، وما علّمنى ما أقولُ إلا الحكيمُ المحكّمُ، وربُّ جميعِ الأمم، من عَرَب وعَجَم » . قالوا لها : ما شأنُك ياطريفة ؟ قالت : « خُذُوا البعيرَ الشدقمَ[3]، فخضِّبُوه بالدّم، تكنْ لكم أرضُ جُرهم، جيرانِ بيتِه المحرَّم » . فلما انتهَوْا إلى مكّة وأهلِها أرسلَ إليهم عمرٌو ابنَهُ ثعلبة ، فقال لهم : يا قوم ، إنّا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزِلْ بلدةً إلا أفسحَ أهلُها لنا، وتزحزحوا عنّا، فنقيم معهم حتّى نُرسِلَ رُوّادًا فيرتادوا لنا بلدًا يحملنا ، فافسَحُوا لنا فى بلادكم حتّى نقيمَ قَدْرَ ما نستريح ، ونرسل رُوّادنا[4] إلى الشّام وإلى الشرق ، فحيثُما بَلَغنا أنّه أمثَلُ لحقنا به، وأرجو أن يكون مُقامنا معكم يسيرًا، فأبت ذلك جرهمٌ إباءً شديدًا، واستكبروا فى أنفسهم، وقالوا : لا والله، ما نحبُّ أن تنزِلوا فتضيِّقوا علينا مَرابِعنا[5] ومَوارِدَنا، فارحَلوا عنّا حيثُ أحببتم ، فلا حاجةَ لنا بجوارِكم . فأرسلَ إليهم : إنّه لابدّ من المقام بهذا البلدِ حولًا ، حتى ترجع إلىّ رسلِى التى أرسلتُ ، فإن أنزلتمونى طَوعًا نزلتُ وحمِدتُكم وآسَيتُكم[6] فى الرِّعى والماء ، وإنْ أبيتم أقمتُ على كُرْهكم ثم لم ترتَعوا معى إلّا فَضْلًا[7]، ولم تشربوا إلا رَنْقًا[8]، وإنْ قاتلتمونى قاتلتكم، ثُمّ إنْ ظَهَرتُ عليكم سَبَيتُ النساء وقتلتُ الرجال، ولم أترك منكم أحدًا ينزِل الحرمَ أبدا ! فأبَتْ جرهمٌ أن تُنزِلَه

(١) كذا على الصواب فى ط ، مب ، مط . وفى أ : « لما قاموا » . وفى سائر النسخ : « لا تؤموا بمكة » ، تحريف .

(٢) هذا هو الصواب فى ط، مب، مط . وفى سائر النسخ : « حتى أقول » .

(٣) الشدقم : الواسع الشدق .

(٤) كذا فى ط، مب، مط . وفى سائر النسخ : « روادا » .

(٥) المرابع : جمع مربع ، وهو موضع الإقامة فى الربيع .

(٦) المواساة والمؤاساة : التسوية . ط، مب، أ «واسيتكم» . ونص فى القاموس أنها لغة رديئة .

(٧) الارتعاء : الرعى .

(٨) الرنق بالفتح والسكون، وككتف وجبل : الماء الكدر .

طَوعًا وتَعَبَّتْ لقتاله[1]، فاقتتلوا ثلاثةَ أيامٍ أفرِغَ عليهم فيها الصبرُ، ومُنِعوا النصر[2]، ثم انهزمَتْ جُرهُمٌ فلم يُفلِتْ منهم إلا الشَّريد. وكان مُضاض بنُ عمرٍو قد اعتزَلَ حربَهم ولم يُعِنْهم فى ذلك، وقال: قد كنتُ أحذِّركم هذا. ثم رحَلَ هو وولدُه وأهلُ بيته حتى نزلوا قَنَوْنَى[3] وما حولَه، فبقايا جُرهُم به[4] إلى اليوم، وفَنِيَ الباقون، أفناهم السيفُ فى تلك الحروب.

شعره فى نفى جرهم عن الحرم

قالوا: فلما حازت خزاعةُ أمرَ مكّةَ وصاروا أهلَها جاءهم بنو إسماعيل وقد كانوا اعتزلوا حربَ جرهمٍ وخُزاعة، فلم يدخلوا فى ذلك، فسألوهم السُّكنَى معهم وحَولَهم فأذِنُوا لهم، فلما رأى ذلك مضاضُ بن عمرو بن الحارث وقد كان أصابه من الصَّبابة إلى مكّةَ أمرٌ عظيم، أرسل إلى خزاعةَ يستأذنها، ومَتَّ إليهم برأيه[5] وتوريعه[6] قومه عن القتال، وسوءِ العِشْرة فى الحرم، واعتزالِه الحربَ، فأبَتْ خزاعةُ أن يُقِرّوهم ونَفَوْهم عن الحرم كلِّه، وقال عمرو بن لحى لقومه: من وجدَ منكم جرهميا قد قاربَ الحَرَمَ فدمُه هَدَر[7]! فنزعَتْ إبلٌ لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض ابن عمرو، من قَنَوْنَى تريد مكّة، فخرجَ فى طلبها حتّى وجدَ أثرها[8] قد دخلَتْ مكّة، فمضَى على الجبال نحوَ أجياد، حتّى ظهَرَ على أبى قُبَيس[9] يتبصَّر الإبلَ فى بطن وادى

(١) التعبى: التهيؤ والاستعداد للقتال. (٢) أى لم ينتصر أحد الفريقين.

(٣) قنونى، بفتح القاف والنون: واد من أودية السراة يصب إلى البحر فى أوائل أرض اليمن من جهة مكّة. ط، مب: «قنونى» بالقاء وبضبط سابقه، فى مط: «قتونا». قال ياقوت: «موضع فى بلاد العرب». (٤) ط، ها: «بها».

(٥) مت: توسل. ط، مب: «برائه». والراء: الرأى.

(٦) ووعه توريعا: كفه. ما عدا ط، مب، مط: «توزيعه». والتوزيع: التفريق، ولا وجه له. (٧) كذا فى ط، مب، مط. وبدله فى سائر النسخ: «وقالوا: من دخله منهم فدمه هدر». (٨) ما عدا ط، ا، مب: «حتى وجدها».

(٩) ظهر عليه: علاه. وأبو قبيس: جبل بمكة.

مكّة ، فأبصر الإبلَ تُحَرُّ وتؤكل ولا سبيلَ له إليها ، نخاف إن هبط الوادى أن يُقْتَل ، فولّى منصرفاً إلى أهله وأنشأ يقول :

كأنْ لم يكن بينَ الحَجُون إلى الصّفا * أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ
ولم يَتَربّعْ واسطًا فجَنُوبَه * إلى المنحَنَى من ذى الأراكة حاضر (١)
بَلَى نحنُ كنّا أهلَها فأبادنا * صروفُ اللّيالى والجدود العواثر
وأبدَلَنا ربّى بها دارَ غُربةٍ * بها الذئبُ يعوِى والعدوُّ المخامر (٢)
أقولُ إذا نام الخلىّ ولم أنم * أذَا العرش لا يَبعَدْ سُهيلٌ وعامر (٣)
قدْ أبدلتُ منهم أوجُهًا لا أريدُها * وحِميَرُ قد بُدّلتُها واليحابر (٤)
فإن تَمِلِ الدنيا علينا بكَلّها * ويُصبِحُ شرٌّ بيننا وتشاجُرُ (٥)
فنحنُ ولاةُ البيتِ مِن بَعد نابتٍ * نُمشّى به والخيرُ إذْ ذاكَ ظاهر (٦)
وأنكَحَ جدّى خَيرَ شخصٍ علمتُهُ * فأبناؤه مِنّا ونحنُ الأصاهر (٧)
وأخرجَنا منها المليكُ بقُدرةٍ * كذلك يا لَلنّاس تجرى المقادر

(١) التربع : الإقامة بالمكان . وواسط : موضع بالحجاز فى طريق منى . وذو الأراكة : نخل بموضع من اليمامة . ما عدا ط : «من ذى الأريكة» ، تحريف . مب : «من ذى أراكة» . مط «من ذى أراك» .

(٢) المخامر : المستتر . ط : «المحاصر» . مط : «المحاضر» .

(٣) أذا العرش ، أى يا ذا العرش .

(٤) ما عدا ط ، ا ، مب ، مط : «وبدلت» . يحابر بضم الياء ، بن مالك بن أدد : قبيلة من اليمن . وفى الاشتقاق لابن دريد : «ويحابر بن مالك ، وهو مراد ، وإنما سمى مرادا لأنه أول من تمرد باليمن» .

(٥) الكل : الثقل ، كذا جاءت الرواية فى ط ، ا ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : «بكلكل» .

(٦) نابت : ابن إسماعيل بن إبراهيم .

(٧) ا ، ط : «الأياصر» . مب ، مط : «الأباصر» بالباء الموحدة .

فصرنا أحاديثا وكنّا بغبطة * كذلك عضّتنا السنون الغوابرُ
وسحّت دموعُ العين تبكى لبلدة * بها حَرَمٌ أمْنٌ وفيها المشاعرِ
ويا ليتَ شعرى مَنْ بأجيادَ بعدَنا * أقامَ بمُفضَى سَيله والظَّواهرِ[1]
فبطنُ منًى أمسَى كأنْ لم يكنْ به * مُضاضٌ ومن حَيّىْ عدىٍّ عمائرُ[2]

٥ فهل فَرَجٌ آتٍ بشىْءٍ نحبُّه * وهل جَزَعٌ مُنْجيكَ ممّا تحاذرُ

قالوا : وقال أيضًا :

يا أيُّها الحىُّ سيرُوا إنّ قَصْرَكُمُ[3] * أن تُصبحوا ذاتَ يومٍ لا تسيرونا
إنّا كما أنتمُ كُنّا فغيَّرنَا * دهرٌ بصرفٍ[4] كما صِرنا تصيرونا
أزجُوا المطىَّ وأرخُوا من أزِمّتها * قبْلَ المماتِ وقضُّوا ما تُقضُّونا[5]

١٠ قد مال دهرٌ علينا ثمّ أهلكَنا * بالبَغْى فيه فقد صِرنا أفانينا[6]
كنّا زمانًا ملوكَ الناسِ قَبلكمُ * نأوِى بلادًا حرامًا كان مسكونا

قال الأزرقى : فحدّثنى محمد بن يحيى قال : حدّثنى عبد العزيز بن عمران قال :

اجتمع به أبو سلمة ابن عبد الأسد وهو مسنّ معلق فى شجرة

وخرج أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى قُبيل الإسلام فى نفرٍ من قريش يريدون اليمنَ، فأصابهم عطشٌ شديد ببعضِ الطريق، وأمسَوْا على غيرِ الطريق،

١٥ فتشاوروا جميعًا ، فقال لهم أبو سلمة : إنّى أرى ناقتى تُنازعنى شِقًّا[7] ، أفلا أرسلُها وأتبعها ؟ قالوا : فافعَلْ . فأرسلَ ناقته وتبعها فأصبحوْا[8] على ماءٍ وحاضرٍ ، فاستقَوا

(١) فى البيت إقواء . (٢) العمائر : جمع عمارة ، وهى أصغر من القبيلة وأكبر من البطن .
(٣) قصركم وقصاراكم : نهايتكم ومآلكم .
(٤) الصرف : واحد صروف الدهر ، وهى نوائبه ، وحوادثه .

٢٠ (٥) الإزجاء : السوق . وإرخاء الزمام : كناية عن الإسراع بالمطى . ما عدا ط ، مب ، مط : «وأزجوا من أزمتها» ، تحريف . (٦) أفانين : جمع أفنان ، وهى جمع فنن ، أى صرنا متفرقين . أو هو جمع أفنون ، وهى الجرى المختلط من جرى الناقة والفرس . (٧) شقا ، أى جانبا .
(٨) ما عدا ط ، أ ، مب ، مط : « فأصبحوا » . والحاضر : القوم المقيمون على الماء .

وسَقَوا ، فإنّهم لَعلى ذلك إذْ أقبلَ إليهم رجلٌ فقال : مَنِ القوم ؟ قالوا : من قريش . فرجَع إلى شجرةٍ أمام الماء فتكلّمَ عندها بشىء ثم رجع إلينا ، فقال : لينطلق معى أحدُكم إلى رجل تَدْعوه[1] . قال أبو سلمة : فانطلقتُ معه فوقَف بى تحتَ شجرةٍ، فإذا وكر معلَّقٌ فصوّتَ : يا أبتِ ! فزعزع[2] شيخٌ رأسَه ، فأجابه فقال : هذا الرجل . فقال لى : ممن الرجل؟ قلت : من قريش . قال : من أيّها ؟ قلت : من بنى مخزوم بن يَقَظة . قال : مِن أيّهم ؟ قلت : أنا أبو سلمة ابن عبد الأسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة . قال : أَيهاتَ[3] منك ! أنا ويَقَظةُ سِنٌّ[4]، أتدرى من يقول :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصّفا * أنيسٌ ولم يسمُر بمكة سامرُ
بَلَى نحنُ كنّا أهلَها فأبادَنا * صُروفُ الليالى والجدودُ العواثر

قلت : لا . قال : أنا قائلها، أنا عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى . أتدرى لمَ سُمّى أجيادٌ أجيادًا ؟ قلت : لا . قال : جادت بالدّماء يوم التقينا نحن وقَطُوراء؛ أتدرى لمَ سمّى قُعيقعانُ ؟ قلت : لا . قال : لتقعقُع السلاح على ظهورنا لمّا طلعنا عليهم منه .

وأخبرنى بهذا الخبر الحرمىُّ بن أبى العلاء ؛ قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال : حدّثنى إبراهيم بن المنذر الحِزامىّ؛ قال : حدّثنا عبد العزيز بن عمران؛ قال حدّثنى راشد بن حفص بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، قال : قال أبو سلمة بن عوف[5] :

---

(١) ط : « يدعوه » . (٢) زعزع : حرك .

(٣) أيهات : لغة فى هيهات بمعنى بعد . ما عدا ط ، أ ، مب ، مط : « أبنتك » .

(٤) أى فى سن وعمر واحد .

(٥) أى اسم صاحب القصة أبو سلمة بن عوف ، لا أبو سلمة بن عبد الأسد .

وخرجت فى نفرٍ من قريشٍ يُريدون اليمن. وذكر الخبرَ مثلَ حديثِ الأزرقىّ.
والله أعلم.

تغريب ربيعة بن أمية بن خلف

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثنى محمد بن يحيى قال: حدثنا غسان بن عبد العزيز بن عبد الحميد[1] أنّ ربيعة بن أمية بن خَلَف كان قد أدمَن الشرابَ، وشرب فى شهر رمضان، فضرَبه عمرُ رضى الله عنه وغرّبه إلى ذِى المروةِ، فلم يزل بها حتّى تُوفّى عمرُ واستخلف عثمانُ رضى الله عنه؛ فقيل له: قد توفّى عمرُ واستخلف عثمانُ فلو دخلتَ المدينة ما ردّك أحد. قال: لا والله لا أدخل المدينة فتقولَ قريشٌ قد غرّبه رجلٌ من بنى عدىّ بنِ كعبٍ. فلحق بالرُّومِ وتنصّرَ، فكان قيصرُ يَحْبُوه ويُكرِمه، فأعقَب[2] بها.

تغنى الربيع بشعر عمرو بن الحارث ابن مضاض

قال غسان: حدثنى أبى قال: قدِم رسولُ يزيد بنِ معاويةَ على معاويةَ من بلادِ الرومِ؛ فقال له معاوية: هل كان للناس خبر؟ قال: بينا نحن مُحاصِرون مدينةَ كذا وكذا إذْ سمِعنا رجلًا فصيحَ اللسانِ مُشرِفاً من بين شُرفتينِ[3] من شُرَفِ الحصن، وهو يُنشِد:

كأنْ لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصَّفا * أنيسٌ ولم يسمُر بمكّةَ سامرُ

فقال معاوية: ويحكَ، ذاك الربيعُ بن أمية يتغنى بشعرِ عمرِو بن الحارثِ بن مُضاضٍ الجرهمى.

(١) ابن عبد الحميد، من ط فقط. مب، مط: «غسان بن عبد الحميد» فقط.
(٢) أعقب بها: صارله بها ولد ونسل.
(٣) الشرفة، بالضم: ما يوضع على أعالى القصور والمدن. ما عدا ط، مب، مط: «من شرفين»، تحريف.

غناء ابن جامع بشعر مضاض

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعى قال : حدثنا عمر بن شبة قال ؛ حدثنى إسحاق بن إبراهيم قال : قال لى أبى : مُرْ بالدوابِّ تُسرَجْ سحرًا حتّى نغدوَ إلى ابن جامعٍ(1) نستقبلُه باليا سِرية(2) بِسُحرة(3) لا تأخذنا(4) الشّمس . قال : فأمرت بذلك . وركبنا فى السحَر فأصبحْنا دون الياسرية ، وقد طلعَتْ علينا الشّمس . قال : فجئنا إلى ابن جامع وإذا به مختضبٌ وعلى رأسه ولحيته خِرَقُ الخضاب ، وإذا بقِدْرٍ تُطبخ فى الشّمس ؛ فلما نظَرَ إلينا رحَّب بنا ، وقام إلينا فسلَّمَ علينا ، ثم دعا الماءِ فغسَلَ رأسه ولحيتَه ، ثم دعا بالغَداءِ فأتِىَ بغَدائه ، فغرَفَ لنا من تلك القِدْرِ التى فى الشمسِ ، فتقزّزْت(5) وبَشِعتُ من ذلك الطعامِ الذى طُبِخ ، فأشار إلىَّ أبى : بأنْ كُلْ . فأكلْنا حتّى فرَغْنا من غَدائنا ، فلما غَسلْنا أيدِيَنا نادى ابنُ جامع : يا غلام هاتِ شرابَنا ! فأتِىَ بنبيذٍ فى زُكْرةٍ(6) قد كانت الزُّكرة فى الشمس ، فكرهت ذلك ، فأشار إلىَّ أبى ، أنْ لا تمتنعْ ، ثم أتَوا بقَدَحٍ جَيشانىٍّ(7) ملءِ الكفِّ ، فصُبَّ النبيذُ فيه وهو يُشبِه(8) ماءً قد أُغلِىَ بالنار ، ثم(9) غنّى ابنُ جامع فقال :

كأنْ لم يكنْ بين الحَجُون الى الصَّفا * أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ

بلى نحنُ كنا أهلَها فأزالنا * صُروفُ الليالى والجُدودُ العواثرُ

(1) هو إسماعيل بن جامع . وقد سبقت ترجمته وأخباره .

(2) الياسرية : قرية كبيرة على نهر عيسى بينها وبين بغداد ميلان . ما عدا ط : « بالباسرية » بباء موحدة ، تحريف . (3) السحرة ، بالضم : وقت السحر .

(4) أى لئلا تأخذنا الشمس . (5) كذا فى ط ، أ ، مب . وفى سائر النسخ : « فنفرت » .

(6) الزكرة ، بضم الزاى : زقيق صغير للشراب . ما عدا ط ، مب ، مط : « ركوة وقد كانت الركوة فى الشمس » .

(7) الجيشانى ، بفتح الجيم : نسبة إلى جيشان : مخلاف باليمن تنسب إليه الأقداح والخمر السود أيضا . ط ، مب : « جبسانى » ، مط : « حيسانى » تحريف . والخمر : جمع خمار بكسر الخاء .

(8) ما عدا ط ، أ ، مب : « يشوبه » تحريف .

(9) هذه الكلمة من ط ، مب ، مط فقط . وبدلها فى أ : « ثم » .

صـــــوت

ثم غنّى، للعرجى (١) :

لو أنّ سلمى رأتنا لا يَرَاعَ لنا * لمّا هبطنا جميعا أبطُن السوق (٢)

وكَشْرَنا وكُبولُ القَينِ تنكؤنا * كالأُسْدِ تَكشِرُ عن أنيابها الرُّوق (٣)

صـــــوت

ثم تغنّى :

أجـرّرُ فى الجوامع كُلَّ يوم * فيا لله مَظْلِمَتى وصَبْرى

ثم أمر بالرّحيل . وقد غنى هذه الثلاثة الأصوات . فقال لى أبى : يا بنىّ بشعتَ لِمَا رأيتَ من طعام ابن جامع وشرابه ؛ فعلىّ عِتقُ ما أملك (٤) إنْ لم يكن شُربُ الدم مع هذا طيِّبا . ثم قال : أسمعتَ بنىّ غناءً قطُّ أحسنَ من هذا ؟ فقلت : لا والله ما سمعتُ .

قال : ثمّ خرجَ ابنُ جامع حتى نزلَ ببابِ أميرِ المؤمنين الرشيدِ ليلاً ، واجتمع المغنّون على الباب ، وخرجَ الرسولُ إليهم فأذِنَ لهم ؛ والرشيدُ خلف الستّارة ، فغنّوا إلى السَّحَر ؛ فأعطاهم ألفَ دينارٍ إلّا ابنَ جامع فلم يعطِه شيئا ، وانصرفوا متوجِّهين له ، وعَرَضوا عليه جميعا فلم يقبل ؛ وانصرفوا ، فلما كان فى الليلة الثانية دُعُوا فغنّوا ساعةً ، ثم كُشِفت الستارة ، وغنّى جامعٌ صوتاً عَرَّض فيه بحاله وهو :

(١) هذا الصواب فى ط ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « العرجى » .

(٢) اليراع : الضعاف من الغنم وغيرها . ط : « لا نزاع لنا » . ط ، مب : «أبطح السوق» . مط « أبطح الشوق » .

(٣) الكشر : التبسم ، وبدو الأسنان عند الضحك . والكبول : جمع كبل بالفتح والكسر ، وهو القيد . والقين : الحداد . تنكؤنا : تؤلمنا . كذا جاءت الرواية على الصواب فى ط ، مب ، مط . وفى أ : «تبكؤنا» . وفى سائر النسخ : « تبكرنا » . الروق : جمع أروق وروقاء ، وهو الذى طالت ثناياه العليا على السفلى . (٤) أ ، ط ، مب : «فعتق ما يملك» ، وهو أسلوب يبدلون به الكلام لئلا يقع المتكلم به فيما تقتضيه اليمين من نذر أو طلاق أو نحوهما .

صــــوت

تقولُ أقِمْ فينا فقــيرًا وما الذى * تَرَى فيـــه ليلَى أن أُقيمَ فقــيرا

ذَرِينى أمُتْ بالليل أو أكسِبَ الغنى * فإنّى أرى غيرَ الغــنىِّ حقــيرا

يُدَفَّـع فى النادى و يُرفَض قــوله * و إن كان بالرأى السّـديدِ جديرا

ويُلزَمُ ما يَجنِى سواه و إن يُطِفْ[1] * بذنبٍ يكن منه الصغيرُ كبيرا ٥

قالوا: فأعجَبَ الرّشيدَ ذلك الشعرُ واللحنُ فيه، و أمال رأسَه نحوه كالمستدعى له. وغنّاه أيضا

صــــوت

لئنْ مصرُ فاتتْنى بما كنتُ أرتجِى * وأخلفَنى منها الذى كنتُ آملُ[2]

فما كلُّ ما يخشَى الفتى نازلٌ بهِ * ولا كلُّ ما يرجو الفتى هو نائلُ[3] ١٠

ووَاللهِ ما فرّطتُ فى وجهِ حيلةٍ * ولكنَّ ما قد قدّر اللهُ نازلُ

وقد يَسلَمُ الإنسانُ من حيث يتّقِى * ويُؤتَى الفتى مِنْ أمنِه وهو غافلُ

ثم أمر بالانصراف فانصرفوا، فلمّا بلغوا السِّتْرَ صاح به الخادم : يا قرشىُّ مكانَك. فوقف مكانَه فخرج إليه بخِلَعٍ وسبعةِ آلاف دينار، وأُمِرَ إنْ شاء أن يقيم، وإنْ شاء أن ينصرف . ١٥

غناء امرأة جرهمية بشعر مضاض

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال : ذكر الكلبى عن أبيه : أنّ الناسَ بيناهمُ فى ليلةٍ مُقمِرةٍ فى المسجدِ الحرام، إذْ بصرُوا بشخصٍ قد أقبل[4]

---

(١) كذا على الصواب فى ط، مب، مط. وفى جـ: «و يلزمنى» وفى سائر النسخ: «و يغفر».

(٢) الأبيات لأبى دهمان الغـلابى، كما نص الجاحظ فى البيان والتبيين (٢ : ٢٩١). وكذا جاءت رواية البيت فى ط، مب، مط، جـ والبيان. وفى سائر النسخ: «لئن حرمتنى كل ما كنت أرتجى». ٢٠

(٣) ما عدا ط، م، مب، مط: «نازلا به». البيان: «بمصيبه».

(٤) قد أقبل، من ط، مط فقط.

كأنّ قامته رُمح، فهرَبوا من بين يديه وهابوه، فأقبل حتّى طاف بالبيت الحرام سبعًا ثم وقف فتمثّل :

كأنْ لم يكُنْ بين الحَجون إلى الصَّفا * أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ

قال: فأتاه رجلٌ من أهل مكّة، فوقف بعيدًا منه ثم قال: سألتُك بالذى خلقكَ أجِنّىٌّ أنتَ أم إنسىّ؟ فقال : بل إنسىّ(1)، أنا امرأةٌ من جُرهم، كنّا سُكّانَ هذه الأرض وأهلَها ، فأزالَنا عنها هذا الزمانُ الذى يُبلِى كلَّ جديد ويغيِّره! ثم انصرفَتْ خارجةً(2) عن المسجد حتّى غابت عنهم، ورجَعوا إلى مواضعهم .

إنشاد شعره فى رؤيا وتأويل ذلك

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنا حماد بن إسحاق قال : حدّثنى أبى عن جدّى قال : قال لى يحيى بن خالد يوما : أخبرك برؤيا رأيتها ؟ قلت : خيرًا رأيتَ . قال : رأيتُ كأنّى خرجتُ من دارى راكبًا ، ثم التفتُّ يمينا وشمالًا فلم أرَ معى أحدا ، حتّى صرت إلى الجسر ، فإذا بصائح يَصيح من ذلك الجانب :

كأنْ لم يكنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا * أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامر

فأجبتُه بقوله :

بلى نحنُ كنّا أهلَها فأبادَنا * صُروفُ الليالى والجدودُ العواثرُ

فانصرفتُ إلى الرشيد فغنّيتُه الصوتَ ، وخبّرتُه الخبر ، فعجِبَ منه . وما مضت الأيّام حتّى أوقعَ بهم(3) .

صوت

شاقَنِى الزائراتُ قَصْرَ نُفَيس * مُثْقَلاتِ الأعجازِ قُبَّ البطُون

يتربّعْنَــه الربيـعَ وينزِلْـ * نَ إذا صِفْنَ منزلَ الماجِشونِ

(1) ما عدا ط، س، مط: «فقال له بل إنسى». (2) هذه الكلمة من ط، سب، مط فقط.
(3) أى بالبرامكة . س، ب: «إلا أيام».

يتربّعنه : ينزلنه فى أيام الربيع . يقال لمنزل القوم فى أيام الربيع : مُتَربَّعهم .
قال الشاعر :

أمِن آلِ ليلى بالمَلا متربَّعُ * كما لاح وشمٌ فى الذراع مُرجَّعُ (١)

الماجشون وعلة تسميته

والماجِشونُ : رجلٌ من أهل المدينة يُروَى عنه الحديث . والماجشونُ لقبٌ لقّبته به سُكينةُ بنت الحسين بن على بن أبى طالب — عليهم السلام — وهو اسمُ لونٍ من الصِّبغ أصفرَ تخالطُه حمرة ، وكذلك كان لونَه . ويقال : أنها ما لقّبتْ أحدًا قطُّ بلقبٍ إلّا لصِق به .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثنا مصعبٌ الزبيرىُّ ، قال : حدّثنى ابن الماجشون ، قال :

نظرَتْ سُكَينَةُ إلى أبى ، فقالت : كأنَّ هذا الرجلُ الماجشونُ — وهو صِبغٌ أصفرُ تخالطه حُمرة — فلُقّب بذلك .

تلقيب سكينة لرجل بشيرج

قال عبد العزيز : ونظرَتْ إلى رجلٍ من ولدِ عمرَ بنِ الخطّابِ رضى الله عنه وكانت فيه غِلْظة ، فقالت : هذا الرجل فى قريشٍ كالشَّيرَج فى الأدهان ! فكان ذلك الرجلُ يسمَّى : فلانٌ شِيرَج حتّى مات .

الشعر لعمر بن أبى ربيعة ، والغناء لإبراهيم الموصلىّ . خفيف رمل مطلق فى مجرى البنصر ، وفيه لبصبص جاريةِ ابن نُفَيس التى قيل هذا الشعر فيها : رمل . وذكر حبش أن لها فيه أيضا ثقيلَ أوّل بالوسطى .

---

(١) مرجع : وشم مرة بعد مرة . وما عدا ط ، مب ، مط : « وسم » و « متربع » ، تحريف .

ذكر أخبار بَصْبَص جاريةِ ابنِ نُفَيس[1] وأخبارها

منزلة بصبص عند مولاها

كانت بصبصُ هذه جاريةً مولَّدة من مولَّدات المدينة ، حُلوةَ الوجهِ ، حَسَنةَ الغِناء ، قد أخذَتْ عن الطبقـةِ الأولى من المغنِّين ، وكان يحيى بن نُفَيس مولاها — وقيل نفيس بن محمد، والأوّل أصح — صاحبَ قِيانٍ يَغْشاه الأشراف، ويسمعون غناءَ جواريهِ ، وله فى ذلك قصصٌ نذكرها بعـد ، وكانت بصبصُ هذه أنفَسَهنّ وأشدَّهنّ تقدّما .

الخلاف فى والدة علية بنت المهدى

وذكر ابن خُرداذَبه : أنَّ المهـدىَّ اشتراها وهو ولىُّ العهد سِرًّا من أبيه بسبعةَ عشرَ ألفَ دينار ، فولدت منه عُلَيّةَ بنتَ المهدىّ .

وذكر غيرُه أنّ ابن خُرداذبه غَلِط[2] فى هـذا ، وأن الذى صحّ أنّ المهدىّ اشترى بهذه الجملة جاريةً غيرَها ، وولدت عُلَيّة .

وذكر هارون بن محمدِ بنِ عبدِ الملك الزياتِ : أن ابن القداح حدّثه قال :

كانت مكنونة جاريةُ المروانيّة — وليست من آل مروان بن الحكم ، وهى زوجةُ الحسين بن عبد الله بن العباس — أحسنَ جاريةٍ بالمدينة وجهًا ، وكانت رَسْحاء[3] ، وكان بعضُ مَن يُمـازِحها يعبَثُ بها ، ويصيح : طَسْت طست[4] ! وكانت حسنة الصَّـدرِ والبطنِ ، وكانت تُوضِح بهما[5] ، وتقول : ولكن هذا ! فاشتريتْ للمهدىّ

(١) ابن نفيس هذا هو يحيى بن نفيس . وضبط فى ط بهيئة التصغير . وفى القاموس : « ونفيس ابن محمد من موالى الأنصار، وقصره على ميلين من المدينة » .

(٢) كذا فى ط ، حـ ، م ، مـ . وفى سائر النسخ : « وذكر غير ابن خرداذبه أنه غلط » .

(٣) الرسحاء : القليلة لحم العجز والفخذين .

(٤) الطست : إناء من صفر . يعنى أنها شبيهة به .

(٥) توضح بهما : تظهرهما ، وتتباهى .

فى حياة أبيه بمائة ألف درهم فغلبَتْ عليه ، حتّى كانت الخيزرانُ تقول : ما ملك أمَةً أغلظ علىّ منها . واستترأمرُها على المنصور حتّى مات . وولدت من المهدىّ عُلَيّةَ بنتَ المهدىّ .

والذى قال ابنُ خُرْداذْبه غير مردودٍ إذا كان هذا صحيحا .

شراء المهدى لبصبص

٥ أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمادِ بنِ إسحاق عن أبيه عن غُرَيرِ بنِ طلحة قال: اتّعد[1] محمد بن يحيى بن زيدِ بن على بنِ الحسين[2]، وعبدالله بن يحيى بنِ عبّادِ بن عبدِ الله ابنِ الزبير، وعبد الله بن مصعب الزُّبيرى، وأبو بكر بن محمدِ بنِ عثمان الربعى، ويحيى بن عقبة، أن يأتوا بَصْبصَ جاريةَ ابنِ نُفَيس، فعجِلَ محمد بن يحيى، وكان من أصحاب عيسى بن موسى، ليَخرُجَ إلى الكوفةِ، فقال عبد الله بن مصعب :

١٠
أرائحٌ أنتَ أبا جعفــرٍ * من قبلِ أن تَسمع مِنْ بَصْبصا
هيهاتَ أن تَسمع منهــا إذا * جاوَزَت العِيسُ بك الأعوصا[3]
خُــذْ عليهــا مجلسَىْ لذّةٍ * ومجلسًا مِنْ قَبــلِ أن تَشْخَصا[4]
أحلِفُ بالله يمينًــا ومَنْ * يحلفُ بالله فقـــد أخلَصــا
لو أنّهــا تدعُو إلى بَيْعــة * بايعتُهــا ثمّ شققتُ العصــا[5]

١٥ قال : وفيها[6] غناء لبصبص .

قال : فاشتراها أبو غَسّان مولى منيرة للمهدىّ بسبعة عشر ألفَ دينار .

---

(١) اتعدا : تواعدا .
(٢) ط، مب، مط : « محمد بن زيد بن على » ؛ م : « محمد بن يزيد بن على » .
(٣) الأعوص : موضع قرب المدينة .
٢٠ (٤) تشخص : تذهب من بلد إلى بلد .
(٥) شق العصا : كناية عن الخلاف ، ومفارقة الجماعة .
(٦) ط ، مط : « وفيه » .

قال حماد : وحدّثني أبي عن الزبير أن عبد الله بن مصعب خاطب بهذا الشعر أبا جعفر المنصورَ لما حجّ فاجتاز بالمدينة منصرفًا من الحجّ ، لا أبا جعفر محمد ابن يحيى بن زيد .

غضب المنصور على عبد الله ابن مصعب في إعجابه بها

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعي إجازة قال : حدّثنا عُمَر بن شبّة قال : حدّثني محمد بن سلام قال : حدّثني موسى بن مِهْران قال : كانت بالمدينة قَينةٌ لآلِ نُفَيس بن محمد يقال لها بَصْبص ، وكان مولاها صاحبَ قصرِ نُفَيس الذى يقول فيه الشاعر :

شاقَني الزائراتُ قَصْرَ نُفَيس * مُثقَلاتِ الأعجازِ قُبَّ البُطونِ[1]

قال : وكان عبد الله بن مصعَب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يأتيها ، فيسمعُ منها ، وكان يأتيها فِتْيانٌ من قريش فيسْمَعون منها ، فقال عبد الله بن مصعب حين قدم المنصور منصرفًا من الحجّ ومرّ بالمدينة يذكر بصبص :

أراحلٌ أنت أبا جعفرٍ * مِن قبلِ أن تَسمع مِن بصبصا

وذكر الأبيات ، فبلغت أبا جعفر، فغضب فدعا به ؛ فقال : أمَا إنكم يا آلَ الزبيرِ قديمًا ما قادتكم النساء ، وشققتم معهنّ العصا ، حتى صرتَ أنت آخرَ الحمق تُبايع المغنّياتِ ؛ فدونكم يا آل الزبيرِ هذا المرتَعَ الوخيم[2] .

قال : ثم بلغ أبا جعفرٍ بعد ذلك أنّ عبد الله بن مصعب قد اصطَبح[3] مع بصبصَ وهي تغنّيه بشعره :

---

(١) القب : جمع أقب وقباء ، وهو الضامر البطن .

(٢) دونك هذا ، أى خذه ، صيغة للإغراء .

(٣) اصطبح : شرب الصبوح ، وهو شرب الصباح .

صـــوت

إذَا تمــزّزتُ صُراحيّــةً * كمثلِ ريح المسك أو أطيبُ[1]

ثم تغــنّى لى بأهزاجِــه * زيدٌ أخو الأنصار أو أشعبُ

حسِبتُ أنّى مالكٌ جالسٌ * حَفّتْ به الأملاك والموكبُ

فــلا أُبالِى وإلٰــهِ الــورَى * أشرّقَ العــالَمُ أم غــرّبوا

٥

الغناء لزيدٍ الأنصارى، هزجٌ مطلقٌ فى مجرى الوسطى عن الهشامىّ وغيره، وذكر غيرُه أنه لأشعبَ. فقال أبو جعفرٍ: العالَمُ لا يبالون كيف أصبحتَ وكيف أمسيت.

إعجاب المنصور بشعر طريف العنبرى

ثم قال أبو جعفرٍ: ولكنّ الذى يعجبنى أن يَحدُوَ بى الحادى الليلةَ بشعرِ طريفٍ العنبرىّ، فهو آنَفُ فى سمعى من غناء بَصبصَ، وأحرى أن يختاره أهلُ العقل. قال: فدعا فلانًا الحادىَ — قد ذكره وسقط اسمه — وكان إذا حدا وضعت الإبل ١٠ رءوسها لصوته[2] وانقادت انقيادًا عجيبًا[3]، فسأله المنصورُ: ما بلغ من حُسن حُدائه؟ قال: تعطَّش الإبلُ ثلاثًا أو قال خمسًا وتُدنَى من الماء، ثم أحدو فتتبع كلُّها صوتى، ولا تقرب الماء. فحفِظَ الشعرَ[4]، وكان:

إنّى وإن كان ابن عمّى كاشحًا * لَمُزاحِمٌ من دونه وورائه[5]

ومُمِدُّه نصرى وإنْ كان امرأً * متزحزِحًا فى أرضه وسمائه[6] ١٥

(١) التمزز: التمصص. وفى بعض النسخ: «تمروت» تحريف. والصراحية: الخمر الخالصة.

(٢) وضعت رءوسها: خفضتها.

(٣) هذه الكلمة من ط، مب، مط.

(٤) كذا فى ط، ها، مب، ح. وفى سائر النسخ: «فحفظه هذا الشعر».

(٥) الكاشح: مضمر العداوة. ٢٠

(٦) المتزحزح: البعيد.

وأكونُ مأوى سِرِّه وأصونُه * حتّى يَحِقَّ علىّ يومُ أدائه
وإذا أتى من غَيِّه بطَريفةٍ * لم أطَّلِعْ : ماذا وراءَ خِبائه
وإذا تَحيَّفتِ الحوادثُ مالَه * قُرِنَتْ صحيحتُنا إلى جَربائه [1]
وإذا تَريَّش فى غِناه وفَرُّه * وإذا تَصعلكَ كنتُ من قُرنائه [2]
٥ وإذا غدا يوماً ليركب مَركبًا * صَعبًا قعدتُ له على سِيسائه [3]

فلما كان الليلُ حدا به الحادى بهذه الأبيات، فقال: هذا والله أحثُّ على المروءة وأشبه بأهلِ الأدب من غِناءِ بَصبص . قال: فحدا به ليلةً، فلما أصبح قال: يا ربيعُ أعطِه درهمًا . فقال له : يا أمير المؤمنين، حدوتُ بهشامِ بنِ عبدِ الملك، فأمَرَ لى بعشرين ألف درهمٍ وتأمر أنت بدرهمٍ ! قال : إنّا لله ! ذكرتَ ما لم نُحِبَّ [4] أن
١٠ تذكره ؛ ووصفتَ أنّ رجلًا ظالمًا أخذ مالَ اللهِ من غيرِ حِلّه ؛ وأنفقَهُ فى غيرِ حقِّه يا ربيع ، اشدُد يديكَ به حتّى يردّ المال . فبكى الحادى، وقال : يا أمير المؤمنين قد مضت لهذا السِّنون [5]، وقُضيت به الديون، وتمزّقَتْه النفقاتُ؛ ولا والذى أكرمَكَ بالخلافةِ ما بقِىَ عندى منه شىء . فلم يزل أهله وخاصّتُه يسألونه حتّى كفَّ عنه ، وشرَط عليه أن يحدوَ به ذاهبًا وراجعا، ولا يأخُذَ منه شيئا .

١٥ أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعىّ ، قال : حدّثنا عُمر بن شبة قال : حدّثنى القاسم بن زيد المدينىّ ؛ قال :

---

(١) قرنت، كذا على الصواب فى ط، مب . وفى سائر النسخ : «قرت» . وجربائه تصحيح ط، مط وهى فى حـ : «جربانه» ، وفى سائر النسخ : «حوبانه» .
(٢) تريش وارتاش : أصاب خيرا فرئى عليه أثر ذلك .
٢٠ (٣) سيساء الظهر من الدواب : مجتمع الوسط .
(٤) ط، مب، مط : «يجب» .
(٥) ما عدا ط، مب، مط : «هذه السنون» .

فشل بصبص فى محاولتها أخذ درهم من مزبد

اجتمع ذاتَ يوم عند بصبَص جاريةِ ابنِ نُفَيس عبد الله بن مصعَب الزُّبيرى[1] ومحمد بن عيسى الجَعفرىّ، فى أشراف من أهلِ المدينة، فتذاكَروا مُزَبِّدًا المدنىَّ صاحبَ النوادر وبُخْلَه، فقالت بصبصُ: أنا آخذُ لكم منه درهما. فقال لها مولاها: أنت حُرّةٌ لئن فعلتِ إنْ لم أشترِ لك مخنقة[2] بمائة ألف دينار، وإنْ لم أشترِ لك ثوبَ وشيٍ بما شئتِ، وأجعلْ لكِ مجلسا بالعقيقِ[3] أنحَرُ لك فيه بَدَنةً لم تُقتَب[4] ولم تُرَكب. فقالت: جئْ به وارفعْ عنى الغَيرة. فقال: أنتِ حُرّة أنْ لو رفَع برجليكِ لأعنتُهُ على ذلك. فقال عبدُ الله بن مصعب: فصلّيت الغداةَ فى مَسجدِ المدينة، فإذا أنا به، فقلت: أبا إسحاقَ، أمَا تحبُّ أن ترى بَصبصَ جاريةَ ابنِ نُفَيس؟ فقال: امرأته طالقٌ[5] إن لم يكن الله ساخطًا علىّ فيها، وإن لم أكنْ أسألُه أن يُرِيَنيها منذُ سنة فما يَفعل. فقلت له: اليومَ إذا صليّتَ العصرَ فوافِنى ههنا. قال: امرأته طالقٌ إن بَرِحْت من ههنا حتّى تجيءَ صلاةُ العصر. قال: فتصرّفتُ[6] فى حوائجى حتّى كانت العصر، ودخلْتُ المسجد فوجدتُه فيه، فأخذتُ بيده وأتيتُهم به، فأكلوا وشَرِبوا، وتساكَرَ القومُ وتناوَموا، فأقبلتْ بصبصُ على مُزَبِّد، فقالت: أبا إسحاق، كأنَّ فى نفسك تشتهى أن أغنّيكَ الساعة:

لقد حَثّوا الجِمالَ ليَهْـ * ـرَبُوا منّا فلم يئلوا[7]

(١) هذه الكلمة من ط، مب، مط فقط.

(٢) المخنقة: القلادة.

(٣) العقيق: موضع بالمدينة.

(٤) البدنة: واحدة الإبل والبقر، تطلق على الذكر والأنثى. والإقتاب: شد القتب على البعير، وهو الرحل على قدر سنامه.

(٥) ط، حـ، مب، مط: «فقال امرأته الطلاق».

(٦) ما عدا ط، حـ، مب، مط: «فانصرفت».

(٧) وأل يئل: نجا.

فقال : زوجتُه طالقٌ إن لم تكونى تعلمين ما فى اللّوح المحفوظ! قال : ففنّته ساعةً ثم مكثَتْ ساعةً فقالت : أبا إسحاق كأنّ فى نفسك تشتهى أن تقومَ من مجلسك فتجلسَ إلى جانبى فتقرُصَنى قَرَصات، وأغنّيكَ :

قالتْ وقد أبثثتها وجدى فبُحْتُ به[1] * قد كنتَ قِدماً تحبُّ السِّترَ فاستترِ

ألستَ تُبصرُ مَن حَولِى فقلتُ لها * غَطّى هواكِ وما ألقَى على بصرى

فقال : امرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى الأرحام وما تكسِب الأنفسُ غدًا، وبأىِّ أرضٍ تموت ! ففنّته ثم قالت : بَرِحَ الخفاءُ[2]، أنا أعلم أنّك تشتهى أن تقبّلنى شقّ التّين وأغنّيكَ هزَجا :

أنا أبصرتُ بالليلِ * غُلامًا حَسَنَ الدَّلِّ

كغصن البان قد أصـ * ـبح مسقيا من الطل

لم يُذكَر صانعُه ، وهو هَزَجٌ على ما ذكر .

فقال : أنتِ نبيّةٌ مُرسَلة ! ففنته ثم قالت : أبا إسحاق، أرأيتَ أسقَطَ من هؤلاء ! يَدْعُونك ويُخرِجوننى إليك ولا يشترون رَيحانًا بدرهم ، أى أبا إسحاق ، هلُمّ درهمًا نشترى به ريحانا ! فوثَبَ وصاح : واحَرَباه[3]، أىْ زانيةُ، أخطأَتِ استُكِ الحُفرةَ[4]، انقطَعَ واللهِ عنكِ الوحى الذى كان يُوحَى إليك ! وعَطعط[5] القوم بها ، وعلِموا أنّ حيلتَها لم تَنفُذْ عليه، ثم خرجوا فلم يعُدْ إليها، وعاودَ القومُ مجلسَهم، فكان أكثرُ شغلِهم فيه حديثَ مزبّد معها والضّحِك منه .

---

(١) ما عدا ط، مب، مط : «أبحت به» .
(٢) برح، كسمع . وهو مثل لظهور الأمر وانكشافه .
(٣) الحرب : أن يسلب الرجل ماله كله .
(٤) يضرب لمن رام شيئا فلم ينله . مجمع الأمثال .
(٥) عطعط به : صاح .

شعر ابن أبى الزوائد فى بصبص

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات : أنشدنى الزبير بن بكار ، قال : أنشدنى غُرَير بن طَلحة لابن أبى الزوائد — وهو ابن ذى الزوائد — فى بصبص :

بَصْبَصُ أنت الشمسُ مُزدانةً * فإنْ تبذَّلتِ فأنتِ الهلالْ
سُبحانَكَ اللّهمَّ ما هكذا * فيما مضَى كان يكونُ الجمالْ
إذا دعَتْ بالعُود فى مَشهدٍ * وعاونَتْ يُمنَى يدَيها الشِّمالْ
غنَّتْ غناءً يستفزُّ الفتى * حِذقًا وزانَ الحِذقَ منها الدَّلالْ

قال هارون : قال الزُّبير : وأنشدَنى غُرَير أيضًا لنفسه يهجو مولاها :

يا ويحَ بصبصَ من يحيى[1] لقد رُزِقَتْ * وجهًا قبيحًا وأنفًا من جَعاميس[2]
يمُجّ من فيهِ فى فيها إذا هجعَتْ * ريقًا خبيثًا كأرواح الكرابيس[3]

علاقة محمد ابن عيسى بها

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاءِ قال : حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عمى قال : هَوِىَ محمدُ بن عيسى الجعفرىُّ بصبصَ جاريةَ ابنِ نُفَيس، فهام بها وطال ذلك عليه فقال لصديق له : لقد شغَلَتْنى هذه عن صَنعتى وكلِّ أمرى ، وقد وجدتُ مَسَّ السلُوّ فاذهبْ بنا حتّى أكاشفَها بذلك فأستريح . فأتياها فلما غنَّتْ لهما قال لها محمد بن عيسى : أتغنين :

وكنتَ أحِبُّكم فسلوتُ عنكم * عليكُمْ فى ديارِكمُ السَّلامُ

فقالت : لا ولكنِّى أغنِّى :

تحمَّلَ أهلُها عنها فبانوا * عَلَى آثارِ مَن ذهَبَ العفاءُ[4]

---

(١) س : «من حى» . (٢) الجعاميس : جمع جعموس ، وهو ما يطرحه الإنسان من ذى بطنه .
(٣) أرواح : جمع ريح . والكرابيس : جمع كرياس ، وهو الكنيف الذى يكون مشرفا على سطح بقناة من الأرض . قال الأزهرى : سمى كرياسا لما يعلق به من الأقذار فيركب بعضه بعض ويتكرس مثل الدمن . اللسان (كرس) ومعجم استينجاس ١٠٢٦ والحيوان (٥ : ٤٦٨) وعيون الأخبار (٣ : ٢٢٠) .
(٤) البيت لزهير ، فى ديوانه ٥٨ .

فاستحيا وازدادَ بها كَلَفًا ، ولها عِشْقا ، فأطرقَ ساعةً ثم قال : أتغنين :

وأخضعُ بالعُتبَى إذا كنتُ مذنبًا * وإن أذنبَتْ كنتُ الذى أتنصَّلُ

قالت : نعم وأغنّى أحسنَ منه :

فإن تُقْبِلوا بالودِّ نقبلْ بمثلِه * ونُنزِلْكم منّا بأقربِ منزلِ

٥ قال : فتقاطَعَا فى بيتين ، وتواصَلا فى بيتين . وفى هذه الأبياتِ الأربعةِ غناءٌ كان محمد قريض،[1] وذُكَاءُ، وغيرهما ممن شاهدنا من الحُذّاق يغنُّونَه فى الابتداءين لحنين من الثقيل الأوّل، وفى الجوابَين لحنَين من خفيف الثقيل، ولا أعرف صانعَهما .

شغف أبى السائب المخزومى بها

أخبرنى عمى قال: حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدّثنى أبو أيوب المدينىّ عن مُصعبٍ قال : حضَر أبو السائبِ المخزومى مجلسًا فيـه بصبصُ جاريةُ ١٠ يحيى بنِ نُفَيس، فغنت :

قلـبى حبيسٌ عليـك موقوفُ * والعينُ عَبرَى والدمعُ مذروفُ

والنَّفسُ فى حسرةٍ بغُصَّتِهـا * قد شَفَّ أرجاءها التّساويفُ[2]

إن كُنتِ بالحسنِ قد وُصِفْتِ لنا * فإنّنى بالهـوى لَموصُـوفُ

يا حسرتَا حسرةً أموتُ بهـا * إن لم يكنْ لى لديك معروفُ

١٥ قال : فطرِب أبو السائبِ ونعر[3]، وقال : لا عَرَفَ الله قدْرَه إن لم أعرِفْ لك معروفَك . ثم أخذ قِناعَها عن رأسِها وجعلَه على رأسه[4]، وجعل يَلطِمُ ويبكى، ويقول لها: بأبى واللهِ أنتِ، إنّى لأرجو أن تكونى عندَ الله أفضلَ من الشُّهداءِ، لِمـا تُولِيناهُ من السرورِ، وجعل يَصيح، واغوثاه ! يا للهِ لِمَا يَلْقَى العاشقون .

(١) ط، مب، مط : « قريص » بالصاد المهملة .

٢٠ (٢) شفها : نقصها ونال منها . وأرجاؤها : نواحيها . والتساويف : جمع تسويف ، وهو المماطلة . (٣) نعر : صاح . (٤) وجعله على رأسه ، من ط فقط .

شغف أحد الفتيان بها

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان [قال حدّثنى أبو بكر العامرى قال حدّثنى عمرو بن عبد الله البصرى](1) قال : حدّثنا [الحسين](1) بن يحيى عن عثمانَ بنِ محمد الليثى قال : كنت يومًا فى مجلس ابن نُفَيس ، فخرجَتْ إلينا جاريتُـه بَصبص ، وكان فى القوم فتًى يحبُّها ، فسألتْهُ حاجة ، فقامَ ليأتيها بها ، فنسىَ أن يَلبَس نَعلَه ، ومَشَى حافيًا ، فقالت : يا فلان ، نسيتَ نَعلك . فلبسها وقال : أنا والله كما قال الأوّل :

وحُبُّك يُنسينى عن الشَّىء فى يدى * وَيشْـغَلُنى عن كلِّ شىءٍ أحاولُهْ

فأجابته فقالت :

وبى مثـلُ ما تشكوه منّى وإنّنى * لأُشـفِق من حُبٍّ أراكَ تزاوله

صـــــوت

يَشـتاقُ قلبى إلى مليكةَ لو * أمست قريبًـا ممن يطالبُها

ماأحسَنَ الجِيدَمن مُلَيكةَوالـ * ـلَّبَّـاتِ إذ زانَهـا ترائبُهـا(2)

يا ليتَنى ليلةً إذا هجـع الـ * ـنَّاسُ ونامَ الكلابُ صاحبُها

فى ليـلةٍ لا يُرَى بها أحدٌ * يَسـعَى علينا إلّا كواكبُها

الشعر لأحيحة بنِ الجلاح ، والغناء لابن سريج . رملٌ بالخِنصر فى مجرى البِنصر . وفيه لحنٌ لمـالكٍ(3) من رواية يونس .

(1) هذه التكلة من ط ، مب ، مط .

(2) اللبات : جمع لبـة ، بالفتح ، وهو موضع القـلادة من الصدر . والترائب : عظام الصدر ، أو ما بين الثديين .

(3) لمـالك ، من ط ، مط .

ذكر أحيحة بن الجُلَاح ونسبه وخبره والسبب الذى من أجله قال الشعر

نسب أحيحة

هو أحيحة بن الجُلَاح بن الحَرِيش بن جَحْجَبَى بن كُلْفَة بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس . ويكنى أحيحةُ أبا عمرو .

سؤال الوليد بن عبد الملك عن الزوراء

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال : حدّثنى الزبير بن بكّار قال : حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال : ركب الوليد بن عبد الملك إلى المساجد، فأتى مَسجِدَ العُصبة[1]، فلما صلّى قال للأحوص : يا أحوصُ أينَ الزّوراء التى قال فيها صاحبُكم :

إنّى أُقيمُ على الزّوراءِ أعمُرُها * إنّ الكريمَ على الإخوانِ ذُو المالِ

لها ثلاثُ بِئارٍ فى جَوانِبها * فى كلّها عُقَبٌ تَسقِى بأقبالِ[2]

استغنِ أو مُتْ ولا يَغرُرْكَ ذو نَشَبٍ[3] * من ابنِ عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالِ

قال الزبير: العُقَب الذى فى أوّلِ المالِ عند مَدخَلِ الماء، والطلب الذى فى آخره[4].

قال: فأشار له الأحوص إليها وقال: ها هى تلك ، لو طَوّلتَ لأشقرِك هذا لجالَ عليها[5]، فقال الوليد : إنّ أبا عمرو كان يراه غنيًّا بها . فعَجب الناسُ يومئذ لعناية الوليد بالعلم، حتّى علِمَ أنّ كنية أحيحة أبو عمرو .

وفى بعض[6] هذا الشعر غناء، وهو :

---

(١) العصبة، بالضم : دار بنى جحجبى بالمدينة . ياقوت . وقد ضبطت فى مب، مط بالتحريك . ما عدا ط، ما : « القصبة » تحريف .

(٢) البئار : جمع بئر . مب، ء : « فكلها » . و « يسقى » هى فى مط « سقى » وفى سائر النسخ ما عدا ط، مب : « يسقى » . وأقبال الجداول : أوائلها ورءوسها .

(٣) النشب : المال .

(٤) كذا ورد هذا التفسير .

(٥) أشقرك، يعنى فرسك الأشقر .

(٦) هذه الكلمة من ط، مط .

صـــوت

استغْنِ أو مُتْ ولا يغرركَ ذُو نَشَبٍ * من ابن عَـمٍّ ولا عَـمٍّ ولا خال

يَلْوُونَ[1] مالهم عن حقّ أقربِهـمْ * وعَنْ عشيرتِهم ، والحـقُّ للوالى

غَنّاه الهُذَلى رمَلا بالوسطى من روايةِ الهشامىّ وعَمرِو بن بانة .

سبب قول أحيحة هذا الشعر

وأمّا السّببُ فى قول أحيحةَ هـذا الشعرَ فإنّ أحمد بن عبيدِ المكتِّب[2] ذكر أنّ محمد بن يزيدَ الكلبىّ حدّثه ، وحدّثه أيضا هشامُ بن محمد عن الشَّرقِىّ بنِ القَطَامىّ قال هشام : وحدّثنى به أبى أيضا .

قال : وحدّثنى رجلٌ من قريش عن أبى عبيـدةَ بنِ عمّـارِ بنِ ياسِر ، قال : وحدّثنى عبد الرحمن بن سليمان الأنصارىّ ، قالوا جميعا :

أقبَلَ تبعٌ الأخير وهو أبو كَرِب بنِ حسان بنِ أسعد الحميرىّ[3] ، من اليمنِ سائرا يريد المشرق كما كانت التّبابعة تفعل ، فمـرّ بالمدينةِ فخلّف بها ابنًا له ، ومضى حتّى قدم الشّامَ ، ثم سار من الشأم حتّى قدِم العـراقَ فنزل بالمشقَّرِ[4] ، فقُتِل ابنـه غِيلةً بالمدينة ، فبلغه وهو بالمشقَّر مقتلُ ابنِـه ، فكرّ راجعًا إلى المدينةِ وهو يقول :

ياذا مُعاهِرَ[5] ما تَزَالُ تَرُودُ * رَمَد بعينكَ عادها أم عُودُ

منعَ الرُّقادَ فما أُغمِّضُ ساعةً * نَبَطٌ بيـثربَ آمنون قُعودُ

لا تَستقِي بيدَيكَ إنْ لم تلقها * حَرْبًا[6] كأنَّ أشاءها مجرود

---

(١) يلوونه : يجحدونه وينكرونه . (٢) المكتب ، بكسر التاء المشدّدة ، هو من يعلم الصبيان الخط والأدب . السمعانى ٥٤٠ ب . ما عدا ط ، مب ، مط ، حـ : « الكاتب » .

(٣) ط ، مب ، مط : « يسير » . (٤) المشقر : حصن بالبحرين عظيم ، لعبد القيس .

(٥) ذو معاهر ، بضم الميم : قيل من أقيال حمير ، كما فى القاموس (عهد) . ط ، مط : « ياذا معاهد » وفى سائر النسخ : « ياذا المعاهد » كلاهما محرف عما أثبت . عود ، أراد : أم طرفت بعود .

(٦) ط : « إن لم يلقها حرب » مب ، مط : « إن لم تلقها حرب » . والأشاء : جمع أشاءة ، وهى صغار النخل . مجرود : جرد عنه الخوص ، أو أصابه الجراد .

ثم أقبلَ حتّى دخل المدينةَ وهو مُجمِعٌ على إخرابها وقطعِ نخلِها، واستئصالِ أهلِها، وسبي الذرّية ؛ فنزل بسفح أُحُد فاحتفر بها بئراً — فهي البئرُ التي يقال لها إلى اليوم بئر الملِك — ثم أرسل إلى أشرافِ أهل المدينةِ ليأتوه، فكان فيمن أرسَلَ إليه زيدُ ابن ضُبَيعة بنِ زيدِ بنِ عمروِ بنِ عوفٍ ، وابن عمه زيد بن أميّـة بنِ زيدٍ ، وابن عمِه زيد بن عبيدِ بنِ زيدٍ[1] — وكانوا يسمَّوْن الأزيادَ — وأحيحةُ بن الجلاح ؛ فلمّا جاء رسولُه قال الأزياد : إنما أرسَلَ إلينا ليملّكَنا على أهـلِ يثرب . فقال أحيحة : واللهِ ما دعاكم لخيرٍ ! وقال :

ليتَ حَظِّي من أبي كَرِبٍ * أنْ يرُدَّ خيرُه خَبَلَه[2]

فذهبتْ مثلا . وكان يقال : إنّ مع أحيحة تابعاً من الجنّ يُعلِمه الخَبَر لكثرةِ صوابه ؛ لأنّه كان لا يظنُّ شيئًا فيخبر به قومَه إلا كان كما يقول . فخرجوا إليـه ، وخرج أحيحةُ ومعه قَينةٌ له ، وخِباء ، فضُرِب الخباء وجُعِل فيـه القينةُ والخمر ، ثم خَرَج حتّى استأذن على تُبَّع ، فأذِن له ، وأجلسَه معـه على زِرْبيّةٍ[3] تحته ، وتحدَّث معـه وسأله عن أموالِه بالمدينة ؛ فجعل يُخْبِره عنها ، وجعل تُبَّعٌ كلّما أخبره عن شيءٍ منها يقول : كلُّ ذلك على هذه الزربيةِ . يريد بذلك تُبَّعٌ قتلَ أحيحة ، ففطِنَ أحيحة أنه يريد قتله ، فخرجَ من عنـدِه فدخَل خِباءه ، فشرب الخمـرَ ، وقرَضَ أبياتا ، وأمر القينةَ أن تغنّيه بها ، وجَعل تُبَّعٌ عليه حَرَسا ، وكانت قينته تُدعَى مُلَيكةَ فقال:

يشتاقُ قلبي إلى مُلَيكةَ لو * أمسَتْ قريباً ممن يطالبُها

---

(١) كذا في ط ، مب ، مط . وفي سائر النسخ : « زيد بن أمية بن زيد وابن عمه زيد بن ضبيعة ابن زيد بن عمرو بن عوف وابن عمه زيد بن أميـة بن زيد ، وابن عمه زيد بن عبيد بن زيد » ، وفيه تكرار وخلاف في الترتيب .

(٢) كذا على الصواب في ط ، مب ، مط وكتاب التيجان لوهب بن منبه ٢٩٤ . لكن في التيجان : «أن يسد» . وفي سائر النسخ : « أن يرد خيره بجبله » .

(٣) الزربية ، بالكسر ويضم : واحدة الزرابي ، وهي البسط والنمارق .

الأبيات . وزاد فيها ممـا ليس فيه غناء :

لِتبكنى قَينـــةٌ ومِزهرُها * ولتبكِنى قهـوةٌ وشاربُهـا
ولْتبكنى ناقـةٌ إذا رُحِلَتْ * وغابَ فى سَرْدحٍ مَناكبُها (١)
ولْتبكِنى عُصبةٌ إذا جُمِعتْ * لم يعلم الناسُ ما عواقبُها (٢)

فلم تزل القينة تُغنّيه بذلك يومه وعامّةَ ليلته (٣)؛ فلما نامَ الحرّاس قال لها : إنّى ذاهب إلى أهلى فشُدّى (٤) عليك الخباءَ، فإذا جاء رسولُ الملكِ فقولى له : هو نائم ؛ فإذا أبَوْا إلّا أن يُوقِظونى فقولِى : قد رجَع إلى أهلِه وأرسَلَنى إلى الملك برسالة. فإن ذهبوا بكِ إليه فقولى له : يقول لكَ أحيحة: «اغدِر بقينةٍ أو دَعْ» . ثم انطلَقَ فتحصَّنَ فى أُطُمِه الضَّحْيانِ (٥)، وأرسل تُبَّعٌ من جَوفِ الليلِ إلى الأزيادِ فقتَلَهم على فَقارةٍ من فَقَارٍ (٦) تلك الحَـرّة . وأرسل إلى أحيحةَ ليقتله ، فخرجتْ إليهم القينة ، فقالت : هو راقدٌ . فانصرَفُوا وتردَّدُوا عليها مرارا ؛ كلَّ ذلك تقول : هو راقد . ثم عادوا فقالوا : لتوقِظِنّه أو لندخُلَنّ عليـكِ . قالت : فإنه قد رجع إلى أهلِه ، وأرسلنى إلى الملك برسالةٍ . فذهبوا بها إلى الملكِ، فلمـا دخلَتْ عليه سألها عنـه ، فأخبرته خَبَره، وقالت : يقول لك : « اغدر بقَينةٍ أودَعْ » . فذهبتْ كلمةُ أحيحةَ هذه مثَلا ؛ فجـرّدَ له كتيبةً مِن خيلِه ، ثم أرسلَهم فى طلبِه فوجَدُوه قد تحصَّنَ فى أُطُمه ، فحاصروه ثلاثًا ؛ يقاتِلُهم بالنّهار ويرميهم بالنبـل والحجـارةِ ، ويرمِى إليهم بالليـلِ

(١) السردح : الأرض اللينة المستوية . ط ، حـ : « سرخ » . والسرخ : الأرض الواسعة .
(٢) ط ، مب ، مط : « إذا اجتمعت » .
(٣) ط ، مب ، مط : « عامة ليله » .
(٤) ما عدا ط ، مب ، مط : « فسدى » بالسين المهملة .
(٥) الأطم : حصن مبنى بحجارة ، وهو القصر أيضا .
(٦) هذا ما فى حـ ، مب ، مط . وفى ط : « فقرة من فقار » ، وهى صحيحة أيضا ، مشبهتان بفقار الظهر . وفى سائر النسخ : « ففارة من ففار » ، تحريف .

بالتمر ، فلما مضت الثلاثُ رجعوا إلى تُبَّعٍ فقالوا : بَعَثْتَنا (١) إلى رجلٍ يقاتلنا بالنهارِ ،
ويضيفنا بالليـل ! فتركه ، وأمرهم أن يُحرِّقوا نخـلَه . وشَـبَّت الحربُ بين أهلِ
المدينة : أَوْسِها وخَزْرجِها ويهودِها ، وبين تُبَّع ، وتحصَّنوا فى الآطام . فخرج رجلٌ
من أصحابِ تُبَّـع حتى جاء بنى عدىّ بن النجّار ، وهم متحصّنون فى أُطمِهم ، الذى
٥ كان فى قِبلةِ مسجدِهم ، فدخل حديقةً من حدائقِهـم ، فرقِىَ عِذْقًا منها يجدُّها (٢) ،
فاطَّلعَ إليه رجلٌ من بنى عدىّ بنِ النجارِ من الأُطمِ يقال له أحمر أو صخر (٣) بن سليمان
من بنى سَلمة ، فنزل إليه فضرَبه بمنجلٍ حتّى قتـلَه ثم ألقاه فى بئر ! وقال : جاءنا
يجدُّ نخلنا (٤) ، «إنّما النخل لِمَنْ أبَرَه (٥)» ، فأرسَلها مثلا . فلما انتهى ذلك إلى تُبَّع زاده
حَنَقًا وجرّدَ إلى بنى النجّار جريدةً من خيلِه (٦) ، فقاتلهـم بنو النجّار ورئيسُهم عمرو
١٠ ابن طَلَّة (٧) أخو بنى معاوية بنِ مالكِ بنِ النجّارِ ، وجاء بعضُ تلك الخيـولِ إلى بنى
عَدىّ وهم متحصّنون فى أُطمِهم الذى فى قِبلةِ مسجدِهم ، فراموْا بنى عدىٍّ بالنَّبلِ ،
فجعلت نَبلُهـم تقع فى جِدارِ الأُطمِ ، فكان على أُطمِهم مثـلُ الشَّعَرِ من النبلِ ،
فسمِّىَ ذلك الأُطمُ الأشعر ـــ ولم تزل بقايا النَّبل فيه حتّى جاء الله عزّ وجلّ بالإسلام ـــ
وجاء بعضُ جنودِه إلى بنِى الحارثِ بنِ الخـزرج ، فجذَمُوا نخلَهـم من أنصافِها ،

---

١٥ (١) ماعدا ط ، مب ، مط : «تبعثنا» .
(٢) العذق : النخلة ، عند أهل الحجاز . يجدها : يقطع تمرها . ما عدا ط ، مب ، مط ، حـ :
«يجده» ، التذكير للفظ والتأنيث للمعنى . (٣) ط : «حصر» بالحاء المهملة .
(٤) ماعدا ط ، مب ، مط : «نحلتنا» . (٥) الأبر والتأبير : إصلاح النخل وتشذيبه .
(٦) الجريدة من الخيل : القطعة منها عليها فرسانها .
٢٠ (٧) كذا فى ط ، مب ، مط ، وكتاب التيجان ٢٩٤ ـــ ٢٩٥ . وفى سائر النسخ : «عمرو بن
طلحة» فى كل موضع من هذا الخبر .

فسمِّيت تلك النخلُ جُذْمانَ(1) ، وجدَعوا هم فرساً لتبّع ، فكان تُبَّعٌ يقول : لقد صَنَع بى أهلُ يثربَ شيئاً ما صَنَعه بى أحد ؛ قتلوا ابنى وصاحبى ، وجدَعوا فرسى !
قالوا : فبينا تُبَّعٌ يريد إخرابَ المدينة ، وقتل المقاتِلة ، وسَبْىَ الذرّية ، وقطْعَ الأموالِ أتاه حَبرانِ(2) من اليهودِ فقالا ، أيها الملك انصرفْ عن هذه البلدة فإنها محفوظة ، وإنا نجد اسمَها كثيرًا فى كتابِنا ، وأنها مُهاجَر نبيّ من بنى إسماعيل اسمهُ أحمد ، يخرج من هذا الحرم من نحو البيتِ الذى بمكة ، تكون داره وقراره ، ويتْبعه أكثرُ أهلِها .
فأعجبَه ما سمِع منهما ، وكفّ عن الذى أراد بالمدينةِ وأهلِها ، وصَدّق الحَبْرَين بما حدّثاه ، وانصرف تُبَّعٌ عما كان أراد بها ، وكفَّ عن حربِهم ، وآمنهم حتّى دخلوا عسكره ، ودخَل جندُه المدينة ؛ فقال عمرو بن مالكِ بنِ النجارِ ، يذكر شأن تبع ، ويمدحَ عمرو بن طَلّة :

أصحا أمْ انتحى ذِكَرَهْ * أم قضَى من لذّةٍ وَطَرَه(3)
بعد ما وَلّى الشبابُ وما * ذِكْرُهُ الشّبابَ أو عُصُرَه(4)
إنها حربٌ يمانيةٌ * مثلُها آتى الفتى عِبَرَه
سائِلِى عِمْرانَ أو أسَدًا * إذ أتتْ تعدُو مع الزُّهَرَه(5)

(1) أى سمى ذلك الموضع ، وهو بضم الجيم . وأنشد ياقوت فيه لقيس بن الخطيم :
فلا تقربوا جذمان إن حمامه * وجنته تأذى بكم فتحملوا
(2) الحبر ، بفتح الحاء وكسرها : العالم .
(3) انتحى : اعتمد وقصد . ط ، ء ، مب ، مط : « أم ما انتحى » .
(4) العصر ، بضمتين : لغة فى العصر ، وهو الزمان . ما عدا ط ، ء : « ذكرت شبابه » .
وإنما يقول : إن ذكر الشباب وعصره لا يغنى عن الشيخ فتيلا .
(5) عمران ، فى ط ، ء ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « همدان » .

فَيَلْقَ فيه أبو كَرِبٍ * سَبِعٌ أبدانُه ذَفِره[1]

ثم قالوا مَنْ يؤمُّ بنا * أبنو عوفٍ أم النَّجره[2]

يا بَنِى النَّجارِ إنّ لنا * فِيكُمُ ذَحْلًا وإنّ تِره[3]

فتلقّتهم مُسايِفةٌ * مَدُّها كالغَبْيَةِ النَّثِره[4]

٥ — الغَبْية[5] : السحابة التى فيها مطر و برق برعد —

فيهم عَمرو بن طَلّةَ لا * هُمَّ فامنَحْ قومَه عُمُره[6]

سَيِّدٌ سامَى الملوكَ ومَنْ * يَدْعُ عَمرا لا يَجِدْ قَدَره[7]

وقال فى ذلك رجلٌ من اليهود :

تكلّفنى مِن تكاليفها * نَخِيلَ الأساويفِ والمَصْنَعه[8]

١٠ نخيلًا حَمَتْها بنو مالكٍ * جُنودُ أبى كَرِبَ المُقْطِعَه

وقال أُحَيحة يرثى الأزياد الذين قتلهم تُبّع :

ألا يا لهفَ نفسى أىَّ لهفٍ * على أهلِ الفقارةِ أىَّ لهفِ[9]

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، مب ، مط . جعله أسدا ذفر البدن ، والسبع أبخر ذفر البدن . ما عدا ط ، مب : « تبع » ، تحريف . (٢) يعنى بالنجرة ، بنى النجار . (٣) أى وإن لنا ترة .

١٥ والترة : الوتر والذحل . وهذه رواية ط ، مب . وفيما عداهما : « وإن ترة » ، تحريف .

(٤) المسايفة : التى تسايف ، أى تضارب بالسيوف . كالغبية ، هى فيما عدا ط ، مب ، مط ، بـ : « كالصبية » ، تحريف . والنثرة : وصف من النثر ، وهو رمى الشىء متفرقا .

(٥) الغبية ، بفتح الغين وسكون الياء بعدها . ما عدا ط ، ما ، بـ : « الصبية » ، محرف .

(٦) لا هم ، أى اللهم . قومه ، كذا على الصواب فى ط ، مب ، مط . وفى بـ : « قوله »

٢٠ وفى سائر النسخ : « نوله » محرفتان . وهو دعاء له بطول العمر . (٧) قدره ، أى مثله وكفأه .

(٨) الأساويف والمصنعة : موضعان لم أهتد إلى تعيينهما . ط ، مط : « كل لهف » .

(٩) ما عدا ط ، حـ : « أهل القفارة » وهي فى مط مهملة الفاء والقاف . وانظر ما سبق فى صفحة ٤٠ .

مَضَوا قَصْدَ السَّبِيلِ وخَلَّفونى * إلى خَلَفٍ من الأَبْرامِ خَلْفِ (١)

سُـدَّى لا يكتَفون ولا أراهم * يُطِيعُونَ امرأً إن كان يكفى (٢)

قالوا : فلما كَفَّ تُبَّعٌ عن أهلِ المدينةِ اختلطوا بعسكره فبايَعُوه وخالطوهم . ثم إنَّ تُبَّعًا استَوبأ بئرَه التى حَفَرها (٣)، وشكا بَطْنَه عن مائها ؛ فدخلت عليه امرأةٌ من بنى زُرَيقٍ يقال لها فَكِهةُ بنت زيدِ بنِ كلدة (٤) بنِ عامرِ بنِ زريق ، وكانت ذاتَ جَلَدٍ وشرف فى قومها ، فشكا إليها وَبَأَ بئرِه ، فانطلقتْ فأخذَتْ قِرَبًا وحمارين حتّى استقتْ له من ماءِ رُومة ، فشرِبَه فأعجَبَه ، وقال : زِيدِينى من هذا الماء . فكانت تختلفُ إليه فى كلِّ يوم بماءِ رُومة ، فلمّا حان رحيلُه دعاها ، فقال لها : يا فكهة ، إنّه ليس مَعَنا من الصفراءِ والبيضاءِ شىء (٥)، ولكنْ لكِ ما تركْنا من أزوادنا ومتاعنا . فلما خرجَ تُبَّعٌ نقلت ما تركوه من أزوادِهم ومتاعِهم ؛ فيقال إنه لم تزل فكِهةُ أكثرَ بنى زُرَيقٍ مالًا حتّى جاء الإسلام .

قال : وخرج تُبَّعٌ يريد اليمن ومعه الحبرانِ اللذان نَهَياه عن المدينة ، فقال حين شَخَص من منزله : هذه قُبَاءُ الأرض . فسمِّيت قُباء (٦) . ومرّ بالجُرُف فقال : هذا جُرُفُ الأرض . فسمِّى الجُرُفَ ؛ وهو أرفعها . ومرّ بالعَرْصةِ وتسمَّى السليل فقال : هذه عَرْصةُ الأرضِ . ثم انحدر فى العقيقِ فقال : هذا عقيقُ الأرضِ . فسمِّى العقيق .

---

(١) الأبرام : جمع برم ، بالتحريك ، وهو الجبان البخيل ، أو المعدم الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر . والخلف ، بالفتح : الأشرار .

(٢) سدى : هملٌ . س : « يصونون امرأ » .

(٣) استوبأها : استوخمها .

(٤) ط ، حـ ، مب : « جلدة » مب : « حلدة » .

(٥) الصفراء : الدنانير . والبيضاء : الدراهم .

(٦) إنما يصح اشتقاقها على لغة القصر ، فإن القبى : جمع قبوة . انظر معجم البلدان (قبا) .

ثمّ خرجَ يسير حتّى نزل البَقيع، فنزلَ على غدير ماءٍ يقال له بَرَاجِمُ، فشربَ منه شربة فدخلت فى حَلْقِه عَلقةٌ فاشتكَى منها . فقال فيما ذكر أبو مسكين قوله :

ولقد شربتُ على براجِمَ شَربةً * كادت بباقيةِ الحيـاة تُذيعُ[1]

ثم مضى حتّى إذا كان بجمْدانَ[2] جاءه نفرٌ من هُذَيل[3] فقالوا له : اجعلْ لنا جُعْلاً وندلّك على بيتِ مالٍ فيه كنوزٌ من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب والفضة[4]، ليست لأهله مَنَعةٌ ولا شَرَف . فجعل لهم على ذلك جُعْلا ، فقالوا له : هو البيت الذى تحجّه العربُ بمكّة . وأرادوا بذلك هَلاكَه . فتوجّهَ نحوَه فأخذتْه ظُلمةٌ منعتْه من السّير ، فدعا الحَبرينِ فسألهما، فقالا : هذا لِمَا أجمعْتَ عليه فى هذا البيت ؛ واللهُ مانِعهُ منك، ولن تصل إليه ، فاحذرْ أنْ يصيبك ما أصاب مَن انتهك حُرماتِ الله؛ وإنّما أراد القومُ الذين أمروك به هلاكَك؛ لأنه لم يَرُمْهُ أحدٌ قطُّ بشرٍّ إلا أهلكه الله، فأكرِمْه وطُفْ به، واحلِقْ رأسَك عنده . فترَك الذى كان أجمعَ عليه، وأمر بالهذليّين فقطّع أيديَهم وأرجلَهم ، ثم خرجَ يسير حتّى أتى مكّة فنزل بالشِّعب من الأبطَح ، وطاف بالبيت ، وحَلَقَ رأسه ، وكساه الخَصَف[5] .

---

(١) كذا على الصواب فى حـ . وفى ط ، مب ، مط : « تريع » وفى سائر النسخ : « تربع » . وإنما يقال أذاع بالشىء : ذهب به . ومنه بيت الكتاب :

* ربع قواء أذاع المعصرات به *

أى أذهبته وطمست معالمه . وقول الآخر :

نوازل أعوام أذاعت بخمسة * وتجعلنى إن لم يق الله ساديا

(٢) ط ، حـ : « بجدان » بالجيم .

(٣) كذا على الصواب فى ط ، مب ، مط والتيجان ٢٩٥ . وفى سائر النسخ « من قريش » .

(٤) هذه من ط ، مب ، مط .

(٥) الخصف ، بالتحريك : ثياب غلاظ جدا ، مشبهة بالخصف المنسوج من الخوص .

محاولة تبع هدم البيت ثم عدوله عن ذلك

قال هشامٌ : وحدّثنى ابنٌ لجرير بن يزيدَ البجَلى عن جعفرِ بنِ محمدٍ عن أبيه .
قال هشام : وحدّثنى أبى عن صالح[1] عن ابنِ عباس قال :

لمّا أقبلَ تبّعٌ يريد هدْمَ البيتِ وصَرْفَ وجوهِ العربِ إلى اليمن ، بات صحيحاً فأصبح وقد سالَتْ عيناه على خدّيه ، فبعَثَ إلى السَّحَرة والكُهّان والمنجّمين ، فقال : مالِى، فواللهِ لقد بتُّ ليلتى ما أجد شيئا، وقد صرت إلى ما ترَون[2] . فقالوا : حدّثْ نفسَك بخيرٍ . ففعَلَ فارتدّ بصيراً، وكسا البيت الخَصَف .

هذه روايةُ جعفرِ بنِ محمدٍ عن أبيه . وفى روايةِ ابنِ عباس :

فأتِى فى المنامِ فقيل له : اكسُه أحسَنَ من هذا . فكساه الوصائلَ — قال: وهى بُرود العَصْب[3]، سمِّيت الوصائل لأنّها كانت يُوصل بعضُها ببعض — قال: فأقام بمكةَ ستّة أيامٍ يُطعم الطعام ، وينحر فى كلِّ يوم ألفَ بعيرٍ ، ثم سار إلى اليمن وهو يقول :

ونَحَرنا بالشِّعبِ ستّةَ آلا * فٍ ترَى الناس نَحوهنّ وُرودا[4]
وكَسَونا البيتَ الذى حَرَّمَ اللّـ * ـهُ مُلاءً معضَّدا وبُرودا[5]
وأقمنا بهِ من الشَّهرِ ستًّا * وجعلنا له بهِ إقليدا
ثم أُبْنا منه نؤمُّ سُهيلًا[6] * قد رفَعنا لواءنا المعقودا

قال : وتهوّد تبّع وأهلُ اليمن بذينِك الحبرين .

---

(١) ط ، مب ، مط : «عن أبى صالح» . (٢) ما عدا ط ، مب ، مط : «فقال والله» .
(٣) العصب : ضرب من برود اليمن . وهذا ما فى ط ، مب ، مط ، سه . وفى سائر النسخ : «القصب» ، تحريف . (٤) ورودا ، أى واردين . وأصل الورود مصدر وَرد .
(٥) معضد : مخطط على شكل العضد . ما عدا ط ، مب ، مط ، سه : «منضدا» تحريف .
(٦) نؤم سهيلا ، أى نقصد اليمن . وسهيل مطلعه اليمن .

خلاف أحيحة مع بنى النجار وخيانة زوجه له

أخبرنى محمد بن مَزْيد[1] قال : أخبرنى حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : حدثنى أبو البَخْترى عن أبى إسحاق، قال : أخبرنى أيوب بن عبد الرحمن :

أنّ رجلًا من بنى مازن بنِ النجارِ يقال له كعب بن عمرو ، تزوّج امرأةً من بنى سالم بنِ عوف[2] فكان يختلف إليها، فقعدَ له رهطٌ من بنى جحجبى بمرصَد، فضربوه حتّى قتلوه أو كادوا، فأدركه القواقلُ[3] فاستنقذوه؛ فلمّا بلغ ذلك أخاه عاصمَ بن عمرو خرج وخرج معه بنو النّجار، وخرج أُحيحة بن الجُلَاح ببنى عمرو بن عوف، فالتقوا بالرُّحابة[4]، فاقتتلوا قتالًا شديدا، فقتَل أخا عاصم يومئذ أحيحةُ بن الجُلاح ، وكان يكنى أبا وحوحة ، فأصابهَ فى أصحابه حينَ انهزموا ، وطلبَ عاصمٌ أحيحة حتّى انتهى إلى البيوت ، فأدركه عاصمٌ عند باب داره فزجّه بالرمح[5]، ودخل أحيحة الباب ، ووقع الرُّمح فى الباب ، ورجع عاصمٌ وأصحابه فمكثَ أياما . ثم إنّ عاصمًا طلبَ أحيحة ليلًا ليقتله فى داره ، فبلغ ذلك أحيحةَ ، وقيل له إنّ عاصما قد رئى البارحةَ عند الضّحيان[6] والغابة[7] — وهى أرضٌ لأحيحة، والضّحيان: أُطُم له — وكان أحيحة إذ ذاك سيّدَ قومه من الأوس، وكان رجلًا صنِعًا[8] للمال، شحيحًا عليه، يبيع بيعَ[9] الربا بالمدينة، حتّى كاد يُحيط بأموالهم ، وكان له تسعٌ وتسعون بعيرا[10] كلُّها ينضَح

(١) ما عدا ط ، مب ، مط ، حـ : « محمد بن يزيد » . (٢) ما عدا ط ، ما ، مب : « بن عون » .
(٣) القواقل ، بقافين : بطن من الأنصار . وفى الأصول : « القوافل » .
(٤) الرحابة ، بضم الراء : موضع بالمدينة .
(٥) فيما عدا ط ، مب ، مط ، حـ : « وقعل » ، تحريف .
(٦) هذا ما فى ط ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « قد زوى عن الضحيان » تحريف .
(٧) ط : « والمنابة » حـ : « والمنانة » أ : « والعبابة » . مط : « والعابة » .
(٨) الصنع ، بالتحريك : الحاذق الماهر . ما عدا ط ، مب : « صنيعا » محرّف .
(٩) ما عدا ط ، مب ، مط : « يقيع » .
(١٠) ط ، مط : « بئرا » . ومؤدّى العبارتين واحد .

عليها ، وكان له بالجُرُف أصوار[1] من نخل قلّ يومٌ يمرّ به إلّا يطّلع فيه، وكان له أُطُمٌ في قومه يقال له المستظلّ ، وهو الذى تحصّن فيه حين قاتل تُبّعا أسعدَ أبا كرِب الحميرىّ ، وأُطُمُه الضّحيان بالعُصبة[2] في أرضه التى يقال لها الغابة[3] بناه بحجارة سُود وبنى عليه نبرةً[4] بيضاءَ مثلَ الفضّة ، ثم جعل عليها مثلَها، يراها الراكبُ من مسيرة يوم أو نحوه ، وكانت الآطام هى عِزّهم ومَنَعتَهم وحُصونَهم التى يتحرّزون فيها من عدوّهم . ويزعمون أنّه لمّا بناه أشرف هو وغلامٌ له ، ثم قال : لقد بنيتُ حصنا حصينًا ما بنى مثله رجلٌ من العرب أمنعُ ولا أكرمُ ، ولقد عرَفتُ موضعَ حجرٍ منه لو نُزع لوقع جميعا ! فقال غلامُه : أنا أعرفه . فقال : فأرنيه يا بُنىّ . قال : هو هذا . وصرف إليه رأسه ، فلما رأى أحيحةُ أنّه قد عرَفه دفعه من رأس الأُطُم فوقع على رأسه فمات ، وإنّما قتله إرادةَ ألّا يعرف ذلك الحجرَ أحدٌ . ولمّا بناه قال :

بنيتُ بعد مُستظَلٍّ ضاحيا * بنيته بعُصبةٍ[5] من ماليا
والسرُّ ممّا يتبع القواصيا[6] * أخشى رُكَيبا أو رُجَيلا عاديا[7]

وكان أحيحةُ إذا أمسى جلس بحذاء حصنه الضّحيان ، ثم أرسل كلابا له تنبح دونَه على من يأتيه ممّن لا يعرف، حذرًا أن يأتيه عدوٌّ يصيب منه غِرّة ؛ فأقبل عاصم بن عمرو يريده فى مجلسه ذلك ليقتله بأخيه ، وقد أخذ معه تمرًا، فلما بحثته

(١) أصوار : جمع صور ، بالفتح ، وهو النخل الصغار أو المجتمع . والمعروف فى جمعه « صيران » . (٢) سبق الكلام عليها فى صفحة ٣٧ . (٣) انظر ما سبق قريبا ص ٤٧ .

(٤) النبرة : كل شىء مرتفع فوق شىء . ط ، مب ، مط : « بنره » تحريف .

(٥) ط ، مب ، مط : « بقودة » . (٦) ما عدا ط ، حـ ، مب ، مط : « البتر مما يتبع القواصيا » .

(٧) الركيب : مصغر ركب ، وهم الجماعة الراكبون . والرجيل : مصغر الرجل ، بالفتح ، وهم الجماعة الراجلون .

الكلابُ حين دنا منه ألقى لهــا التمْر فوقفتْ ، فلمّــا رآها أحيحةُ قد سكَنَت حذِر فقامَ فدخلَ حِصنَه ، ورماه عاصمٌ بسهمٍ فأحرزَه منــه الباب[1] ، فوقع السَّهمُ بالباب ، فلما سمع أحيحةُ وقْعَ السَّهم صرخَ فى قومِــه ، فخرج عاصم بن عمرو ، فأعجزَهم حتّى أتى قومَه . ثمّ إنّ أحيحة جمع لبنى النجّارِ ، فأراد أن يغترّهم فواعدَهُم وقومَه لذلك[2] ،

٥ وكانت عند أحيحة سَلْمى بنت عمرِو بنِ زيدِ بنِ لَبيدِ بن خِداش إحدى نساءِ بنى عدىِّ بن النجارِ ، له منهــا عمرو بن أحيحة ، وهى أمّ عبدِ المطلبِ بن هاشمٍ ، خلَفَ عليها هاشمٌ بعــد أحيحة ، وكانت امرأةً شريفة لا تَنكِح الرجالَ إلّا وأمرُها بيدِها ، إذا كرِهتْ من رجلٍ شيئا تركته .

فزعم ابنُ إسحاقَ أنّه حدّثه أيوبُ بن عبدِ الرحمن[3] ، وهو أحد رهطِها ، قال :

١٠ حدّثنى شيخٌ منّا أنّ أحيحة لمّــا أجمَع بالغارةِ على قومِها ومعها ابنها عَمرو بن أحيحة ، وهو يومئذٍ فَطيمٌ أو دونَ الفطيم ، وهو مع أحيحةَ فى حِصْنِه عَمَدت إلى ابنها فربَطَتْه بخيطٍ ، حتّى إذا أوجعت الصبيَّ تركَتْه فبات يبكى ، وهى تحمِــله ، وبات أحيحةُ معها ساهرًا ، يقول : ويحكِ ما لابنى ؟ فتقول : واللهِ ما أدرى مالَه . حتّى إذا ذهبَ اللّيلُ أطلقت الخيطَ عن الصبيِّ فنام . وذكروا أنّهــا ربطت رأسَ ذكره ،

١٥ فلما هدأ الصبيُّ قالت : وارأساه ! فقال : أحيحة : هــذا واللهِ ما لقيتِ من سهرِ هــذه الليلة . فبات يعصِبُ لها رأسها ويقول : ليس بكِ بأس . حتّى إذا لم يبق من الليل إلا أقلُّه قالت له : قُم فنَمْ ، فإنّى أجِدُنى[4] صالحةً قــد ذهب عنّى ما كنتُ

(١) هذا الصواب من حـ ، ط ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « فأحرزمه الباب » .
(٢) فيما عدا ط ، حـ ، مب ، مط : « فواعده قومه لذلك » .
٢٠ (٣) ما عدا ط ، حـ ، مب ، مط : « أن جدّه أيوب بن عبد الرحمن » ، تحريف .
(٤) ماعدا ط ، حـ ، مب ، مط : « أجد فى صالحة » ، تحريف .

أجده . وإنمـا فعلَتْ به ذلك ليثقُلَ رأسُه ، وليشتدَّ نومُه على طولِ السَّهر . فلما نام قامت وأخذَتْ حبلًا شديدًا وأوثقته برأسِ الحِصنِ ، ثم تدلّت منه وانطلقت إلى قومِها، فانذرَتْهم وأخبرَتْهم بالذى أجمعَ هو وقومه من ذلك ، فحَذِر القومُ وأعدُّوا واجتمعوا . فأقبـلَ أحيحةُ فى قومِه فوجد القومَ على حذرٍ قد استعدُّوا ، فلم يكن بينهم كبيرُ قتـالٍ ، ثم رجَع أحيحةُ فرجَعوا عنه ، وقد فقَدَها أحيحةُ حين أصبحَ ، فلما رأى القومَ على حذَرٍ قال : هـذا عملُ سَلْمى ! خدعَتْنى حتّى بلغَتْ ما أرادت . وسمّاها قومُها المتدلِّية ، لتدلِّيهـا من رأسِ الحصن . فقـال فى ذلك أحيحة وذكَر ما صنعت به سَلْمَى :

شعره فى امرأته سلمى

تفهَّمْ أيهـا الرَّجلُ الجهـولُ * ولا يَذهَبْ بك الرأىُ الوبيلُ

فإنَّ الجهلَ مَحمَلُه خفيفٌ * وإنَّ الحِـلْمَ مَحمَـلُه ثقيـلُ [1]

[وفيها يقول :

لَعَمْرُ أبيــكَ ما يُغنِى مَقامِى * من الفتيانِ رائحـةٌ جَهولُ

نَـؤُوم ما يقلِّصُ مُســتقِلًّا * على الغاياتِ مَضجعُه ثقيـلُ]

إذا باتت أعصِّبُهـا فنـامت * علىَّ مكانَهـا الحُمَّى الشَّـمولُ [2]

لعـلَّ عِصابَها يَبغِيـك حَرباً * ويأتيهم بعـوْرَتِك الدَّليـلُ

وقد أعددتُ للحَدَثان عَقْـلًا * لوَانَّ المرءَ تنفعه العُقُولُ [3]

---

(١) البيتان بعده مما انفردت به نسخة ط ، مب ، مط .

(٢) أعصبها ، يشير إلى ما كان من تعصيبه رأس امرأته حين ادّعت ألم رأسها . يقول : باتت عليه الحمى الشمول ، أى الباردة التى تصيب صاحبها بالقشعريرة .

(٣) العقول : جمع عقل ، وهو الحصن والمعقل . وفى الأصول : « أصلا » وقد فسرت فى مط « هو بناء الحصن » . والرواية المعروفة : « عقلا » كما فى اللسان (عقل) .

وقال فيها وفيما صنعت به :

أَخَلَقَ الرَّبعُ من سُعادَ فأمسى * رَبعُه مُخلِقًا كدَرْسِ المُــلَاةِ[1]

بَالِيًــا بعد حاضرٍ ذى أنيسٍ * مِن سليمى إذْ تغتدى كالمَهَاةِ

وهى قصيدةٌ طويلة، يقال إنّ فى هذين البيتين منها غناءً .

مساومة قيس ابن زهير له فى درعه

٥ أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثنى عمى عن العباس بن هشام عن أبيه عن أبى مسكين :

أنّ قيسَ بن زهير بن جَذِيمة أتى أحيحةَ بن الجُلاح لمّا وقَع الشرُّ بينه وبين بنى عامر، وخرج إلى المدينة ليتجهّز ، بعثَ إليهم حين قتل خالدُ بن جعفرٍ زُهيرَ ابن جَذِيمة، فقال قيس لأحيحة : يا أبا عمرو، نُبّئت أنّ عندك دِرعًا ليس بيثرب ١٠ درعٌ مثلها؛ فإن كانت فُضُلا[2] فبِعْنيها، أو فهَبْها لى . فقال : يا أخا بنى عبْس، ليس مثلى يبيع السلاح ولا يَفضُل عنه[3]، ولولا أنّى أكره أن أستليم[4] إلى بنى عامر لوهبتُها لك ، ولحملتك على سوابِقِ خيلى ، ولكن اشترِها[5] يا أبا أيوب ، فإنّ البيعَ مرتخَصٌ وغالٍ . فأرسلها مثلا . فقال له قيس : فما تكرهُ من استلامتك إلى بنى عامر ؟ قال : كيف لا أكره ذلك وخالدُ بن جعفر الذى يقول :

١٥ إذا ما أردتَ العزَّ فى آل يثربٍ * فنادِ بصوتٍ يا أحيحةُ تُمنَعِ[6]

رأيت أبا عمرٍو أحيحةَ جارُه * يبيت قريرَ العين غيرَ مروَّعِ

---

(١) الملاة ، أراد بها الملاءة . والدرس : الخلق ، بفتح الدال وكسرها ، وهو من إضافة إلى الموصوف . (٢) الفضل بضمتين . وانظر شروح سقط الزند ١٤٨٨ .

(٣) ط ، مب، مط : « تفضل عليه » حـ : « يفضل عليه » .

٢٠ (٤) استلام إليهم : أتى إليهم ما يلومونه عليه . وفى ط : « أن أستذم » وفى هامشها « أن أستليم » كما فى سائر النسخ .

(٥) ماعدا ط ، حـ، مب، مط : « ابتزها » . والابتزاز : الاستلاب، وليس مرادا هنا .

(٦) ماعدا ط ، مب،مط : « أسمع » تحريف .

وَمَن يأته مِن خائفٍ يَنْسَ خوفَه * ومَن يأته من جائع الجوفِ[1] يشبع
فضائلُ كانت للجلاح قديمةً * وأكرِمْ بفخرٍ من خصالكَ الأربع

فقال قيس : وما عليكَ بعد ذلك من لَوم . فلهَا عنــه ثم عاودَه فساومه ، فغضب أحيحةُ وقال له : بِتْ عندى . فباتَ عنده، فلمّا شرب تغنّى أحيحة وقيسٌ يسمع :

ألا يا قيسُ لا تَسُمَنّ درعى * فما مثلى يُساوَم بالدُّروع[2]
فلولا خَلَّةٌ لأبى جُوَىٍّ * وأنّى لستُ عنها بالنَّزوع
لأُبْتَ بمثلها عَشْرٍ وطِرفٍ * لَحُوق الإطْل جَيّاشٍ تَليع[3]
ولكنْ سَمِّ ما أحببت فيها * فليس بمنكَرٍ غَبْنُ البيوع[4]
فما هِبة الدُّروع أخا بغيض * ولا الخيلِ السَّوابقِ بالبديع[5]

وقال : فأمسك بعد ذلك عن مُساومته .

إسحاق الموصلى وسؤاله حفيد معبد عن غناء جده

أخبرنا يحيى بن على بن يحيى قال : حدّثنى أخى أحمد بن على عن عافية ابن شبيب، قال : حدّثنى أبو جعفرٍ الأسدى، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس الشيعى إجازة، عن عُمَر بن شَبّة عن إسحاق قال : دعانى الفضلُ بن الربيع يومًا فأتيتُه ، فإذا عنده شيخٌ حجازىٌّ حسَنُ الوجه والهيئة ، فقال لى : أتعرف هذا ؟ قلت : لا . قال : هذا ابن أُنَيْسة بنت مَعْبد ، فسَلْه عمّا أحببتَ من غناء جدّه . فقلت : يا أخا أهل الحجاز، كم غناءُ جدِّك ؟ قال : ستّون صوتا . ثم غنانى :

ما أحسنَ الجِيدَ من مُليكةَ والـ * ـلَّبّاتِ إذ زانَها ترائبُها

(١) ب ، س : « البطن » . (٢) أراد : « لا تسومن » فأسقط الواو للشعر .
(٣) أى بعشر مثلها . والطرف، بالكسر : الفرس الكريم الطرفين، أى الأبوين . واللحوق : الضامر . والإطل : الخاصرة . والتليع : الطويل العنق .
(٤) ما عدا ط، مب، مط : « غير البيوع »، تحريف .
(٥) أى يا أخا بغيض، وهم قبيلة قيس بن زهير بن جذيمة . البديع : الأمر المبتدع .

قال : فغنّاه أحسن غناءٍ فى الأرض ، ولم آخُذه منــه اتّكالًا على قدرتى عليــه .
واضطربَ[(١)] الأمر على الفَضْــل وصار إلى التغيُّب ، وشخَص الشيخُ إلى المدينــة ،
فبقيتُ أنشُد الشّعر وأسأل عنــه مَشايخ المغنّين ، وعجائز المغنّيات ، فلا أجد أحدًا
يَعرفه ،حتّى قدمتُ البصرةَ ،وكنتُ آتى جزيرتَها فى القيظ فأبيتُ بها ثم أبْكُر بالغداة
٥ إلى منزلى . فإنّى لَداخلٌ يومًا إذا بامرأتين نبيلتين[(٢)]، قد قامتا فأخذَتا بلجام حِمارى ،
فقلت لهما : مَــه ! قال أبو زيد فى خبره : فقالت إحداهما : كيف عِشقُك اليوم
لـ « ما أحسَنَ الجِيد من مُليكةَ » وشَغَفُك به ، فقــد بلَغنى أنّك كنت تطلبه من
كلِّ أحد ؟ وقد كنتُ رأيتك فى مجلس الفضل وقد استخفّك الطّربُ لهذا الصوت
حتّى صفّقت . قال : فقلت لهــا : أشدُّ والله ما كنت عشقًا له ، وقــد ألهبتِ
١٠ بذكركِ إيّاه فى قلبى جَمْرًا ، ولقد طلبتُه ببغداد كلِّها فلم أجدْ أحدًا يُسْمِعُنيه . قالت :
أفتحبُّ أن أغنّيك إياه . قلت : نعم . فغنّته والله أحسَنَ ممّا سمعتُه قديمًا بصوتٍ
خافض ، فنزلتُ إليهــا فقبّلتُ يديها ورجليها وقلتُ : جَعَلنى الله فِداكِ ، لو شئتِ
لصرتِ معى إلى منزلى . قالت : أصنع ماذا ؟ قلتُ : أغنّيــك وتغنّينى يومَنا إلى
الليل . قالت : أنت والله أطْفَسُ[(٣)] من أن تفعل ذاك ، وإنّما هو عَرْضٌ ، ولكنّى
١٥ أُغنّيك حتّى تأخُذَه . فقلت : بأبى أنتِ وأمّى ، وجعلنى الله فداكِ مَنْ أنت ؟
قالت : أنا وَهْبةُ جارية محمّد بن عمران القَرَوىّ ، التى يقول فيها فَرُّوحُ[(٤)] الرّفاء الطّلْحى :

---

(١) ماعدا ط ، حـ ، مب ، مط : « واطرب » ، وهى لغة فى اضطرب .
(٢) النبيلة : الجسيمة .
(٣) أطفس ، من الطفس وهو القذارة . وهذا ما فى ط ، حـ . وفى سائر النسخ : « أتنس » .
٢٠ (٤) ط ، مب ، مط : « فروج » ، بالجيم .

صـــوت

يا وَهبُ لم يبق لى شىء أُسَرُّ به * إلّا الجلوسُ فتَسقِينى وأَسقِيك[1]

وتَمزُجِينَ بريقٍ منكِ لى قَدَحًا * كأنّ فيه رضابَ المِسْك من فيك

يا أطيبَ النّاسِ ريقًا غيرَ مُختَبَرٍ * إلّا شهادةَ أطرافِ المَساوِيك

قد زُرتِنا زورةً فى الدّهرِ واحدةً * ثَنِّى ولا تجعليها بيضةَ الديك[2]

ما نلتُ منك سِوَى شىءٍ أُسَرُّ به * ولستُ أبصر شيئاً من مَساوِيك[3]

قالت مُلِكتَ ولم تملِكْ فقُلت لها * ما كلُّ مالكةٍ تُزرِى بمملوكِ

قال أبو زيد خاصّةً : قال إسحاق : وأنشدتْنيــه وغنَّتْنى فيه بصوتٍ مليح قد صنعتْه فيه ، ثم صارت إلىَّ بعد ذلك ، وكانت من أحسن الناسِ غِناء ، وأحسنهم روايةً . فمما كانت تفوق فيه من صَنعتها سائرَ الناس صوتُها ، وهو :

صـــوت

لا بُدَّ من سَكرةٍ على طربِ * لعـلَّ رَوْحًا يُدالَ من كَرَبِ[4]

فَعاطِنِيهــا صــفراءَ صافيــةً * تَضحكُ من لؤلؤٍ على ذهَبِ

قال : ولها فيه عملٌ فاضل . ومن صنعتها قوله :

---

(١) شىء ، فى ط ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « شيئا » .

(٢) بيضة الديك : مثل فى الندرة ، يقال إنه يبيض فى العمر بيضة واحدة .

(٣) المساوى : مقابل المحاسن .

(٤) الروح : الراحة . يدال : يبدل . ما عدا ط ، حـ ، مب ، مط : « يداك » محرف .

صـــوت

الكأسُ بعد الكأس قد * تُصبِى لك الرجلَ الحليا
وتُقَرِّب النسَبَ البعيـ * ـدَ وتبسُط الوجهَ الشَّتِيا (١)

قال : ومما برّزت فيه من صنعتها :

صـــوت

٥

هاتِها سُكّريّةً كشُعاع الـ * ـشّمْسِ لا قَرقَفًا ولا خَنْدَرِيسا (٢)
فى رُبًى يخلَع الولىُّ عليها * ما يحيِّى به الجليسُ الجليسا (٣)
فلنُوّارِها نسيمٌ إذا ما * حرّكته الرِّياح ردّ النُّفوسا

صـــوت

١٠ أمسى لسَلّامَة الزَّرقاءِ فى كَبِدى * صَدْعٌ مقيمٌ طَوالَ الدَّهرِ والأبدِ
لا يستطيعُ صَنَاعُ القومَ يَشْعَبه * وكيف يُشْعَب صَدعُ الحبِّ فى الكبد (٤)
إلّا بوصْلِ التى من حبِّها انصدعَتْ * تلك الصُّدوعُ من الأسقام والكَمَدِ

الشعر والغناء لمحمد بن الأشعث بن فجوة الكاتب الكوفى، أحد بنى زُهْرة من قريش . ولحنه من خفيف الثّقيل الأوّل بالبنصر .

١٥ وسَلّامة الزرقاء هذه جارية ابنِ رَامِين ، وكانت إحدى القينات المُحْسِنات . — سلامة الزرقاء

(١) الشتيم : القبيح الكريه المنظرة .

(٢) القرقف : التى تقرقف صاحبها، لشدّتها . والخندريس : القديمة .

(٣) الولى : المطر يأتى بعد الوسمى . يحيى الجليس جليسه بالزهر .

(٤) الصناع، بالفتح : الحاذق بالصنعة ، يقال للذكر والأنثى . والشعب : الإصلاح . أراد: أن يشعبه ، فحذف « أن » .

٢٠

ذكر خبرها وخبر محمد بن الأشعث

نسخت ذلك من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات[(١)] ، ذكر أنّ أبا أيوب المدينى حدّثه[(٢)] عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال :

كان محمد بن الأشعث القرشى ثم الزهرى كاتبًا، وكان من فتيان أهل الكُوفة وظُرفائهم وأدبائهم، وكان يقول الشعرَ ويتغنى فيه . فمن ذلك قولُه فى زرقاءَ جارية ابن رامينَ، وكان يألفها :

* أمسى لسَلّامة الزّرقاءِ فى كبدى *

وذكر الأبيات .

شعر محمد بن الأشعث فى سلامة

قال : ومن شعره فيها يخاطب مولاها وقد كان حَجّ وأخرج جواريَهَ كلَّهنّ — هكذا ذكر أحمد بن إبراهيم . وهذا الشعر الثانى لإسماعيلَ بن عَمّارٍ الأسدى[(٣)] ، وقد ذكرت أخبارَه فى موضع آخر .

صوت

أيةُ حالٍ يآبنَ رامينْ * حالُ المحبّينَ المساكينْ

تركتَهم موتَى ولم يَتْلَفوا * قد جُرّعوا منك الأمَرّينْ

— [ويروى : « تركتَهُمْ مَوتَى وما مُوّتوا » ، وجدتُه بخطّ حَمّاد[(٤)] .] —

وسِرتَ فى رَكْبٍ على طِيّةٍ * ركبِ تَهَامٍ ويَمَانِينْ

(١) هذا ما فى ط ، مط . وفى سائر النسخ : « كتاب محمد بن عبد الملك الزيات » .
(٢) ماعدا ط ، مب ، مط : « ذكر أبو أيوب المدينى أنه حدثه » محرف .
(٣) ماعدا ط ، مب ، مط : « هكذا ذكره . وذكر أحمد بن إبراهيم أن هذا الشعر » .
(٤) التكملة من ط ، مب .

يا راعيَ الذَّودِ لقد رُعْتَهم * ويلَكَ من رَوْعِ المحبِّينْ
نزَّقْتَ جمعًا لا يُرى مثلُهم * بين دُروب الرُّوم والصِّينْ

الغناء لمحمد بن الأشعث نشيد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى فى مجراها ، عن ابن المكى وغيره .

شعره فى وصيفة

٥ قال : ودخل ابنُ الأشعث يومًا على ابن رامينَ فخرجت إليه الزّرقاء ، فبينا هو يُلقِي عليها إذْ بَصُرَ بوصيفةٍ من وصائفهم فأعجبته ، فقال شعرا فى وقته ، وتغنى فيه ، فأخذته منه الزرقاء ، وهو قوله :

صــــوت

قل لأختِي التى أحبُّ رضاها * أنتِ لى فاعلميه رُكْنٌ شـديدُ
١٠ إنَّ لى حاجةً إليـكِ فقولى : * بين أُذْنى وعاتقى ما تريـد

يعنى قولِى : ما تريد فى عنق حتّى أفعلَه . ففطِنت الزّرقاء للذى أراد ، فوهَبتْ له الوصيفةَ ، فخرج بها .

الغناء فيه رمل بالوسطى . ذكر عَمرو بن بانة أنّه لابنُ سريج ، وقد وَهِمَ فى ذلك ، بل الغناء لمحمد بن الأشعث لا يُشَكُّ فيه .

هو وهشام بن محمد عند ابن رامين

١٥ قال هارون : وحدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال : وحدّثنى أبو عبد الله الأسَكُ[1] أمير المغنّين أن محمد بن الأشعث الزهرى ، وهشام بن محمد بن أبى عثمان السُّلَمى ، اجتمعا عند ابن رامين ، وكان هشامٌ قد أنفق فى منزله مالًا عظيما ، وكان يقال لأبيه بِسيارِدِرَم[2] ، وتفسيره بالعربية : الكثير الدراهم ، فقال محمد بن الأشعث : يا هشام قُلْ ما تشاء . قال :

٢٠ قل لأختى التى أحبُّ رضاها * أنتِ لى فاعلميه ركنٌ شـديد

(١) ماعدا ط ، مب : « الأشيك » .
(٢) مركب من « بسيار » الفارسية بمعنى كثير . ودرم ، هى أصل كلمة « درهم » فى الفارسية .

وأشار بذلك إلى سَلّامة الزرقاء . قالت وقد سمعَتْ : فقل . فقال :

إنّ لى حاجةً إليــك فقولى * بين أُذْنى وعاتِقى ما تريدُ

ففطنت الزرقاء للذى أراد، فقالت : بين أُذْنى وعاتقى ما تريد، فما هو ؟ قال : وصيفتك هذه، فإنّها قد أعجبتنى . قالت : هى لك . فأخذها فما ردّ ذلك ابنُ رامينَ ولا تكلّمَ فيه .

وهذا الشعر والغناء فيه لمحمّد بن الأشعث .

قال هارون : وحدّثنى أبو أيوب عن أحمد بن إبراهيم قال :

هــواه لســلامة وسحيقة واسترضاء ابن رامين له

ذكر عمــرو بن نوفل بن أنس بن زيــد التميمى[1]، أنّ محمــد بن الأشعث كان ملازمًا لابن رامينَ ولجاريته سَــلّامة الزرقاء، فشُهِر بذلك[2]، وكان رجلًا قصّــافا[3] فلامه قومُه فى فعله فلم يحفِلْ بمقالتهم وطال ذلك منه ومنهم، حتّى رأى بعضَ ما كرِه فى منزل ابن رامين، فمال إلى سَحِيقة جارية زُرَيق بن منيح، مولى عيسى بن موسى. وكان زُرَيقٌ شيخًا سخيًّا[4] كريما نبيلا يجتمع إليه أشرافُ الكوفة من كلِّ حىّ، وكان الغالبُ على منزله رجلًا من ولد القاسم بن عبد الغفّار العجلى، كغَلبة محمد بن الأشعث على منزل ابنِ رامين، فتواصَــلا على ملازمة بيت زُرَيق . ففى ذلك يقــول محمد ابن الأشعث :

يابن رامينَ بُحْتَ بالتّصريح * فى هَــوَاىَ سَحِيقةَ ابنِ منيح[5]

قَينــةٌ عَفّةٌ ومــولًى كــريمٌ * ونــديمٌ من اللُّبــاب[6] الصَّريح

(١) ما عدا ط ، مب ، مط : « التيمى » .

(٢) ما عدا ط ، مب ، مط : « فشهد بذلك » تحريف .

(٣) قصافا : كثير القصف ، وهو اللهو واللعب على الطعام ، كما فى القاموس .

(٤) هذه الكلمة من ط ، مب ، مط فقط .

(٥) أى فى حبى لسحيقة المنسوبة إلى ابن منيح ، وهو زريق .

(٦) اللباب : الصفوة . والصريح : الخالص .

رَبَعِىٌّ مهذَّبٌ أرْيَحِىٌّ * يَشترِى الحمدَ بالفَعالِ الرَّبيحِ[(١)]

نحنُ منه فى كلِّ ماتشتهى الأنـ * ـفُسُ من لذَّةٍ وعيشٍ نجيحِ

عندَ قَرْمٍ[(٢)] من هاشمٍ فى ذُرَاها * وغناءٍ من الغَزالِ المليحِ

فى سُرورٍ وفى نعيمٍ مُقيمٍ * قد أمِنَّا من كلِّ أمرٍ قبيحِ

فاْسلُ عنا كما سلوناكَ إنِّى * غيرُ سالٍ عن ذاتِ نَفْسى ورُوحى

حافظٌ منك كلَّ ما كنتَ قد ضـ * ـيَّعْتَ مما عصيتُ فيه نصيحى

فالقِلَى ما حييتَ منِّى لك الدهـ * ـرَ بودِّ لمُنْيَتى ممنوحِ[(٣)]

يا ٱبنَ رامينَ فٱلزمَنْ مسجدَ الحـ * ـىِّ وطُولَ الصَّلاةِ والتَّسبيحِ

قال عمرو بن نوفل : فلم يَدعِ ابنُ رامين شريفًا بالكوفة إلَّا تحمَّلَ به على ابن الأشعث وأن يرضَى عنه ، ويعاودَ زيارتَه ، فلم يفعلْ ، حتَّى تحمَّلَ عليه بالجَحْوانىِّ ، وهو محمد بن بشر بن جَحْوان الأسدىّ ، وكان يومئذ على الكوفة ، فكلمهُ فرضىَ عنه ورجع إلى زيارته ، ولم يقطع منزلَ زُريق . وقال فى سحيقة :

سحيقةُ أنتِ واحدةُ القيانِ * فمالكِ مُشْبِهٌ فيهن ثانِ

فَضَلتِ على القيانِ بفضلِ حِذْقٍ * فحُزتِ على المدى قَصَبَ الرِّهانِ

سجدْنَ لكِ القيانُ مكفِّراتٍ * كما سجدَ المجوسُ لمرزُبانِ[(٤)]

ولا سِيَمَا إذا غنَّيتِ صوتًا * وحرَّكتِ المَثالثَ والمثانِى[(٥)]

---

(١) ربعى : منسوب إلى ربيعة . والأريحى : الذى يهتز للكرم .

(٢) القرم : السيد . ما عدا ط ، مب : « قوم » تحريف .

(٣) القلى : البغض والكراهية . ما عدا ط ، حـ ، مب ، مط : « فما كتنى » . لمنيتى ، يعنى بها جارية ابن رامين . يقول : إن ودى الممنوح لتلك الجارية مقابل ببغضى لك . ما عدا ط ، حـ : « يامنيتى » .

(٤) التكفير : إيماء الذمى أو المجوسى برأسه ، أو أن يتطامن و يضع يده على صدره ، أو أن يسجد لمن يعظمه ، أو أن ينحنى و يطأطئ رأسه قريبا من الركوع ، وكل أولئك طريقة التعظيم .

(٥) سيا : مخفف سيا . والمثلث والمثنى من أوتار العود .

شربتُ الخمرَ حتّى خلتُ أنّى * أبو قابوسَ أو عبدُ المَدان(١)

فإعمالُ اليَسارِ على المَلاوِى * ومن يُمناك ترجمةُ البيان(٢)

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان، عن حماد عن أبيه قال :

احتيال سلامة لإقصاء روح بن حاتم

كان روح بن حاتم المهلبى كثير الغِشْيان لمنزل ابن رامينَ، وكان يختلف إلى الزَّرقاءِ جاريةِ ابن رامين، وكان يهواها محمدُ بن جَميلٍ وتهواه، فقال لها : إنّ رَوح بن حاتم قد ثقُل علينا . قالت : فما أصنع، قد غمَرَ مولاى بِبرّه(٣) ! فقال : احتالى له . فبات عندهم رَوحٌ ليلةً(٤)، فأخذتْ سراويلَه وهو نائمٌ فغسلَتْه، فلما أصبحَ سأل عنه فقالت : غَسَلناه . ففطِنَ أنّه أحدَثَ فيه فاحتِيجَ إلى غَسْله، فاستحيا من ذلك وانقطع عنها، وخلا وجهُها لابن جميل .

قال هارون :

وأخبرنى حماد عن أبيه قال :

ابن رامين وجواريه وما قيل فيهن من شعر

ابن رامين اسمه عبد الملك بن رامين، مولى عبد الملك بن بِشر بن مَرْوان . وجواريه سَعْدة، ورُبَيْحة، وسَلّامة الزرقاء، وفيهن يقول إسماعيل بن عمار الأسدىّ وأنشدناه الحرمىّ عن الزبير عن عمه، وروايته أتمّ :

---

(١) أبو قابوس : كنية النعمان بن المنذر . وعبد المدان : سيد من سادات مذحج، وهو أبو يزيد عمرو بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن عمرو، كما سبق فى خبر أساقفة نجران .

(٢) الملاوى : ملاوى العود التى تشد بها الأوتار . وهذا البيت لم يرد فى ط، مب .

(٣) ما عدا ط، مب، مط : « قد ثقل علينا فما أصنع، فقالت » .

(٤) ما عدا ط، مب، مط : « فبات عندها » .

هَل مِن شِفاءٍ لقلبٍ لَجَّ مَحزونِ * صَبًا، وصَبٍّ إلى رِيمِ ابن رامينِ (١)
إلى رُبَيحةَ إنّ اللهَ فضّلَها * بحُسنِها وسَماعٍ ذى أفانينِ (٢)
نَعَمْ شِفاؤكِ منها أن تقولَ لها * قتلتِنى يومَ دَيرِ اللُّجِّ فأحيينى (٣)
أنتِ الطبيبُ لداءٍ قد تلبَّسَ بى * من الجوَى فانفُثى فى فىَّ وارقينى
نفسى تأبّى لكمْ إلّا طَواعيةً * وأنتِ تَحمِينَ أنفًا أن تُطيعينى (٤)
فتلك قسمةُ ضِيزَى قد سمعتُ بها * وأنتِ تتلينها ما ذاكِ فى الدينِ (٥)
ما عائذُ اللهِ لى إلفٌ ولا وطنٌ * ولا ابنُ رامينَ، لولا ما يمنّينى (٦)
يا ربّ ما لابن رامينٍ، له بقَرٌ * عِينٌ وليس لنا غيرُ البراذينِ
لو شئتَ أعطيتَه مالًا على قَدَرٍ * يرضَى به منكَ غيرَ الخُرّدِ العِينِ
لعائذِ اللهِ بيتٌ ما مررتُ به * إلّا وُجِئتُ على قلبى بسكّينِ (٧)
يا سَعدةُ القينةُ البيضاءُ، أنتِ لنا * أُنسٌ لأنّسكِ فى دارِ ابنِ رامينِ
لا تحسَبِنّ بياضَ الجصِّ يؤنسنى * وأنتِ كنتِ كمثلِ الخزِّ فى اللينِ
لولا رُبيحةُ ما استأنستُ ما عَمَدتْ * نفسى إليكِ ولو مُثّلتِ فى طينِ (٨)

---

(١) الريم : مخفف الرئم ، وهو الظبى الخالص البياض . والصب : العاشق . يقال صببت إليه صبابة فأنا صب ، أى عاشق .

(٢) أفانين : ضروب .

(٣) دير اللج بالحيرة ، بناه النعمان بن المنذر .

(٤) تحمين أنفا ، أى يحمى أنفك وتأنفين .

(٥) تتلينها ، من التلاوة . والشعر والكلام بعده إلى « عبد السمانين » وبدله فيها : « وهى طويلة . وقد تقدمت قبل هذا الموضع فى أخبار ابن عمار الأسدى » .

(٦) عائذ الله : حى من أحياء العرب . وفى الأصول : « عابد الله » تحريف .

(٧) الوجء : الطعن بسكين ونحوه .

(٨) فى الأصول : « وقد مثلت فى طين » . وانظر ما سبق فى أخبار إسماعيل بن عمار .

لم أنسَ سَعْدَة والزّرقاءَ يومَهما * باللَّجّ شرقيَّهُ فوقَ الدّكاكينِ

تُغنّيانِ ابنَ رامينٍ ضُحاهما * بالمسجحىّ وتشبيبِ المحبّينِ (1)

فما دَعوتُ به من عيش مَملكةٍ * ولم نَعِشْ يومَنا عيشَ المساكينِ

أذاكَ أنعَمُ أم يومٌ ظللتُ به * منعَّمَ العيشِ فى بُستانِ سُورينِ

يشوى لنا الشّيخ سُورينٌ دواجِنَه * بالجَرْدَناجِ وصحاجِ الشقاينِ (2) ٥

نُسقَى شرابًا لعمرانٍ يعتّقه * يُمسِى الأصحّاءُ منه كالمجانينِ

— يعنى عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله —

إذا ذكرنا صلاةً بعدما فَرَطَتْ * قُمْنا إليها بلا عقلٍ ولا دِينِ (3)

نمشِى إليها بِطاءً لا حَراكَ بنا * كأنّ أرجلَنا تُقلَعنَ من طينِ

نمشِى وأرجلُنا عُوجٌ مطارِحُها * مَشْىَ الإوزّ التى تأتى من الصينِ ١٠

أو مَشْىَ عُميانِ دَيرٍ لا دليلَ لهم * إلّا العصىُّ ، إلى عِيدِ السّعانينِ

وقال فيه أيضا :

لابن رامينَ خُرَّدٌ كهما الرّمْـ * ـلِ حِسانٌ وليس لى غير بَغْلِ

ربَّ فضّلتَه علىّ ولو شئْـ * ـتَ لفضّلتنى عليه بفَضْلِ

قال حماد : وأخبرنى أبى قال : حدّثنى السّكونى ، أنّ جعفر بن سليمان اشترى ١٥
رُبيحة بمائة ألف درهم ، واشترى صالحُ بن علىّ سَعْدة بتسعين ألف درهم ،
واشترى مَعْن بن زائدة الزرقاء .

(1) جـ : « بالمسحجى » بتقديم الحاء .

(2) الجردناج : هو « كردناج » بالفارسية ، وهو لحم ينضج قليلا بالماء ثم يشوى . معجم استينجاس ١٠٨٠ : . (Meat parboiled and roasted) وصحاج الشقاين ، كذا وردت . ٢٠
وفيا مضى : « وشحاح الشمانين » .

(3) فرطت : سبقت ، وتقدّمت .

قال مؤلف هذا الكتاب : هذا خطأٌ ، الزّرقاء اشتراها جعفر بن سليمان ، ولعلّ مَعْنًا اشترى غيرَها .

إسماعيل بن عمار وسعدة جارية ابن رامين

أخبرني حبيب بن نصر قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدّثني على بن الحسن الشيباني ، عن عبد الملك بن ثوبان[1] قال : قال إسماعيل بن عمار : كنت أختلف إلى منزل ابن رامينَ فأسمع جاريتيه : الزرقاء وسَعْدة ، وكانت سَعدة أظرفَ من الزّرقاء ، فأُعجِبْتُ بها وعلمتْ ذلك منّي ، وكانت سَعدة كاتبةً ، فكتبتُ إليها أشكو ما ألقَى بها ، فوعدتني فكتبتُ إليها رقعةً مع بعض خدَمِهم :

يا ربَّ إنّ ٱبنَ رَامينٍ له بَقَرٌ * عِينٌ وليس لنا غيرُ البراذينِ

وذكر الأبيات الماضية . قال : فجاءني الخادم وقال : ما زالت تقرأ رُقعتك وتضحك من قولك :

فإن تجودى بذاكِ الشيءِ أحْىَ بهِ * وإنْ بخلتِ به عنّى فزنّيني

وكتبت إلىّ : « حاشاك من أن أزنّيَك ، ولكنّى أسير إليك فأغنّيك وألهّيك وأُرضيك » . وصارت إلىّ فأرضتني بعدَ ذلك .

شراء جعفر بن سليمان الزرقاء وقتله يزيد بن عون

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، عن الحسين بن محمد الحرّاني ، وأخبرني الجوهري عن على بن محمد النوفلي عن أبيه :

أن جعفر بن سليمان اشترى الزرقاءَ صاحبة ابن رامينَ بثمانين ألف درهم ، وسَتَرها عن أبيه — وأبوه يومئذ على البصرة في خلافة المنصور ، وقد تحرّك في تلك الأيام عبدُ الله بن على — فهجَمَ عليهما يومًا سليمان بن علىّ فأخفيا[2] العُودَ تحتَ السَّرير

(١) ط : « عبد الملك ثوبان » .

(٢) ما عدا ط ، حـ ، مب ، مط : « فخبأ » .

ودخل، فقال له : ويحكَ نحن على هذه الحالِ نتوقَّع الصيلم(١) وأنتَ تشترى جاريةً بثمانين ألفَ درهم ! وأظهرَ له غضباً عليه وتسخُّطا لما فعل، فغمز خادماً كان على رأسه فأخرجها إلى سليمان، فأكبَّتْ على رأسه فقبَّلَته، ودعَتْ له، وكانت عاقلةً مقبولةً متكلِّمة، فأعجبه ما رأى منها، وقام عنهما فلم يعد لمعاتبة ابنه بعد ذلك .

قال : ولما مضت لها مُدَّةٌ عند جعفرٍ سألها يوما : هل ظفِرَ منك أحدٌ ممن كان يهواكِ بخلوةٍ أو قُبلة ؟ فخشيت أن يبلُغه شيءٌ كانت فعلَتْه بحضرةِ جماعةٍ أو يكونُ قد بلغه، فقالت : لا والله إلَّا يزيد بن عون العِباديُّ الصَّيرفى؛ فإنّه قبَّلنى قُبلةً وقذف فى فىّ(٢) لؤلؤةً بعتها بثلاثين ألف درهم(٣) . فلم يزل جعفرٌ يحتال له و يطلبه حتّى وقع فى يده، فضربَهُ بالسِّياط حتّى مات .

استقبال سلامة الزرقاء ليزيد بن عون

قال هارون : وحدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه قال . حدّثنى أبو عوف الدّوسىّ، عن عبد الرحمن بن مُقَرِّن قال :

كتبتُ إلى ابن رامِينَ أستأذِنه فى إتيانه، فكتب إلىّ : « قد سبقكَ رَوحُ ابن حاتم، فإن كنتَ لا تحتشمُ منه فَرُحْ . فرُحْتُ، فكأنّا كأنّنا فرسا رِهان، والتقينا فعانقنى وقال لى : أنّى(٤) تريد ؟ قلت : حيثُ أردتَ . قال : فالحمد لله . فدخلنا فخرجَت الزرقاءُ فى إزارٍ ورداءٍ قُوهِيَّينِ(٥) مورَّدين، كأنَّ الشمس طالعةٌ من بين رأسها

(١) الصيلم : الداهية تصطلم القوم . قال :

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

(٢) ط، مب، مط : « فى فِى » .

(٣) هذه من ط، ها، مب فقط

(٤) ما عدا ط : « أين تريد » ، وهما سيان .

(٥) القوهى : ضرب من الثياب بيض، منسوبة إلى قوهستان . ما عدا ط، مب، مط : « قهو بين » محرَّفة .

وكتِفيها(١)، فغنّتنا ساعةً ثم جاء الخادم الذى يأذَن لها(٢)، وكان الإذْن عليها دونَ مولاها، فقام دونَ الباب وهى تغنّى، حتّى إذا قطَعَتْ نظرَتْ إليه فقالت : من(٣) ؟ فقال : يزيد بن عَون العِباديُّ الصَّيرفى ، الملقّب بالماجن ، عَلَى الباب . فقالت : أدخِلْه . فلما استقبَلَها كفَّر(٤) ثم أقعَى بين يديها . قال : فوجَدَتْ والله له(٥) ورأيتُ أثَرَ ذلك، وتنوّقَتْ تنوّقًا(٦) خلافَ ما كانت تفعلُ بنا . فأدخلَ يَده فى ثوبه فأخرج لؤلؤتين وقال : انظرى يا زرقاء جُعِلت فداكِ! ثم حلَفَ أنّه نَقَدَ فيهما بالأمس أربعين ألف درهم . فقالت : فما أصنع بذلك ؟ قال : أردت أن تعلمى . فغنّتْ صوتاً ثم قالت : يا ماجنُ هَبْهما لى ويحكَ . قال : إن شئتِ واللهِ فعلتُ . قالت : قد شئتُ . قال : واليمينُ التى حلفتُ بها لازمةٌ لى إنْ أخذتِهما إلّا بشفتيك من شَفتىَّ . قال : فذهب رَوْحٌ يتسرّع إليه ، فقالت له : أَلَكَ فى بيت القوم حاجة ؟ قال : نعم . فقلت : إنما يتكسّبون بما ترى . وقام ابن رامينَ فقال : ضَعْ لى يا غلامُ ماء . ثم خرَج عنا فقالت : هاتهما . فمشى على ركبتيه وكفّيه وهما بين شفَتيه . فقال : هاكِ . فلمّا ذهبَتْ بشفتيها جعل يصدُّ(٧) عنها يمينا وشمالا ليستكثر منها ، فغمزَتْ جاريةً على رأسها فخرجتْ كأنّها تريد حاجة ، ثم عطفَتْ

---

(١) ط، مب، مط : « وكعبها » حـ : « وكفيها » . وأثبت ما فى سائر النسخ .

(٢) أى الذى يأذن فى الدخول عليها . ما عدا ط، ما : « تأذن لى » ، محرّف .

(٣) ط ، حـ ، مب، مط : « مه » .

(٤) سبق الكلام على التكفير فى ص ٥٩ . ما عدا ط، مب، مط : « ظفر » ، تحريف .

(٥) وجدت : لحقها الوجد به والحب .

(٦) التنوّق : التأنق . يقال تنوّق فى مطعمه وملبسه وتأنق ، أى تجوّد . ما عدا ط، مب : « وتبوّقت تبوّقا » محرّف .

(٧) الكلام بعده إلى ما قبل : « ما بالمنافى من أحد » مفقود من ط .

عليه ، فلمّا دنا منها وذهب ليُزوغ دفعَتْ مَنكِبيه وأمسكَتْهما حتّى أخذت الزّرقاءُ اللؤلؤتين بشفتَيها من فمه ، ورَشَح جبينُها حياءً منّا . ثم تجلّدَتْ علينا فأقبلَتْ عليه فقالت له : « المغبونُ فى استِه عُود » فقال : أمّا أنا فما أبالى ، لا يزال طِيبُ هذه الرائحةِ فى أنفى وفمى أبدًا ما حَييت .

عبث سعدة بثياب الصيوف

قال هارون : وحدّثنى ابن النطّاح عن المدائنى ، عن على بن أبى سليمان ، ٥ عن أبى عبد الله القرشى ، عن أبى زاهر بن أبى الصباح ، قال :

أتيتُ منزلَ ابن رامينَ مع رجلٍ من قريش ، فأخرج الزرقاءَ ، وسَعْدَةَ ، فقام القرشىُّ ليبول وترك مُطرَفه[1] ، فلبِسَتْه سَعدةُ وخرجَتْ ، فرجَع القرشىُّ وعليها المُطْرف قد خاطته فصار دِرعا[2] ، فقالت : أرأيتم أسرعَ مِن هذا ؟ صار المُطرف درعا ! فقال القرشىُّ : هو لك . قال : وعلىَّ طيلسانٌ مِنّى ، فأردت أن أبول ١٠ فلففته وقُمت ، فقالت سَعدة : دَع طَيلسانك . فقلت : لا أدعُه ، أخافُ أن يتحوّل مطرَفا .

إهداء ابن المقفع الزرقاء ألف دراجة

وحدّثنى قبيصة بن معاوية قال : قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : شرِبتْ زرقاءُ ابنِ رامينَ دواءً فأهدى لها ابن المقفع ألف دُرّاجة على جمل قُرَاسِىّ[3] .

قال هارون : وحدّثنى حماد عن أبيه : ١٥

عشق محمد بن جميل الزرقاء

أنّ محمدَ بن جميلٍ كان يتعشّق الزرقاءَ ، وكان أبوه جميلٌ يغدو كلَّ يوم يسأل مَن يَقْدَم عن ابنه محمّد ، إلى أنْ مرّ به صديقٌ له يكنى أبا ياسر ، فسأله عنه

(١) المطرف بتثليث الميم وفتح الراء : ثوب من خز له أعلام .

(٢) الدرع : القميص .

(٣) الدراجة ، كرمانة : واحدة الدراج ، وهو ضرب من الطير طيب اللحم . والقراسى بضم القاف ٢٠ وفتح الراء : الضخم الشديد من الإبل . يقال قراسى وقراسية بتخفيف الياء . ـ : « فراسى » . وما عداها « قراشى » ووجههما ما أثبت من « مب » .

فقال له أبو ياسر : تركتُه أعظَمَ النّاس قَدْرًا ، يعامل الخليفةَ كلَّ يوم فى خَراجه ، فيحتاج إليه ولدُه ، وصاحبُ شرطته ، وصاحبُ حرسه ، وخَدَمُه . فقال له : يا أخى : فكيف بهذه الجارية التى قد شُهِر بها ؟ فقال له الرجل : لا تهتمَّ بها ، قد مازحَهُ أميرُ المؤمنين فيها ، وخاطَبَه بشعرٍ قيل فيه . قال : وما هو ؟ قال :

٥ وابنُ جميلٍ فاعلموا عاجلًا * لا بدّ موقوف على مَسْطَبه (١)

يُوقَف فى زرقاءَ مشهورةٍ * تُجيد ضَرب العُود والعَرطَبه (٢)

فقال جميل : والله ما بى من هذا الأمر إلا أنّى أتخوَّفُ أن يكون قد شُهِر بها هذه الشُّهرةَ ولم ينكها .

قال هارون : وأحسب هذه القصّة لزرقاءِ الزّرادِ (٣) ، لا زرقاءِ ابن رامين .

١٠ قال هارون : وحدّثنى أبو أيوب قال : حدّثنى محمد بن سلام ، قال :

تنافس معن وروح وابن المقفع فى تقديم الألطاف لها

اجتمع عند ابن رامين معنُ بن زائدة ، ورَوح بن حاتم ، وابن المقفَّع ، فلما تغنّت الزرقاءُ وسَعدة ، بعثَ معنٌ إليها ببَدْرة (٤) فصُبَّت بين يديها ، فبعثَ روح إليها أخرى فصُبَّت بين يديها ، ولم يكن عند ابن المقفّع دراهم فبعث بجاء بصَكّ ضيعته وقال : هذه عُهدةُ ضَيعتى خُذيها ، فأمّا الدّراهم فما عندى منها شىء .

صفة الزرقاء وغنائها

١٥ أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا فضلٌ اليزيدىّ قال : حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال : قال سليمان الخشّاب :

(١) المسطبة ، بفتح الميم وكسرها : الدكان يقعد الناس عليه .

(٢) العرطبة ، بالفتح والضم : العود ، أو الطنبور .

(٣) كذا فى أ ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « الزرادة » .

٢٠ (٤) البدرة ، بالفتح : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار

دخلتُ منزلَ ابنِ رامينَ فرأيتُ الزّرقاءَ جاريتَه وهى وصيفةٌ، حين شال نهودُها ثوبَها عن صدرها ، لها شاربٌ كأنّه خُطّ بمسك ، يلحظُه الطّرف ويقصُر عنه الوصف ، وابن الأشعث الكوفىُّ يلْقِى عليها ، والغناء له :

أيّةُ حالٍ يا ابنَ رامينْ * حال المحبّين المساكينْ
تركتَهم موتَى وما موّتوا * قد جُرِّعوا منكَ الأمرّينْ
وسرتَ فى رَكْبٍ على طِيّةٍ * ركبٍ تَهامٍ ويمانِينْ
يا راعىَ الذّود لقد رُعْتنا * ويلَكَ من روعِ المحبّينْ
فرّقتَ جمعًا لا يُرى مثلُهم * بجّمعتهم بالرّبرب العِينْ

ابن رامين أجل مقين بالكوفة

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنى هارون بن محمد الزيات قال : قال أحمد ابن إبراهيم بن إسماعيل: كان ابن رامينَ مولى الزرقاء أجلَّ مُقَيِّنٍ(1) بالكوفة وأكبرَهم، ورامين أبوه مولى بِشر بن مروان .

محمد بن الأشعث يلقى على الزرقاء وصواحباتها الغناء

قال هارون : فحدّثنى سليمان المدينى قال : قال حماد بن إسحاق قال أبى : قال مُعاذ بن الطّبيب :

أتيتُ ابن رامينَ وعنده جواريه : الزّرقاء وصواحباتها ، وعندهنّ فتًى حسنُ الوجهِ نظيفُ الثّياب ، عَطِر الريح، يُلْقِى عليهنّ، فسألتُ عنه فقيل لى : هذا محمد ابن الأشعث بن فجوة الزّهرى . فمضيتُ به إلى منزلى وسألتُه المُقام ففعلَ، وأتيتُه بطعامٍ وشَراب وغنّيتُه أصواتًا من غِناء أهل الحجاز، فسألنى أن ألقيَها عليه، فقلتُ: نَعَم وكَرامةً وحُبًّا، على أن تلقِيَ علىَّ أصواتًا من صنعتك ألتذُّ بها، وأقطع طريق روايتها، وأُطرِف أهلَ بلدى بها . ففعلتُ وفعلَ، فكان مما أخذْته عنه من صنعته :

(1) المقين : أراد به صاحب القيان .

صـــوت

صاحِ إنّى عادَ لى ما ذَهَبا * من هـوًى هاجَ لقلبى طَرَبا[1]

أذكَرتنى الشّوق سَلّامةُ أن * لم أكُنْ قضيت منها أرَبا

وإذا ما لامَ فيهـا لائمٌ * زاد فى قلبى لحـبِّى عجبـا[2]

٥ مِن ذَوات الدَّلِّ لو دبَّ على * جِـلدها الذَّرُّ لأبدَى نَـدَبا[3]

الغناء لمحمد بن الأشعث، ثقيلٌ أوّل عن الهشامىّ . وفيه ليونس خفيفُ ثقيلٍ بالسّبّابة ، فى مَجرى البِنصر عن إسحاق . وذكر أحمد بن عبيد أنّ فيه لحنا من الثقيل الثانى لا يدرى لمن هو ؟

قال : ومنهـا :

١٠ صـــوت

لِذِكرِ الحبيبِ النّـازحِ المتغيِّب * طَرِبتُ ومَن يَعرِضْ له الشوق يطربِ

لحنه رمل . وقال منها :

صـــوت

خليلىَّ عُوجا ساعةً ثم سـلِّما * على زَينبٍ سَقْياً ورَعياً لزينبِ

١٥ لحنه رمل . وقال منها :

صـــوت

رَحُبت بـلادُك يا أمامهْ * وسَلِمتِ ما سَجَعت حمامه[4]

وسـقَى ديارَك كلّمـا * حنّت إلى السُّقيا غَمـامه

(١) كذا على الصواب فى حـ ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « إنى حازل » تحريف .

٢٠ (٢) حـ : « زادنى قلبى بحبى » .

(٣) الذر : صغار النمل . والندب : جمع ندبة ، بالتحريك ، وهو أثر الجرح الباقى على الجلد .

(٤) رحبت : اتسعت . سجعت : غنت .

إنّى وإنْ أقصيتنى * سَفَهًا أحبُّ لكِ الكرامهْ

وأرى أمورَكِ طاعةً * مفروضةً حتّى القيامه

لحنه خفيفُ رملٍ.[1] قال: ومنها:

صوت

ما بالمَغَانى مِن أحَدْ * إلّا حماماتٌ فُرُدْ[2]

أضحت خَلاءً دُرَّسًا * للرّيح فيها مُطَّرِدْ[3]

عهدى بها فيما مضى * يَنتابها بِيضٌ خُرُدْ[4]

فاستبدلَتْ وَحشًا بهم * والوُرْق تدعو والصُّرَدْ[5]

لحنه هزج. قال: ومنها:

صوت

ليتَ من طَيَّرَ نومى * ردَّ فى عينى المناما

أو شَفَى جسمًا سقيمًا * زاده الهجرُ سَقاما

نظرَتْ عينى إليها * نَظرةً هاجت غَراما

تركَتْ قلبى حزينًا * بهواها مُستَهاما

لحنه رمل.

(١) إلى هنا تنتهى القطعة المفقودة من ط. انظر ما سبق فى ص ٦٥ الحاشية ٧.

(٢) المغانى: جمع مغنى، وهو الموضع يغنى فيه القوم، أى يقيمون. فرد: فريدات.

(٣) درس: جمع دارسة، وهى التى لعب بها البلى. المطرد: الموضع تطرد فيه الريح، أى تجرى؛ أو هو مصدر ميمى.

(٤) ينتابها: يأتيها نوبة بعد أخرى. خرد: جمع خريدة وخريد وخرود، وهى الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت. ما عدا ط، مب، مط: «فيأتيها بيض جدد» تحريف.

(٥) الورق: جمع ورقاء، وهى الحمامة فى لونها بياض إلى سواد. والصرد: طائر أكبر من العصفور.

قال ابن الطيب : وأخذتُ منه مع هذه أصواتاً كثيرة ، ورأيتُ النّاسَ بعد ذلك ينسبونها إلى قُدماء المغنّين .

مصير الزرقاء وربيحة إلى جعفر ومحمد بن سليمان

قال هارون : وحدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : حدّثني إسماعيل ابن جعفر بن سليمان :

٥ أنّ الزّرقاء صاحبة ابنِ رامينَ (١) صارت إلى أبيه، وكان يقال لها أم عثمان . وأنّ رُبَيحة جاريةَ ابنِ رامينَ صارت إلى محمد بن سليمان ، وكانت حَظِيّةً عنده . قال إسماعيل : فأتى سليمانُ بن علي ابنَه جعفرًا فأخرج إليه الزّرقاءَ ، فقال لها سليمان : غَنّيني . قالت : أيَّ شيءٍ تحبُّ ؟ قال : غَنّيني :

إذا ما أمُّ عبدِ اللّـ * ـهِ لم تَحْلُل بواديهِ
١٠ ولم تَشفِ سقيماً هَيَّـ * ـجَ الحُزن دواعيه

فقالت : فَدَيتك، قد ترك الناسُ هذا منذ زمان . ثم غنّته إياه .

قال إسماعيل : قد ماتَ سليمانُ منذ ثلاثٍ وسبعين سنة ، وينبغي أن يكون رأى الزرقاءَ قبل موته بسنتين أو ثلاثٍ . قال : وقالت هي : قد تَرَكَ الناس هذا منذُ زمانٍ . فهذا من أقدم ما يكون من الغناء .

أبيات لشراعة في جواري ابن رامين

١٥ قال هارون : وقال شُرَاعة بن الزَّنْدَبُوذ :

قالوا شُراعةُ عِنّينٌ فقلتُ لهم * الله يعلمُ أنّي غيرُ عِنّينِ
فإنْ أبيتم وقلتم مثلَ قولِهِم * فأقحِمونِيَ (٢) في دارِ ابنِ رامينِ
ثم انظروا كيفَ طعني عندَ مُعتَرَكٍ * في حِرِ مَنْ كنتُ أرميها وترميني

---

(١) صاحبة ابن رامين ، من ط ، مط فقط .
٢٠ (٢) أقحمه : ألقاه ورمى به .

صفة أخرى الزرقاء

قال هارون : وحدّثنى أبو أيوب المـدينى ، عن أحمد بن إبراهيم قال : قال بعض المدنيّين :

أتيتُ منزلَ ابن رامينَ، فوجدتُه عنده جاريةً قد رفع ثديُها قميصًا، لها شاربٌ أخضرُ ممتدٌّ على شفتيها(١) امتدادَ الطِّراز، كأنّما خُطَّت طُرّتُها وحاجباها بقلَم، لا يلحقُها فى ضربٍ من ضُروبِ حُسنها وصفُ واصف ، فسألتُ عن اسمها فقيـل : هذه الزّرقاء .

نسـبة الصوت الذى فى الخـبر

صـــوت

إذا ما أمُّ عبد اللـ * ـه لم تَحْلُلْ بواديهِ

ولم تَشْفِ سقيمًا هـ * ـيَّجَ الحزنُ دواعيهِ

غَزالٌ راعَه القنّا(٢) * صُ تحميه صَواصيه

عرفتُ الربعَ بالإكليـ(٣) * ـلِ عفّته سوافيـه

بجـوِّ ناعمِ الحـوذا(٤) * نِ مُلتفٍّ رَوابيـه

(١) ط : « شفتيها » مب ، مط : « شفتها » .

(٢) راعه : أفزعه . والقنّاص ، بالفتح ، هو القانص ، وبالضم : جمع قانص . ماعدا ط ، مب : « رابه القنّاص » . والصياصى : الحصون .

(٣) الإكليل : اسم موضع . وأنشـد هذه الأبيات ياقوت فى رسم (الإكليل) . والسوافى : الرياح التى تسفى التراب .

(٤) الجو والجوة : المنخفض من الأرض . والحوذان ، بالفتح : نبت له زهرة حمراء فى أصلها صفرة . ملتف روابيه : أي ملتف نبات روابيه . والرابية : ما ارتفع من الأرض .

٥

١٠

١٥

٢٠

وما ذِكرى حبيبًا و * قليـلًا ما أُواتيــه
كذى الخمرِ تَمنَّاها[1] * وقد أسْرفَ ساقِيه

ذكر الزُّبير بن بكّار أنّ الشِّعرَ لعدىّ بن نوفل، وقيل إنّه للنُّعمان بن بشيرٍ الأنصارىّ[2] وذاك أصحّ .

٥ وقد أخرجتُ أخبـارَ النُّعمان فيــه مفردةً فى موضع آخر، وذكرتُ القصيدة بأسرها . ورواها ابنُ الأعرابىّ وأبو عمــرو الشيبانى للنُّعمان ، ولم يذكر أنّها لعدىٍّ غير الزُّبير بن بكّار .

والغناء فيما ذكر عمرو بن بانة لمعْبــد ، خفيفُ رملٍ بالوُسطى . وذكر إسحاقُ أنّ فيه خفيفَ رملٍ بالسبّابة فى مَجرى البِنصر ، يمــانٍ[3] . وفيه للغريض ثَقيلٌ أوّل

١٠ بالوُسطى عن الهشامى، فى الأول والثانى والرابع والخامس .

---

(١) ما عدا ط ، مب ، مط : « كذا الخمر » محرف .
(٢) هذا يطابق ما فى معجم البلدان فى رسم (الإكليل) .
(٣) هذه الكلمة من ط ، حـ ، مب ، مط .

نسب عدىّ بن نَوْفَلٍ وخبره

نسب عدى بن نوفل

هو عدىُّ بن نوفل بن أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب ابن لُؤَىّ . وأمه آمنةُ بنت جابر بن سفيان، أختُ تأبّطَ شرًّا .

استعماله على حضرموت

وكان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه استعمَلَه ، أو عثمان بن عفان رضى الله عنه — فيما أخبرنا به الطُّوسىُّ عن الزبير بن بكار — على حَضْرَمَوْت . ٥

داره وما قيل فيها من الشعر

قال الزبير : ودارُ عدىّ بن نوفلٍ بين المسجد والسُّوق معروفة[1] ، وفيها يقول إسماعيل بن يسار النِّسائى[2] :

إنّ تَمْشـاكَ نحـوَ دارِ عدىٍّ * كان للقلب شِقوةً وفُتونا
إذْ تراءت على البـلاط فلمّـا * واجَهَتْها كالشّمس تُعشِى العُيونا[3]
قال هارونُ قِفْ فياليتَ أَنِّى * كنتُ طاوعتُ ساعةً هارونا ١٠

وقد قيل إنّ هذه الأبيات لعمر بن أبى ربيعة[4] .

امرأته ونشوزها عليه

قال الزُّبير : كان تحتَ عدىّ بن نوفلٍ أُمُّ عبد الله بنت أبى البَخْترىّ بن هاشم ابن الحارث بن أسدِ بن عبد العُزّى ، فغاب مدّةً وكتب إليها أن تَشْخَص إليه، فلم تَفعلْ، فكتبَ إليها قولَه :

إذا ما أُمُّ عبد اللّٰـ * ـهِ لم تَحْـلُل بواديه ١٥

---

(١) هذه الكلمة من ط ، مب ، مط .

(٢) النسائى هنا بكسر النون ، لقب بذلك لأنه كان يبيع النجد والفرش التى تتخذ للعرائس ، كما سبق فى ترجمة إسماعيل بن يسار .

(٣) البـلاط : موضع بالمدينـة مبلط بالحجارة بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسـلم وبين سوق المدينة . ٢٠

(٤) الأبيات فى ديوان عمر بن أبى ربيعة ٧١ .

وذكر البيتين فقط ، فقال لهـا أخوها الأسودُ بن أبى البَخْترىّ ، وهما لأبٍ وأمٍّ ، أُمُّهما عاتكةُ بنت أميّة بن الحارث بن أَسَـد بن عبد العُزّى : قد بلغ الأمرُ هـذا من ابن عمّك . فاشخَصى إليه[1] .

صــــوت

أعينىَّ جُودا ولا تَجْمُـــدا * ألاَ تبكيانِ لصَخْرِ النَّـدَى

ألا تبكيانِ الجـرِىَّ الجميلَ * ألا تبكيانِ الفتَى السـَّيِّدا

الشعر للخنساء بنت عمرو بن الشريد، ترثى أخاها صخرًا ، والغناء لإبراهيم الموصلى، ثقيلٌ أوّل مطلق فى مجرى البنصر ، عن إسحاق . وفيــه لابن سُريج خفيفُ رملٍ بالوُسطى، عن عمرو، والهشامى، وحَبَش .

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « إليك » .

نسب الخنساء وخبرها وخبر مقتل أخويها صخر ومعاوية

نسب الخنساء

هى الخنساء بنت عَمرو بن الحارث بن الشَّريد بن رِيَاح بن يَقَظة بن عُصَيّة ابن خُفَاف بن امرئ القيس بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة ابن قيس بن عيلان بن مُضَر . واسمُها تماضر .

شعر دريد بن الصمة فيها

والخنساء لقبٌ غلَبَ عليها [1] ، وفيها يقول دُريد بن الصِّمَّة، وكان خطَبها فردّته، وكان رآها تَهْنأ بعيرا :

حَيُّوا تُماضِرَ واربَعُوا صَحبِي * وقِفُوا فإنّ وقوفَكم حسبِي
أَخُناسُ قد هامَ الفؤادُ بكم * وأصابه تَبْلٌ من الحُبِّ
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ به * كاليومِ طالِيَ أينُقٍ جُرْبِ
متبذِّلا تبدو محاسنُه * يَضع الهِناءَ مواضعَ النُّقْبِ

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام : لمّا خطبها دُريدٌ بعث خادمًا [2] لها وقالت : انظرى إليه إذا بالَ ، فإن كان بولُه يَخرِق الأرض ويخدُّ فيها ففيه بقيّة، وإن كان بولُه يَسيح على وجهها فلا بقيّةَ فيه . فرجعَتْ إليها وأخبرتْها، فقالت : لا بَقية فى هذا . فأرسلَتْ إليه : ما كنتُ لأدعَ بنى عَمّى وهمْ مثلُ عوالِي الرماح ، وأتزوّجَ شيخًا ! فقال :

وقاكِ اللهُ يا ابنةَ آل عمرو * مِن الفتيانِ أشباهى ونَفْسِى
وقالت إنّنى شيخٌ كبيرٌ * وما نبّأتُها أنّى ابنُ أمسِ
فلا تلِدِى ولا يَنكحْكِ مثلى * إذا ما ليلةٌ طرَقتْ بنَحْسِ .
تريدُ شَرَنْبَثَ القدمينِ شَثْنًا [3] * يُباشِر بالعَشِيّة كلَّ كِرسِ

(١) ما عدا ط : « وقع عليها » . (٢) ما عدا ط ، مب ، مط : «خادمة لها» .

(٣) شرنبث القدمين : غليظهما خشنهما . والشثن : الغليظ . الكرس كنى به عن بيت الخلاء ، وأصل الكِرس بالكسر : أبوال الإبل والغنم وأبعارها يتلبد بعضها على بعض فى الدار .

فقالت الخنساء تُجيبه :

مَعَاذَ اللهِ ينكِحُنى حَبَرْكَى * يقال أبوه من جُشَم بنِ بكر[١]

ولو أصبحتُ فى جُشَم هَدِيًّا * إذًا أصبحتُ فى دَنَس وفقر[٢]

وهذا الشعر ترثى به[٣] أخاها صخرًا وقتله زيدُ بن ثَور الأسدى يوم ذى الأثل .

مقتل أخيها صخر

٥ أخبرنا بالسبب فى ذلك محمدُ بن الحسن بن دُرَيد ، عن أبى حاتم ، عن أبى عبيدة، وأضفتُ إليه روايةَ الأثرم عن أبى عبيدة قال :

غزا صَخْر بن عمرو ، وأنَس بن عبّاسٍ الرِّعْلىُّ فى بنى سُلَيم ، بنى أسد بن خزيمة[٤] ، — قال أبو عبيدة : وزعم السُّلَمى أنّ هذا اليوم يقال له يوم الكُلاب ويومُ ذى الأثل — فى بنى عوف وبنى خُفاف ، وكانا متساندَين ، وعلى بنى خُفَاف

١٠ صخرُ بن عمرو الشَّريدىّ ، وعلى بنى عوف أنسُ بن عبّاس . قال : فأصابوا فى بنى أسد بن خزيمة غنائمَ وسَبْيًا ، وأخذ صخرٌ يومئذ بُدَيلةَ امرأةً[٥]. قال : وأصابت صخرًا يومئذ طعنةٌ ، طعنه رجلٌ يقال له ربيعة بن ثَور ، ويكنى أبا ثور ، فأدخل جوفَه حَلَقًا من الدِّرع فاندملَ عليه حتّى شُقّ عنه بعد سنين ، وكان سببَ موته .

قال أبو عبيدة : وقال غيره : بل ورِدَ هو وبلعاءُ بن قيس الكنانى . قال :

١٥ وكانا أجملَ رجلين فى العرب . قال : فشربا عند يهودىٍّ خمارٍ كان بالمدينة . قال :

---

(١) الحبركى : الطويل الظهر القصير الرجلين . والألف فى « حبركى » للإلحاق مينون ، وجعلها بعضهم للتأنيث فيمنع الصرف . ط ، ها : « حبركا » بالتنوين . مب « حبرك » وهذه محرّفة .

(٢) الهدى : العروس تهدى إلى بعلها .

(٣) يعنى بذلك صوت الأغانى الذى سبق ترجمة الخنساء .

٢٠ (٤) كذا على الصواب فى ط ، مب، مط . وفيا سواها : « بن أسد بن خزيمة » .

(٥) هذا الأوفق من ط ، مب، مط ، هـ . أى امرأة له . وفيا سواها : « امرأته » .

فحسدَهما لمَا رأى من جمالها وهيأتهما ، وقال : إنّى لأحسد العربَ أن يكون فيهم مثلُ هذين ! فسقاهما شَربةً جَويًا منها[1] . قال : فمرَّ بصخرٍ طبيبٌ بعد ما طال مرضُه، فأراه ما به ، فقال : أشُقُّ عنك[2] فتفيق . قال : فعمَد إلى شِفارٍ يجعل يحميها ثم يشقّ بها عنه[3]، فلم ينشَبْ أن مات .

قال أبو عبيدة : وأمّا أبو بلال بن سهم فإنّه قال : اكتَسح صخرٌ أموالَ بنى أسدٍ وسَبَى نساءهم ، فأتاهم الصَّريخُ فتبِعوه فتلاحَقُوا بذات الأثْل، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فطعن ربيعةُ بن ثورٍ الأسدىُّ صخرًا فى جَنْبه، وفات القومَ فلم يُقعَصْ[4] وجَوِى منها ، ومرِض قريبًا من حولٍ ، حتّى ملَّه أهله . قال : فسمع صخرٌ امرأةً وهى تسأل سَلمى امرأةَ صخر : كيف بَعْلك ؟ فقالت سلمى : لاحىٌّ فيرجَى ، ولا مَيْت فيُنعَى، لقينا منه الأمرَّين !

قال : وزعم آخرُ أنّ التى قالت هذه المقالةَ بُدَيلةُ الأسديّة التى كان سباها من بنى أسد فاتّخذَها لنفسه . فأنشدَ هذا البيت :

ألا تلكُمُ عِرسى بُدَيلةُ أوجَسَتْ * فِراقى وملَّت مَضجَعى ومكانى[5]

وأمّا أبو بلال بن سهم فزعم أنّ صخرًا حين سمع مقالةَ سَلْمى امرأته قال :

أرى أمَّ صخرٍ لا تَملُّ عيادتى * وملَّتْ سُليمَى مَضجعى ومكانى

وما كنتُ أخشى أن أكونَ جِنازةً[6] * عليك ومَن يغترُّ بالحَدَثان

(١) الجوى ، السل وتطاول المرض ، أو داء يأخذ فى الصدر .

(٢) ط ، ح ، مب ، مط : « أمرعنك » .

(٣) ط ، ح : « ثم يسر بها » . مب ، مط : « يشربها » .

(٤) قعصه وأقعصه : ضربه أو رماه فمات مكانه .

(٥) ما عدا ط ، مب ، مط : « أوحشت » تحريف .

(٦) فى اللسان : « وإذا ثقل على القوم أمر أو اغتموا به فهو جنازة عليهم » . وأنشد هذا البيت .

أهُمُّ بأمر الحَــزْم لو أســتطيعُه * وقــد حِيــل بين العَير والنَّزَوان

لَعَمرى لقد نَبَّهتِ مَن كان نائمًــا * وأسمعتِ مَن كانت لهُ أذنانِ

ولَلْمــوتُ خيرٌ من حياةٍ كأنَّهــا * مَحَــلَّةُ يعســوبٍ برأسِ ســنانِ[1]

وأىُّ امرئٍ ساوَى بأمٍّ حليــلةً * فلا عاشَ إلّا فى شَقًا وهَــوان

فلما طال عليه البلاءُ وقد نتأت قطعةٌ مثل اللِّبْد[2] فى جنبه فى موضع الطَّعنة، قالوا له : لو قطعتَها لَرجونا أن تبرأ . فقال : شأنَكم. فأشفقَ عليه بعضُهم فنهاهم، فأبى وقال : الموتُ أهونُ علىَّ مما أنا فيه ! فأحمَوْا له شَفرةً ثم قطعوها فيَئِس[3] من نفسه.

٥

قال : وسمع صخرٌ أختَه الخنساءَ تقول : كيف كان صبرُه؟ فقال صخرٌ فى ذلك :

من شعر صخر فى الصبر

أجارَتنا إنّ الخطــوبَ تنُــوب * على النّاس، كلَّ المخطئين تُصيبُ

فإن تسأليني هَلْ صــبرتَ فإنَّنى * صَـبورٌ على رَيبِ الزمانِ صَــليبُ

١٠

كأنِّى وقد أدنَوْا إلىَّ شِــفارَهم * من الصَّبر دامِى الصَّفحتين رَكوبُ

أجارَتنا لستُ الغــداةَ بظــاعنٍ * ولكنْ مقــيمٌ ما أقامَ عســيبُ

عن أبى عبيــدة : عَسيبٌ : جبــلٌ بأرض بنى سُليم إلى جنب المدينة ، فقــبرُه هناك مَعْــلَم .

قــبر صخر

وقال أبو عبيدة : فمــات فدُفِن هناك، فقبره قريبٌ من عَسيب .

١٥

(١) أنشده فى اللسان (عسب) وقال : « معناه أن الرئيس إذا قتل جعل رأسه على سنان . يعنى أن العيش إذا كان هكذا فهو الموت » . قلت : وهذا إبعاد فى التفسير . إنما اليعسوب : ذكر النحل، وموضعه من رأس السنان إذا وقف عليه ليس بشىء ، هكذا الدنيا فى هوانها عندما ينظر إليها .

(٢) كذا فى ط ، ج ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « مثل الكبد » .

(٣) هذه الكلمة من ط ، مب ، مط .

٢٠

رثاء الخنساء لصخر

فقالت الخنساء ترثيه :

ألا ما لعينيكَ أم مالهَا * لقد أخضَل الدمعُ سِربالهَا

أبعدَ ابنِ عمرٍو من آل الشَّريد * حلَّتْ به الأرض أثقالهَا

فإن تكُ مُرَّةُ أودَتْ به * فقد كان يُكثِر تَقتالهَا

سأحمِلُ نفسى على خُطَّةٍ * فإمّا عليها وإمّا لها

فإنْ تصبر النفسُ تلقَ السُّرورَ * وإنْ تجزع النفسُ أشقَ لها

غنّى فيه ابن سُرَيج خفيفَ رملٍ بالبِنصر .

قال السُّلمى : ليست هذه فى صخر، هذه إنّما رثت بها معاويةَ أخاها، وبنو مُرّة قتلته . ولكنها قالت فى صخر :

قَذًى بعينكَ أم بالعين عُوّارُ * أم أقفرَتْ إذْ خلَتْ من أهلها الدارُ[1]

تبكى لصخرٍ، هى العَبْرَى وقد ثَكِلَتْ[2] * ودونَه من جَديد التُّرب أستارُ

لا بدَّ من ميتةٍ فى صَرفها غِيَرٌ * والدهرُ فى صَرفه حَولٌ وأطوارُ

يا صخرُ وَرّادَ ماءٍ قد تناذَره * أهلُ الموارد مافى وِرده عارُ[3]

مَشْىَ السبنتَى إلى هيجاءَ مُعضِلةٍ * له سلاحانِ أنيابٌ وأظفارُ[4]

فما عَجُولٌ على بَوٍّ تُطيفُ به * لها حنينانِ إصغارٌ وإكبارُ[5]

ترتَعُ ما رتَعت حتّى إذا ادَّكرتْ * فإنّما هى إقبالٌ وإدبارُ

(١) ط : « أم خلت » . مط : « أم ذرفت » .

(٢) ماعدا ط، جـ، مب، مط : « وقد ذرفت » .

(٣) ط، جـ، مط : « وارد ماء »

(٤) السبنتى : النمر .

(٥) الإصغار : حنينها إذا خفضته . والإكبار : حنينها إذا رفعته .

لا تَسمَنُ الدّهرَ فى أرضٍ وإنْ رتعتْ * فإنّما هى تَحنانٌ وتَسجار (١)

يوماً بأوجَدَ منّى يومَ فارقَنى * صخرٌ وللدّهرِ إحلاءٌ وإمرار (٢)

فإنّ صخراً لَوالينا وسيِّدُنا * وإنّ صخراً إذا نَشتُو لنحّار

وإنّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ به * كأنّه عَلَمٌ فى رأسه نارُ

٥ — غنّى فى هذين البيتين الأولين ابنُ سُريج، من رواية يونس — :

لم تَرَأْهُ جارةٌ يمشى بساحتها * لرِيبةٍ حين يُخلِى بيتَه الجارُ (٣)

ولا تراه وما فى البيت يأكلُهُ * لكنّه بارزٌ بالصّحنِ مِهمارُ (٤)

مثلُ الرُّدَينىِّ لم تنفَدْ شبيبتُهُ * كأنّه تحتَ طَىِّ البُرد أُسوارُ

فى جوفِ رمسٍ مُقيمٍ قد تضمّنَه * فى رمسِهِ مُقْمَطِرّاتٌ وأحجار

١٠ طَلْق اليدين بفعلِ الخير ذو بَجَرٍ (٥) * ضخمُ الدّسيعة بالخيرات أمّار

ورُفقةٍ حارَ هاديهم بمَهلكةٍ * كأنّ ظلمتَها فى الطِّخيةِ القار (٦)

عروضه ثان من البسيط .

---

(١) التسجار : تفعال من سجرت الناقة : مدت حنينها .

(٢) ما عدا ط ، مب ، مط : « ولله إحلاء » .

١٥ (٣) لم ترأه ، على الأصل ، وفى ط ، جـ ، مب : « لم تره » على التخفيف . ونظير الأول قول سراقة البارقى فى اللسان (رأى) :

أرى عينى ما لم ترأياه * كلانا عالم بالترهات

(٤) مهمار : مبالغة من الهمر ، وهو انصباب المطر ، كناية عن كثرة جوده . والذى فى المعاجم أن المهمار : الكثير الكلام .

٢٠ (٥) ما عدا ط ، مب ، مط : « لفعل الخير » .

(٦) ما عدا ط ، جـ ، مب ، مط : « فى رفقة » . وفيما عدا ط ، مب ، مط : « حاديهم » .

العُوّار والعائر: وجع، وهو مثل الرمد. وذَرفَتْ: قطرت قطرًا متتابعا لا يبلغ أن يكون سَيلا. والعَبْرَى، يقال امرأة عَبْرَى وعابرٌ[1]. والعبرة: سُخنة العين[2]. والوَلَه[3]: ما يصيب الرجلَ والمرأةَ من شدّة الجزَع على الولد. حَوْل وأطوار، أى تحوّلٌ وتقلّب وتصرّف. قد تناذَرَه، أى أنذر بعضُهم بعضًا هَوْلَه وصعوبته. ويروى: «تبادره». وقولها «ما فى ورده عار» أرادت ما فى ترك وِرده عار، أى لا يُعيَّر أحدٌ إنْ عجز عنه من صعوبةِ وِرده[4]. العَجُول: الثَّكول. والبَوّ: أن يُنحَر ولدُ الناقة ويؤخذَ جلدُه فيُحشَى ويُدنَى من أمّه فترأَمَه. إحلاءٌ وإمرار، يقال: ما أحلَى ولا أمَرّ، أى ما أتى بحلوةٍ ولا مُرّةٍ[5]. والمعنى أنّ الدهر يأتى بالمشقّة والمحبة[6]. «كأنه علَمٌ فى رأسه نار» أى إنّه مشهور. والعَلَم: الجبل، وجمعه أعلام. «كأنه تحتَ طيِّ البُرد أُسوار»، أى من لطافة بَطنه وهَيَفه شبيه أُسوارٍ[7] من ذهب. والردينى: الرمح منسوب إلى رُدَينة: امرأةٍ كانت تقوّم الرماح. أى هو معصوب البَدن ليس بمهبّج[8] منحَلّ. وهذا كلُّه من انتفاخ الجلد والسِّمَن والاسترخاء. وقال

(١) فى اللسان: «العبر» بالتحريك. وفى القاموس: «العبر بالضم: سخنة العين، ويحرك».

(٢) يقال سخنت عينه سخنة وسخونا، وهو نقيض قرت.

(٣) كلمة «الوله» لم ترد فى النص، وإنما هى تفسير لرواية أخرى فى البيت الثانى من هذه المقطوعة لم يذكره أبو الفرج. وهى:

* تبكى لصخر هى العبرى وقد ولهت *

(٤) كذا فى ط، مب، مط. وفى جـ: «إن عجزعنه ورده»، وهذه محرفة. وفى سائر النسخ: «إن عجز من ورده».

(٥) كذا فى ط، مب، مط. وفى جـ: «بحلوه ولامره» وفى سائر النسخ: «بحلو ولامر».

(٦) ما عدا ط، جـ، مب، مط: «والمحنة».

(٧) بدلها ط، جـ، مب، مط: «عيره».

(٨) المهبج: المنتفخ المتورم. ما عدا ط: «بمهيج» محرفة.

أبو عمرو : مُقْمطِرّات : صخورٌ عظام . والأحجار صغار [1] . ذو بِخَرٍ : يتفجر بالمعروف . والدَّسيعة : العطاء . الطخية ، من الطخاء ، وهو الغيم الرقيق الذى يُوارى النُّجومَ فيتحيَّرُ الهادى [2] .

مرثية أخرى فى صخر

وقالت الخنساء أيضا ترثى صخرا :

٥ بكت عينى وعاودَها قَذاها * بعُوّارٍ فما تَقضى كَراها

على صخرٍ وأىُّ فتًى كصخرٍ * إذا ما النابُ لم تَرْأَمْ طَلاها [3]

— الطلا : الولد ، أى لم تعطف عليه من الجدب —

فتَى الفتيانِ ما بلغوا مَداها * ولا يُكدِى إذا بلغت كُداها [4]

لئن جزِعت بنو عمرٍو عليه * لقد رُزِئت بنو عمرٍو فتاها

١٠ — غنى فى هذه الأبيات ابنُ جامع ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . وذكر حبشٌ أن له أيضا فيه خفيف رمل بالبنصر —

ترى الشم الجَحاجحَ من سُليم * وقد بلّتْ مدامعُها لِحاها

— إذا وصف السيد بالشمم فإنه لا يدنو لدناءة ، ولا يضع لها أنفَه —

وخَيلٍ قد كففتُ بجَوْلِ خيلٍ * فدارت بين كبشَيها رحاها [5]

١٥ (١) ماعدا ط ، جـ ، ما ، مب : « وأحجار صغار » تحريف .

(٢) ط ، جـ ، ما ، مب : « أى وارى النجوم فتحير الهادى » .

(٣) الناب : الناقة المسنة .

(٤) أى إذا بلغت الفتيان كداها . والكدى : جمع كدية ، وهى الأرض الصلبة ، يقال حفر فأكدى إذا بلغ الصخر . وأنشد هذا البيت فى اللسان (كدا) وقال : « أى لا يقطع عطاءه ولا يمسك

٢٠ منه إذا قطع غيره وأمسك » .

(٥) الكبش : الرئيس ، والسيد ، والقائد .

— وجَول خيل : جَوَلان . ويقال : قطعةُ خيلٍ تجول، أى تذهب وتجىء —

ترفّع فضـلَ سابغةٍ دِلاصٍ * على خَيفانةٍ خفِـقٍ حَشاها [1]

وتسعى حينَ تشتجرُ العـوالى * بكأسِ الموت ساعةَ مُصطلاها

محـافَظَة وحَمِيَّـةً إذا ما * نبَا بالقوم من جَزَعٍ لَظاها [2]

فتتركُها قـد اشتجرتْ بطعنٍ * تضمَّنُه، إذا اختلفت، كُلاها

[هُنالك لو نزلتَ بآل صخـرٍ * قِرَى الأضيافِ شَحْناً من ذُراها [3]

فمن للضَّيف إن هبّت شَمالٌ * مُزعزِعةٌ يجاوبُهـا صَـداها

وألجـأ بردُها الأشوالَ حُدْبًا * إلى الحَجَـرات بارزةً كُلاها] [4]

أمطعِمَكم وحاملَكم تركتمْ * لدى غَـبراءَ منهدمٍ رَجاهـا

لِيَبك عليـك قومُك للمعـالى * وللهيجاءِ إنّـك ما فتـاها [5]

وقد فَوّزتَ طَلْعةَ فاستراحتْ * فليت الخيـلَ فارسُها يراها [6]

(١) الخيفانة : الفرس الخفيفة السريعة، شبهت بالخيفانة من الجراد، وهى التى تصير فيها خطوط مختلفة ببياض وصفرة .

(٢) الحمية : الحمية والغضب والأنفة .

(٣) هذا البيت وتالياه من ط، ها، مب . ذراها، أى ذرى النوق وأسنمتها .

(٤) الأشوال : جمع شول، والشول : جمع غير قياسى للشائلة ، وهى الناقة التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية فلم يبق فى ضرعها إلا شـول من اللبن ، أى بقية مقدار ما كانت تحلب حدثان نتاجها . حدبا : مقوسات من الهزال .

(٥) ما فى «ما فتاها» زائدة .

(٦) فـوّزت طلعة ، أى أهلكتها حزنا عليك . اسم فرسه ، ولم أجد لها ذكرا فيا لدى من مراجع الخيل من كتبها والمعاجم . وفى حـ : « طلحة » وهى كسابقتها . وفيا عداهمـا : « وقد وردت طليحة » .

وقال خُفَاف بن عُمير يرثى صخرًا ومعاوية ابنَىْ عمرو، ورجالًا منهم أصيبوا :

تطاول همُّــه بِبِراقِ سُــعرٍ (١) * لذِكراهمْ وأىُّ أوانِ ذِكْرِ
كأنَّ النارَ تُخرِجها ثيابى * وتدخلُ بعد نوم الناس صدرى
لَبانت تضربُ الأمثالَ عندى * على نابٍ شَرِبتُ بها (٢) وبَكْرِ
وتَنسى من أُفارقُ غيرَ قالٍ * وأصبر عنهمُ من آل عمرو
وهل تدرين أنْ ما رُبَّ خرقٍ (٣) * رُزِئتُ مُــبرَّأً بِقصاصِ وِتْرِ
أخى ثقــة إذا الضَّرَّاءُ نابت * وأهلِ حِبـاءِ أضيافٍ ونَحـرِ
كصخرٍ للسَّــرِيّة (٤) غادروه * بِذروة أو معاويةَ بنِ عمرو
ومَيْتٍ بالجَناب أثلَّ عرشى * كصخرٍ أو كعمرٍو أو كبِشْرِ
وآخَرَ بالنواصِف من هِــدامٍ (٥) * فقد أودَى وربِّ أبيك صبرى
فلم أر مثلَهــم حَيًّـا لَقَاحًا (٦) * أقامــوا بين قاصيةٍ وحَجْــرِ
أشدَّ على صُروف الدهر إدًّا * وآمَرَ منهــم فيهــا بصَــبرِ
وأكرَمَ، حين ضَنَّ الناسُ، خِيمًا (٧) * وأحمــدَ شِيمةً ونَشِيلَ قِدرِ

---

(١) سعر، قال ياقوت : « بالكسر والراء : جبل فى شعر خفاف بن ندبة . وقد ضبطت فى أصلها وهو ط، مب : « سعر » بضم السين . وفيما عداها : « سفر »، محرف .

(٢) شربت بها، أى بعتها وشربت بثمنها . قال :

تبكى على بكر شربت به * سفها تبكيها على بكر

(٣) أى أتدرين أنه رب خرق . والخرق، بالكسر : الفتى الكريم المتخرق فى الكرم، أى المتسع فيه . ما عدا ط، حـ، ها، مب : « حذق رزأت » .

(٤) السرية : قطعة من الجيش . ماعدا ط، ها، مب : « الشربة » . والشربة وذروة : موضعان .

(٥) النواصف : موضع ورد فى شعر طرفة . وأما هدام، فلم أجده . أودى، هى فى ط، مب : « إحدى » وفى حـ : « أحدى » وفى سائر النسخ : « أخذوا » .

(٦) حى لقاح، بفتح اللام : لم يدينوا للملوك ولم يصبهم فى الجاهلية سباء .

(٧) الخيم، بالكسر : الطبع . والنشيل : ما ينشل من لحم القدر .

إذا الحسناء لم ترحض يديها (١) * ولم يُقصر لها بصرٌ بستر
قروا أضيافهم رُبحاً ببحٍ (٢) * يحيىءُ بمبقرىّ الودق سُمرِ
رماح مثقّف حملت نصالا (٣) * يلُحن كأنهنّ نجوم بُفرِ
جلاها الصيقلون فأخلصوها (٤) * مواضىَ كلُّها يفرى ببترِ
همُ الأيسارُ إن لحظت جمادى (٥) * بكلّ صبيرِ سارية وقطرِ
يصدّون المغيرةَ عن هواها (٦) * بطعنٍ يفلِقُ الهامات شزرِ
تعلّمْ أنّ خير الناس طُرًّا (٧) * لولدانٍ — غداةَ الريح — غبرِ
وأرملةٍ ومعترٍّ مُسيفٍ (٨) * عديم المال، عجزةُ أمّ صخرِ

مرثية أخرى فيه — ومما رثت به الخنساء صخرا وغُنّى فيه :

صوت

أعينىّ جُودا ولا تجمُدا * ألا تبكيانِ لصخرِ الندى
ألا تبكيان الجرىء الجميلَ * ألا تبكيانِ الفتى السيّدا

(١) فى جميع الأصول : « الحنساء » صوابه فى مب واللسان .

(٢) الربح ، بالتحريك : الشحم ، أو الفصيل . والبح : قداح الميسر ، وإنما سميت بحا لرزانتها . ها : « ربحا بثبج » ما عدا ط ، حـ ، مب : « ريحا بسح » محرف . وعجز هذا البيت فى اللسان والمقاييس (بحح) : * يعيش بفضلهن الحى سمر *

(٣) فيما عدا ط ، حـ، مب : « جنت نصالا » محرف .

(٤) ويروى : * خفافا كلها يتقى بأثر *

(٥) الأيسار : جمع يسر ، بالتحريك ، وهم الذين يقتسمون بالميسر .

(٦) المغيرة : يعنى الخيل والفرسان المغيرة . والطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال .

(٧) غداة الريح : أى حين تهب رياح الشتاء . ماعدا ط ، حـ، ها ، مب : « بنو عمرو غداة الريح تجرى » محرف .

(٨) المعتر : المتعرض للمعروف من غير أن يسأل . والمسيف : الفقير المعدم . عجزة أم عمرو ، أى آخر ولد ولد لها ، وهو بكسر العين . وعجزة خبر « أن » فى البيت قبله .

طويلُ النِّجادِ رفيعُ العما * دِ ساد عشيرتَه أمْرَدا
إذا القومُ مَدُّوا بأيديهمُ * إلى المجد مَدَّ إليه يدا
فنال الذى فوقَ أيديهمُ * من المجد ثمَّ مضى مُصْعِدا
يحمِّلُه القومُ ما عالَهم * وإن كان أصغرَهمْ مَولِدا
٥ ترى المجدَ يهوِى إلى بيته * يرى أفضلَ المجد أن يُحمَدا
وإن ذُكِر المجدُ ألفيتَه * تأزَّرَ بالمجد ثمَّ ارتَدَى

خبر مقتل معاوية أخى الخنساء

ونذكر الآن هاهنا خبرَ مقتل معاوية بن عمرو أخيهما، إذْ كانت أخبارهما وأخبارها يدعو بعضُها إلى بعض .

قال أبو عبيدة : حدّثنى أبو بلال بن سهم بن عباس بن مرداس بن أبى عامر
١٠ ابن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بُهثة بن سليم بن منصور قال :

غزا معاوية بن عمرو أخو خنساء، بنى مرة بن سعد بن ذبيان وبنى فزارة ، ومعه خُفَاف بن عمير بن الحارث، وأمه « نُدبة » سوداء، وإليها ينسب، فاعتوره هاشمٌ ودريد ابنا حَرملة المرِّيّان . قال ابن الكلبيّ : وحرملة هو حرملة بن الأسعر ابن إياس بن مُرَيطة بن ضَمرة بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان . قال أبو عبيدة :
١٥ فاستطردَ له أحدُهما ثم وقف، وشدَّ عليه الآخرُ فقتلَه، فلما تنادَوْا : قُتِلَ معاوية ! قال خُفاف : قتلنى الله إنْ رِمتُ حتّى أثأرَ به ! فشدَّ على مالك بن حِمارٍ الشمخى ، وكان سيد بنى شَمْخ بن فزارة، فقتله — [قال : وهو مالك بن حمار بن حزن بن عمرو ابن جابر بن عَقيل بن هلال بن مازن بن فزارة](1) — فقال خفاف فى ذلك :

١٤١/١٣

فإنْ تكُ خيلى قد أُصيبَ صميمُها * فعَمْدًا على عَينٍ تيممتُ مالكا

(1) التكملة من ط، ها فقط .
٢٠

يعنى مالك بن حمار الشَّمْخى .

قال أبو عبيدة : فأجمل أبو بِلالٍ الحديث .

قال : وأما غيره فذكر أنّ معاوية وافَى عكاظَ فى موسم من مواسم العـرب ، فبينا هو يمشى بسُوق عُكاظ ، إذ لقِى أسماءَ المرّيّة ، وكانت جَميلةً ، وزعم أنّها كانت بغيًّا ، فدعاها إلى نفسه فامتنعَتْ عليـه وقالت : أمَا علمتَ أنِّى عند سـيِّد العرب هاشم بن حَرمَلة ؟ ! فقـال : أمَا والله لأُقارعنَّه عَنْـك . قالت : شأنَكَ وشأنَه . فرجعَتْ إلى هاشم فأخبرته بمـا قال معاوية وما قالت له ، فقال هاشم : فلعَمـرِى لا يَرِيم أبياتَنا حتّى ننظر ما يكون من جَهـده . قال : فلما خرجَ الشهرُ الحـرام وتراجَعَ الناس عن عكاظ ، خرج معاويةُ بن عمرو غازيًا يريد بنى مُرّة وبنى فزارة ، فى فرسانٍ أصحابه من بنى سُلَيم ، حتى إذا كان بمكانٍ يُدعَى الحَوْزة أو الجَوزة — والشك من أبى عبيدة — دَوَّمَتْ(١) عليـه طيرٌ وسنَح له ظبىٌ ، فتطيرَّ منهما ورجَع فى أصحابه ، وبلغ ذلك هاشمَ بن حَرملة فقال : ما منَعـه من الإقدام إلّا الجُبن ! قال : فلما كانت السنة المقبلة(٢) غزاهم ، حتّى إذا كان فى ذلك المكان سنح له ظبى وغراب فتطيَّر فرجع ، ومضى أصحابُه وتخلف فى تسعةَ عشر فارسًا منهم لا يُريدون قتالا ، [إنمـا تخلّفَ عن عُظْم الجيش راجعًا إلى بلادِه](٣) ، فوردوا ماء وإذا عليه بيتُ شَعر ، فصاحوا بأهله فخرجَتْ إليهم امرأةٌ فقالوا : [ما أنتِ](٣) ممن أنتِ ؟ قالت : امرأةٌ من جُهينة ، أحلاف لبنى سهم بن مُرة بن غطفان . فوردوا المـاءَ يَسقُون ، فانسلَّتْ فأتت هاشمَ بن حَرملة ، فأخبرتْه أنّهم غير بعيد ، وعَرَّفتـه عِلّتَهم وقالت : لا أرى إلّا معاوية فى القوم . فقال : يالَكَاعِ ، أمعاويةَ فى تسعةَ عشر

(١) التدويم : التحليق . ط ، مب : « رزمت » بـ : « ورمت » الأخيرة محرفة .
(٢) ط ، ها : « فلما كان فى السنة » .
(٣) التكملة من ط ، بـ ، ها ، مب .

رجلًا ، شبّهتِ أو أبطَلْتِ . قالت : بل قلتُ الحــقّ ، ولئن شئتَ لأَصِفنّهم لكَ رجلًا رجلا . قال : هاتى .

قالت : رأيت فيهم شاباً عظيم الجُمّــة ، جبهتُه قد خرجَتْ من تحت مِغفره ، صبيحَ الوجه، عظيمَ البطن، على فرسٍ غَرّاء . قال : نعم هذه صفتُه . يعنى معاويةَ وفرسَه الشّمّاء .

قالت : ورأيتُ رجلًا شــديد الأُدْمة شاعرًا يُنشِدهم . قال : ذلِك خُفاف ابن عمير .

قالت : ورأيتُ رجلًا ليس يبرح وَسْطَهم، إذا نادَوْه رفَعوا أصواتهم . قال : ذاك عباسٌ الأصمّ .

قالت : ورأيتُ رجلًا طــويلا يكنّونه أبا حبيب ، ورأيتُهم أشــدّ شيء له توقيرا . قال : ذاك نُبَيشة بن حبيب .

قالت : ورأيت شاباً جميلًا له وَفرةٌ حسَنة . قال : ذاكَ العباس بن مرداس السّــلَمىّ .

قالت : ورأيتُ شيخًا له ضَفيرتان، فسمعته يقولُ لمعاوية : بأبى أنتَ أطلتَ الوقوف ! قال : ذاكَ عبد العُزّى زوج الخنساءِ أخت معاوية .

قال : فنادى هاشمٌ فى قومه وخرج، وزعم المرّى[1] أنه لم يخرج إليهم إلا فى مثل عِدّتهم من بنى مرة . قال : فلم يشعر السُّلميون حتّى طلعوا عليهــم ، فثاروا إليهم فلقُوهم فقال لهم خُفاف : لا تنازلوهمْ رجلًا رجلا؛ فإنّ خيلَهم تثبُت للطّراد وتحمل ثِقْل السلاح ، وخيلَكم قد أمَنَّهَا[2] الغزوُ وأصابها الحفَا .

(١) ما عدا ط ، جـ ، ها، مت : « وزعم أن المرى » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ط ، جـ . وأمنها إمنانا : أضعفها وأعياها . وهذه رواية ط ، جـ ، مب ، وفى ها : « منها » ومعناه كالسابق . وفى سائر النسخ : « قد أنهكها » .

قال : فاقتتلوا ساعةً وانفرد هاشم ودريدٌ ابنا حرملة المريان لمعاوية، فاستطرد له أحدُهما فشدّ عليـه معاويةُ وشَغَله، واعْتَرّه الآخَرُ فطعنه فقتَله. واختلفوا أيُّهما استطرد له وأيهما قتـله، وكانت بالذى استطرد له طعنـةٌ طعنَهُ إياها معـاوية.

ويقال : هو هاشم. وقال آخرون : بل دريد أخو هاشم.

شعر خفاف فى ذلك ١٤٢ / ١٣

قال : وشدّ خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد[1] على مالك بن حمار سـيِّد بنى شَمْخ بن فَزارة فقتله. وقال خفاف فى ذلك وهو ابن نُدبة، وهى أمَـةٌ سوداءُ كانت سباها الحارث بن الشريد حين أغار على بنى الحارث بن كعب [فوهبها لابنه عُمير فولدت له خفافا. ويقال فى نُدبة[2] إنّها ابنة الشيطان بن بنان، من بنى الحارث ابن كعب. فقال] :

أقـولُ له والرمحُ يأطِرُ مَتْنَـهُ[3] * تأمّـلْ خُفـافًا إننى أنا ذلكا

وقفتُ له جَلْوَى[4] وقد خامَ صُحبتى * لأبنىَ مجـدًا أو لأثأر هالكا

لَدُن ذرّ قرنُ الشّمس حين رأيتُهم * سراعًا على خيـلٍ تؤمُّ المسالكا

فلمّـا رأيتُ القوم لا وُدّ بينهـمْ * شَريجَين[5] شَـتّى طالبًا ومُواشِكا

(١) بعد هذا فى ط، بج، ها، مب : «وهو ابن ندبة وهى أمة سـوداء كان سباها الحارث بن الشريد حين أغار على بنى الحارث بن كعب فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافا، فشد خفاف». وقد ورد صدر هذه العبارة إلى كلمة «كعب» فى سائر النسخ فى الموضع التالى، فأثبتها هناك، وجعلت بقيتها تكملة هناك.

(٢) التكملة إلى هنا من بقية العبارة التى وردت متقدمة فى ط، بج، ط، ها، مب. وما بعدها جاء فى أصله، وهو ط، بج، ها مباشرا لكلمة «بنى الحارث بن كعب».

(٣) يأطره : يعطفه ويثنيه. وفعله من باب نصر وضرب.

(٤) جلوى : اسم فرسه. هذا ما فى ها. وفى سائر النسخ : «علوى». خام : جبن. ط، بج : «نام».

(٥) شريجان : ضربان. المواشك : السريع.

تيممتُ كبشَ القومِ حتى عرفتُه * وجانبتُ شُبّانَ الرجالِ الصعالكا

فجادت له يُمنى يَدَىَّ بطعنةٍ * كستْ متنَه من أسودِ اللونِ حالكا

أنا الفارسُ الحامى الحقيقةِ والذى * به أُدرِكُ الأبطالَ قِدماً كذلكا

فإنْ ينجُ منها هاشمٌ فبطعنةٍ * كستْه نجيعاً من دمِ الجوفِ صائكا

٥ فحقّق خفافٌ فى شعره أنّ الذى طعن معاويةَ هو هاشمُ بن حرملة .

رثاء الخنساء لأخيها معاوية

وقالت الخنساء ترثى أخاها معاوية :

ألا لا أرى فى الناس مثلَ معاويهْ * إذا طرقتْ إحدى الليالى بداهيهْ

بداهيةٍ يُصغِى الكلابَ حسيسُها * وتُخرِجُ من سِرِّ النجىِّ عَلانيه[1]

ألا لا أرى كفارسِ الوَرْدِ فارسًا * إذا ما علَتْهُ جُرأةٌ وغَلابيه[2]

١٠ وكان لِزازَ الحربِ عند شُبوبِها * إذا شمّرت عن ساقِها وهى ذاكيه[3]

وقوّادَ خيلٍ نحوَ أخرى كأنّها * سَعالٍ وعِقبانٌ عليها زَبانيه[4]

بلينا وما تبلَى تِعارُ وما تُرى * على حدثِ الأيامِ إلا كما هيه[5]

فأقسمتُ لا ينفكُّ دمعى وعَولتى * عليكَ بحزنٍ ما دعا اللهَ داعيه

---

(١) يصغيها : يجعلها تميل رأسها وأذنها للتسمع . وفى أمثالهم : «شر أهر ذا ناب» . والكلاب
١٥ حس صادق بالعدو ، تنذر قومها إذا شعرت به . والحسيس والحس : الحركة .

(٢) الورد : فرسه . ما عدا ط ، جـ، ها : «كالفارس الورد» . الغلابية : القهر والغلبة .
وفى الأصول ما عدا «ها» علانية .

(٣) لزاز الحرب ، أى ملازم لها موكل بها .

(٤) سعال : جمع سعلاة ، وهى الغول .

٢٠ (٥) تعار ، بالكسر : جبل فى بلاد قيس . وأنثها على أنها جبال .

مرثية أخرى لها فى معاوية

وقالت الخنساء فى كلمة أخرى ترثيه أيضا :

ألَا ما لعينيك أمْ مالهَا * لقد أخضَلَ الدمعُ سربالهَا
أبعد ابنِ عمرٍو منَ آل الشريـ * ـد حلَّت به الأرضُ أثقالها
وأقسمتُ آسَى على هالكٍ * وأسألُ نائحـةً مالهَا
سأحمـلُ نفسى على آلةٍ * فإمّا عليهـا وإمّا لهـا
نُهِينُ النفوسَ وهُون النُّفو * سِ يومَ الكريهة أبقَى لهـا
ورجراجةٍ فوقَهـا بيضُهـا * عليها المضاعَفُ زِفنًا لهـا (١)
كَكِرْفِئة الغَيث ذاتِ الصَّبِيـ * ـرِ ترمى السحابَ ويرمَى لها
وقافيـةٍ مثـلِ حدِّ السِّنا * نِ تبقَى ويَهلِكُ مَن قالهـا
نطقتَ ابنَ عَمرو فسهَّلتَهَـا * ولم ينطِق الناسُ أمثالهَـا
فإن تـكُ مُرَّةُ أودَتْ به * فقـد كان يُكثر تقتالهـا
فزالَ الكواكبُ مِن فَقدِه * وجُلِّلت الشمسُ أجلالها
وداهيـةٍ جَرَّها جارمٌ * تُبيل الحَواصنَ أحبـالهَا (٢)
كفاها ابنُ عمرٍو ولم يَستعِنْ * ولو كان غيرُك أدنى لهـا
وليس بأَولَى ولكنّـه * سيَكفى العشيرةَ ما عالهـا (٣)

١٤٣
١٣

(١) الرجراجة : الكتيبة تضطرب فى سيرها لكثرتها . المضاعف ، أى الحديد المضاعف من نسج الدروع ونحوها . زاف يزيف : أسرع .

(٢) الحواصن من النساء : الحبالى . وبعجز هذا البيت استشهد فى اللسان (حصن) . والأحبال : جمع حبل ، بالتحريك ، وهو حمل المرأة . أراد أن تلك الداهية تفزع الحبالى فيسقطن الأجنة . ماعدا ط ، حـ ، مب : « تبين الحواصن أحمالها » لكن فى ها : « تبيل الحواضن أحبالها » محرف .

(٣) ط ، جـ ، ها ، مب : «ما نالها» وفى سائر النسخ : « ما غالها » وتفسير أبى الفرج فيما سيأتى يقتضي أن تكون « ما عالها » .

بمعتَرَكٍ ضَيِّق بينَـه * تجُرُّ المنيـةُ أذيالَهَـا

وبيض مَنعتَ غداة الصِّبا * ح تكشف للرَّوع أذيالَهـا (١)

ومُعمَـلةٍ سـقتَها قاعـدًا * فأعلمت بالسيف أغفالَهَـا (٢)

وناجيـةٍ كأتانِ الثَّمِيـ * ـلِ غادرت بالخَلِّ أوصالها (٣)

[إلى مَلِكٍ لا إلى سُـوقة * وذلك ما كان إعمالَهَـا] (٤)

وتمنح خيلَك أرضَ العدوِّ * وتَنبِـذُ بالغَزْو أطفالَهَـا

ونَوحٍ بعثتَ كمثـل الإرا * خ آنسَتِ العِينُ أسبالَها (٥)

تفسير هذه المرثية

التفسير، عن أبي عبيدة :

قـوله حلَّت به الأرض ، قال بعضهـم : حلت من الحليـة أى زيَّنت به الأرضُ موتاها، حين دفن بها . وقال بعضهم : حَلَّت من حللت الشيء . والمعنى ألقت مَراسِيهَا ، كأنَّه كان ثِقلًا عليها . قال : اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبر، كما قال جرير :

ألستم خيرَ مَن رِكبَ المطايا * وأندَى العالَمِين بطونَ راحِ

(١) الصباح : الغارة صبحا . ما عدا ط ، جـ ، ها ، مب : « الصياح » .

(٢) ط ، جـ، ها ، مب: «ومعلمة» والتفسير التالى يقتضى ما أثبت من سائر النسخ . والأغفال : جمع غفل ، بالضم ، وهى التى لا سمة عليها .

(٣) الناجية : الناقة السريعة . والأتان : الصخرة . ما عدا ط ، جـ، ها ، مب : « لاتيات الثميل » محرف .

(٤) التكملة من ط ، ها .

(٥) النوح ، بالفتح ، عنى بهن النساء يجتمعن للحزن مما أصابهن من ثكل . والإراخ ، بالكسر : جمع إرخ ، بكسر الهمـزة وفتحها ، وهى البقر أو البكر منها . آنست : أبصرت . والعين ، بالكسر : جمع عيناء الواسعة العينين . والأسبال : جمع سبل ، بالتحريك ، وهو المطر .

قال : جوابُ « أَبْعَدَ » فى « آسى » أى أبعد ابنِ عمرو آسى وأسأل نائحةً مالها . [وقال أبو عبيدة : هـذا البيت لمية بنت ضِرار بن عَمرو الضَّبيّة ترثى أخاها][1] .

قال أبو الحسن الأثرم : سمعت أبا عمرو الشيبانى يقول : أمور النـاس جاريةٌ على أذلالها، أى على مسالكها، واحدها ذِلّ[2] . آلة : حالة . تقول : فإما أن أموت وإما أن أنجو . ولو قالت [على آلَةٍ][3] لم تنج؛ لأن الآلة هى الحَرْبَة .

همت بنفسى، قال أبو عبيدة : هذا توعد . قال الأصمعى: « كلَّ الهموم » . قال الأثرم : كأنها أرادت أن تقتل نفسها[4] .

أبو عبيدة، التكدس: التتابع، يتبع بعضها بعضا، أى يغزو ويجاهد فى الغزو، كما تتوقّل الوعولُ فى الجبال، عن أبى عبيدة . قال الأصمعى : التكدُّس : أن تحرِّك مناكبها إذا مشَتْ وكأنّهـا تنصبُّ إلى بين يديها، وإنمـا وصفَتْها بهذا . تقول : لا تسرع إلى الحرب، ولكنْ تمشى إليها رويدا . وهذا أثبتُ له من أن يلقاها وهو يركض . ويقال: جاء فلان يتكدّس، وهى مِشيةٌ من مَشْىِ الغِلاظ القِصار . وقال أبو زياد الكلابىّ : الكُدَاس[5] : [عُطَاس] الضأن . قال السُّلَمى : التكدُّس : تكدس الأوعال، وهو التقحُّم . والتكدس هو أن يرمى بنفسه رمياً شديدا فى جريه .

---

(١) هذه التكلة من ط .

(٢) هذا تفسير لبيت لم يروه أبو الفرج، وهو :

لتجرِ المنيــــة بعد الفتى الـ * ـمغادر بالمحــــو أذلالهـا

وقد سبق التنبيه على مثل هذا ص ٨٢ حيث يرد التفسير لما لم ينشده أبو الفرج .

(٣) بهذه التكلة يلتئم الكلام . ولم ترد فى نسخة من النسخ .

(٤) وهذا أيضا تفسير لبيت لم يروه أبو الفرج، وهو :

همت بنفسى كل الهمـوم * فأولى لنفسى أولى لهـا

(٥) التكلة من ط، ها، مب .

نُهِين النفوس ، تريد غداةَ الكريهة . وقولها : «أبقى لها» لأنها إذا تذامرت[1] وغشيت القِتالَ كان أسلمَ لها من الانهزام . كقول بِشْر بنِ أبى خازم :

ولا يُنجى من الغَمَرات إلّا * بَراكاءُ القِتالِ أو الفِرارُ

قال بعضهم : أبقَى لها فى الذِّكر وحُسن القول . والرجراجة : التى تتمخَّض من كثرتها . وقال الأصمعى : الكِرفِئة ، وجمعها كِرفِئٌ : قِطعٌ من السحاب بعضها فوقَ بعض . وقوله : « ترمى السحاب » أى تنضمُّ إليه وتتَّصل به . ويرمى لها ، أى ينضمُّ إليها السَّحاب حتى يستوىَ . مثل حدِّ السنان ، لأنها ماضية . سَهْلتها : جئتَ بها سهلة . وجُلِّلت الشمس ، أى كَسَفت الشمسُ وصار عليها مثل الجُلّ . تُبِيل[2] الحواصن ، وهى الحواملُ من النِّساء ، أولادَها من شدّة الفزع . أى ما كان وَلِيَها ولا دَنا إليها ، ولكنّه يكفى القريب والبعيد . ما عالها[3] ، قال أبو عمرو : عالها : غلبها . وقال أبو عبيدة : يقال إنّه ليعولنى ماعَالَك ، أى يهمُّنى ما غمّك . ويقال : افعلْ كذا وكذا ولا يَعُلْكَ أن تأتىَ غيرَه ، أى لا يُعجِزْك . ويقال : قد يعولك أن تفعلَ كذا ، أى قد دنا لك أن تفعل ذلك . وأنشد :

ضربًا كما تَكَدَّسُ الوُعولُ * يَعُول أن أُبِيطَها يَعُـول

(١) تذامرت : تحاضت وحث بعضها بعضا على القتال . ط ، سه ، مب : «عامرت» ها : «عامرت» .

(٢) كلمة «تبيل» ساقطة من ط . وبدلها فى جـ : «تلق» وفى سائر النسخ : «تبين» ، وأثبت ما يقتضيه نص الشعر .

(٣) وردت هذه الكلمة ومشتقاتها فى سائر النسخ بالغين المعجمة ، والصواب إهمالها .

أى قد دنا ذلك . ويقال : عال كذا وكذا منك ، أى دنا منك . ويروى : «وليس بأدنى ولكنّه» . وقولها معملة[(١)] : إبل . وقولها : قاعدًا ، أى على فرسك . قال النابغة :

* قُعودًا على آل الوجيهِ ولاحقٍ[(٢)] *

والأغفال : ما لا سِمةَ عليها، واحدها غُفل. [والأثان : الصخرة. و][(٣)] الثميل: بقيّة الماء فى الصخرة . والخَلُّ : الطريق فى الرمل . يقول : أعيَتْ فتركتَها هنالك . ويروى :

* غادرتَ بالنَّخْل أوصالها *

قال الأصمعىّ : ناجية : سريعة . ويروى: «إلى ملك وإلى شانئٍ». تقول : تقود خيلك إلى ملك أو عدو. ويروى : «[ما كان][(٤)] إكلالها» . [ما صلة][(٥)]. الإراخ: بقر الوحش . تقول : خرجت من بيوتهن كما خرجت هذه البقرُ من كُنُسها فرحًا بالمطر . ومثله فى الفرح بالمطر لابنِ الأحمرِ قولُه :

مارِيّةٌ لُؤلُؤانُ اللونِ أوردَها * طَلٌّ وبَنَّسَ عنها فَرقَدٌ خَصِرُ[(٥)]

---

(١) ط ، حـ ، مب : «وقولها معلمة ، معلمة» . وانظر ما سبق فى ٩٣ .

(٢) صدر بيت له فى ديوانه ٥٦ . وعجزه :

* يقيمون حولياتها بالمقارع *

(٣) التكملة من ط ، ها ، مب .

(٤) التكملة من ها .

(٥) المارية : البقرة الوحشية ، والمارية : البراقة اللون . لؤلؤان اللون أراد لؤلؤيته : براقته . وبنس عنها ينبيسا : تأخرعنها . والفرقد : ولدها . والخصر: الذى لحقه البرد . والبيت فى اللسان (لألأ ، بنس ، مرا) .

أى قوّى أنفسَها المطرُ، لما رأته . ومثله :

ألا هَلكَ امرؤٌ قامتْ عليـه * بجَنْب عُنيزةَ البقــرُ المجودُ[1]

أى لم يقرَنّ فى البيوت فتستُرهنّ البيوتُ، بل هُنّ ظَواهرُ . و إنما شبه اجتماعَ هؤلاء النساءِ باجتماع العِين وخُروجِهنّ للطر . قال : و بقَر الوحش تفرح بالمطر .

وثاء دريد لمعاوية

٥ وقال دُريدٌ يرثى معاوية أخا الخنساء، لمّا قتلتْه بنو مرة :

ألا بَكرتْ تلومُ بغـير قـدْرِ * فقد أحْفَيتِنى ودخلتِ سِترِى[2]

فإنْ لم تَترُكى عَذَلى سَـفَاهًا * تَلُمْكِ علىّ نفسُـكِ أىَّ عصرِ

أسَرَّكِ أن يكونَ الدهرُ هدًّا[3] * علىّ بشَرِّه يغـدو ويسرى

وألّا تُرزَئى نفسًا ومالا * يضرُكِ هُلكُه فى طُولِ عمرى

١٠ [فقد كذَبتْكِ نفسُكِ فاكذبيها * فإنْ جزَعٌ وإن إجمالُ صبرِ[4]

و إنّ الرزء يومَ وقفتُ أدعو * فلم أُسمِع مُعاويةَ بنَ عمروِ]

رأيتُ مكانَه فعرَضتُ بَـدْءًا * وأىُّ مَقِيـلِ رُزْءٍ يا ابنَ بكرِ

إلى إرَمٍ وأحجـارٍ وصِـيرٍ * وأغصانٍ من السَّلَماتِ سُمرِ

(١) البيت لامرأة من بنى حنيفة فى المفضليات (٢ : ٧٣ طبع المعارف) . وفى جميع النسخ :

١٥ «المجون» تحريف . عنيزة : قرى بالبحرين . حـ : «بعيب» تحريف، وأثبت ما فى ط والمفضليات . وفى سائر النسخ : « بخيف » ، والخيف بالفتح : الناحية .

(٢) أحفاه : ألح عليه فى المسألة . ما عدا ط، مب « أخفيتنى » لكن فى ها : « أحفظتنى » . تحريف .

(٣) هذا ما فى ها . وفى سائر النسخ : « يبدا » .

٢٠ (٤) ويروى : « فان جزعا وإن إجمال صبر » بالنصب . الخزانة (٤ : ٤٤٢) . وهذا البيت وما بعده من ط، ها، مب فقط .

— صِيَر، الواحدة صِيرة، وهى حظيرة الغنم . وقوله : وأغصان من السلمات، أى أُلقِيتْ على قبره —

وبُنيان القبـــور أتى عليهـا * طَوالُ الدّهر من سنة وشهرِ
ولـو أسمعته لَسَرى حثيثـا * سَريعَ السّعى أو لأتاك يجرى
بشـكّةِ حازمٍ لا عيبَ فيـه * إذا لبِسَ الكُماةُ جلودَ نُمْـرِ

— أى كأنّ ألوانَهم ألوانُ النمور، سوادٌ و بياض من السلاح . عن أبى عبيدة —

فإمّا تمس فى جَـــدَثٍ مقيمًا * بمَسْهَكَةٍ من الأرواح قَفرِ (١)
فعـزٌّ علىّ هُلكُكَ يا ابنَ عمرٍو * ومالى عنـكَ من عَزْمٍ وصبرِ

لقاء صخر لابنى حرملة

١٤٥ / ١٣

قال أبو الحسن الأثرم : فلمّا دخل الشهر الحرام — فيما ذكر أبو عبيدة عن [أبى] (٢) بلال بن سهم — من السَّنة المقبلة، خرجَ صخرُ بن عمرو حتّى أتى بنى مرة بن عوف ابن ذبيان، فوقف على ابنَىْ حرملة، فإذا أحدُهما به طعنةٌ فى عَضُده — قال : لم يسمّه أبو بلال بن سهم . فأمّا خُفاف بن عُمير فزعم فى كلمته تلك أنّ المطعون هاشم — فقال : أيُّكما قَتل أخى معاويةَ ؟ فسكتا فلم يُحيرا (٣) إليه شيئا، فقال الصّحيح للجريح : مالكَ لا تُجيبه ؟ فقال : وقفتُ له فطعنَنى هذه الطعنةَ فى عضدى، وشدّ أخى عليه فقتلَه، فأيُّنا قَتلتَ أدركتَ ثأرَك، إلّا أنا لم نَسلُبْ أخاك . قال : فما فعلَتْ فرسُه الشّمّاء ؟ قال : ها هِى [تلك] (٤) خُذْها (٥) . فردّها عليه فأخذَها ورجع ، فلمّا أتى صخرٌ

(١) المسهكة : ممر الريح . سهكت الريح : مرت مرا شديدا . وهذا الصواب من ط، ها، مب . وفى سائر النسخ : « بمسهلة » . (٢) تكملة من ها .

(٣) لم يحيرا : لم يرجعا ولم يردا . وهـذا ما فى ط، ء، م، ها، مب . وفى سائر النسخ : « فلم يحيراه شيئا » . (٤) التكملة من مب .

(٥) هذا ما فى ط، ها، مب . وفى ء، م : « فرد عليه » . وفى سائر النسخ : « فرد عليها » .

قومه قالوا له : اهجُهُم . قال : إنَّ ما بيننا أجلُّ من القَذَع، ولو لم أكْفُفْ نفسى إلّا رغبةً عن الخَنَا لفعلت .

شعره فى ذلك

وقال صخرٌ فى ذلك :

وعاذلة هَبَّتْ بليـــل تلومنى * ألا لَا تلومينى كَفَى اللومَ ما بيا

٥ — قال: أراد تباكره باللوم، ولم يرِدِ الليلَ نفسه، إنّما أراد عجلتَها عليه باللوم، كما قال النمر بن تَولب العُكْلىّ :

* بَكَرَتْ باللَّوم تلحانا *

وقال غيره : تلومه بالليل لشغله بالنهار عنها بفعل المكارم، والأضياف، والنظر فى الحَمَالات وأمورِ قومه، لأنّه قِوامهم[1] —

١٠ تقـولُ ألا تهجو فَـوارسَ هاشم * ومالىَ إذْ أهجـوهمُ ثم ماليـا

أبَى الشتمَ أنّى قد أصابوا كريمتى * وأنْ ليس إهداءُ الخَنَا من شِماليا[2]

— [أى من شمائلى . ويروى : « من فِعَاليا »][3] —

إذا ذُكِر الإخوانُ رقرقتُ عبرةً * وحَيَّيتُ رمسًا عند لِيَّـةَ ثاويا[4]

إذا ما امرؤٌ أهدَى لميت تحيّـةً * فحيّـاكَ ربُّ النـاس عنّى معاوِيا

١٥ وهوّنَ وجدِى أنّنى لم أقـلْ له * كذبتَ ولم أبخلْ عليه بمـاليا

فنعمَ الفـتى أدّى ابن صِرمةَ بزّه * إذا الفحلُ أضحَى أحدبَ الظّهرِ عاريا

(١) يقال : هو قوام أهل بيته وقيامهم، أى الذى يقيم شؤونهم . وهذه رواية ط، ها، مب . وفى حـ : « قدامهم » وسائر النسخ : « قد رأسهم » .

(٢) كذا فى ط، حـ، ها، مب وهو ما يقتضيه التفسير بعد . وفى سائر النسخ : « من سمائيا » .

٢٠ (٣) التكلة من ط، ها، مب فقط .

(٤) رقرقت على الصواب فى ط، ها، مب وفى سائر النسخ : « قرقرت » . ولية بالكسر : موضع بالطائف .

قال أبو عبيدة : ثم زاد فيها بيتا بعد أن أوقع بهم، فقال :

وذى إخوة قطّعتُ أقرانَ بينهم * كما تركونى واحـدًا لا أخاليـا (١)

غزو صخر لبنى مرة

قال أبو عبيدة : فلما كان فى العام المقبل غَزاهم وهو على فرسه الشّمّاء، فقال : إنى أخاف أن يعرفونى و يعرفوا غُرّة الشّماء، فيتأهّبوا . قال : فحمّم غُرّتها (٢) . قال : فلما أشرفتْ على أدنى الحىّ رأوها . فقالت فتاةٌ منهم : هذه والله الشّمّاء ! فنظروا فقالوا : الشماء غَرّاءُ وهذه بَهِيم ! فلم يشعروا إلّا والخيل دوائس (٣)، فاقتتلوا فقتل صخر دريدا، وأصاب بنى مرة فقال :

ولقد قتلتُكمُ ثُنـاءَ ومَوحَـــدًا * وتركتُ مُرّةَ مثل أمسِ المُدْبِرِ (٤)

— قال الأثرم : مثنى وثناء لا ينونان . قال ابن عَنَمة الضَّبّىّ :

* يُباعُون بالنُّغران مَثْنَى ومَوحدا (٥) *

لا ينوّنان لأنّهما مما صُرِف عن جهته ، والوجه أن يقول : اثنين اثنين . وكذلك ثُلاث ورُباع . قال صخر [الغىّ] (٦) :

مَنتْ لكَ أن تلاقيَنى المنـايا * أُحادَ أُحادَ فى الشهر الحـــلالِ (٧)

(١) الأقران : الحبال ، عنى بها الصلات ، وهو كناية عن القتل . ماعدا ط ، ها ، مب : «أفراق» تحريف . (٢) حممها : سودها .

(٣) كذا فى ط و ــ ، ها وهو جمع دائس . وفى سائر النسخ : « دواس » بمعناه .

(٤) روى فى اللسان (ثنى) : « مثل أمس الدابر » ، والصواب « المدبر » . والبيت ثان سينشده أبو الفرج بعد قليل . وقد نبه ابن منظور فى اللسان (دبر) على هذا الصواب .

(٥) ــ : « بالبعران » جمع بعير . وفى ط ، مب : « بالنغران » وفى ــ أيضا : « وواحدا » .

(٦) التكملة من ها . والصواب أنه امرؤ ذى الكلب الكاهلى ، وكان جارا لهذيل . والبيت الثانى من قصيدة له فى ديوان الهذليين ٣ : ١١٣ مطلعها :

ألا قالت غزية إذ رأتنى * ألم تقتل بأرض بنى هلال

(٧) صواب الرواية من ط ، مب مطابق لما فى ديوان الهذليين واللسان (منى) . وفى سائر النسخ : « الحرام » . منت لك المنايا ، أى قدرت لك الأقدار والأحداث .

١٤٦
١٣

قال : ولا تجاوز العرب الرُّبَاع ، غير أنَّ الكميت قال :

فـلم يَسترِيثُوكَ حـتّى رمِيـ * ـتَ فوقَ الرجال خصالًا عُشَارا[1]

ولقـد دفعتُ إلى دُريدَ بطعنةٍ * نجلاءَ تُزْغِل مثـلَ عطِّ المنحرِ[2]

تُزغِل : تخرج الدم قِطَعًا قطعا . قال : والزُّغلة : الدُّفعة الواحدة من الدم والبول . قال :

* فأزغلَتْ فى الحلقِ إزغالةً[3] *

شعر صخر فيمن قتل من بنى مرة

وقال صخر أيضا فيمن قتل من بنى مُرّة :

قتلتُ الخـالدَين به وبشـرًا * وعمـرًا يوم حـوزةَ وابنَ بشرِ

ومِن شَمْخ قتلتُ رجالَ صِـدقٍ * ومن بدر فقـد أوفيت نذرى[4]

ومُرّةُ قـد صَبَحناها المنـايا * فروَّيْنا الأسـنّةَ ، غيرَ فخـرِ

ومِن أفنـاءِ ثعلبـةَ بنِ سـعدٍ * قتـلت ومـا أبِئْهـمُ بـوترِ[5]

ولكنّا نُريد هـلاكَ قـومٍ * فنقتلُهم ونشـريهمْ بكَسرِ[6]

(١) لم يستريثوك : لم يجدوك رائثا ، أى بطيئا ، من الريث ، وهو البطء . رميت ، أى زدت ؛ يقال : رمى على الخمسين وأرمى ، أى زاد . خصالا ، هذا هو صواب الرواية ، كما فى اللسان (عشر) والخزانة (١ : ٨١) . وفى ط ، ها ، مب : « جمالا » ، وسائر النسخ : « نحالا » .

(٢) العط : الشق . والمنحر : موضع النحر من الدابة . ما عدا ط ، س ، ها ، مب : « مثل غط المنخر » تحريف .

(٣) هذا ما فى ط ، ها ، مب . وفى سائر النسخ : « إزغالها » محرف . فى اللسان ومقاييس اللغة (زغل) : « فى حلقه زغلة » . والبيت لابن أحمر ، وعجزه :

* لم تخطئ الجيـد ولم تشفتر *

(٤) شمخ وبدر : قبيلتان . ما عدا ط ، ها ، مب : « سمح » محرف .

(٥) أفناء القبائل : أخلاطها . ويقال : أبأت فلانا بفلان : قتلته به .

(٦) الكسر ، بالفتح : أخس القليل . قال ذو الرمة :

إذا مرئىٌ باع بالكسر بنتـه * فما ربحت كف امرئ يستفيدها

وقال صخر أيضا :

ألا لا أرى مُستعتِبَ الدّهرِ مُعْتِبَا * ولا آخِذٌ منه الرضا إنْ تَغَضَّبا (١)

وذى إخوةٍ قطّعتُ أقرانَ بينهم * إذا ما النُّفوسُ صِرنَ حَسرَى ولُغَّبا (٢)

أقولُ لرمسٍ بين أجراعِ بِيشةٍ * سقاكَ الغوادى الوابلَ المتحلِّبا (٣)

لَنِعمَ الفتى أدّى ابنُ صِرمةَ بَزَّه * إذا الفحلُ أمسى عارىَ الظهرِ أحدبا ٥

لقاء قيس بن الأصور لهاشم ابن حرملة

قال أبو عبيدة : ثم إنّ هاشم بن حرملة خرج غازيًا ، فلما كان ببلاد جُشَم بن بكر ابن هَوازن نزل منزلًا وأخذ صُفُنًا (٤) وخلا لحاجته بين شَجَر ، ورأى غَفلتَه قيسُ ابن الأصْور (٥) الجُشَمىّ فتبعه وقال : هذا قاتلُ معاوية ! لا وألَتْ (٦) نفسى إن وألَ ! فلما قعدَ على حاجته تقتَّر (٧) له بين الشجر، حتى إذا كان خلفَه أرسَل إليه مِعبَلَةً (٨) فقتله ،

شعر الخنساء فى مقتل هاشم

فقالت الخنساء فى ذلك — قال ابن الكلبى : وهى الخنساء بنت عمرو بن الحارث ١٠ ابن شَريد بن رِياح بن يَقَظة بن عُصَيّة بن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهْثة ابن سُلَيم — :

فِدًى للفارسِ الجُشَمى نفسى * وأفديه بمن لى من حميمِ

---

(١) يقال : أعتبه ، إذا أرضاه . ماعدا ط ، ها ، مب : « الرضا متعتبا »

(٢) أقران ، سبق تفسيرها ص ١٠٠ . وفيما عدا ط ، ها ، مب : « أفراق » محرف . والحسرى : ١٥ المعيية . واللغب : جمع لاغب ، وهو المتعب .

(٣) الأجراع : جمع جرع بالتحريك ، وهو الرملة السهلة المستوية . وبيشة : موضع . المتحلب : المنصب .

(٤) الصفن ، بالضم ، مثل الدلو أو الركوة يتوضأ فيه . وهى فيما عدا ط ، ها « ضفنا » محرفة . وفى ط ، مب : « صفنة » . والصفنة ، بالفتح : كالعيبة يكون فيها متاع الرجل وأداته . وفى ها « صفينة » ٢٠ بالتصغير .

(٥) ماعدا ط : « بن الأمرار » . (٦) وأل : نجا وخلص .

(٧) تقتر : تهيأ للقتال . وتقتر أيضا : تنحى . (٨) المعبلة ، بكسر الميم : نصل طويل عريض .

أفـديه بجُـلّ بنى سُـلَيم * بظاعِنِهـم وبالأنَس المُقـيم[1]

كما مِن هاشمٍ أقـررتُ عينى * وكانت لا تَنـام ولا تُنـيم

كان هاشم بن حرملة أسود العرب وأشدهم

قال أبو عبيـدة : وكان هاشمُ بن حرمـلةَ بن صِرمة بن مُرّة أسودَ[2] العـرب وأشدَّهم ، وله يقول الشاعر :

٥ أحيـا أباه هاشمُ بن حَرمَـله * يوم الهَبَـاتَينِ ويـوم اليَعمَلَه[3]

[يقتلُ ذا الذنبِ ومن لا ذنبَ له * إذِ المـلوكُ حـولَه مُغـربَلَه][4]

* وسيفُه للوالدات مثكله *

حدّثنى على بن سـليمان الأخفش قال : حدّثنى محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : حدّثنا الكسروى عن الأصمـعى قال : مررت بأعرابىٍّ وهو يَخضِد شجرة

١٠ وقد أعجبته سماحتُها، وهو يرتجز ويقول :

لو كنتِ إنسانًا لكنتِ حاتمـا * أو الغـلامَ الجُشَمىَّ هاشمـا

شعر هاشم فى الجود

قلت : من هاشم هذا ؟ قال : أو لا تعرفه؟ قلت : لا . قال : هو الذى يقول:

وعاذلةٍ هبّتْ بليـلٍ تلومُـنى * كأنّى إذا أنفقتُ مالى أَضيمهـا

١٤٧
١٣

دعِينى فإنّ الجودَ لن يتلِفَ الفتى * ولن يُخلِّدَ النفسَ اللئيمةَ لُومُها

١٥ وتُذكَرُ أخلاقُ الفـتى، وعظامُه * مفـرّقةٌ فى القـبر بادٍ رميمُها

(١) هذا ما فى ط ، ها ، مب وفى حـ : « بخل من سليم » هذه محرفة ، وفى سائر النسخ : « بكل من سليم » . (٢) أسود، من السيادة .

(٣) الهباتان واليعملة : موضعان ذكرهما ياقوت . ما عدا ط، ها، مب : « يوم الهاتين » محرف . وفى اللسان (غربل) : « يوم الهباءات » فيكون جمعا ليوم الهباءة المعروف .

٢٠ (٤) هذه التكلة من ط، ها ، مب . المغربل : المقتول المتفخ .

سَلِي كلَّ قيسٍ هل أُبارِي خيارَها [(1)] * ويُعرِض عنى وغدها ولئيمها
وتذكُرُ فِتيانيَّتي وتكرُّمي * إذا ذُمَّ فِتيانيُّها وكريمها [(2)]

قلت : لا أعرفه . قال : لا عرفت، هو الذى يقول فيه الشاعر :

أحيا أباه هاشمُ بن حَرمله * يقتل ذا الذنب ومَن لا ذنبَ له

* ترى الملوكَ حولَه مُغربَله *

صوت

تأبد الربعُ من سَلْمَى بأحفار [(3)] * وأقفرتْ من سُلَيمَى دِمنةُ الدَّارِ
وقد تَحُلُّ بها سَلمى تحدِّثنى * تَسَاقُطَ الحَلْيِ حاجاتى وأسرارى

الشعر للأخطل، والغناء لعمرّ الوادىّ، هزج بالسبابة فى مجرى الوسطى، وفيهما رمل بالبنصر يقال إنه لابن جامع و يقال إنه لغيره، وفيهما خفيف رمل بالوسطى، ذكر الهشامى أنه لحكم . وذكر حبش أن فيهما لإبراهيم خفيف ثقيل أوّل بالوسطى .

ومما يغنى فيه من هذه القصيدة :

---

(1) المباراة : المفاخرة . وهذا ما فى ط، مب . وفى ها « أبارى خيارهم »، وفى سائر النسخ : « أبانى خيارهم » .

(2) الفتيانية : مصدر صناعى لم يرد فى المعاجم المتداولة، وكذا النسبة إليه فى قوله « فتيانيها » . وهو من الفتوة : السخاء والكرم . وفتيانيتى رواية ط، ها . وفى ح : «رفقيا يداى» محرفة عن السابقة . وفى سائر النسخ : « وتذكر قيس منتى » وأراها محرفة عنها أيضا . « وذم فتيانها » رواية ط، ح، ها، مب . وفيا عداها : « إذا ذمنى فتيانها » وليس بشىء .

(3) تأبد : توحش . أحفار، بالحاء المهملة : موضع بالبادية . ما عدا ط، ها، مب : « بأجفار » محرّف . والشعر فى ديوان الأخطل ١١٢ .

وشاربٍ مُرْبِحٍ بالكأس نادَمَنى * لا بالحَصُور ولا فيها بِسَآر[1]

نازعتُه طيِّبَ الراحِ الشَّمولِ وقد * صاحَ الدَّجاجُ وحانت وَقعةُ السارى[2]

لما أتوها بمصباحٍ ومِبزلِهم * سَمَتْ إليهم سموَّ الأبجلِ الضارى[3]

الغناء فى هذه الأبيات لابن سريج خفيفُ رملٍ بالبنصر عن الهشامىّ . وذكر غيره

٥ أنّها للدّلال . ومنها :

فَرْدٌ تغنّيه ذِبّانُ الرِّياضِ كما * غَنَّى الغُواةُ بصَنْجٍ عند أُسوارِ[4]

كأنّه من ندَى القُرّاص مُغتمِرٌ * بالوَرْسِ أو خارجٌ من بيت عطّارِ[5]

غناه ابن سُرَيج ، ولحنه من القدر الأوسط ، من الثقيل الأوّل ، بإطلاق الوتر

فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر الهشامىّ أن لمالكٍ فيه ثقيلا أوّلا . ووافقه

١٠ يونس فى نسبته إلى مالك ، والحكم فى قوله :

* فردٌ تغنّيه ذِبّانُ الرياض كما *

---

(١) المربح : الذى يربح صاحب الخمر . والحصور : البخيل . والسآر : الذى يسئر فى القدح : يترك فيه فضلة . ط ، مب : « بسوار » وفوقها « بسآر » إشارة إلى الروايتين . والسوار : السيئ الخلق الذى يساور عليها و يقاتل فيها .

١٥ (٢) المنازعة : المناولة . والشمول : الطيبة الريح . وقعة ، هو صواب الرواية كما فى ط ، ها ، مب ، والديوان . يقال وقعت الإبل : بركت . وفيما سواهما : « رقعة » .

(٣) بمصباح ، أراد أنهم بزلوها ليلا . والمبزل : الحديدة التى يفتح بها الدن . الأبجل : عرق . الضارى : الذى يهتز وينعر بالدم . ويروى : « سارت إليهم سؤور » .

(٤) فرد : منفرد ، يعنى الثور فى أبيات قبله . والصنج : آلة بأوتار يضرب بها ، معرب .

٢٠ والأسوار بضم الهمزة وكسرها : قائد الفرس .

(٥) القراص ، كرمان : ضرب من البقل . والورس : نبت أصفر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه . مغتمر : أى متطل به قد طلى بدنه . يقال جارية مغتمرة ومتغمرة : متطلية . فيما عدا ، ها ، مب : « معتمر » تصحيف . وفى سائر النسخ : « معترض » تحريف . وفى الديوان : « متبل » .

و بعده قوله :

صَهباء قد عَنَسَتْ من طُولِ ما حُبِست * فى مُخْـــدَع بين جنـاتٍ وأنهـارِ

خفيف ثقيل بالبنصر . ومنها :

لَسَكَّنتنى قريشٌ فى ظِـلالهمُ * ومَوّلتنى قريشٌ بعـد إقتـارِ (١)

قومٌ إذا حاربوا شَدُّوا مآزرَهم * عن النِّساءِ ولو باتتْ بأطهـارِ (٢)

٥

ليونس فيها لحن من كتابه ولم يجنِّسه .

خبر قصيدة الصوت

١٤٨ / ١٣

وهذه القصيدة مدح بها الأخطلُ يزيدَ بن معاوية لمَّا مَنَع من قَطْع لسانه حين هجا الأنصار ، وكان يزيدُ هو الذى أمره بهجائهم . فقيل : إن السبب فى ذلك كان تشبُّب عبدِ الرحمن بن حسانَ برملةَ بنتِ معاوية ، وقيل بل حَمِيَ لعبد الرحمن ابن الحكم .

١٠

تشبيب عبد الرحمن ابن حسان برملة

أخبرنى الجوهرى قال : حدّثنا عُمر بن شبّة قال : حدّثنى أبو يحيى الزُّهرى قال : حدّثنى ابن أبى زريق قال : شَبَّبَ عبدُ الرحمن بن حسانَ برملةَ بنت معاوية فقـال :

رَمْـلَ هل تذكرين يومَ غزالٍ * إذْ قطعنـا مَسِـــيرنا بالتمـنّى

إذْ تقولين عمـرَكَ الله هـل شى * ءٌ وإنْ جلَّ سـوف يُسليكَ عنّى

أم هَلَ اطمعتُ منكمُ يابنَ حَسّا * ن كما قـد أراك أُطمِعتَ منّى

١٥

قال : فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضب ، فدخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، ألا تَرى إلى هذا العلج من أهل يثرب ، يتهكّم بأعراضنا ويشبِّب (٣) بنسائنا؟

(١) موّلتنى : جعلتنى ذا مال . والإقتار : الافتقار وضيق العيش .

٢٠

(٢) أى إذا حاربوا لم يغشوا النساء فى أطهارهن .

(٣) ما عدا ط ، مب : « ويتشبب » .

قال : ومَن هو ؟ قال : عبد الرحمن بن حسان ، وأنشده ما قال، فقال : يا يزيد ليست العقوبةُ من أحدٍ أقبحَ منهـا من ذوى القُـدرة، ولكن أمهِلْ حتى يَقْـدَمَ وفدُ الأنصـار ثم ذكِّرنى . قال : فلمّـا قدموا أذكره به، [1] فلما دخلوا عليه قال : يا عبـدَ الرحمن ، ألم يبلغنى أنك تشبِّب برمْـلةَ بنت أمير المؤمنـين ؟ قال : بلى ، ولو علمتُ أنّ أحدًا أشرفُ به شـعرى أشرفَ منهـا لذكرتُه . قال : وأين أنت عن أختها هند ؟ قال : وإنّ لها لأختًا ؟ قال : نعم . قال : وإنمـا أراد معاوية أن يشبِّب بهما جميعا فيكذِبَ نفسَه . قال : فلم يَرضَ يزيدُ ما كان من معـاوية فى ذلك : أن يشبِّب بهما جميعا، فأرسل إلى كعب بن جُعَيل فقال : اهجُ الأنصار . فقال : أَفْرَق [2] من أمير المؤمنين، ولكنْ أدلُّك على الشاعر الكافر الماهر . قال : ومن هو ؟ قال : الأخطل . قال : فدعا به فقال : اهجُ الأنصـار . قال : أَفْرَقُ من أمير المؤمنين ! فقال : لا تَخَفْ شيئا ؛ أنا لكَ بذلك . قال : فهجاهم فقال :

هجاء الأخطل الأنصار

وإذا نسبْتَ ابنَ الفُريعة خِلتَه [3] * كالجحش بين حِمـارةٍ وحمـارِ

لعَنَ الإلهُ من اليهود عِصـابةً * بالجِزْع بين صُليصِلٍ وصِرارِ [4]

قومٌ إذا هدَرَ العصـيرُ رأيتَهم * حُمْـرًا عيونهـمُ من المُصطارِ [5]

خَلُّوا المكارمَ لستمُ من أهلها * وخُـذوا مساحيَكم بنى النجّار [6]

(١) ماعدا ط ، ها ، مب : « ذكره به » .

(٢) أفرق : أخاف ؛ والفرق بالتحريك : الخوف .

(٣) يعنى بذلك أبويه .

(٤) صليصل : تصغير صلصل ، وهو موضع بنواحى المدينة . ومثله صرار بالكسر .

(٥) المصطار ، بالضم : الخمر الحامضة ، ويقال بالسين أيضا كما فيا عدا ط ، حـ، مب .

(٦) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من حديد ، هجاهم بأنهم أهل زراعة : ما عدا ط ، ها ، مب : « مساتحكم » محرف .

إنّ الفوارس يعلمون ظهوركم * أولادَ كلِّ مقبّحٍ أكّارِ[1]

ذهبت قريشٌ بالمكارم والعُلا * واللؤمُ تحتَ عمائم الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمانَ بن بَشير فدخل على معاوية فحسر عن رأسه عمامتَه، وقال: يا أمير المؤمنين: أترى لؤما؟ قال: لا بل أرى كرمًا وخيرا، ما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائمنا. قال: أوَ فعل؟ قال: نعم. قال: لك لسانُه. وكتب فيه أن يؤتى به. فلما أُتِيَ به سأل الرسولَ ليدخَل إلى يزيد أوّلا، فأدخله عليه، فقال: هذا الذى كنتُ أخاف. قال: لا تخَف شيئا. ودخل على معاوية فقال: علامَ أرسلَ إلىّ هذا الرجل وهو يرمى من وراء جمرتنا؟ قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال: النعمان بن بشير. قال: لا تقبلْ قوله عليه وهو يدّعى لنفسه، ولكن تدعوه بالبيّنة، فإن ثبّتَ[2] شيئا أخذتَه به له. فدعاه بالبينة فلم يأتِ بها، فخلّى سبيلَه. فقال الأخطل:

مدح الأخطل ليزيد

وإنّى غداةَ استعبرَتْ أمُّ مالكٍ * لَراضٍ من السُّلطان أن يتهدّدا

ولولا يزيدُ ابنُ الملوك وسعيُه * تجلّلتُ حِدبارًا من الشرّ أنكدا[3]

فكم أنقذتْنى من خُطوبٍ حبالُه * وخرساءَ لو يُرمَى بها الفيلُ بلّدا[4]

ودافعَ عنّى يومَ جِلّقَ غَمرةً * وهمًّا يُنسّينى السُّلافَ المبرّدا[5]

وباتَ نجيًّا فى دمشق لحيّةٍ * إذا همّ لم يُنِمِ السليمَ فأقصدا[6]

(١) الأكار: الحراث. (٢) ما عدا ط، س، ها، ب: «أثبت».

(٣) فى الديوان ٩٣: «وسيبه». الحدبار: الناقة التى بدا عظم ظهرها ونشزت حراقيفها.

(٤) أى من خرساء. والخرساء: الداهية. بلد: لصق بالأرض لما دهاه وتخطمه.

(٥) الغمرة: الشدة. وفى الديوان: «السلاف المهودا». وتهويد الشراب: إسكاره.

(٦) الحية، يعنى معاوية. والسليم: الملدوغ. والإنماء: أن ترمى الصيد فتصيبه ثم يذهب عنك فيموت بعد ما يغيب. والإقصاد من الحية: أن تلدغه فتقتله فى الحال.

يُخـافته طورًا وطورًا إذا رأى * من الوجه إقبـالا ألحّ وأجهـدا[1]

وأطفأتَ عنّى نارَ نُعمانَ بعـدما * أعـدّ لأمرٍ فاجرٍ وتجـرّدا

ولـمّا رأى النعمانُ دونى ابنَ حُرّةٍ * طوى الكشحَ إذ لم يستطعنى وعرّدا[2]

حدّثنا محمد بن العباس اليزيدى قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز قال

٥ حدّثنا المدائنى عن أبى عبد الرحمن بن المبارك قال :

خبر آخر فى تشبيب عبد الرحمن برملة

شبّب عبد الرحمن بن حسان بأخت معاوية ، فغضب يزيدُ فدخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، اقتل عبدَ الرحمن بن حسان . قال : ولم ؟ قال : شبّب بعمّتى . قال : وما قال ؟ قال قال :

طال ليـلى وبتُّ كالمحزونِ * ومللتُ الثّـواءَ فى جَيرونِ

١٠ قال معاوية : يا بُنىّ وما علينا من طُول ليله وحزنه أبعده الله ؟ قال : إنه يقول :

فلذاكَ اغتربتُ بالشام حتّى * ظنّ أهلى مرجَّماتِ الظنونِ

قال : يابنىّ ، وما علينا من ظنّ أهله ؟ قال : إنّه يقول :

هى زهراءُ مثـلُ لـؤلؤةِ الغـوّ * اصِ مِيزتْ من جوهرٍ مكنونِ

قال : صدق يابنىّ . قال : إنّه يقول :

١٥ وإذا ماانسـبتَها لم تجِـدْها * فى سناءٍ من المكارمِ دونِ

قال: صَدَق يابنىّ ، هى هكذا . قال : إنّه يقول :

ثم خاصرتُها إلى القُبّـة الخضـ * ـراءِ تمشى فى مَرمرٍ مَسنونِ[3]

(١) المخافتة : الهمس فى الأذن . ما عدا ط ، ها ، مب : « يخافيه أطورا » تحريف .

(٢) ابن حرة ، يعنى يزيد . عرد : هرب . ما عدا ط ، حـ ، ها ، مب : « روى ابن مرة »

٢٠ تحـريف .

(٣) المسنون : الملس . وقد أورد ابن منظور بعض هذا الخبر فى مادة (سنن) .

خاصرتُهـا : أخذتُ بخَصْرها وأخذتْ بخصرى . قال : ولا كلُّ هـذا يابنى ! ثم ضحك وقال : أنشدنى ما قال أيضا . فأنشده قوله :

قُبّـةٌ من مَراجلٍ نَصَبوها * عند حدِّ الشتاءِ فى قَيطـونِ
عَن يسارى إذا دخلتُ من البا * ب وإن كنتُ خارجاً فيمينى
تجعل النَّـدَّ والألُوّةَ والعُـو * دَ صِـلاءً لهـا على الكانون (١)
وقِبابٌ قد أُشْرِجَتْ وبيوتٌ * نُطِّقت بالريحان والزَّرَجُـون (٢)

قالَ : يابنى، ليس يجبُ القتل فى هذا، والعقوبةُ دونَ القتل، ولكنّا نكُفّه بالصلة له والتجاوز .

نسبة ما فى هذه الأبيات من الغناء

صـــوت

هِى زهراءُ مثـل لؤلؤة الغـ * ـوّ اصِ ميزَتْ من جوهرٍ مكنونِ
وإذا ما نسبْتَها لم تجـدْها * فى سَناءٍ من المكارم دون

نسخت من كتاب ابن النطاح : وذكر الهيثم بن عدى عن ابن دأب قال : حدّثنا شُعيب بن صفوان أنّ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يشبّب بابنة معاوية، ويذكُرها فى شعره ، فقال الناس لمعاوية : لو جعلتَه نَكالًا ؟ فقال : لا، ولكن أُداويه بغير ذلك . فأذِن له (٣) وكان يدخل عليه فى أُخريات الناس، ثمّ (٤) أجلسه على سريره

(١) الألوة، بضم اللام مع ضم الهمزة وفتحها : ضرب من عود البخور .

(٢) ط : « أسرجت » : أضيئت . وفيا عدا ط ، ها ، مب : « أشرجت » ، أى كما تشرج الخريطة ، تشد أجزاؤها بالعرى والحبال . نطقت : جعل لها نطاق . والزرجون : الكرم أو قضبانه .

(٣) فيا عدا ط ، جو ، ها ، مب : « فلما وفد عليه » .

(٤) ما عدا ط ، جو ، ها ، مب : « وكان يدخل فى أخريات الناس أجلسه » .

معه ، وأقبلَ عليــه بوجهه وحديثه ثم قال : ابنتى الأخرى عاتبــةٌ عليك . قال : فى أىّ شىء ؟ قال : فى مدحتك أختَها وتركِك إياها . قال : فلها العُتْبَى وكرامة ، أنا ذاكرها وممتدِحها[1] . فلما فعلَ وبلغ ذلك الناس قالوا : قد كنا نرى أنّ نسيب[2] ابن حسان بابنــةِ معاويةَ لشىء، فإذا هو عَنْ رأيِ معاويةَ وأمره . وعلم من كان ٥ يعرف أنه ليس له بنتٌ أخرى ، أنّه إنمـا خدَعه ليشبِّب بها، ولا أصل لهـا فيعلم الناس أنه كذب على الأولى لمـا ذكر الثانية .

وقد قيل فى حمل يزيدَ بن معاويةَ الأخطلَ على هجاء الأنصار : إنّه فعلَ ذلك تعصُّبًا لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص بن أمية ، أخى مروانَ بن الحكم فى مهاجاته عبدَ الرحمن ، وغضبًا له ، لمـّا استعلاه ابن حسان فى الهجاء .

١٠ ذكر خبرهما فى التهاجى والسبب فى ذلك

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السكرى . قال : حدّثنا أبو غَسّانَ دِماذ[3]، عن أبى عبيدة قال : أخبرنى أبو الخطاب الأنصارى قال :

خبر تهاجى عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن ابن الحكم

كان عبد الرحمن بن حسان خليلاً لعبــد الرحمن بن الحكم بن العــاص مخالطا له ، فقيل له : إن ابنَ حسّانَ يَخلُفُك فى أهلك . فراسلَ امرأةَ ابن حسّان فأخبرتْ ١٥ بذلك زوجَها وقالت : أرسَلَ إلىّ : إنّى أحبُّك حبًّا أُراه قاتلى ! فأرسل ابنُ حسّانَ إلى امرأة ابن الحكم وكانت تواصلُه وقال للرسول : إذهبْ إليها وقل لهـا : إن

(١) ما عدا ط ، ها ، مب : « وممدها » .

(٢) ما عدا ط ، جـ ، مب : « أن تشبب » .

(٣) كذا ضــبط بكسر الدال فى ط ، ها ، مب . ودماذ لقب له واسمه رفيع بن سـلمة . انظر ٢٠ إنباه الرواة ٢ : ٥ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم حيث تجد مراجع ترجمته .

امرأتى تزورُ أهلَها اليومَ فزُورِينى حتّى نخلوَ . فزارتْه فقعدَ معها ساعةً ثم قال لها :
قد والله جاءت امرأتى . فأدخلها بيتاً إلى جَنْبه وأمر امرأتَه فأرسلت إلى عبد الرحمن
ابن الحكم : إنّك ذكرتَ حبَّك إياى وقد وقعَ ذلك فى قلبى ، وإنّ ابن حسان
قد خرجَ اليوم إلى ضَيعته فهلمَّ فتهيّأ ثمَّ أقبِلْ . فإنّه لقاعدٌ معها إذْ قالت له : قد
جاء ابنُ حسان فادخُلْ هذا البيتَ فإنّه(١) لا يشعر بك . فأدخلته البيتَ الذى فيه ٥
امرأتُه ، فلما رآها أيقنَ بالسَّوأة ووقعَ الشرُّ بينهما ، وهجا كلُّ واحدٍ منهما صاحبه .

قال أبو عبيدة : هذه رواية أبى الخطّاب الأنصارى ، وأمّا قريش فإنّهم
يزعُمون أنّ امرأة ابن حسان كانت تحبُّ عبدَ الرحمن وتدعوه إلى نفسها فيأبَى ذلك ،
حفظًا لما بينه وبين زوجها ، وبلغ ذلك ابنَ حسانَ فراسلَ امرأة ابن الحكم
حتّى فضحها ، وبلغ ذلك ابنَ الحكم وقيل له : إنكَ إذا أتيت ضَيعتَك أرسلَتْ ١٠
إلى ابن حسّانَ فكان معها . فأمر ابنُ الحكم أهلَه فقال : عالجوا سُفرةً حتّى أطالعَ
مالى بمكان كذا وكذا . فخرج وبعث امرأتُه إلى ابن حسانَ فجاء كما كان يفعل ، ورجع
ابنُ الحكم حين ظنّ أن ابن حسانَ قد صار عندها ، فاستفتح فقالت : ابنُ الحكم
والله ! وخبّأته خلفَها فى بيت ، ودخل عبدُ الرحمن فبعث إلى امرأة ابن حسان :
إنه قد وقعَتْ لك فى قلبى مِقَةٌ(٢) ، فأقبلى إلىّ الساعةَ . فتهيأتْ وأقبلَتْ حتّى دخلت ١٥
عليه ، فوضعت ثيابَها وزوجُها ينظر فقال لها : قد كنتِ أكثرتِ الإرسال إلىّ فما
شأنُكِ ؟ قالت : إنى والله هالكةٌ من حبِّك . قال : وزوجها يسمع ، وإنّما أراد
أن يُعلِمه أنّها قد كانت ترسل إليه ويأبَى عليها . وزعم أنها هى التى قالت لابن
الحكم إنّ ابن حسان يخلفُكَ فى أهلك . فلما فرغَ من كلامه وأسمعه زوجَها قال

(١) كذا فى ها ، مب . وفى سائر الأصول : « لأنه » . ٢٠
(٢) المقة : الحب ، ومقها يمقها مقة .

لها : قد جاءت امرأتى . وأدخلها البيتَ الذى فيه ابن حَسّان ، فلما جمعهما فى مكانٍ واحد خرجَ عنهما ، فخرجا وطلّقَ امرأته .

أخبرنى ابن دريد قال : أخبرنى الرياشى قال : حدّثنا ابن بكير عن هشام ابن الكلبى عن خالد بن سعيد عن أبيه قال :

دعاء مروان بن الحكم وأخيه

٥ رأيت مروانَ بن الحكم يطوف بالبيت ويقول : اللهم أَذْهِبْ عنى الشِّعر ! وأخوه عبد الرحمن يقول : اللهم إنى أسألك ما استعاذَ منه ! فذهب الشعر عن مروان ، وقاله عبد الرحمن .

خبر آخر فى التهاجى بين عبد الرحمن ابن حسان وعبد الرحمن ابن الحكم

وأمّا هشام بن الكلبيّ فإنه حدث عن خالدٍ وإسحاقَ ابنى سعيد بن العاصى ، أنّ سبب التهاجى بينهما أنّهما خرجا إلى الصيد بأكلبٍ لهما فى إمارة مَرْوان ، فقال ١٠ ابن الحكم لابن حسان :

ازجر كلابك أنها قَلَطيّةٌ * بُقْعٌ ومثلُ كلابكم لم تَصْطَدِ[1]

فردّ عليه ابنُ حسان :

مَن كان يأكلُ من فَرِيسةِ صيدِه * فالتمرُ يُغنينا عن المتصيَّدِ[2]

إنا أناس رَيِّقون وأمُّكم * ككلابكم فى الوَلْغ والمتردَّدِ[3]

١٥ خُزْناكمُ للضبِّ تحترشونه * والرِيف، نمنعكم بكلِّ مهنَّدِ[4]

---

(١) القلطى من الكلاب : ضرب منها قصير مجتمع . وانظر الحيوان للجاحظ (١ : ١٥٧) . والبقع : جمع أبقع وبقعاء ، وهو ما فيه سواد وبياض .

(٢) ها : « فريسة كلبه » . المتصيد : ما يتصيده الصائد ، أو هو الصيد ، مصدر ميمى . يعيرهم بالصيد وحرش الضباب .

٢٠ (٣) الريق : الذى على الريق لم يفطر . والمتردد : التردد ، مصدر ميمى كذلك .

(٤) احتراش الضب : صيده . ماعدا ط : « يمنعكم » و « تمنعكم » تحريف .

ثم رجعا إلى المدينة فجعلا يتقارضان، فقال عبد الرحمن بن الحكم فى قصيدة :

ومثلُ أمك أمُّ العبدِ قد ضُرِبت * عندى ولى بفِناَئى مِزهرٌ جَرِمُ (١)

وأنتَ عند ذُنَاباها تُعاوِنها * على القُدور تَحَسَّى خاثر البَرِمِ (٢)

فنقضها عبد الرحمن بن حسان عليه بقصيدته التى يقول فيها :

يا أيُّها الراكبُ المُزْجِى مَطِيَّتَه * إذا عرَضْتَ فسائِلْ عن بنى الحكمِ (٣)

القائلين إذَا لاقَوْا عدوَّهمُ * فِرُّوا فكُرُّوا على النِّسوان والنَّعَمِ

كم من أمينٍ نَصيحِ الجيب قال لكمْ * ألّا نهيتمْ أخاكم يا بنى الحَكَمِ

عَن رجلٍ لا بَغيضٍ فى عشيرتهِ * ولا ذليلٍ قصيرِ الباع مُعتصِمِ (٤)

وقال ابن حسان :

صار الذليل عزيزًا والعزيزُ به * ذُلٌّ وصارَ فُروع الناس أذنابا

إنّى لمتمسٌ حتَّى يبينَ لكمْ * فيكمْ متى كنتمُ للنَّاسِ أربابا

فارْقَوْا على ظَلْعكم ثمَّ انظروا وسَلُوا * عنّا وعنكمْ قديمَ العلم نُسّابا (٥)

فسوفَ يضحك أو تعتاده ذِكَرٌ * يا بؤسَ للدهرِ للإنسان رَيّابا (٦)

ولهما نقائضُ كثيرة لا معنًى لذكر جميعها ههنا .

---

(١) بفنائى، هى الصواب من ط، ها، مب . وفى سائر النسخ : « بفناء » . والمزهر : العود . والجرم : الصافى الصوت، برم : صفا صوته . ط، حـ، مب : « حرم » بالحاء المهملة، ولا وجه له . ها : « هذم » .
(٢) ماعدا ط، ها، مب : « فى القدور » تحريف . تحسى، أى تتحسى : تشرب شيئا بعد شىء . والخاثر : الغليظ .

(٣) عرض : أتى العروض، وهى مكة والمدينة وما حولها .

(٤) ماعدا ط، حـ، ها، مب : « فى عشيرتكم » .

(٥) الظلع : غمز شبيه بالعرج . ارق على ظلعك، أى امش واصعد بقدر ما تطيق ولا تحمل على نفسك ما لا تطيقه، يضرب للرجل يطلب منه أن يصلح أمره أوّلا . ما عدا ط، ها : « فقارفوا ظلعكم »، تحريف .
(٦) ماعدا ط، ها، مب : « فكيف يضحك » .

قال دماذ : وحدّثنى أبو عبيدة عن أبى الخطاب قال :

١٥٢ / ١٣ — عقاب معاوية لهـ

لمـا كثُر التهاجى بينهما وأفحشا كتب معاويةُ يومئذٍ وهو الخليفة، إلى سعيد بنُ العاص وهو عاملُه على المدينة، أن يجلِد كلَّ واحدٍ منهما مائة سوط . قال : وكان ابنُ حسانَ صديقًا لسعيد، وما مَدح أحدًا قط غيرَه ، فكرِه أن يضربَه أو يضرب ابن عمِّه ، فأمسكَ عنهما ، ثم ولِيَ مروانُ فلما قدِم أخذَ ابن حسّان فضربَه مائةَ سوط ولم يَضرب أخاه ، فكتب ابنُ حسّان إلى النعمان بن بَشيرٍ وهو بالشأم ، وكان كبيرا مكينًا عند معاوية :

٥

ليتَ شِعرى أغائبٌ أنت بالشا * م خليــلى أم راقــدٌ نَعْسانُ
أيّةً ما يكنْ فقــد يرجِـع الغـا * ئب يومًا ويُوقَـظ الوســنان (١)
إنّ عَمــرًا وعامرا أبوَينـا * وحرامًا قِدمًا علـى العهـد كانوا (٢)
أفهُــمْ ما نِعُـوك أمْ قِـلّة الكُـ * ـتابِ أم أنتَ عاتبٌ غضبانُ
أم جفـاءٌ أم أعـوزَتكَ القراطيـ * ـسُ أم أمرِى به عليكَ هــوانُ (٣)
يومَ أُنبِئتَ أنّ ساقىَ رُضّتْ * وأتاكــمْ بــذلك الرُّكبان
ثمّ قالـوا إنّ ابنَ عمِّـك فى بَلْـ * ـوى أمــورٍ أتَى بهـا الحَـدَثان (٤)
فتَنِـطُ الأرحامُ والودُّ والصُّحـ * ـبـةُ فيما أتى بــه الحــدثان (٥)
إنّمـا الرمح فاعلمنّ قنـاةٌ * أو كبعض العيدان لولا السِّنانُ

١٠

١٥

(١) ماعدا ط ، حـ ، ها ، مب : « أية ماتكن » بالتاء .
(٢) حام : أبو قبيلة .
(٣) ماعدا ط ، حـ ، ها : « إنهم مانعوك » تحريف . وكلمة « به » من ط ، ها فقط .
(٤) ماعدا ط ، حـ ، ها ، مب : « ابن عمك يلوى من أمور » .
(٥) تنط : تحن . ماعدا حـ ، ط ، ها ، مب : «وتنيط» محرف عنه .

٢٠

وهى قصيدة طويلة — فدخل النعمان على معاوية فقال له : يا أمير المؤمنين، إنك أمرتَ سعيدا أن يضرب ابنَ حسان وابن الحكم مائةً مائة فلم يفعل، ثم ولّيتَ مَروانَ فضرب ابنَ حسانَ ولم يَضرب أخاه . قال : فتريد ماذا؟ قال : أن تكتبَ إليه بمثل ما كتبتَ إلى سعيد . فكتب إلى معاوية يعزم عليه أن يضربَ أخاه مائة، وبعثَ إلى ابن حسّانَ بحُلّة، فلما قدِم الكتابُ على مروانَ بعث إلى ابن حسان : إنّى مُخرِجك، وإنّما أنا مثلُ والدك، وما كان ما كان منّى إليك إلا على سبيل التأديب لك . واعتذر إليه، فقال حسان : ما بدا له فى هذا إلّا لشىء قد جاءه . وأبَى أن يَقبَل منه، فأبلغ الرسولُ ذلك مروانَ فوجّهه إليه بالحُلّة فرمَى بها فى الحُشّ[1] . فقيل له : حُلّة أميرِ المؤمنين وترمى بها فى الحُشّ ؟ قال : نعم وما أصنعُ بها ! وجاءه قومُه فأخبروه الخبر فقال : قد علمت أنّه لم يفعل ما فعل إلا لأمرٍ قد حَدَث . فقال الرسول لمروان : ما تصنع بهذا ؟ قد أبى أن يعفوَ فهلُمّ أخاك . فبعث مَروان إلى الأنصار وطلب إليهم أن يَطلبوا إليه أن يضربَه خمسين فإنّه ضعيف . فطلبوا إليه فأجابَهم، فأخرجه فضربَه خمسين، فلقى ابنَ حسّانَ بعضُ من كان لا يهوى ما تَرَكَ من ذلك، فقال له : أضَرَبَك مائةً ويضربَه خمسين، بئس ما صنعتَ إذ وهبتَها له . قال : إنّه عبدٌ وإنّما ضربه ما يُضرَب العبدُ نِصفَ ما يُضرَب الحُرّ ! فحمل هذا الكلامُ حتّى شاع بالمدينة وبلغ ابنَ الحكَم فشقّ عليه، فأتى أخاه مروان فأخبَره الخبر وقال : فضحتنى، لا حاجةَ لى فيما تركتَ[2] فهلمّ فاقتصّ .

هجاء عبد الرحمن لابن الحكم

فضربَ ابنَ الحكم خمسين أخرى، فقال عبدُ الرحمن يهجو ابن الحكم :

---

(١) الحش، بتثليث الحاء : أصله البستان وجماعة النخل . وكانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة ذهبوا إليها، ثم سمى المتوضأ به، نحو تسميتهم الفناء عذرة .

(٢) هذا الصواب فى ط، ها، مب فقط . وفى ـ : «فأتى أخاه مروان ابن حسان لا حاجة لنا فيما تركت» . وفى سائر النسخ : «فأتى أخاه مروان ابن حسان فقال له لا حاجة لنا فيما تركت» .

دَعْ ذا وعَدِّ قريضَ شعرك فى امرئٍ * يَهذِى ويُنشِد شعرَه كالفاخرِ[1]

عُثمانُ عمُّكمُ ولستمْ مِثلَه * وبنو أميّةَ منكم كالآمرِ

وبنو أبيه سَخيفةٌ أحلامُهمْ * فُحُشُ النفوسِ لدى الجليسِ الزائرِ

١٥٣ / ١٣

أحياؤهم عارٌ على أمواتهم * والمَيّتون مَسَبّةٌ للغابرِ[2]

٥ همْ ينظرونَ إذا مَددتَ إليهمُ * نظرَ التيوسِ إلى شِفارِ الجازرِ

خُزْرَ العيونِ منكّسِى أذقانِهم * نظرَ الذليلِ إلى العزيز القاهرِ

جواب ابن الحكم له

فقال ابن الحكم :

لقد أبقَى بنو مروانَ حُزناً * مُبِيناً عارُه لبنى سَوادِ

أطافَ به صَبِيحٌ فى مَشِيدٍ * ونادى دَعوةً : يابْنَىْ سُعادِ[3]

١٠ لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا * ولكن لا حياةَ لمن تنادِى

هجاء أبى واسع لابن حسان

قال أبو عبيدة : فاعتَنّ[4] أبو واسعٍ أحدُ بنى الأسعر[5] من بنى أسد بن خُزَيمة ، لابن حَسان دون ابنِ الحكم ، فهجاه وعيّره بضرب ابن المعطلِ أباه حسّانَ على رأسه ، وعيّرهم بأكل الخُصَى ، فقال :

إنّ ابن المعطّل من سُلَيم * أذَلَّ قِيادَ رأسِك بالخطامِ

١٥ عَمِدتَ إلى الخُصَى فأكلتَ منها * لقد أخطأتَ فاكهةَ الطعامِ

وما للجارِ حينَ يُحَلّ فيكمْ * لديكم يا بنى النجّار حامِ

---

(١) ما عدا ط ، ها ، مب : « كالفاجر » .

(٢) الغابر : الباقى . أى أمواتهم كذلك عار على الأحياء .

(٣) حـ : « يطيف » . فيما عدا ط ، حـ ، ها : « يا بنى سعاد » .

٢٠ (٤) اعتن : اعترض .

(٥) ما عدا ط ، حـ ، مب : « الأشعر » بالشين المعجمة .

يَظَلُّ الجارُ مفترشًا يديه * [مخافتكم لدى ملْثِ الظَّلامِ[١]

وينظُر نظرةً فى مِذرويه[٢]] * وأخرى فى استِه والطَّرفُ سامِ

قال : فلما عمّ بنى النجّار بالهجاء ولا ذنبَ لهم دعَوُا الله عزّ وجل عليه، فخرجَ من

شعر ابن حسان فى مصرع ابن واسع

المدينة يريد أهلَه فعرضَ له الأسدُ فقَضْقضه[٣]، فقال ابنُ حسان فى ذلك :

أبلغْ بنى الأسعرِ[٤] إن جئتَهم * ما بالُ أبناءِ بنى واسعِ

والليثُ يعلوهُ بأنيابه * معتفِراً[٥] فى دمه الناقعِ

إذ تركوهُ وهو يدعوهمُ * بالنسَب الدانى وبالشاسعِ[٦]

لا يرفَع الرحمنُ مصروعَكم * ولا يُوَهّى قوّةَ الصارِعِ[٧]

فقالت له امرأته : ما دعا أحدٌ قبلك للأسد بخيرٍ قطّ . قال : ولا نَصر أحدًا

كما نصرنى .

دعوة مسكين الدارمى لابن حسان أن يتهاجيا

وقال ابن الكلبىّ : كان الأخطلُ ومسكينٌ الدارمىُّ صديقين لابن الحكم ،

فاستعان بهما على ابن حسان، فهجاه الأخطل، وقال له مسكين : ما كنتُ لأهجوَ

أحدًا أو أُعذِرَ[٨] إليه . فكتب إليه مسكينٌ بقصيدته اللامية يدعوه إلى المفاخرة

والمنافرة، فقال فى أوّلها :

---

(١) ملث الظلام : اختلاطه .

(٢) عجز البيت السابق وصدر هذا، هما من ط، ها، مب فقط . أما سائر النسخ ففيها عجز هذا البيت مع صدر البيت السابق . والمذروان : فرعا الأليتين .

(٣) قضقضه : كسره وحطمه . ها : « فقصفه » . ط، مب : « ففضفضه » حـ : « ففضفضه » وهاتان محرفتان .

(٤) ما عدا ط، حـ، ها، مب : « بنى الأشعر » بالشين المعجمة .

(٥) اعتفره الأسد، إذا افترسه .

(٦) الشاسع : البعيد . ما عدا ط، ها، مب : « بالسبب الدانى » .

(٧) ما عدا ط، ها، مب : « لا يرفع الرحمن مصدوعهم » و « الصادع » .

(٨) أعذر إليه : لم يبق فيه موضعا للاعتذار . ما عدا ط، حـ، ها، مب : « واعتذر إليه » . تحريف .

ألا إنَّ الشَّبابَ ثيابُ لُبْسٍ * وما الأمـوالُ إلّا كالظِّـلالِ

فإن يبـلَ الشَّبابُ فكلُّ شيءٍ * سمعتَ بهِ ســوى الرحمنِ بالِ

جواب ابن حسان

وهى طويلةٌ جداً، يفخَرُ فيها بمآثر بنى تميم . فأجابه ابنُ حسان فقال :

أتانى عنك يا مسكينُ قولٌ * بذلتُ النِّصفَ فيـه غيرَ آلِ[1]

٥ دعوت إلى التناضُل غيرَ قَحْمٍ * ولا غُمْـرٍ يَطيرُ لدى النضالِ[2]

وهى أطولُ من قصيدة مسكين . ثم انقطع التناضُل بينهما .

قال دِماذ : فحدّثنى أبو عبيدة قال : حدّثنى أبو حيـة النميرى قال : حدّثنى الفرزدق قال :

تحريض الأخطل على هجاء الأنصار

١٥٤/١٣ كُنّا فى ضيافةِ معـاوية ، ومعنا كعبُ بن جُعَيل التَّغلبى ، فحـدّثنى أنّ يزيد

١٠ ابن معاوية قال له : إنّ ابن حسان فضحَ عبدَ الرحمن بن الحكم وغلَبه، وفضحنا، فاْهجُ الأنصـار . قال : فقلت له : أرادِّى أنت فى الشرك ، أأهجـو قوماً نصروا رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم وآ لَهَ وآ وَوْه ؟ ولكنِّى أدلُّك على غلامٍ منا نصرانىٍّ لا يبالى أن يهجوَهم، كأنّ لسانَه لسانُ ثور . قال : من هو ؟ قلت : الأخطل . فدعاه وأمره بهجائهم، فقال : على أن تمنعَنى ؟ قال : نعم .

١٥ قال أبو عبيدة: إن معاويةَ دسَّ إلى كعبٍ وأمره بهجائهم، فدلَّه على الأخطل، فقال الأخطل قصيدتَه التى هجـا فيها الأنصار ، وقـد مضت ومضى خبرُها وخبر النعمان بن بشير .

---

(١) النصف : الإنصاف والمعدلة . غير آل : غير مقصر ولا تارك .

(٢) القحم : الذى قد أقحمته السن تراه قد هرم من غير أوان الهـرم . والغمر : هو الجاهل الغر

٢٠ الذى لا تجربة له .

وزاد أبو عبيدة عمن روينا ذلك عنه: أن النعمان بن بشير ردّ على الأخطل فقال:

أبلغ قبائل تغلبَ ابنةِ وائلٍ * مَن بالفرات وجانبِ الثّرثار (١)

فاللؤمُ بين أنوفِ تغلبَ بيّنٌ * كالرَّقم فوقَ ذراعِ كلِّ حمارِ

قال: فخافه الأخطلُ أن يهجوَه، فقال فيه:

عذرت بنى الفُرَيعة أن هَجَونى * فما بالى وبالُ بنى بشير

أُفَيحِجُ من بنى النجّار شَثْنٌ (٢) * شديدُ القُصْرَيَيْنِ من السُّحورِ

ولم يرد على هذين البيتين شيئا فى ذِكرِه.

قال أبو عبيدة فى خبره أيضا: إن الأنصار لمّا استعدَوْا عليه معاويةَ قال لهم: لكم لسانُه إلا أن يكون ابنى يزيدُ قد أجاره. ودسّ إلى يزيد من وقته: إنى قد قلتُ للقوم كيت وكيت فأجِرْه. فأجاره، فقال يزيد بن معاوية فى إجارته إياه:

دعا الأخطلُ الملهوف بالشَّردعوةً * فأىُّ مجيبٍ كنتُ لمّا دعانيا

ففرّجَ عنه مَشهدَ القوم مشهدى * وألسِنةَ الواشين عنه لسانيا

(١) الثرثار: واد عظيم بالجزيرة.

(٢) أفيحج: تصغير أفحج، وهو الذى تتدانى صدور قدميه وتتباعد عقباه وتتفحج ساقاه. ط، مب: «أحيصح» حـ: «أجيح» وفى سائر النسخ ما عدا ها «أفحج»، صوابه من الديوان ٣١٣. والشثن: الغليظ. ط فقط: «سير» وبدلها فى الديوان: «يصحى». والقصريان: ضلعان تليان الترقوتين. ما عدا ط، حـ، ها، مب والديوان: «شديد العصرتين» محرف. والسحور: طعام السحر. ط فقط: «من السيور». وبعدهما فى الديوان بيتان آخران، وهما:

وقد جاريت قد علمت معد * بلا وانى اليدين ولا قصير

بذى شق على الضبرات حتى * يلين على التحفف والشخير

الضبرات: الوثبات، جمع ضبرة. والتحفف، بفاءين: دوى جرى الفرس.

صــــوت

كان لى يا شُقَير[1] حبُّك حَيْنَا * كاد يقضى علىَّ لمَّا التقينا

يعلمُ الله أنكم لو نأيتمْ * أو قَرُبتم أحبُّ شىء إلينا

الشعر لعمر بن أبى ربيعة ، والغناء لحبابة جارية يزيد بن عبد الملك ، ولحنها ثانى ثقيل بالوسطى، وجعلت مكان «ياشقير»[1] : «يا يزيد» . وفى هذا الشعر للهذلى خفيف ثقيل أول مطلق بالوسطى . وزعم عمرو بن بانة أنه للأبجر . وقال الهشامى: لحن الأبجر ثقيل أول بالبنصر . وفيه للدارمى وابن فروخ[2] خفيف ثقيل، ولحن الدارمى فيهما مطلق فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

(١) ماعدا ط، ها، مب : « يا سقير » بالسين المهملة .

(٢) ط ، مب : « ابن فروح » .

أخبار حَبابة

صفة حبابة

كانت حَبابة مولَّدة من مولدات المدينة، لرجل من أهلها يعرف بابن رمانة، وقيل ابن مِينا . وهو خَرَّجها وأدّبها . وقيل: كانت لآل لاحِقٍ المكّيّين . وكانت حلوة جميلةَ الوجه ظريفةً حسنةَ الغناء، طيِّبة الصوت، ضاربةً بالعود . وأخذت الغناء عن ابن سريج، وابن مُحرز، ومالك، ومعبد، وعن جميلةَ وعَزّة الميلاء، وكانت تسمَّى العالية[1]، فسمّاها يزيد لما اشتراها حَبَابة . وقيل : إنّها كانت لرجل يعرف بابن مينـا .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : حدّثنى حاتم بن قبيصة قال :

شراء يزيد لحبابة

وكانت حبابة لرجلٍ يدْعى ابنَ مينا ، فأُدخِلت على يزيد بن عبد الملك فى إزارٍ له ذَنَبانِ، وبيدها دف تَرمِى به وتتلقّاه، وتتغنّى :

ما أحسنَ الجِيد من مُلَيكةَ واللـ * ـبّـاتِ إذْ زانَهـا ترائبُهـا
يا ليتنى ليـلة إذا هجـع الـ * ـنّـاسُ ونام الكلاب صاحبُها
فى ليـلةٍ لا يُرَى بهـا أحدٌ * يسعَى علينا إلّا كواكبُها[2]

ثم خرج بها مولاها إلى إفريقية، فلما كان بعد ما ولى يزيدُ اشتراها .

وروى حماد عن أبيه عن المدائنى عن جرير المدينى، ورواه الزبير بن بكار عن إسماعيل بن أبى أويس عن أبيه قال :

---

(١) حـ فقط : « الغالية » بالغين المعجمة .
(٢) تسعى هنا من السعاية، وهى الوشاية .

فرح يزيد بشراء سلامة وحبابة

قال لى يزيد بن عبد الملك : ما تقرّ عينى بما أوتيتُ من الخلافة حتّى أشترىَ سَلّامة جارية مُصعب بن سهيل الزهرى ، وحَبابةَ جاريةَ لاحقٍ المكية . فأرسلَ فاشتُرِيتا له ، فلما اجتمعتَا عندَه قال : أنا الآنَ كما قال القائل[1] :

فألقتْ عصاها واستقرّت بها النوى * كما قرّ عينـا بالإيابِ المسـافر

٥ قال إسحاق : وحدّثنى أبو أيوب عن عَباية قال : كانت حبابة لآل رمّانة ، ومنهم ابتيعت ليزيد .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدّثنى الزبير بن بكار قال : أخبرنى محمد بن سلمة عن ابن مافنّـه[2] عن شيخ من أهل ذى خُشُب[3] قال :

لقاء حبابة بذى خشب

١٠ خرجنا نريد ذا خُشب ونحن مُشاةٌ، فإذا قبةٌ فيها جارية ، وإذا هى تغنّى :

سـلكوا بطنَ مَحِيصٍ[4] * ثم ولّـوْا راجعينـا

أورثونى حِـينَ ولّوْا * طُولَ حُزنٍ وأنينـا

قال : فسرنا [معها[5]] حتّى أتينا ذا خُشب، فخرج رجل معها، فسألناه، وإذا هى حَبابةُ جارية يزيد، فلما صارت إلى يزيد أخبَرتْه بنا ، فكتبَ إلى والى المدينة

١٥ يعطىَ كلَّ واحدٍ منّا ألفَ درهمٍ ألف درهم .

(١) هو معقر بن حمار البارقى يصف امرأة كانت لا تستقر على زوج ، كلما تزوجت رجلا فارقته واستبدلت آخر به ، ثم تزوجها رجل فرضيت به . ونسب البيت التالى أيضا إلى عبد ربه السلمى ، وإلى سليم ابن ثمامة الحنفى . انظر اللسان (عصا) .

(٢) ما عدا ط ، ها ، مب : « مافية » . (٣) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة .

٢٠ (٤) محيص : موضع بالمدينة . ما عدا ط : « مخيض » بالخاء المعجمة ، وهو اسم موضع ورد ذكره فى الغزوات . (٥) هذه الكلمة من ط ، ها ، مب فقط .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى إسحاق عن المدائنى . وروى هـذا الخبر حماد بن إسحـاق عن أبيه عن المدائنى ، وخبرُه أتمّ :

موالى حبابة وذكر من اشتراها

أنّ حَبابة كانت تسمى العالية ، وكانت لرجل من الموالى بالمدينة ، فقدّم يزيد ابن عبد الملك فى خلافة سليمان فتزوج سَعْدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، على عشرين ألف دينار، وربيحة بنت محمد بن على بن عبدالله[1] بن جعفر على مثل ذلك، واشترى العـالية بأربعة آلاف دينـار[2] ، فبلغ ذلك سليمان فقال : لأحجُرنّ عليه . فبلغ يزيدَ قولُ سليمان فاستقال مولى حبابة[3] ، ثم اشتراها بعـد ذلك رجلٌ من أهل إفريقية ، فلما ولى يزيدُ اشترتها سَعدة امرأتُه وعلمتْ أنه لا بدّ طالبها ومشتريها ، فلما حصلت عنـدها قالت له : هل بقى عليك من الدُّنيـا شىء لم تنله ؟ فقال : نعم ، العالية . فقالت : هذه هى ، وهى لك . فسمَّاها حَبابة ، وعظم قدر سَعدة عنده . ويقال إنهـا أخذَتْ عليها قبل أن تهبها له أن توطِّئ لابنها[4] عنده فى ولاية العهد وتحضِرها ما تحبّ[5] [إذا حضرت[6]] .

١٥٦ / ١٣

وقيل إنّ أم الحجاج أم الوليد بن يزيد هى التى ابتاعتها له ، وأخذت عليها ذلك ، فوفَتْ لها بذلك . هكذا ذكر الزبير فيما أخبرنا به الحسن بن على عن هارون بن محمد ، عنه عن عمه . قال : ومن زعم أن سعدة اشترتها فقد أخطأ .

---

(١) ما عدا ط ، ها ، مب : « بن عبيد الله » بالتصغير ، تحريف . وربيحة هـذه خبر فى كتاب المردفات من قريش . انظر نوادر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون المجلد الأول ص ٧٤ .

(٢) ما عدا ط ، ها ، مب : « بألف دينار » . وما فى ط ، ها ، مب يطابق ما سيأتى بعد .

(٣) استقاله : طلب منه أن يقيله ، أى يفسخ البيع .

(٤) ط ، حـ ، مب : « لابنه » ها « لأبيها » .

(٥) ها : « بما تحب » . (٦) التكملة من مب .

قال المدائنى : ثم خطب يزيدُ إلى أخيها خالدٍ بنتَ أخٍ له ، فقال : أما يكفيه أنّ سَعدة عنده حتّى يخطب إلى بناتِ أخى ؟ وبلغ يزيدَ فغضب ، فقدم عليه خالدٌ يسترضيه ، فبينا هو فى فُسطاطه إذ أتتْه جاريةٌ لحبابة فى خَدَمِها فقالت له : أمُّ داود تقرأ عليك السلام وتقول لك : قد كلّمتُ أميرَ المؤمنين فرضى عنك . فالتفتَ فقال : مَن أم داود ؟ فأخبره من معه أنّها حبابة ، وذكر له قدرَها ومكانها من يزيد . فرفع رأسه إلى الجارية فقال : قُولى لها : إنّ الرضا عنّى بسبب لستِ به . فشكت ذاك إلى يزيد فغضب ، وأرسل إلى خالد فلم يعلم بشىء حتى أتاه رسولُ حَبابة به فيمن معه من الأعوان ، فاقتلعوا فُسطاطَه وقلَعوا أطنابه ، حتّى سقَط عليه وعلى أصحابِه ، فقال : ويلكم ما هذا ؟ قالوا : رُسل حبابة ، هذا ما صنعتَ بنفسك . فقال : مالها أخزاها الله ، ما أشبه رضاها بغضبها !

شعر الحارث بن خالد فى حبابة

قال إسحاق : وحدّثنى محمد بن سلام عن يونس بن حبيب ، أنّ يزيد ابن عبد الملك اشترى حبابة ، وكان اسمها العالية ، بأربعة آلاف دينار ، فلما خرج بها قال الحارث بن خالد فيها :

ظَعن الأميرُ بأحسنِ الخلقِ * وغدَوْا بلُبِّك مطلعَ الشرقِ
مَرّت على قَرَنٍ (١) يُقاد بها * تعدو أمامَ بَراذنٍ زُرقِ
فظللتُ كالمقمور (٢) مُهجَتَه * هذا الجنونُ وليس بالعشقِ
يا ظبيةً عبِقَ العبيرُ بها * عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ

(١) قرن ، بالتحريك : جبل ، ذكره ياقوت ، وأنشد هذه الأبيات فيه منسوبة إلى عبيد الله ابن قيس الرقيات ، وكذلك وردت هذه النسبة فى كتاب المردفات من قريش ٦٥ من نوادر المخطوطات المجلد الثانى . والصواب أن يكون : « القرن » هنا : البعير المقرون بآخر . تعدو ، أى يعدو بعيرها . ورواية ياقوت : « يقاد بها جمل » .

(٢) المقمور : المغلوب فى القمار . ورواية المردفات : « خلعته » بدل « مهجته » .

وغنته حبابة فى الشعر، وبلغ يزيد فسألها عنه فأخبرته، فقال لها : غنِّينى به .
فغنته فأجادت وأطربته ، فقال إسحاق : ولعمرى إنه من جيد غنائها .

قال أبو الفرج الأصبهانى : هذا غلط ممّن رواه فى أبيات الحارث بن خالد ؛
لأنه قالها فى عائشةَ بنت طلحة ، لمّا تزوّجها مصعب بن الزبير وخرج بها[1] .
وفى أبياته يقول : ٥

فى البيت ذى الحسَب الرفيع ومن * أهل التقَى والبِرِّ والصِّدقِ

وقد شُرح ذلك فى أخبار عائشة بنت طلحة .

قال إسحاق : وأخبرنى الزبيرى أنّ يزيد اشتراها وهو أمير ، فلما أراد الخروج
بها قال الحارث بن خالد فيها :

قد سُلَّ جسمى وقد أودَى به سَقَمٌ * من أجل حَىٍّ جلَوْا عن بلدة الحَرمِ[2] ١٠
يحنُّ قلبى إليها حين أذكرها * وما تذكرتَ شوقًا آب من أَمَمِ[3]
إلّا حنينًا إليها إنها رشَأٌ * كالشّمس رُودٌ ثَقالٌ سهلة الشيَمِ[4]
فضّلها اللهُ ربُّ الناس إذ خُلقت * على النساءِ منَ أهل الحزم والكرمِ

أقوال الشعراء فيها

وقال فيها الشعراء فأكثروا ، وَغنَّى فى أشعارهم المغنُّون من أهل مكة والمدينة ،
وبلغ ذلك يزيدَ فاستشنعه، فقال : هذا قبلَ رحلتنا وقد هَمَمنا، فكيف لو ارتحلنا؟! ١٥
وتذكر القومُ شدّة الفراق ، وبلغه أيضا أن سليمانَ قد تكلّمَ فى ذلك ، فردّها ؛
ولم تزل فى قلبه حتّى مَلَكَ، فاشترتها سعدة امرأته العثمانية ، ووهبتها له .

١٣٧ / ٥

(١) وهى إحدى نسختى كتاب المردفات .
(٢) فيما عدا ط، مب : « قد خلوا » محرف .
(٣) الأمم ، بالتحريك : القرب . ٢٠
(٤) الرود ، بالضم ، وأصلها الهمز : الشابة الحسنة . والثقال ، كسحاب : العظيمة الكفل .

أخبرنى ابن عمار قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنى إسحاق قال : حدّثنى أبو ذُفافة المنهال بن عبد الملك ، عن مروان بن بشر بن أبى سارَةَ مولى الوليد ابن يزيد، قال :

منزلة حبابة عند يزيد

أوّل[1] ما ارتفعت به منزلةُ حبابة عند يزيد أنّه[2] أقبل يومًا إلى البيت الذى هى فيه، فقام من وراءِ الستر فسمعها تترنم وتغنّى وتقول :

كان لى يا يزيدُ حُبُّكَ حَينا * كاد يقضى علىَّ لمـا التقينا[3]

— والشعر كان « يا شُقير»[4] — فرفع الستر فوجَدها مضطجعةً مُقْبِلة على الجدار، فعلم أنها لم تَعلَمْ[5] به ولم يكن ذالكَ لمكانه ، فألقى نفسَه عليها وحَرَّكت منه .

قال المدائنى : غلبت حبابة على يزيد ، وتَبَنَّى بها عمر بن هبيرة فعلت منزلته ، حتى كان يدخُلُ على يزيد فى أىِّ وقت شاء ، وحسَد ناسٌ من بنى أمية مَسلمة ابن عبد الملك على ولايته ، وقدَحوا فيه عند يزيد، وقالوا : إن مسلمة إنّ اقتطع الخراج لم يحسُن يا أميرَ المؤمنين أن تَفتِشه أو تكشفه[6] عن شىء ، لِسنّه وحقّه[7] ، وقد علمتُ أنّ أميرَ المؤمنين لم يُدخل أحدًا من أهل بيته فى الخراج . فوقَر[8] ذلك فى قلب يزيد، وعزَم على عزله ، وعمل ابنُ هبيرة فى ولايةِ العراق من قبل حَبابة، فعمِلت له فى ذلك . وكان بين ابن هبيرة وبين القعقاع بن خالد عداوةٌ ، وكانا يتنازعان ويتحاسدان، فقيل للقعقاع لقد : نزل ابن هبيرة من أمير المؤمنين منزلةً ،

(١) بدلها فيما عدا ط، ها، مب : « لما » .
(٢) كلمة « به » و« أنه » من ط ، حـ ، ها، مب .
(٣) الحين ، بالفتح : الهلاك . (٤) ما عدا ط، هـ ، مب : « يا سقير» .
(٥) الكلام بعده إلى نهاية السطر الأول بعد الأبيات الدالية التى ستأتى ، ناقص من نسخة ط .
(٦) هذا ما فى ها، مب . وفى س : «أن يستكشف» . وفى سائر النسخ : «أن يعيشه وأن يكسبه» تحريف . (٧) ما عدا « ها »، مب : « وخفته » . (٨) وقر فى قلبه، أى ثبت وسكن .

إنه لصاحب العراقِ غدا . فقال : ومن يطيق ابن هبيرة؟! حبابة بالليل، وهداياه بالنهار ، مع أنه وإن بَلَغ فإنه رجلٌ من بنى سُكَين[1] . فلم تزل حبابة تعمل له حتى وليها .

حدّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم يحدّث بهذا الحديث ، لحفظته ولم أحفظ إسناده . ٥
وحدّثنا محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنى أحمد بن زهير قال : حدّثنا مصعب الزبيرى ، عن مصعب بن عثمان . وقد جمعت روايتيهما قالا :

أراد يزيدُ بن عبد الملك أن يتشبَّه بعمر بن عبد العزيز وقال : بماذا صار عمر أرْجَى[2] لربه جل وعزّ منِّى ؟ فشقّ ذلك على حبابة ؟ فأرسلت إلى الأحوص .

مسلمة ويزيد بن معاوية

هكذا فى رواية وكيع ، وأما عمر بن شبة فإنه ذكر أنّ مسلمة أقبلَ على يزيد ١٠ يلومُه فى الإلحاح على الغناء والشُّرب ، وقال له : إنك وَليت بعقب عمر بن عبدالعزيز وعَدله ، وقد تشاغَلتَ بهذه الأمّة عن النظر فى الأمور ، والوفودُ ببابك ، وأصحابُ الظُّلامات يصيحون ، وأنت غافل عنهم . فقال : صدقتَ والله ، وأعتَبَه وهمّ بترك الشُّرب ، ولم يدخل على حبابة أيامًا ، فدَسّت حَبابة إلى الأحوص أن يقول أبياتًا فى ذلك وقالت له : إن رددتَه عن رأيه فلك ألفُ دينار . فدخل الأحوص ١٥ إلى يزيد ، فاستأذنَ فى الإنشاد ، فأذِن له .

قال إسحاق فى خبره : فقال الأحوص :

---

(١) سكين ، بالتصغير : أحد أجداده ، كما فى ترجمة يزيد بن عمر بن هبيرة ، فى وفيات الأعيان .

(٢) الرجاء : الخوف . قال عز وجل : «ما لكم لا ترجون لله وقارا» ، أى لا تخافون لله عظمة .

صـــوت

ألَا لَا تَلُمْه اليـــومَ أن يتبـــلَّدا * فقـــد غُلِب المحزونُ أن يتجـــلَّدا

بكيتُ الصِّبا جَهدِى فمن شاء لامنى * ومَن شاء آسَى فى البكاء وأسْعَدا

وإنّى وإنْ فُنِّدتُ فى طلب الغنى * لَأعلمُ أنّى لستُ فى الحبِّ أوحدا (١)

٥ إذا أنتَ لم تعشق ولم تَدرِ ماالهوى * فكن حجرًا من يابس الصخرِ جلمَدا

فمـا العيشُ إلا ما تَلَذُّ وتشتهِى * وإنْ لامَ فيـه ذو الشّنَانِ وفَنَّـدا (٢)

الغناء لمعبد، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر، وفيه رمل للغريض. ويقال إنه لحبابة.

قال : ومكث جُمعةً لا يرى حَبابة ولا يدعو بهـا، فلما كان يومُ الجمعة قالت (٣) لبعض جواريها : إذا خرج أميرُ المؤمنين إلى الصلاة فأعلِمِينى . فلما أراد الخروجَ

١٠ أعلمَتْها ، فتلقّته والعـودُ فى يدها ، فغنت البيت الأوّل، فغطّى وجهه وقال : مَهْ لا تفعلى . ثم غنت:

* وما العيشُ إلا ما تَلَذُّ وتشتهِى *

فعدل إليها وقال : صـدقتِ والله ، فقبّح الله مَن لامنى فيـكِ، ياغلام مُرْ مسلمةَ أن يصلّيَ بالناس . (٤) وأقام معها يشربُ وتغنيه، وعاد إلى حاله .

١٥ وقال عمر بن شبة فى حديثه : فقال يزيد : صدقتِ والله، فعلَى مسلمةَ لعنةُ الله ! وعاودَ ما كان فيــه ، ثم قال لها : مَن يقول هــذا الشعر ؟ قالت : الأحوص . فأحضره ثم أنشده قصيدة مدحه فيها، وأوّلها قوله :

يامُـوقِدَ النـار بالعَليـاء من إضم * أوقِدْ فقد هِجتَ شوقًا غيرَ منصرِم (٥)

---

(١) التفنيد : التكذيب ، والتعجيز وتخطىء الرأى . (٢) الشنان والشنآن : العداوة والبغض .

٢٠ (٣) إلى هنا ينتهى سقط ط الذى سبق التنبيه عليه . (٤) ما عدا ء ، ها ، مب ط : «إلى حبابة» .

(٥) إضم ، كإرم : واد يشق الحجاز حتى يفرع فى البحر .

وهى طويلة . فقال له يزيد : ارفع حوائجك . فكتب إليه فى نحوٍ من أربعين ألفَ درهم من دَينٍ وغيره، فأمر له بها .

وقال مصعب فى خبره : بل استأذن الأحوص على يزيد ، فأذن له ، فاستأذن فى الإنشاد ، فقال : ليس هذا وقتك . فلم يزل به حتى أذِن له . فأنشده هذه الأبيات، فلما سمعها وثب حتّى دخل على حَبابة وهو يتمثل : ٥

وما العيش إلا ما تلَذُّ وتشتهى * وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنَانِ وفَنّدا

فقالت له : ما ردّكَ يا أميرالمؤمنين ؟ فقال : أبياتٌ أنشدَنيها الأحوص ، فسلى ما شئت . قالت : ألف دينار تُعطيها الأحوص . فأعطاه ألف دينار .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صــــوت

١٠

يا مُوقِدَ النار بالعَلْياء من إضَم * أوقِدْ فقد هِجتَ شوقاً غيرَ منصرِم

يا مُوقِدَ النار أوقِدها فإن لها * سَنَاً يَهِيج فؤادَ العاشقِ السَّدِم [1]

الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، عن يونس وإسحاق وعمرو . وذكر حبَش أن فيه خفيف ثقيلٍ آخر لابن جامع .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنى على ١٥ ابن القاسم بن بشير قال :

مولى خراسانى يعظ يزيد بن عبد الملك

لما غلبَ يزيدُ بن عبدالملك أهلَه وأبى أن يسمعَ منهم كلّموا مولىً له خراسانيا ذا قَدْر عندهم ، وكانت فيه لُكنة ، فأقبل على يزيدَ يعظه وينهاه عما قد ألحّ عليه

(١) سنا النار : ضوؤها . ما عدا ط ، ها ، مب : « شبا » محرف . والسدم : الحزين المغتاظ .

من السَّماع للغناء والشراب ، فقال له يزيد : فإنى أُحضِرك هذا الأمرَ الذى تنهى عنه ، فإن نهيتَنى عنه بعد ما تَبلوه وتحضُره انتهيتُ ، وإنِّى مخبر جوارِىَّ أنك عمٌّ من عُمومتى ، فإياك أن تتكلَّمَ فيعلمْنَ أنِّى كاذب ، وأنَّك لست بعمِّى . ثم أدخله عليهنّ فغنَّين ، والشيخُ يسمع ولا يقول شيئا ، حتَّى غنين :

٥ وقد كنتُ آتيكم بِعِــلَّةِ غيركم * فأفنيتُ عِــلاتِى فكيف أقـولُ

فطرِب الشيخ وقال : لا قَيف ، جعلنى الله فِداكُنّ ! يريد : لا كيف . فعلمن أنه ليس عمَّه ، وقمن إليه بعيدانهنّ ليضربْنه بها ، حتَّى حجزهنّ يزيدُ عنـه . ثم قال له بعدما انقضى أمرُهن : ما تقول الآنَ أدعُ هذا أم لا ؟ قال : لا تدعه !

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى خالد

١٠ ابن يزيد بن بحر الخزاعى الأسلمِىّ ، عن محمد بن سَلَمة ، عن أبيه عن حماد الراوية قال :

حبابة تردّ يزيد إلى ما كان عليه

كانت حَبابة فائقةً فى الجمالِ والحسن ، وكان يزيدُ لها عاشقا ، فقال لها يوما : قد استخلفتُك على ما ورِدَ علىّ ، ونصبتُ لذلك مولاىَ فلانًا فاستخلِفيه لأقيم معكِ أيّامًا وأستمتِع بك . قالت : فإنِّى قد عزلتُه . فغضب عليها وقال : قد استعملتُه

١٥ وتعزلينه ؟ وخرجَ من عندها مغضَبا ، فلما ارتفع النَّهار وطال عليه هَجرُها دعا خَصِيًّا له وقال : انطلقْ فانظرْ أىَّ شىء تصنع حَبابة ؟ فانطلق الخادم ثم أتاه ، فقال : رأيتها مؤتزرة بإزار خَلوقىّ[1] قد جعلَتْ له ذَنَبين وهى تلعبُ بلُعَبِها . فقال : ويحكَ احتلْ لها حتَّى تمرّ بها علىّ . فانطلق الخادِمُ إليها فلاعبَها ساعة ، ثم استلبَ لُعبة من لعبِها وخرجَ ، فجعلت تُحضِر فى أثَره ، فمرت بيزيدَ فوثب وهو يقول : قد

٢٠ (١) كلمة « مؤتزرة » من ط ، ها ، مب فقط . وخلوق ، كأنه يريد لونه كلون الخلوق . والخلوق بفتح الخاء : طيب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة .

عزلتُه ! وهى تقول : قد استعملته ! فعزل مولاه وولّاه وهو لا يدرى . فمكث معها خاليا أياما حتّى دخل عليه أخوه مَسلمة فلامه، وقال : ضيعتَ حوائج الناس واحتجبتَ عنهم، أترى هذا مستقيمًا لك؟! وهى تسمعُ مقالته، فغنّت لما خرج :

* ألا لا تلمْــهُ اليومَ أن يتبلّدا *

فذكرت الأبيات . فطربَ وقال : قاتلك الله أبيتِ إلا أن تردينى إليـك . وعاد إلى ما كان عليه . ٥

أخبرنى إسماعيل قال : حدّثنى عمى قال : حدّثنى إسحاق قال : حدّثنى الهيثم ابن عدىّ، عن صالح بن حسان قال :

حبابة وسلامة تغنيان يزيد بشعر للأحوص فيعود إلى الصبا

قال مسلمة ليزيد : تركتَ الظُّهور(١) وشهودَ الجمعة الجامعة، وقعدتَ فى منزلك مع هذه الإماء ! وبلغ ذلك حبابة وسلامة فقالتا للأحوص : قل فى ذلك شعرا . فقـال : ١٠

وما العيشُ إلا ما تَلَذُّ وتَشْـتهِى * وإنْ لامَ فيـه ذو الشّنَانِ وفنّـدا
بكيتُ الصِّبا جَهدى فمن شاء لامنى * ومن شاءَ آسَى فى البكاء وأسعدا
وإنّى وإن أُغرقتُ فى طَلَب الصبا * لأعلمُ أنّى لستُ فى الحبِّ أوحدا
إذا كنتَ عِزْهاةً عن اللّهو والصبا * فكن حجرًا من يابس الصخر جَلمدا(٢) ١٥

قال : فغنتا يزيد فيه، فلما فرغتا ضرب بخيزرانته الأرض وقال : صدقتما صدقتما ! فعلى مسلمة لعنة الله وعلى ما جاء به .

(١) ما عدا ط، ها، مب : « الطهور » بالطاء المهملة .
(٢) العزهاة : المنقبض المعرض .

قال : وطرب يزيد فقال : هاتيا . فغنتاه من هذه القصيدة :

وعهدى بها صفراءَ رُودًا كأنما * نضا عَرَقٌ منها على اللون مُجسدا (١)

مهفهفة الأعلى وأسفل خلقها * جرى لحمُه ما دونَ أن يتخدّدا (٢)

من المدمَجات اللحم جَدلًا كأنها * عِنانُ صَناعٍ مدمجُ الفتل محصَدا (٣)

كأنّ ذكيّ المسك بادٍ وقد بدت * وريحَ خُزامَى طَلّةٍ تنفح الندى (٤)

٥

فطرب يزيدُ وأخذ فيه من الشراب قدرَه الذى كان يطرب منه ويسرّه، ولم ترَه أظهر شيئا مما كان يفعله عند طربه، فغنته :

ألا لا تلُمْه اليومَ أن يتبلّدا * فقد غُلِب المحزونُ أن يتجلّدا

نظرتُ رجاء بالموقَّر أن أرى * أكاريسَ يحتلُّون خاخا فمنشدا (٥)

فأوفيتُ فى نَشْزٍ من الأرض يافعٍ * وقد تُسعِف الأيفاعُ من كان مُقصَدا (٦)

١٠

فلما غنته بهذا طرب طربه الذى تعهده، وجعل يدور ويصيح : الدُّخن بالنوى ، والسمَك فى بيطار جِنانْ (٧) . وشقّ حلته وقال لها : أتأذنين أن أطير ؟ قالت : وإلى من تدع الناس؟ قال : إليك (٨) .

---

(١) فى الأصول ماعدا « ها » : « رود » ، والوجه النصب . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجساد، وهو الزعفران . (٢) مهفهفة : ضامرة . والتخدد : اضطراب اللحم من الهزال .

١٥

(٣) الجدل : شدة الفتل . كناية عن عدم الترهل . ط : « جذلا » صوابه فى حـ، ها ، مب . وفى سائر النسخ : « جدلى » ، لعله مسهل « جدلاء » . والجدلاء : المحكمة النسج . والعنان، بالكسر : الحبل . والصناع : الحاذق بالصنعة ، يقال للذكر والأنثى . والمحصد : الشديد الفتل .

(٤) طلة : مطلولة . والطل : الندى . حـ : «ظلة » س، ب : « ظله » صوابهما فى ط، ها .

(٥) الموقر : موضع بالبلقاء من نواحى دمشق . وخاخ : موضع بين الحرمين . ومنشد : موضع بين رضوى والساحل . والأكاريس : جمع أكراس، وهذه جمع كرس ، بالكسر، وهو الجماعة من الناس . ماعدا ط ، حـ ، ها : « أكاديس » محرف .

٢٠

(٦) ماعدا ط، ها : « وقد ينفع » . المقصد : الذى طعن أو رمى فلم تخطئ مقاتله .

(٧) كلمات يهذى بها . وكلمتا « بيطار » و « جنان » مهملتان فى ط، مب . وسيأتى الكلام برواية أخرى فيما بعد . (٨) الكلام من « قالت » إلى هنا ليس فى حـ ، ط، مب .

٢٥

قال : وغنته سَلّامةُ من هذه القصيدة :

فقلتُ ألا ياليت أسماءَ أصقبتْ * وهل قولُ ليتٍ جامعٌ ما تبدّدا (١)

وإنّى لأهواها وأهوى لِقاءها * كما يَشتهى الصادى الشرابَ المبرّدا

علاقةَ حبٍّ لَجّ فى سَنَن الصبا * فأبلَى وما يزداد إلّا تجدُّدا

مُهوبٌ وأعلام تخال سرابَها * إذا استَنّ فى القيظ المُلاءَ المعضّدا (٢)

قال : وغنته حَبابةُ منها أيضا :

كريمُ قريشٍ حين يُنسَبُ والذى * أقَرّت له بالملك كَهلًا وأمردا

وليس عطاءٌ كان منه بمانع * وإن جَلّ من أضعاف أضعافه غدا

أهانَ تِلادَ المالِ فى الحمد أنه * إمامُ هدًى يجرى على ما تعوّدا

تردّى بمجدٍ من أبيه وأمّه * وقد أورثا بنيانَ مجدٍ مشيّدا

فقال لها يزيد : ويحك يا حبابة ، ومن من قريش هذا ؟ قالت : أنت . قال : ومن يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص يا أمير المؤمنين . وقالت سلامة : فليسمع أميرُ المؤمنين باقى ثنائه عليه فيها . ثم اندفعت فغنته :

ولو كان بذلُ الجودِ والمالِ مُخلِدا * من الناس إنساناً لكنتَ المخلَّدا

فأقسمُ لا أنفكّ ما عِشتُ شاكرا * لنعماكَ ما طارَ الحمامُ وغَرّدا

قضاء معبد فى المفاضلة بين حبابة وسلامة

أخبرنى إسماعيل قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : على بن الجعد قال : حدّثنى أبو يعقوب الخُرَيمى ، عن أبى بكر بن عَيّاش : أن حَبابة وسَلّامة اختلفتا فى صوت معبد :

ألَا حىِّ الديار بسَعد إنّى * أحِبُّ لحبِّ فاطمة الديارا

(١) أصقبت : دنت . ما عدا ط ، مب : « أصغيت » تحريف .

(٢) استن : أسرع . شبه السراب بالملاء المعضد ، وهو المخطط على شكل العضد . فى جميع الأصول : « المعمدا » ولا وجه له .

فبعثَ يزيد إلى معبد فأتى به، فسأل : لم بُعِث إليه؟ فأُخبِر، فقال : لأيّتهما المنزلة عند أمير المؤمنين ؟ فقيل : لحبابة . فلما عَرضَنا عليه الصوت قضى لحبابة، فقالت سلامة : والله ما قَضَى إلا للمنزلة، وإنّه ليعلم أنّ الصوابَ ما غنّيت، ولكن ائذن لى يا أمير المؤمنين فى صِلته لأنّ له علىّ حقًّا . قال : قد أذنت . فكان ما وصلَتْه به أكثر من حبابة . ٥

نسبة هـــذا الصوت

ألا حَىِّ الديارَ بسَعْدَ إنّى * أحبُّ لحبِّ فاطمةَ الديارا[1]

إذا ما حَلّ أهلكِ يا سليمى * بدارةِ صُلْصُلٍ شَحَطوا مَزارا[2]

الشعر لجرير، والغناء لابن مُحرِز، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى البنصر .

١٠ أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدّثنا عمر بن شبة قال :

بين الفرزدق والأحوص

نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة فقال له الأحوص : ما تشتهى ؟ قال : شِواءٌ وطِلاء[3] وغِناء . قال : ذلكَ لك . ومضى به إلى قَيْنَة بالمدينة فغنته :

ألا حَىِّ الديار بسَـعدَ إنّى * أحبُّ لحبِّ فاطمةَ الديارا[4]

أرادَ الظاعنون ليحزُنونى * فهاجُوا صَدعَ قلبى فاستطارا

---

١٥ (١) سعد، بالفتح : موضع قريب من المدينة . وقد أنشد ياقوت الأبيات فى (سعد) بضم السين على أنه ماء ونخل غربى اليمامة .

(٢) دارة صلصل لعمرو بن كلاب، كما فى ياقوت . شحطوا : بعـدوا . ط، مب وديوان جرير ٢٨٠ : «المزارا» وأثبت ما فى ها . وفى سائر النسخ «الديارا» بالتكرار لما سبق .

(٣) الطلاء : الخمر، أو ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه، وتسميه العجم «ميبختج» .

٢٠ (٤) الكلام بعده إلى ما قبل الصوت التالى منقوص فى ط .

فقال الفرزدق : ما أرقّ أشعاركم يا أهلَ الحجاز وأملحَها ! قال : أو ما تدرى لمن هذا الشعر ؟ فقال : لا والله . قال : هو لجرير ، يهجوك به . فقال : ويل ابنِ المراغة ما كان أحوجَه مع عفافِه إلى صلابةِ شعرى ، وأحوجَنى مع شهواتى إلى رقّة شعره .

الصوت الذى فوضل به بين حبابة وسلامة وبيان ما كان من أمر المفاضلة

٥ وقد روى صالح بن حسان أن الصوت الذى اختلفت فيه حبابة وسلامة هو:

وترى لهـا دَلًّا إذا نطقَتْ به * تركَتْ بناتِ فؤاده صُعْرا (١)

ذكر ذلك حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدى : أنهما اختلفتا فى هذا الصوت بين يدَىْ يزيد ، فقال لهما : من أينَ جاء اختلافُكما ، والصوت لمعبد ومنه أخذتماه ؟ فقالت هذه : هكذا أخذته ، وقالت الأخرى : هكذا أخذته . فقال يزيد : قد ١٠ اختلفتما ومعبدٌ حىٌّ بعد ؟ فكتبَ إلى عامله بالمدينة يأمره بحمله إليه .

ثم ذكر باقىَ الخبر مثل ما ذكره أبو بكر بن عيّاش .

قال صالح بن حسّان : فلما دخل مَعبدٌ إليه لم يسأله عن الصوت ، ولكنه أمَره أن يغنّى ، فغنّاه فقال :

فياعَزّ إنْ واشٍ وشَى بىَ عندَكم * فلا تكرميه أن تقولى له مَهلا (٢)

١٥ فاستحسنه وطرب ثم قال : إنّ هاتين اختلفَتا فى صوتٍ لك فاقضِ بينهما . فقال لحبابة : غنّى . فغنّت ، وقال لسلامة : غنّى . فغنّت ، وقال : الصواب ماقالت حبابة . فقالت سلّامة : والله يا ابنَ الفاعلة إنك لتعلمُ أنّ الصواب ما قلت ، ولكنك سألت أيّتهما آثَرُ عند أمير المؤمنين فقيل لك حبابة ، فاتّبعتَ هواه ورضاه ! فضحكَ يزيدُ وطرب ، وأخذ وِسادةً فصيّرها على رأسه ، وقام يدُور فى الدار ويرقص

(١) صعرا : مائلات . (٢) حـ : « أهلا » .

ويصيح : « السمك الطرى أربعة أرطال، عند بيطار حيان »[1] حتى دار الدارَ كلّها ثم رجع فجلس مجلسه وقال شعرا، وأمر معبدًا أن يغنّى فيه، فغنّى فيه وهو :

أبلغ حَبابة أسْقَى ربعَها المطرُ * ما للفؤادِ سوى ذكراكمُ وطَرُ
إنْ سار صحبِىَ لم أملِكْ تذكُّرَكم * أو عَرَّسوا فهمومُ النفس والسَّهَرُ

٥ فاستحسنه وطرب . هكذا ذكر إسحاق فى الخبر . وغيره يذكر أنّ الصنعة فيه لحبابة ، ويزعم ابنُ خُرداذبه أن الصنعة فيه ليزيد . وليس كما ذكر، وإنما أراد أن يوالِىَ بين الخلفاء فى الصنعة ، فذكره على غير تحصيل، والصحيح أنه لمعبد .

ألطاف سلامة وحبابة لمعبد

قال معبد : فسُرَّ يزيدُ لمّا غنيته فى هذين البيتين، وكسانى ووصلنى، ثم لما انصرمَ مجلسه انصرفتُ إلى منزلى الذى أُنْزِلتُه ، فإذا ألطافُ سَلّامة قد سبقت ١٠ ألطافَ حَبابة، وبعثت إلىّ : إنى قد عذرتُك فيما فعلتَ، ولكنْ كان الحقُّ أولى بك . فلم أزَلْ فى ألطافهما جميعًا حتى أذِن لى يزيد، فرجعتُ إلى المدينة .

نسبة الصوت الذى غناه معبد الذى أوّله

* فيا عزَّ إنْ واشٍ وشَى بى عندَكم *

صوت

١٥ ألم يأنِ لى يا قلبُ أنْ أتركَ الجهلا * وأنْ يُحدث الشيبُ الملِمُّ لىَ العقلا
على حين صار الرأسُ منّى كأنما * عَلت فوقَه ندّافةُ العُطْبِ[2] الغزلا
فيا عزَّ إن واشٍ وشَى بىَ عندَكم * فلا تُكرميه أنْ تقولى له مهلا[3]

(١) انظر ما سبق فى ص ١٢٣ .
(٢) العطب ، بضم وبضمتين : القطن . ما عدا ط ، جـ ، ها ، مط : « القطن » .
٢٠ (٣) جـ فقط : « أهلا » .

كما لو وشى واشٍ بودِّك عنــدنا * لقلنا تزحزَحْ لا قَــريبًا ولا سَهلا

فأهــلاً وسهلا بالذى شَـــدَّ وصلنــا * ولا مرحبًا بالقائل اصرِم لها حَبــلا

الشعر لكثير، والغناء لحنين، ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر ابن المكى وعمرو والهشامى أنه لمعبد. وفيه ثانى ثقيل ينسب إلى ابن سريج، وليس بصحيح.

حبابة ويزيد ابن عبد الملك

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال: حدّثنى الزبير قال: حدّثتنى ظبيةُ قالت: أنشدَتْ حبابةُ يومًا يزيدَ بن عبد الملك:

لعمركَ إنّنى لأحِبُّ سَـلْعًا * لرؤيتها ومَنْ بجَنوب سَلعِ

ثم تنفّسَتْ تنفّسا شديدا فقال لهـا: مالكِ، أنتِ فى ذمة أبى، لئن شئتِ لأنقلنّه إليكِ حجرًا حجرا. قالت: وما أصنع به، ليس إياه أردتُ، إنّما أردت صاحبَه. وربّمـا قالت: ساكِنَه.

نســـبة هذا الصـــوت

لعمركَ إنّنى لأحِبُّ سَـلعا * لرؤيتها ومَن بجنوبِ سَـلعِ

تقــرُّ بقُربهـا عينى وإنّى * لأخشَى أن تكونَ تريدُ فَجعى

حلفتُ بربِّ مكّةَ والهــدايا * وأيدى السّابحاتِ غداةَ جَمعِ(١)

لأنتِ على التنائى فاعلميــه * أحبُّ إلىَّ مِن بصرى وسمعى

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى، ممـا لا يشك فيه من غنائه.

سماع يزيد لحبابة وسلامة وحكمه بينهما

قال الزبير: وحدّثتنى ظَبيــةُ أنّ يزيد قال لحبابةَ وسَـلّامة: أيتكُما غنّتْنى مافى نفسى فلَها حُكمها. فغنّت سلّامة فلم تُصب مافى نفسه، وغنّته حبابة:

حلَقَّ من بنى كِنانةَ حَولى * بفِلَسطِين يُسرعون الركوبا

(١) جمع، بالفتح، هى المزدلفة.

فأصابتْ ما فى نفسه فقال : احتكمى . فقالت : سلامةُ ، تهبُها لى ومالَها . قال : اطلبى غيرَها . فأبتْ، فقال : أنتِ أولى بها وبمالها . فلقيت سلّامة من ذلك أمرًا عظيما ، فقالت لها حبابة : لا ترين إلا خيرا ! فجاء يزيدُ فسألها أن تبيعَه إياها بحكمها، فقالت : أُشهِدكَ أنّها حرة، واخطُبْها إلىّ الآنَ حتّى أزوّجَك مولاتى .

٥ أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى إسحاق عن المدائنى بنحوِ هذه القصة . وقال فيها : فجزعت سلّامة ، فقالت لها : لا تجزعى فإنّما ألاعبه .

نسبة هذا الصوت

حلقٌ من بنى كنانة حَولِى * بفلسطين يُسرعون الركوبا

١٠ هَزِئتْ أن رأت مشيبِىَ عِرْسى * لا تلُومى ذوائبى أن تشيبا

الشعر لابن قيس الرقيّات ، والغناء لابن سريج ، ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

قال حماد بن إسحاق : حدّثنى أبى عن المدائنى، وأيوب بن عباية قالا :

اعتراف حبابة سلامة بالفضل

كانت سلامة المتقدّمة منهما[(1)] فى الغناء، وكانت حبابة تنظُر إليها بتلك العين، فلما حَظِيت عند يزيد ترفّعت عليها فقالت لها سلّامة : ويحكِ أينَ تأديب الغناء[(2)] وحقُّ التعليم؟ أنسيتِ قولَ جميلة لك : خذى أحكامَ ما أطارحك إياه من سلّامة؟! فلن تزالى بخيرٍ ما بقيتُ لكِ وكان أمركما مؤتنفا . قالت : صدقتِ يا خليلتى ، والله لا عدتُ إلى شىء تكرهينه . فما عادت بعد ذلك لها إلى مكروه . وماتت حبابة وعاشت سلّامة بعدها دهرا .

٢٠ (١) ط ، جـ ، مط : « منهن » .
(٢) ما عدا ط ، جـ ، ها ، مط : « تأدية الغناء » .

قال المدائنى : فرأى يزيدُ يومًا حَبابةَ جالسةً فقال : مالك ؟ فقالت : أنتظر سلّامة . قال : تحبّين أن أهبَها لك ؟ قالت : لا والله ، ما أحبُّ أن تهب لى أختى .

ولوع يزيد بحبابة

قال المدائنى : وكانت حبابة إذا غنَّتْ وطرِب يزيدُ قال لها : أطير؟ فتقول له : فإلى من تدعُ الناس ؟ فيقول : إليك . والله تعالى أعلم .

وساطة حبابة البيذق الأنصارى

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنى أيوب ابن عَباية ، أن البيذق الأنصارى القارئ كان يَعرف حبابة ويدخُل عليها بالحجاز ، فلما صارت إلى يزيد بنِ عبد الملك وارتفع أمرُها عنده ، خرجَ إليها يتعرّضُ لمعروفها ويستميحها ، فذكرته ليزيدَ وأخبرتْه بحسن صوته . قال : فدعانى يزيدُ ليلةً فدخلتُ عليه وهو على فُرُش مُشرِفة قد ذَهَب فيها إلى قريبٍ من ثدييه ، وإذا حَبابة على فُرُش أُخَرمرتفعة ، وهى دونَه ، فسلّمتُ فردّ السلام ، وقالت حبابة : يا أمير المؤمنين ، هـذا أبى . وأشارت إلىّ بالجلوس ، فجلست وقالت لى حَبابةُ : اقرأ يا أبتِ . فقرأتُ فنظرتُ إلى دموعه تتحـدر ، ثم قالت : إيهٍ يا أبَت حدِّثْ أميرَ المؤمنين ، وأشارتْ إلىّ أن غنّه . فاندفعتُ فى صوت ابن سُرَيج :

من لصبٍّ مفنّـدِ * هائم القلب مُقْصَدِ (١)

فطرِبَ والله يزيدُ فحذَفنى بمُدهُنٍ فيه فصوصٌ من ياقوتٍ وزبرجد ، فضربَ صَدرى ، فأشارت إلىّ حَبابة : أن خُذْه . فأخذتُه فأدخلتُه كمّى ، فقال : يا حَبابةُ ألا ترين ما صنعَ بنا أبوك ، أخذ مُدهُننا فأدخلَه فى كُمّه؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ما أحوجَه واللهِ إليه ! ثم خرجتُ من عنده فأمر لى بمائةِ دينار .

(١) التفنيد : تخطىء الرأى ، والتكذيب . ماعدا ط ، ها ، مط : «مصهد» . وقد أشير فى ط إلى أنها رواية فى نسخة . والمقصد : المقتول ، الذى يرمى فيقتل مكانه .

نسبة هذا الصوت

مِن لصبٍّ مُفَنَّدِ * هائمِ القلبِ مُقْصَدِ
أنتِ زوّدتِه الضّنَى * بِئْسَ زادُ المزوَّدِ
ولو آنّى لا أرتجيـ * ـكِ لقد خَفَّ عُوّدى
ثاويا تحتَ تُربةٍ * رهنَ رمسٍ بِقَدفدِ
غيرَ أنّى أعلّل النـ * ـفسَ باليومِ أو غدِ

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان . وذكر الزبير بن بكار أنه لجعفر بن الزبير، والغناء لابن سريج، خفيف ثقيل بالسبابة فى مجرى الوسطى .

استدعاء يزيد لابن الطيار لمعرفة مدى طربه من الغناء

وقال حماد : حدّثنى أبى عن مخلد بن خِداش وغيره ، أن حبابة غنت يزيد صوتًا لابن سريج، وهو قوله :

ما أحسنَ الجِيدَ من مُليكةَ والـ * ـلَّبّاتِ إذْ زانَها ترائبُها

فطرب يزيد وقال: هل رأيت أحدا أطرب منى؟ قلت : نعم، ابن الطّيّار[1] معاوية ابن عبد الله بن جعفر، فكتب فيه إلى عبد الرحمن بن الضحاك فحُمل إليه، فلما قدم أرسلَتْ إليه حبابةُ : إنما بعثَ إليكَ لكذا وكذا — وأخبرَتْه — فإذا دخلتَ عليه فلا تظهِرنّ طربًا حتّى أغنيه الصوتَ الذى غنّيته . فقال : سوأةٌ على كبر سنّى ؟ فدعا به يزيدُ وهو على طِنفسة خَزّ، ووُضِع لمعاويةَ مثلُها، فجاءوا بجامَين فيهما مسكٌ فوضعت إحداهما بين يدَىْ يزيد والأخرى بين يدَىْ معاوية، فقال : فلم أدر كيف أصنع . فقلت : انظر كيف يصنعُ فاصنعْ مثلَه . فكان يقلّبه فيفوحُ ريحه وأفعلُ

(١) الطيار هو جعفر الطيار بن أبى طالب ، قطعت يداه يوم مؤتة ، قالوا : يجعل الله له جناحين يطير بهما فى الجنة عوضا من يديه اللتين قطعتا . انظر الحيوان ٣ : ٢٣٣ وحواشيه .

مثلَ ذلك، فدعا بحبابة فغنّتْ، فلما غنّت ذلك الصوتَ أخذ معاويةُ الوسادة فوضعَها على رأسه وقام يدورُ وينادى : « الدُّخْن بالنوى » يعنى اللُّوبيا . قال : فأمر له بصِلاتٍ عدّةَ دفَعات إلى أن خرج ، فكان مبلغُها ثمانيةَ آلافِ دينار .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : أخبرنى الزبير بن أبى بكر، عن ظَبية :

اختبار يزيد لطرب مولى حبابة

أنّ حَبابة غنّتْ يومًا بين يدى يزيدَ فطرِب ثم قال لها : هل رأيتِ قطُّ أطربَ منى؟ قالت : نعم، مولاى الذى باعنى . فغاظه ذلك فكتبَ فى حَمْلِه مقيَّدا، فلما عرف خبره أمر بإدخالِه إليه، فأدخِل يرسُف فى قَيده، وأمرها فغنّتْ بَغتةً :

تشُطُّ غدًا دارُ جيراننا * ولَلدّارُ بعد غدٍ أبعدُ

فوثَب حتّى ألقى نفسَه على الشمعة فأحرقَ لحيتَه، وجَعَل يصيح : الحريقَ يا أولاد الزنا ! فضحِكَ يزيد وقال : لعمرى إنّ هذا لَأطربُ الناسِ ! فأمر بحلِّ قيودِه، ووَصَله بألفِ دينار، ووصلته حبابةُ، وردّه إلى المدينة .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : قال إسحاق :

يزيد وأم عوف المغنية

كان يزيدُ بن عبد الملك قبلَ أن تُفضِيَ إليه الخلافةُ، تختلف إليه مغنّيةٌ طاعِنةٌ فى السِّن تدعى أمّ عَوف، وكانت مُحسنة، فكان يختار عليها :

متى أجِزْ خائفا تَسرحْ مطيتُه * وإن أُخِفْ آمنا تنبو به الدار[1]

سيروا إلىَّ وأرخوا من أعنّتِكم * إنّى لكلِّ امرئٍ من وِتره جارُ

(١) ما عدا ط ، ها ، مط : « تقلق به الدار » .

فذكرها يزيدُ يوما لحبابة، وقد كانت أخذَتْ عنها فلم تقدر أن تَطعن عليها إلا بالسنّ، فغنت :

أبى القلبُ إلّا أمَّ عوفٍ وحبَّها * عجوزًا ومن يُحبِب عجوزًا يفنّدِ[1]

فضحك وقال : لمن هذا الغناء؟ فقالت : لمالك. فكان إذا جلَس معها للشُّرب يقول : غنّيني صوتَ مالكٍ في أمّ عوف.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثني عمر بن شبّة قال : حدّثني عبد الله بن أحمد بن الحارث العدَوي قال : حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال : حدّثني أبو غانم الأزدي قال :

استبقاء يزيد لجثة حبابة بعد موتها، ثم موته ودفنه إلى جنبها

نزل يزيدُ بن عبد الملك ببيتِ رأس بالشام، ومعه حَبابة فقال : زعموا أنّه لا تصفو لأحدٍ عيشةٌ يومًا إلى الليل إلّا يكدرها شيءٌ عليه، وسأجرّب ذلك. ثم قال لمن معه : إذا كان غدا فلا تُخبروني بشيء ولا تأتوني بكتاب. وخلا هو وحَبابة فأُتيا بما يأكلان، فأكلَتْ رُمّانةً فشرقت بحبّة منها فماتت، فأقام لا يَدفنها ثلاثًا حتّى تغيرت وأنتنت، وهو يشَمُّها ويرشُفها، فعاتبه على ذلك ذَوُو قرابته وصديقُه[2]، وعابوا عليه ما يصنع، وقالوا : قد صارت جيفةً بين يديك! حتّى أذِن لهم في غسلها ودَفْنها، وأمر فأُخرِجتْ في نِطعٍ، وخرجَ معها لا يتكلّم حتّى جلس على قبرِها، فلما دُفِنت قال : أصبحتُ والله كما قال كُثيِّر :

(١) البيت لأبي الأسود الدؤلي في الحماسة (٢ : ١٣٨). وقد غيرت رواية البيت لتستقيم لها الفكاهة ويتم العبث بأم عوف. والرواية : «أم عمرو». وبعده :

كثوب اليماني قد تقادم عهده * ورقعته ما شئت في العين واليد

(٢) صديقه، أي أصدقاؤه. والصديق يقال للواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

فإن يسلُ عنكِ القلبُ أو يدعِ الصبا * فباليأس يَسلو عنكِ لا بالتجلُّدِ
وكلُّ خليلٍ راءنى فهو قائلٌ * مِنَ اجلكِ : هذا هامةُ اليومِ أو غدِ [1]

فما أقام إلّا خمسَ عشرةَ ليلةً حتى دُفِن إلى جنبها .

أخبرنى أحمد قال : حدّثنى عمر قال : حدّثنى إسحاق الموصلى قال : حدّثنى الفضل بن الربيع عن أبيه عن إبراهيم بن جبلة بن مَخرمة عن أبيه أنّ مسلمةَ ابن عبدِ الملك قال :

جزع يزيد على حبابة

ماتت حَبابة فجزِع عليها يزيد، فجعلْتُ أؤسِّيه وأعزِّيه، وهو ضاربٌ بذَقَنِه على صدره ما يكلّمنى حتّى دفنَها ورَجع، فلما بلغ إلى بابه التفتَ إلىّ وقال :

فإنْ تسلُ عنكِ النفسُ أو تدعِ الصِّبا * فباليأس تَسلو عنكِ لا بالتجلُّدِ

ثم دخل بيتَه فمكث أربعين يومًا ثم هلك .

قال : وجزِع عليها فى بعض أيامه فقال : انبِشُوها حتّى أنظرَ إليها . فقيل : تصير حديثا ! ! فرجع فلم ينبشها .

وقد روى المدائنى أنّه اشتاق إليها بعدَ ثلاثةِ أيام من دفنه إياها، فقال : لابدّ من أن تُنبَش . فنُبِشت وكُشِف له عن وجهها وقد تغيّر تغيّرًا قبيحا فقيل له : يا أميرَ المؤمنين، اتّقِ الله، ألا ترى كيفَ قد صارت ؟ فقال : ما رأيتُها قطُّ أحسَنَ منها اليومَ ، أخرِجوها . فجاءه مسلمةُ ووجوهُ أهله ، فلم يزالوا به حتّى أزالوه عن ذلك ودفَنوها، وانصرف فكمِد كمَدًا شديدا حتّى مات، فدفن إلى جانبها .

---

(١) راءه : رآه . ويقال : هذا هامة اليوم أو غد، أى يموت اليوم أو غدا . وبهذا البيت استشهد فى اللسان على ذاك المعنى .

الصلاة على حبابة بعد موتها

قال إسحاق : وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله الشِّفافى[١] عن العباس بن محمد ، أنّ يزيد بن عبد الملك أرادَ الصلاةَ على حبابة، فكلّمه مَسلمةُ فى أن لا يخرج وقال : أنا أكفيك الصلاةَ عليها . فتخلّف يزيدُ ومضى مَسلَمة ، حتّى إذا مضى النّاسُ انصرفَ مسلمةُ وأمر من صَلّى عليها .

٥ وروى الزبير، عن مصعب بن عثمان، عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال :

صور أخرى من جزع يزيد على حبابة

خرجت مع أبى إلى الشأم فى زمن يزيدَ بن عبد الملك ، فلما ماتت حَبابةُ وأُخرِجت لم يستطع يزيدُ الركوب من الجزع ولا المشى، فحُمِل على منبرٍ على رقاب الرجال، فلما دُفِنت قال : لم أُصَلّ عليها، انبِشوا عنها . فقال له مسلمة : نَشَدتك الله يا أمير المؤمنين، إنّما هى أَمَةٌ من الإماء ، وقد واراها الثرى ! فلم يأذن للناس بعدَ

١٠ حبابةَ إلّا مرةً واحدة . قال : فوالله ما استتمّ دخولُ النّاس حتى قال الحاجب : أجيزُوا رحمكم الله . ولم ينشَب يزيدُ أن مات كمَدًا .

١١٦ / ١٣

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى إسحاق قال حدّثنى ابن أبى الحويرث الثقفى، قال :

لمّا ماتت حَبابةُ جزع عليها يزيدُ جزعاً شديدا، فضمّ جُويريةً لها كانت تخدُمها

١٥ إليه ، فكانت تحدّثه وتُؤنسه، فبينا هو يوما يدُور فى قصره إذْ قال لها : هذا الموضع الذى كنّا فيه . فتمثّلتْ :

كفى حَزَنًا للهائم الصبِّ أن يَرى * مَنازِلَ مَن يهوى معطَّلةً قَفْرا

فبكى حتّى كاد يموت . ثم لم تَزل[٢] تلك الجويريةُ معه يتذكّرُ بها حبابة حتّى مات .

(١) ط : « الشفاقى » ، ء : « الشماقى » مط : « السفانى » وأثبت ما فى سائر النسخ .

٢٠ (٢) ط، حـ، ها، مط : « ثم تَرك » .

صـــوت

أيدعوننى شيخًا وقد عِشتُ حِقبةً * وهنّ من الأزواج نحـوى نوازعُ

وما شابَ رأسى من سِنينَ تتابعَتْ * عـلىّ ولكنْ شيّبَتْه الوقائع

الشعر لأبى الطُّفيل صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، عن عمرو وغيره . ٥

أخبار أبى الطُّفَيل ونسبه

نسب أبى الطفيل

هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عُمَير[1] بن جابر بن حُمَيس[2] بن جُدَىّ بن سعد ابن لَيث بن بكر بن عبد مناةَ بن كنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة بن اليأس بن مُضَر ابن نزار .

صحبته وتشيعه

٥ وله صحبةٌ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورواية عنه . وعُمِّر بعده عُمرا طويلا ؛ وكان مع أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وروى عنه أيضا ، وكان من وجوه شيعته ، وله منه مَحَلّ خاصّ يستغنى بشهرته عن ذكره ، ثم خرج طالبًا بدم الحسين بن علىّ عليهما السلام ، مع المختار بن أبى عُبيد ، وكان معه حتى قُتِل وأفلتَ هو ، وعمِّر أيضا بعد ذلك .

رؤيته الرسول فى حجة الوداع

١٠ حدّثنى أحمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن يوسف بن أسوار الجمحىّ بمكة ، قال : حدّثنا يزيد بن أبى حَكيم قال : حدّثنى يزيد بن مُلَيل ، عن أبى الطُّفيل أنه رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم فى حَجّة الوداع يَطُوف بالبيت الحرام على ناقته ، ويَستلم الرُّكن بمِحجنه .

أخبرناه محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدّثنا الرياشى قال :

١٥ حدّثنا أبو عاصم عن معروف بن خرّبوذ عن أبى الطفيل بمثله ، وزاد فيه : « ثم يقبل المحجن » .

حدّثنى أبو عبيد الله الصيرفى قال : حدّثنا الفضل بن الحسن المصرى قال: حدّثنا أبو نعيم عن بَسّام الصَّيرفى عن أبى الطُّفيل قال :

---

(١) ماعدا ط ، ها ، مط : « عمرو » . تحريف ، وما فى ط مطابق لما فى الإصابة ٤٤٢٧ .

٢٠ (٢) ما عدا ط : « خميس » بالخاء المعجمة .

رويته لعلى بن أبى طالب وهو يجيب عن أسئلة شتى

سمعتُ علياً عليه السلامُ يخطب فقال : سَلُونى قبل أن تفقِدونى . فقام إليه ابن الكَوّاء، فقال : ما ﴿الذّارياتِ ذروًا﴾؟ قال : الرياح . قال : فـ﴿الجارياتِ يُسْرا﴾ ؟ قال : السُّفن . قال : فـ﴿الحاملاتِ وِقْرًا﴾ ؟ قال : السحاب . قال : فـ﴿المقسِّمات أمْرًا﴾ ؟ قال : الملائكة . قال : فمن ﴿الذين بَدّلوا نِعمةَ الله كُفْرًا﴾ ؟ قال : الأفجرانِ من قريش : بنو أميّة وبنو مخزوم . قال : فما كان ذُو القرنين ، أنبيا أم ملكا ؟ قال : كان عبداً مؤمنا — أو قال صالحا — أحبَّ اللهَ وأحبّه ، ضُرِب ضربةً على قرنِهِ الأيمنِ فمات ، ثم بُعِث وضُرِب ضربةً على قرنه الأيسر فمات . وفيكم مثله . ٥

١٦٧ / ١٣

[وكتب إلىّ إسماعيل بن محمد المرىّ الكوفى يذكر أنّ أبا نعيم حدّثه بذلك عن بسام . وذكر مثله[1]] . ١٠

شهادة له بالتقدم فى شعره

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : بلغَنى أن بشر بن مروان حين كان على العراق قال لأنس بن زُنَيم : أنشِدْنى أفضلَ شعرٍ قالته كنانة . فأنشده قصيدةَ أبى الطُّفيل :

أيدْعُونَنى شيخًا وقد عِشتُ بُرهةً * وهنّ من الأزواجِ نَحوِى نوازعُ

فقال له بشر : صدقتَ هذا أشعر شعرائكم . قال : وقال له الحجاج أيضاً : أنشدنى قولَ شاعرِكم : « أيدعُونَنى شيخا » فأنشده إياه[2] فقال : قاتله الله مُنافقا، ما أشعره ! ١٥

(١) التكملة من ط ، ها ، مط . لكن فى ها : « عن يسار » وقد سبق أنه « بسام الصيرفى » .
(٢) هذه الكلمة من ط ، مط . وفى ها : « فأنشده إياها » .

حدّثنى أحمـد بن عيسى العجلى الكوفى ، المعروف بابن أبى موسى ، قال : حدّثنا الحسين بن نصر بن مُزاحم قال : حدّثنى أبى قال حدّثنى عمرو بن شمر[1] عن جابر الجُعفى قال : سمعت ابن حِذْيَم[2] النّاجىّ يقول :

محاورة معاوية لأبى الطفيل

لمـا استقامَ لمعاوية أمرُه لم يكن شىءٌ أحبَّ إليه من لقاء أبى الطُّفيل عامر ابن واثلة ، فلم يزل يكاتبُه ويَلطُف[3] له حتّى أتاه ، فلما قدِم عليـه جعلَ يسائله عن أمر الجاهلية ، ودخل عليه عَمرو بن العاص ونفرٌ معه ، فقال لهم معاوية : أمَا تعرفون هذا ؟ هـذا خليل أبى الحسَن . ثم قال : يا أبا الطفيل ما بَلَغ من حبِّـك لعلىّ ؟ قال حبُّ أمِّ موسى لموسى . قال : فما بلغ من بكائك عليـه ؟ قال : بكاء العجوز الثَّكلَى والشَّيخ الرقوب[4] ، وإلى الله أشكو التقصير . قال معاوية : إنّ أصحابى هؤلاءِ لو سُئلوا عنّى ما قالوا فىّ ما قلتَ فى صاحبك . قالوا : إذًا واللهِ ما نقولُ الباطل . قال لهم معاوية : لا والله ولا الحقّ تقولون . ثم قال معاوية : وهو الذى يقول :

إلى رجَبِ السَّبعِينَ تعـتَرِفوننى * مع السيف فى حَوّاءَ جَمٍّ عديدُها[5]
رَجوفٍ كمَتنِ الطَّود فيها معاشرٌ * كغُلْبِ السِّباع نُمْرُها وأسـودُها[6]
كُهولٌ وشبّان وساداتُ معشرٍ * على الخيل فُرسانٌ قليلٌ صدودها

(١) ما عدا ط ، ها ، مط : « عمر بن شبة » ، وإنمـا كان نصر بن مزاحم يروى عن « عمرو بن شمر » ويكثر الرواية عنه . انظر وقعة صفين فى غير موضع ، ولا سيما صفحة ١٨٩ ففيها هذا السند بعينه .

(٢) ويقال : « ابن حذلم » أيضا ، وهو تميم بن حذيم الناجى الضبى الكوفى المتوفى سنة ١٠٠ . انظر حواشى وقعة صفين ص ١٨٩ .

(٣) يلطف له ، من اللطف ، وهو الرفق والمداناة .

(٤) الرقوب : الذى مات ولده ، أو الذى لا يبق له ولد .

(٥) الحواء : السوداء ، عنى بها الكتيبة التى يعلو الصدأ سلاحها .

(٦) رجوف : تضطرب من كثرتها . والغلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة .

كأنَّ شعاع الشَّمس تحتَ لوائها * إذا طَلعت أعشَى العيونَ حديدُها
يَمُورون مَــوْرَ الرِّيح إما ذُهِلتمُ * وزَلَّت بأكفـالِ الرجال لبـودُها (١)
شِــعارهمُ سِيمـا النبيِّ، ورايةٌ * بها انتقَم الرحمنُ ممن يَكيدها
تخطَّفُهم إياكمُ عنــدَ ذكرِهم * تخطُّفَ ضَوارِى الطَّيرِ طيرًا تصيدها (٢)

فقال معاويةُ لجلسائه : أعَرَفتموه؟ قالوا : نعم، هذا أفحشُ شاعرٍ وألأم جليس. ٥
فقال معاوية : يا أبا الطُّفيل أتعرفهم ؟ فقال : ما أعرِفُهم بخيرٍ، ولا أُبعدهم من شرّ. قال : وقام خُزيمة الأسدىُّ فأجابه فقال :

إلى رجبٍ أو غُرَّةِ الشهرِ بعده * تصبِّحكم حُمــرُ المنـايا وسودُها
ثمانون ألفًا دِينُ عثمانَ دينُهم * كتائبُ فيهـا جبرَئيلُ يقودها
فمن عاشَ منكم عاش عبدًا ومن يمت * ففى النار سُقياهُ هنـاكَ صديدُها ١٠

أخبرنى عبد الله بن محمد الرازى قال : حدّثنا أحمد بن الحارث قال : حدّثنا المدائنى عن أبى مِخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحِق، قال :

قيادته جيشا لإخراج محمد بن الحنفية من الحبس

لمــا رجَع محمد بن الحنفية من الشــام حبَسه ابن الزبير فى سِجن عارم، فخــرج إليه جيشٌ من الكوفة عليهم أبو الطُّفيل عامر بن واثلة، حتى أتوا سِجنَ عارمٍ فكسروه وأخرجُوه، فكتب ابنُ الزُّبير إلى أخيه مُصعب : أن يسيِّرَ نساءَ كلِّ من خرج لذلك. ١٥
فأخرج مصعبٌ نساءهم وأخرج فيهن أمَّ الطفيل امرأةَ أبى الطفيل، وابنًا له صغيرا يقال له يحيى، فقال أبو الطفيل فى ذلك :

١٦٨ / ١٣

إن يكُ ســيَّرها مصعبٌ * فإنى إلى مصعبٍ مــذنبُ

---

(١) زلال اللبود : كناية عن اشتداد المعركة واضطرابها .
(٢) تخطفهم، هى فيما عدا ها، مط : « تخطفكم » تحــريف . ما عدا ط و ء، ها، مط : « آباؤكم » . وفيما عدا ط، ها : « صيدا يصيدها »، محرفتان . ٢٠

أقـودُ الكتيبةَ مسـتلئِما * كأنّى أخـو عُرّةٍ أجـربُ[1]
عـلىَّ دِلاصٌ تخـيّرتُهـا * وفى الكفّ ذو رونقٍ مقضبُ[2]

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا محمد بن حميد الرازى قال : حدّثنا سَلَمة بن الفضل عن فِطر بن خليفة[3] قال :

تشيع أبي الطفيل

٥ سمعت أبا الطفيل يقول : لم يبق من الشّيعة غيرى . ثم تمثّل :

وخُلّفتُ سهمًا فى الكنانة واحدًا * سيُرمَى به أو يكسِر السهمَ كاسرُه[4]

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى أبو عاصم قال : حدّثنى شيخٌ من بنى تيم اللات قال :

كانَ أبو الطفيل مع المختار فى القصر، فرَمى بنفسه قبل أن يُؤخَذ وقال :

١٠ ولمـا رأيت البابَ قد حِيلَ دونه * تكسّرت باسمِ الله فيمن تكسّرا

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنا أحمد بن عبد الله بن شداد الشّشّابى قال : حدّثنى المفضّل بن غسان قال : حدّثنى عيسى بن واضح ، عن سليم بن مسلم المكى، عن ابن جُريج عن عطاء قال :

دخل عبد الله بن صفوانَ على عبدِ الله بن الزُّبير ، وهو يومئـذ بمكة ، فقال :

١٥ أصبحتُ كما قال الشاعر[5] :

فإنْ تصبكَ من الأيامِ جائحةٌ * لا أبكِ منكَ على دُنيا ولا دينِ

---

(١) العرة ، بالضم : الجرب .

(٢) الدلاص، بالكسر : الدرع الملساء اللينـة . ذو رونق، أى سيف . ورونق السيف : ماؤه وصفاؤه وحسنه . والمقضب : القاطع . ماعدا ط ، حـ، ها، مط : « يقضب » .

٢٠ (٣) فطر بن خليفة، ترجم له فى تهذيب التهذيب . ط : « قطن بن خليفة » تحريف .

(٤) ما عدا ط ، حـ، ها، مط : « وخليت » .

(٥) هو ذو الإصبع العدوانى . وقصيدته مشهورة فى المفضليات .

قال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عباس يفقّه الناس ، وعبيد الله أخوه يُطعم الناس ، فما بَقَّيا لك ؟ فأحفَظَه ذلك فأرسلَ صاحبَ شُرطته عبد الله ابنَ مطيع فقال له : انطلق إلى ابنَىْ عباسٍ فقل لهما : أعَمَدتما إلى رَايةٍ تُرابية[1] قد وضَعَها الله فنصبتماها ، بدِّدا عنّى جَمْعَكما ومن ضَوَى[2] إليكما من ضُلّال أهل العراق ، وإلّا فعلتُ وفعلت ! فقال ابن عباس : قل لابن الزبير : يقول لك ابن عباس : ثكِلَتْك أمُّك ، والله ما يأتينا من النّاس غيرُ رجلين : طالبِ فقه أو طالبِ فَضل ، فأىّ هذين تمنع ؟ فأنشأ أبو الطفيْل عامرُ بن واثلة يقول :

قوله الشعر فى ذلك

لا دَرَّ درُّ الليالى كيف تُضحِكنا * منها خطوب أعاجيبٌ وتبكينا

ومثلُ ما تُحدِث الأيامُ من غِيَرٍ * يا ابن الزبير عن الدنيا يُسلّينا

كنّا نجىءُ ابنَ عباسٍ فيُقبِسنا * علمًا ويُكسبنا أجرًا ويَهدينا

ولا يزالُ عبيدُ اللهِ مترعةً * جِفانُه مُطعِمًا ضَيفًا ومسكينا

فالبِرُّ والدِّينُ والدُّنيا بدارهما * ننال منها الذى نبغى إذا شِينا

إن النبىَّ هو النور الذى كُشِفت * به عَمَاياتُ باقينا وماضينا

ورهطُه عِصمةٌ فى ديننا ولهمْ * فضلٌ علينا وحقٌّ واجبٌ فينا

ولستَ فاعلمْهُ أولى منهمُ رحِمًا * يا ابنَ الزبير ولا أولَى به دِينا

ففيمَ تمنعُهُم عنّا وتمنعنا * منهم ، وتؤذيهمُ فينا وتؤذينا

لن يؤتِىَ اللهُ مَنْ أخزى ببغضهم * فى الدين عِزًّا ولا فى الأرض تمكينا[3]

١٦٩ / ١٣

(١) منسوبة إلى أبى تراب ، وهى كنية على بن أبى طالب .

(٢) ضوى إليه : أوى وانضم .

(٣) ط : « من أجرى » بالجيم .

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدّثني الزبير بن بكار قال: حدّثني بعض أصحابنا:

شدة حزنه حين سمع غناء فيه رثاء ولده

أن أبا الطفيل عامر بن واثلة دُعي في مأدُبة، فغنّت فيها قينةٌ قولَه يرثي ابنه:

خَلّى طفيلٌ عليَّ الهمَّ وانشعبا * وهدَّ ذلك ركني هَدّةً عجبا

٥ فبكى حتّى كاد يموت.

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي عن طلحة بن عبد الله الطلحي، عن أحمد ابن إبراهيم: أنّ أبا الطفيل دُعي إلى وليمة فغنت قينة عندهم:

خَلّى عليَّ طُفيلُ الهمَّ وانشعبا * وهدَّ ذلك ركني هدّةً عَجَبا

وابنَيْ سُميةَ لا أنساهما أبدا * فيمن نسيت وكلٌّ كان لي وصَبا

١٠ فجعل يَنْشِج ويقول: هاه هاه طُفيل! ويبكي حتّى سقط على وجهه ميتا.

وأخبرني محمد بن مزيد قال: حدّثنا حماد عن أبيه بخبر أبي الطفيل هذا، فذكر مثل ما مضى، وزاد في الأبيات:

فاملِكْ عزاءكَ إنْ رزءٌ بليتَ به * فلن يردَّ بكاءُ المرء ما ذهبا

وليس يَشفِي حزينًا من تذكُّره * إلّا البكاءُ إذا ما ناح وانتحبا

١٥ فإذْ سلكتَ سبيلًا كنتَ سالكَها * ولا محالةَ أن يأتي الذي كُتبا

فما لبطنك من ريٍّ ولا شِبَعٍ * ولا ظللتَ بباقي العيش مَرْتَغبا (١)

وقال حماد بن إسحاق حدّثني أبي قال: حدّثني أبو عبد الله الجمحي عن أبيه قال:

---

(١) المرتغب: الراغب، كما في القاموس. ما عدا ط، ها، : «رينا في العيش مرتعيا» تحريف.

غناء طويس بشعر لأبى الطفيل

بينا فتيةٌ من قريش ببطنِ محسِّر يتذاكرون الأحاديثَ ويتناشدون الأشعار، إذْ أقبلَ طُويسٌ وعليه قميص قُوهِيٌّ(1) وحِبَرة قد ارتدَى بها، وهو يَخطِر فى مِشيته، فسلَّم ثم جلس، فقال له القومُ : يا أبا عبدِ المنعم، لو غَنّيتنا؟ قال : نَعَمْ وكرامةً أغنيكم بشعرِ شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من شيعة علىّ ابن أبى طالب عليه السلام، وصاحِبِ رايته، أدركَ الجاهلية والإسلام، وكان سيِّدَ قومه وشاعرَهم. قالوا : ومن ذاك يا أبا عبد المنعم فَدَتك أنفسُنا؟ قال : ذلك أبو الطُّفيل عامر بن واثلة، ثمّ اندفع فغنى :

أيَدعونى شيخًا وقد عِشتُ حِقبةً * وهُنَّ من الأزواج نَحوِى نوازعُ

فطرِب القومُ وقالوا : ما سمعنا قطُّ غناءً أحسنَ من هذا.

وهذا الخبر يدلُّ على أن فيه لحنًا قديمًا ولكنّه لَيس يُعرف.

صـــوت

لمن الدارُ أقفــرت بمَعانِ(2) * بين شاطى اليَرموك فالصَّمّانِ

فالقُرَيّات من بلاس فـدَارَ * يّا فسَكّاءَ(3) فالقُصــورِ الدوانى

ذاكَ مغنًى لآلِ جفنةَ فى الدّهـ(4) * ـرِ وحقٌّ تصرُّفُ الأزمانِ

صلوات المسيحِ فى ذلك الديـ * ـر دعاءُ القِسّيس والرُّهبانِ

170/13

(1) القوهى : ثياب بيض منسوبة إلى قوهستان. والحبرة، بالتحريك وكعنبة : ضرب من برود اليمن منمر.

(2) معان، بالفتح والمحدّثون يقولونه بالضم : مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء. والصمان هى أيضا رواية ياقوت، وقال : «فيما أحسب من نواحى الشام بظاهر البلقاء». قلت : وصواب الرواية «الخمان» كما فى ديوان حسان ٤١٤ وهى من نواحى البثنية من أرض الشام.

(3) بلاس بالفتح : بلد بينه وبين دمشق عشرة أميال. وداريا : بفتح الراء : قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة، ينسب إليها الداراني. وسكاء، بالسين المهملة : قرية من قرى دمشق فى الغوطة. ط، ها، مط : «شكاء» تحريف.

(4) رواية الديوان ٤١٥ : «فى الدهر» كما أثبت من ها. وفى سائر الأصول هنا : «فى الدار».

الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لحُنَين بن بَلوعٍ ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى .

وهذا الصوت من صُدور الأغانى ومختارها ، وكان إسحاقُ يقدّمه و يفضّله .

ووجدتُ فى بعض كتبه بخطه قال : الصَّيحة التى فى لحن حنين :

٥ * لمن الدارُ أقفرت بمَعَانِ *

أخرِجَت من الصدر ، ثم من الحلق ، ثم من الأنف ، ثم من الجبهة ، ثم نُبِرَت[1] فأخرِجت من القِحف ، ثم نُوِّنت[2] مردودةً إلى الأنف ، ثم قُطِعت .

وفى هذه الأبيات وأبياتٍ غيرها من القصيدة ألحانٌ لجماعةٍ اشتركوا فيها ، واختلف أيضا مؤلفو الأغانى فى ترتيبها ونسبةِ بعضِها مع بعضٍ إلى صاحبها الذى

١٠ صنعها ، فذكرتُ هاهنا على ذلك وشَرح ما قالوه فيها . فمنها :

صـــوت

قد عفا جاسمٌ إلى بيت رأسٍ * فالحَوانِى فجانبُ الجَولانِ[3]

فحِمَى جاسم فأبنيةُ الصُّـ * ـفَّرِ مغنَى قنابلٍ وهِجانِ[4]

فالقُرياتُ من بَلاَسَ فدارَ * يَّا فسَكّاءَ فالقصورِ الدَّوانى

١٥ قد دنا الفِصح فالولائدُ يَنظِمْـ * ـنَ سِراعاً أكِلّةَ المَرجانِ[5]

---

(١) نبرت : رفعت . فى ها : « ثرت » ، وفى مط : « مرت » . وأثبت ما فى ط . وفى سائر الأصول : « ثبرت » .

(٢) ما عدا ط ، ها ، مط : « بوثت » . (٣) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحى دمشق .

(٤) القنابل : جمع قنبل وقنبلة بالفتح ، وهى الطائفة من الناس ومن الخيل . والهجان من

٢٠ الناس : الخالص الكريم ، ومن الإبل : البيض الكرام .

(٥) الفصح من أعياد النصارى واليهود ، انظر تحقيق لفظه وتاريخه فى حواشى الحيوان (٤ : ٥٣٤) .

يتبارين فى الدعاء إلى اللّـ ـــه وكلُّ الدّعاءِ للشــيطان
ذاك مغنًى لآل جفنةَ فى الدّهـ * ـرِ وحَقٌّ تصـــرُّفُ الأزمان (١)
صلواتُ المسيح فى ذلك الدّيـ * ـر دعاءُ القسّيس والرُّهبـان
قد أرانى هُنـاك حقَّ مَكينٍ * عند ذى التّاج مَقعدِى ومكانى

ذكر عمرو بن بانة أنّ لابن محرز فى الأوّل من هــذه الأبيات والرابع خفيف ثقيل أوّل بالبنصر . ٥

وذكر على بن يحيى أنّ لابن سريج فى الرابع والخامس رمــلا بالوسطى ، وأن لمعبد فيهما وفيما بعدهما من الأبيات خفيفَ ثقيل ، ولمحمد بن إسحاق بنُ برثع (٢) ثقيلَ أوّل فى الرابع والثامن .

وذكر الهشامى أنّ فى الأوّل لمـالك خفيفَ ثقيل ، ووافقه حبش . وذكر حبشٌ أنّ لمعبد فى الأوّل والثانى والرابع ثقيلا أوّل بالبنصر . ١٠

(١) فى جميع الأصول ماعدا « ما » : « فى الدير » ، صواب هذه من الديوان .
(٢) فى القاموس : « برثع كقنفذ : اسم » . والكلمة فى ط ، مط : « بريع » وفيما سواها : « برثع » .

٢
١٤

أخبار حَسّانَ وجَبَلة بن الأيْهَم

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيبُ بن نصر المهلَّبى قالا : حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى هارون بن عبد الله الزُّهرى قال : حدّثنى يوسف ابن الماجِشُون عن أبيه قال :

لقاء حسان لجبلة واستنشاد جبلة له بعد النابغة وعلقمة وإجازته

٥ قال حسان بن ثابت : أتيتُ جبلةَ بن الأيهم الغسّانى وقد مدحتهُ ، فأذِن لى فجلستُ بين يديه ، وعن يمينه رجلٌ له ضَفيرتانِ ، وعن يساره رجلٌ لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذين ؟ فقلت : أمّا هذا فأعرفه ، وهو النابغة ، وأما هذا فلا أعرفه . قال : فهو عَلقمة بن عَبَدة ، فإن شئتَ استنشدتَهما وسمعتَ منهما ، ثم إنْ شئتَ أن تُنشد بعدهما أنشدتَ ، وإن شئتَ أن تسكتَ سكتَّ . قلت :
١٠ فذاك . قال : فأنشده النابغة :

كِلِينِى لهمٍّ يا أميمةَ ناصبِ * وليلٍ أقاسيه بطىءِ الكواكِبِ

قال : فذهبَ نِصفى . ثم قال لعلقمة : أنشدْ . فأنشدَ :

طَحابك قلبٌ فى الحسان طروبُ * بُعيدَ الشباب عصرَ حانَ مَشيبُ (١)

فذهب نصفى الآخر فقال لى : أنت أعلم ، الآنَ إن شئت أن تنشدَ بعدهما
١٥ أنشدتَ ، وإن شئت أن تسكت سكتَّ . فتشدّدتُ ثم قلت : لا بل ، أُنشد . قال : هات . فأنشدتُه :

للهِ دَرُّ عصابةٍ نادمتُها * يومًا بجِلّقَ فى الزّمان الأوّلِ (٢)

أولادِ جَفنة عندَ قبر أبيهم * قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المفضلِ

يَسقُونَ مَن وَرَدَ البريصَ عليهم * كأسا تُصفِّقُ بالرحيق السلسلِ (٣)

٢٠ (١) طحا به قلبه : ذهب به فى كل مذهب . (٢) هذا البيت لم يرو فى ط ، ها ، مط .
(٣) البريص : نهر بدمشق .

٣/١٤

يُغشَونَ حتّى ما تهِرُّ كلابُهم * لا يسألون عن السَّواد المقبل

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهم * شمُّ الأنوفِ من الطرازِ الأوّل

فقال لى : ادنُهْ ادنهْ ، لعمرى ما أنتَ بدونهما . ثم أمر لى بثلثمائة دينار ، وعشرةِ أقمصةٍ لها جيبٌ واحد ، وقال : هذا لك عندنا فى كلّ عام .

وقد ذكر أبو عمرو الشّيبانى هـذه القصة لحسانَ ووصفها وقال : إنّما فضّله عمـرو بن الحارث الأعرج ، ومدحه بالقصيدة اللامـيــة . وأتى بالقصّـة أتمّ من هذه الرواية .

قدومه على عمرو ابن الحارث ولقائه النابغة وعلقمة

قال أبو عمرو : قال حسان بن ثابت : قدِمتُ على عمرِو بن الحارث فاعتاصَ الوصولُ علىّ إليه ، فقلتُ للحاجب بعد مدّة : إنْ أذنتَ لى عليه وإلا هجوتُ اليمنَ كلَّها ثم انقلبتُ عنكم . فأذِن لى فدخلتُ عليــه فوجدتُ عنده النابغةَ وهو جالسٌ عن يمينه ، وعلقمةَ بن عَبَدة وهو جالسٌ عن يساره ، فقال لى : يا ابن الفُرَيعـة ، قـد عرَفتُ عِيصَك[1] ونَسَـبك فى غسّان فارجعْ فإنّى باعثٌ إليـك بِصِلة سَنيّـة ، ولا أحتاجُ إلى الشـعر ، فإنّى أخاف عليـك هذين السَّبُعين : النابغة وعلقمة ، أن يفضحاك ، وفضيحتُك فضيحتى ، وأنتَ والله لا تُحسنُ أن تقول :

رِقاق النِّعـال طيّبٌ حُجزاتهـــمْ * يُحَيَّـون بالريحانِ يوم السَّباسِب

فأبيتُ وقلت : لا بدّ منه . فقال : ذاك إلى عَمَّيـك . فقلت لهما : بحـقّ الملك إلّا قـدّمتمانى عليكما . فقالا : قد فعلنا . فقال عمـرو بن الحارث : هات يا ابن الفُريعة . فانشأت :

استنشاد عمرو ابن الحارث له وتفضيله عليهما

أسالتَ رسمَ الدّارِ أم لم تسألِ * بينَ الجـوابي فالبُضَيع فحَـومَلِ[2]

---

(١) العيص ، بالكسر : الأصل . (٢) الجوابى ، هى فى الديوان : « الجوابى » . وفى شرحه : « أراد جابيـة الجولان . والجولان ما بين دمشق إلى الأردن » . البضيع ، بالتصغير : جبل بالشام أسود . حـ : «بالنصيع» وفى سائر النسخ ما عدا ط : «فالبصيع» صوابهما فى ط .

فقال : فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل[1] عن موضعه سروراً حتى شاطر البيت وهو يقول : هذا وأبيكَ الشِّعرُ ، لا ما تُعلِّلانى[2] به منذُ اليوم ! هذه والله البتَّارة التى قد بتَرت المدائح ، أحسنتَ يا ابن الفريعة ، هات له يا غلامُ ألفَ دينار مرجوحة[3] وهى التى فى كلِّ دينار عشرةُ دنانير . فأُعطِيتُ ذلك ثم قال : لك علىَّ فى كلِّ سنةٍ مثلُها .

النابغة يقول الثناء المسجوع فى عمرو ابن الحارث

ثم أقبلَ على النابغة فقال : قم يا زيادُ فهاتِ الثَّناءَ المسجوع . فقام النابغة فقال :

ألَا انعم صباحًا أيُّها الملِكُ المبارَك ، السَّماءُ غِطاؤك ، والأرضُ وِطاؤك ، ووالداىَ فداؤك[4] ، والعربُ وِقاؤك ، والعجمُ حِماؤك ، والحكماءُ جُلساؤك ، والمَدَارِه[5] سُمّارُك ، والمقاول[6] إخوانك ، والعقل شِعارُك ، والحلم دِثارك ، والسكينة مِهادُك ، والوَقار غِشاؤك ، والبِرُّ وِسادك ، والصِّدق رداؤك ، واليُمْن[7] حِذاؤك ، والسَّخاء ظِهارتك ، والحَمِيّة بِطانتُك ، والعَلاء عَلَايتُك[8] ، وأكرم الأحياء[9] أحياؤك ، وأشرفُ الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرَى الأخوالِ أخوالك ، وأعفُّ النساء حلائلك ، وأفخر الشُّبان أبناؤك ، وأطهر الأمّهات أمّهاتك ،

(١) يزحل : يتنحى و يتباعد . (٢) أ ، ط ، حـ ، ها ، مط : «البتاتة» . والبت والبتر بمعنى .

(٣) ط ، ها ، مط : «مرموجة» أ : «مربوجة» . وأثبت ما فى سائر النسخ . وقد تكون هذه التسمية من قبيل التسمية بالأضداد ، كما يقال للديغ سليم .

(٤) فى اللسان : «و يقال حماء لك بالمد ، فى معنى فداء لك» .

(٥) المداره : جمع مدره كمنبر ، وهو المقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال .

(٦) المقاول : جمع مقول بالكسر ، وهو الملك من ملوك حمير دون الملك الأعلى .

(٧) اليمن ، البركة وخلاف الشؤم . أى تسير البركة تحت قدميه .

(٨) العلاية ، بالفتح : كل موضع مرتفع . ط ، ها ، مط : «غايتك» أ ، حـ : «غلايتك» وأثبت ما فى سائر النسخ . (٩) الأحياء : جمع حى ، وهو البطن من بطون العرب .

وأعلى البنيان بُنيانك، وأعذَبُ المياه أمواهُك، وأفيح الدارات داراتك[١]، وأنزه الحدائق حدائقُك[٢]، وأرفع اللباس لباسُك، قد حالفَ الإضريجُ عاتقيك[٣]، ولاءم المِسكُ مَسْكَك[٤]، وجاورَ العنبر ترائبك، وصاحَبَ النعيمُ جسدَك. العسجدُ آنيتك، واللُّجين صحافُك، والعَصْب مَناديلك[٥]، والحُوّارَى طعامُك[٦]، والشُّهد إدامُك، واللذات غذاؤك[٧]، والخرطوم شَرابك[٨]، والأبكار مُستراحك، والأشراف مَنَاصفك[٩]، والخير بفنائك، والشرُّ بساحة أعدائك، والنصر منوطٌ بلوائك، والخِذلان مع ألوية حُسّادك، والبِرّ فعلُك. قد طحطح عدوَّك غضبك[١٠]، وهزم مغايبَهم مشهدُك[١١]؛ وسارَ فى الناس عدلُك، وشَسَع بالنصر ذكرك[١٢]، وسكّن قوارعَ الأعداء ظفرك.

(١) أفيح: أوسع. دار فيحاء: واسعة. ط، مط «دارتك» بالإفراد. ها: «وأفيح الديار ديارك».

(٢) مكان نزه: بعيد عن الريف وغمق المياه وذبان القرى.

(٣) الإضريج: ضرب من الأكسية أصفر، أو هو الخز الأحمر.

(٤) لاءم: وافق. والمسك، بالفتح: الجلد.

(٥) العصب: ضرب من برود اليمن.

(٦) الحوارى، بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء مع القصر: الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه. وفى جمهور الأصول: «الحوار» مع ضبطها فى ط بضم الحاء وتشديد الراء. وفى حـ بتشديد الواو فقط. والصواب ما أثبت من ها.

(٧) اللذات: اللذيذات من الأطعمة. واللذ واللذة: اللذيذ.

(٨) الخرطوم: الخمر السريعة الإسكار. والسلاف: الذى سال من غير عصير.

(٩) المناصف: جمع منصف، كمقعد ومنبر، وهو الخادم.

(١٠) طحطحهم: بددهم وفرقهم وكسرهم. والعدو هنا: الأعداء.

(١١) المغايب: جمع مغيب مقابل المشهد. والكلمة محرفة فى الأصول. فهى فى ط، حـ، ا، ها، مط: «مقانبهم» وهى مع صحتها لا تلائم نسج القول. وفى سائر الأصول: «مقانبهم».

(١٢) شسع: صار بعيدا ذائعا.

الذهبُ عطاؤك، والدواة رمزك[1]، والأوراق لحظك وإطراقك، وألف دينار مرجوحة[2] إنماؤك[3]. أيفاخرك المنذرُ اللخمى، فوالله لَقفاكَ خيرٌ من وجهه، ولشمالك خيرٌ من يمينه، ولأخمصُك خيرٌ من رأسه[4]، ولخطاؤك خير من صوابه[5]، ولصمتُك خيرٌ من كلامه، ولأمّك خير من أبيه، ولخدَمك خيرٌ من قومه. فهبْ لى أسارَى قومى، واسترهِن بذلك شكرى[6]؛ فإنك من أشراف قحطان، وأنا من سَرَوات عدنان.

إعجاب عمرو ابن الحارث بثناء النابغة ومدح حسان

فرفع عمرٌو رأسَه إلى جاريةٍ كانت قائمةً على رأسه وقال: بمثل هذا فليُثْنَ على الملوك، ومثلُ ابن الفُريعة فليمدحْهم! وأطلق له أسرى قومه.

وذكر ابن الكلبى، هذه القصّة نحوَ هذا وقال: فقال له عمرو: اجعَل المفاضلةَ بينى وبين المنذر شعرًا فإنه أسيَر[7]. فقال:

ونُبِّئت أن أبا منذرٍ * يُساميك للحَدَث الأكبرِ

قَذَالك أحسنُ من وجهه * وأمّكَ خيرٌ من المنذرِ

ويُسراك أجوَدُ من كفّه الـ * ـيمينِ فقُولا له أخِّرِ[8]

(١) الرمز: الإشارة.

(٢) ط، ها، مط: «مرءوجة» أ: «مرءوجة». وقد سبق الكلام على تحقيقه فى ١٥٩.

(٣) الإنماء: الزيادة.

(٤) الأخمص: هو من باطن القدم ما لا يصيب الأرض.

(٥) الخطاء: الخطأ. ماعدا ط، حـ، أ، ها، مط «ولخطؤك».

(٦) استرهن، من الرهن، رهن لك الشىء: أقام ودام.

(٧) أسير: أكثر سيرا بين الناس وشهرة.

(٨) ماعدا ط، حـ، أ، ها، مط: «أبر»، تحريف.

وقد ذكر المدائنى أنّ هذه الأبيات والسجعَ الذى قبلها لحسان، وهذا أصحّ .

قدوم جبلة بن الأيهم على عمر ثم تنصره ورحلته إلى هرقل

قال أبو عمرو الشيبانى : لمّا أسلم جَبَلة بن الأيهم الغسانى وكان من ملوك آل جَفنة ، كتب إلى عمر رضى الله عنه يستأذنه فى القُدوم عليه ، فأذِنَ له عمر فخرج إليه فى خمسمائة من أهل بيته ، من عَكّ وغسان ، حتّى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عُمر يُعْلِمه بقدومه ، فسُرّ عمر رضوان الله عليه ، وأمر الناسَ باستقباله ، وبعث إليه بأنزالٍ (١) ، وأمر جبلةُ مائتى رجل من أصحابه فلبسوا الدِّيباجَ (٢) والحرير ، وركبوا الخيول معقودةً أذنابُها ، وألبسوها قلائدَ الذهب والفضة ، ولبس جبلةُ تاجَه وفيه قُرطَا مارِيةَ — وهى جدّته — ودخل المدينة ، فلم يبقَ بها بكرٌ ولا عانسٌ إلّا تبرجت وخرجَتْ تنظر إليه وإلى زِيّه ، فلما انتهى إلى عُمر رحّب به وألطفَه وأدنى مجلسَه ، ثم أراد عمرُ الحجّ فخرج معه جبلةُ ، فبينا هو يطوف بالبيت وكان مشهورًا بالموسم ، إذ وطئ إزارَه رجلٌ من بنى فزارة فانحلّ ، فرفع جبلةُ يدَه فهشم أنفَ الفزارى ، فاستعدى عليه عمرَ رضوان الله عليه ، فبعثَ إلى جبلة فأتاه فقال : ما هذا ؟ قال : نَعَمْ يا أمير المؤمنين ، إنّه تعمّدَ حلَّ إزارى ، ولولا حُرمة الكعبة لضربتُ بين عينيه بالسّيف ! فقال له عمر : قد أقررت فإمّا أنْ رضِيَ الرجلُ وإمّا أن أُقِيدَه منك . قال جبلة : ما ذا تصنع بى ؟ قال : آمُر بهشْم أنفك كما فعلتَ . قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ، وهو سُوقةٌ وأنا ملك ؟ قال : إنّ الإسلام جَمَعك وإياه ، فلستَ تفضُله بشىءٍ إلا بالتُّقى والعافية ! ! قال جبلة : قد ظننتُ يا أمير المؤمنين أنّى أكون فى الإسلام أعزّ منى فى الجاهلية . قال عمر : دَعْ عنك هذا فإنّك إن لم تُرضِ الرجلَ أقدتُه منك . قال : إذًا أتنصّر . قال :

(١) الأنزال : جمع نزل ، بضم وبضمتين ، وهو ما يهيأ للضيف أن ينزل عليه .

(٢) ما عدا ط ، ها ، مط : « السلاح » .

٥/١٤

إنْ تنصّرتَ ضربتُ عنقك، لأنّك قد أسلمت، فإن ارتددتَ قتلتُك . فلما رأى جبلةُ الصِّدقَ من عمر قال : أنا ناظرٌ فى هذا ليلتى هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حىٍّ هذا وحىٍّ هذا خلقٌ كثير، حتى كادت تكون بينهم فتنة، فلما أمسَوْا أذِن له عمر فى الانصراف ، حتّى إذا نام الناس وهدءوا تحمل جبلةُ بخيله ورَوَاحله إلى الشأم، فأصبحتْ مكةُ وهى منهم بلاقع، فلما انتهى إلى الشأم تحمل فى خمسمائةِ رجل من قومه حتّى أتى القُسطنطينية ، فدخل إلى هِرَقل ، فتنصّر هو وقومه ، فسُرَّ هرقلُ بذلك جداً وظنّ أنه فتحٌ من الفتوح عظيم ، وأقطعه حيثُ شاء ، وأجرى عليه من النُّزل ما شاء ، وجعلَه من محدِّثيه وسُمّاره . هكذا ذكر أبو عمرو .

وذكر ابن الكلبى أنّ الفزارىَّ لما وطئ إزارَ جبلة لطم جبلةَ كما لطمه ، فوثبت غَسّان فهشموا أنفَه وأتوا به عمر، ثم ذكر باقى الخبر نحو ما ذكرناه .

وذكر الزبير بن بكار فيما أخبرنا به الحرمى بن أبى العلاء عنه أن محمد بن الضحاك حدثه عن أبيه :

قصة أخرى فى سبب تنصره

أن جبلةَ قدم على عمر رضى الله عنه فى ألفٍ من أهل بيته فأسلم . قال : وجرى بينه وبين رجلٍ من أهل المدينة كلامٌ، فسبَّ المدينى[1] فرد عليه، فلطمه جبلة فلطمه المدينى، فوثَب عليه أصحابُه فقال: دَعُوه حتّى أسألَ صاحبه وأنظرَ ما عنده. فجاء إلى عمر فأخبره فقال : إنك فعلتَ به فعلاً ففعَل بك مثلَه . قال : أوَ ليس عندك من الأمر إلّا ما أرى . قال : لا فما الأمر عندكَ يا جبلة ؟ قال : من سَبّنا ضربناه، ومن ضَربَنا قتلناه . قال : إنّما أنزِل القرآن بالقصاص . فغضِب وخرج بمن معه ودخلَ أرض الروم فتنصّر، ثم ندم وقال :

* تنصّرتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ *

(١) ما عدا ط، أ، ها : «المدنى» ، تحريف .

وذكر الأبيات، وزاد فيها بعد :

ويا ليتَ لى بالشأم أدنَى معيشةٍ * أجالسُ قومى ذاهبَ السمع والبصَرْ
أدينُ بما دانوا به من شريعةٍ * وقد يحبس العَود الضَّجور على الدَّبَرْ [1]

وذكر باقىَ خبره فيما وجّه به إلى حسان مثله، وزاد فيه :

دعوة معاوية وعمر جبلة بن الأيهم للرجوع إلى الإسلام

أنّ معاويةَ لما ولى بعثَ إليه فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام، ووعده إقطاع الغُوطة بأسْرها ، فأبى ولم يقبل . ثم إنّ عمر رضى الله عنه بدا له أن يكتبَ إلى هرقل يدعوه إلى الله جل وعز وإلى الإسلام، ووجّه إليه رجلًا من أصحابه، وهو جَثّامة بنُ مساحِق الكنانى، فلما انتهى إليه الرجُل بكتاب عمرَ أجاب إلى كلِّ شىء سوى الإسلام، فلما أراد الرسولُ الانصرافَ قال له هرقل : هل رأيتَ ابن عمِّك هذا الذى جاءنا راغبًا فى ديننا ؟ قال : لا . قال : فالقَه . قال الرجل : فتوجهتُ إليه فلما انتهيت إلى بابه رأيتُ من البهجة والحسن والسُّرور ما لم أرَ بباب هرقلَ مثله، فلما أدخلت عليه إذا هو فى بهوٍ عظيم ، وفيه من التصاوير ما لا أُحسن وصفَه ، وإذا هو جالس على سريرٍ من قَوارير ، قوائمه أربعةُ أُسْدٍ من ذهب، وإذا هو رجلٌ أصهبُ سِبالٍ وعُثنون، وقد أمر بمجلسِه فاستُقبِل به وجه الشمس، فما بينَ يديه من آنية الذهب والفضّة يلوح ، فما رأيتُ أحسنَ منه . فلمّا سلمتُ ردَّ السلام ورحّب بى، وألطفَنى ولامنى على تركى النزول عنده، ثم أقعدَنى على شىء لم أثبته ، فإذا هو كرسىٌّ من ذهَب ، فانحدرت عنه فقال : مالكَ ؟ فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَهَى عن هذا . فقال جبلةُ أيضا مثلَ قولى فى النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكرته، وصلّى عليه . ثم قال : ياهذا إنّك إذا طهّرتَ قلبك

[1] ط ، مط : « بما كانوا » . العود ، بالفتح : المسن من الإبل . والدبر : قرحة الدابة .

لم يَضِرْكَ ما لبسته ولا ما جلست عليه . ثم سألنى عن الناس وألحف فى السؤال عن عمر، ثم جعل يفكِّر حتى رأيت الحزنَ فى وجهه، فقلتُ : ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام؟ قال : أبعدَ الذى قد كان؟ قلت: قد ارتد الأشعثُ بن قيس ومنَعهم الزكاةَ وضربهم بالسّيف ثم رجَع إلى الإسلام . فتحدّثنا مليًّا ثم أومأ إلى

ترف جبلة ابن الأيهم

٥ غلامٍ على رأسه فولّى يُحضِر، فما كان إلّا هنيهةً حتّى أقبلت الأخونةُ يحملها الرجال فوضِعت، وجىء بخِوان من ذهبٍ فوضِع أمامى فاستعفيتُ منه، فوضع أمامى خُوانُ خَلَنج[1] وجاماتُ[2] قوارير، وأديرت الخمرُ فاستعفَيت منها، فلما فرغنا دعا بكأسٍ من ذهب فشرب به[3] خمسًا عددا . ثم أومأ إلى غلامٍ فولّى يُحضِر، فما شعَرتُ إلا بعشر جَوارٍ يتكسّرن فى الحَلْى، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمسٌ عن

١٠ شماله، ثم سمعتُ وسوسةً من ورائى، فإذا أنا بعشرٍ أفضلَ من الأولِ عليهن الوشىُ والحَلْى، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمس عن شماله، وأقبلت جاريةٌ على رأسها طائر أبيض كأنّه لؤلؤة، مؤدّب، وفى يدها اليمنى جامٌ فيه مِسك وعنبر قد خُلِطا وأنعِم سحقُهما، وفى اليسرى جامٌ فيه ماء ورد، فألقت الطائر فى ماء الورد، فتمعّك بين جناحيه وظهره وبطنه[4]، ثم أخرجتْه فألقته فى جام المسك والعنبر، فتمعّك فيها

١٥ حتى لم يدَعْ فيها شيئا، ثم نفّرته فطار فسقط على تاج جَبَلة، ثم رفرف ونفض ريشَه فما بقى عليه شىءٌ إلّا سَقط على رأس جبلة، ثم قال للجوارى : أطرِبْنَنى . فخفَقن بعيدانهنّ يغنين :

---

(١) الخلنج : شجر تتخذ من خشبه الأوانى ونحوها، فارسى معرب . ما عدا ط، أ، ها، مط : «خليج» محرف .

٢٠ (٢) الجام : إناء ذكر اللغويون أنه من الفضة . والقوارير : الزجاج .

(٣) هذا ما فى ها . وفى ط، أ، مط : «فيه» وسائر النسخ : «منه» .

(٤) تمعك : تمرغ .

لله درُّ عصابةٍ نادمتُهم * يومًا بجِلَّق فى الزمان الأوّلِ
بيضِ الوجوه كريمةٍ أحسابُهم * شُمِّ الأنوف من الطِّراز الأوّل
يُغشَونَ حتّى ما تهرُّ كلابُهم * لا يسألون عن السَّواد المقبل

فاستهلّ واستبشر وطرِب ثم قال : زِدنى . فاندفَعن يغنّين :

لمن الدارُ أقفرَتْ بمعَانِ * بين شاطِى اليرموك فالصَّمَّان[(1)]
فحِمَى جاسم فابنيةِ الصُّفْرِ مغنَى قنابِلٍ وهِجان[(2)]
فالقُرياتِ من بلَاس فداريَّا فسَكَّاءَ فالقصورِ الدوانِى
ذاكَ مغْنًى لآل جفنة فى الدّارِ وحقٌّ تعاقُب الأزمان
قد دنا الفِصح فالولائد ينظِمنَ سِراعاً أكِلّةَ المرْجانِ
لم يُعلَّلْنَ بالمغافيرِ والصَّمغ ولا نَقْف حَنظل الشِّريان[(3)]
قد أرانى هناكَ حقًّا مكينا * عند ذى التاج مَقعدِى ومكانى

إرساله صلة إلى حسان عند ما علم بأنه مضرور

فقال : أتعرف هذه المنازل ؟ قلت : لا . قال : هذه منازلُنا فى مُلكنا بأكناف دمشق، وهذا شعر ابنِ الفُرَيعة حسّانَ بن ثابت، شاعرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : أمَا إنّه مضرورُ البصرِ كبيرُ السنّ . قال : يا جاريةُ هاتى . فأتته بخمسمائةِ دينارٍ وخمسة أثوابٍ من الدِّيباج، فقال: ادفعْ هذا إلى حسانَ وأقرِئه منّى السلام . ثم أرادنى على مثلها، فأبيتُ فبكى[(4)]، ثم قال لجواريه : أبكِينَنى . فوضعن عِيدانَهنّ وأنشأن يقلن :

بكاؤه من سماع شعر حسان

٧/١٤

---

(١) سبق الكلام على البيت وروايته فى ص ١٥٤ .
(٢) ما عدا ط ، أ ، مط : « قبائل » وقد مضى تفسير البيت فى ص ١٥٥ .
(٣) الشريان ، بالكسر : موضع .
(٤) ما عدا ط ، ها ، مط ، جـ : « راودنى » .

تنصّرتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ * وما كان فيها لو صَبرتُ لها ضَررْ

تكنّفنى فيها لَجَاجٌ ونَخوةٌ * وبِعتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعوَر

فيا ليتَ أُمّى لم تلِدْنى وليتَنى * رجَعتُ إلى القول الذى قال لى عمر

ويا ليتَنى أرعَى المخاضَ بقَفرةٍ * وكنتُ أسيرًا فى ربيعةَ أو مُضر (١)

ويا ليت لى بالشأم أدنى معيشةٍ * أجالِسُ قومى ذاهبَ السَّمعِ والبصرْ

ثم بكى وبكيتُ معه حتّى رأيت دموعَه تجول على لحيته كأنّها اللؤلؤ ، ثمّ سلّمت عليه وانصرفت ، فلما قدِمتُ على عمرَ سألنى عن هِرَقْل وجَبَلة ، فقصصتُ عليه القصّةَ من أوّلها إلى آخرها ، فقال : أوَ رأيتَ جبلةَ يشرب الخمر ؟ قلت : نعم . قال : أبعده الله ، تعجّلَ فانيةً اشتراها بباقية ، فما رَبِحتْ تجارته ، فهل سَرّح معك شيئا ؟ قلت : سَرّح إلَى حسان خمسمائة دينار وخمسةَ أثواب ديباج . فقال : هاتها . وبعثَ إلى حسّان فأقبل يقودُه قائده حتّى دنا فسلّم ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّى لأجد أرواحَ آلِ جفنة . فقال عمر رضى الله عنه : قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رَغْم أنفه ، وأتاك بمعونة . فانصرفَ عنه وهو يقول :

إنّ ابنَ جفنةَ من بقيّة مَعشرٍ * لم يَغذُهم آباؤهم باللّومِ

لم ينسنِي بالشّأم إذ هو ربُّها * كلّا ولا متنصّرًا بالرومِ

يُعطِى الجزيلَ ولا يَراه عنده * إلّا كبعض عطيّةِ المذمومِ

وأتيتُه يومًا فقرّب مجلسى * وسَقَى فروّانى من الخرطومِ (٢)

(١) ما عدا ط ، ها ، مط : « بدمنة » ، وما أثبت من هذه النسخ يوافق ما فى شروح سقط الزند ٣٠٢ . وانظر فيها رواية أخرى ٢٩٥ — ٣٠٣ .

(٢) الخرطوم ، سبق تفسيرها فى ص ١٦٠ .

فقال له رجلٌ فى مجلس عمر : أتذكر قومًا كانوا ملوكا فأبادهم الله وأفناهم ؟ ! فقال : ممن الرجل ؟ قال : مُزَنِىّ . قال : أمَا والله لولا سوابقُ قومك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطَوّقتُك طَوقَ الحمامة . وقال : ما كان خليلى ليُخِلّ بى ، فما قال لك ؟ قال : قال إنْ وجدتَه حيًّا فادفعها إليه ، وإن وجدتَه ميّتا فاطرح الثيابَ على قبره ، وابتعْ بهذه الدنانير بُدْنًا فانحرها على قبره . فقال حسان : ليتَك وجدتنى ميّتا ففعلتَ ذلك بى ؟

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدّثنا الزبير قال : قال لى عبد الرحمن ابن عبد الله الزبيرى : قال الرسولُ الذى بعثَ به إلى جبلة . ثم ذكر قصته مع الجارية التى جاءت بالجامَين والطائر الذى تمعّك فيهما ، وذكر قولَ حسان :

* إن ابنَ جفنةَ من بقية معشرٍ *

ولم يذكر غير ذلك . هكذا روى أبو عمرو فى هذا الخبر .

وقد أخبرنى به أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : قال عبد الله ابن مَسعدة الفزارىّ :

رسول معاوية إلى ملك الروم ولقاؤه لجبلة

وجّهنى معاويةُ إلى ملك الروم ، فدخلتُ عليه ، فإذا عنده رجلٌ على سرير من ذهب دونَ مجلسه ، فكلّمنى بالعربية فقلت : من أنتَ يا عبد الله ؟ قال : أنا رجلٌ غَلَب عليه الشّقاء ، أنا جبلة بن الأيْهَم ، إذا صرتُ إلى منزلى فالقَنى . فلما انصرفَ وانصرفتُ أتيتُه فى داره فألفيته على شرابه ، وعنده قَينتانِ تغنيّانه بشعر حسان بن ثابت :

قد عَفا جاسمٌ إلى بيت رأسٍ * فالحَوانِى فجانب الجَوْلان[1]

(١) سبق الكلام على البيت فى ص ١٥٥ .

٨/١٤

وذكر الأبيات. فلما فرغنا من غنائهما أقبل عليّ ثم قال : ما فعل حسّانُ بن ثابت؟
قلت : شيخٌ كبير قد عَمِي . فدعا بألف دينـار فدفعها إليّ ، وأمرني أن أدفعَها
إليه ثم قال : أتُرى صاحبَك يَفِي لى إن خرجتُ إليـه ؟ قال : قلت قل ما شئت
أعرِضْه عليـه . قال : يُعطيني الثنيّة (١) فإنهـا كانت منازلنـا ، وعشرين قريةً من
٥ الغُوطة منها دارَيّا وسَكّاء ، ويفرضُ لجماعتنا ويحسِنُ جوائزَنا . قال : قلت أُبلغُه .
فلمـا قدِمتُ على معاوية قال : ودِدتُ أنّك أجبتَه إلى ما سألَ فأجزتُه له . وكتب
إليه معاوية يُعطيه ذلك ، فوجّده قد مات .

قال : وقدِمتُ المدينةَ فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيتُ
حسانَ فقلت : يا أبا الوليد ، صديقُك جَبَـلة يقرأ عليك السلام . فقال : هات
١٠ ما معـك . قلت : وما عِلمُك أنّ معي شيئا ؟ قال : ما أرسـل إليّ بالسلام قطّ
إلّا ومعَه شيء . قال : فدفعت إليه المـال .

أخبرني إبراهيم بن محمـد بن أيوب قال : حدّثنـا عبد الله بن مُسلم قال :
حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه، عن أهل المدينة قالوا:

حديث حسان مع رسول جبلة

بعث جبـلةُ إلى حسّانَ بخمسمائة دينـار وكُسًى وقال للرسـول : إنْ وجدتَه
١٥ قد مات فابسُط هذه الثيابَ على قبره . فجاء فوجدهُ حيا ، فأخبره فقال : لوددت
أنكَ وجدتَني ميتا .

(١) الثنية : ثنية العقاب ، بضم العين ، وهى ثنية مشرفة على غوطة دمشق .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى

صوت

تنصّرت الأشرافُ من عارِ لطمةٍ * وما كانَ فيها لو صبرتُ لها ضَرَرْ

الأبيات الخمسة .

الشعر لجبلة بن الأيهم ، والغناء لعريب نصبٌ[1] خفيف ، وبسيط رملٍ بالوسطى . ومنها :

صوت

إنّ ابن جفنةَ من بقيةِ معشرٍ * لم يَغـذُهم آباؤهم باللّـومِ

الأبيات الأربعة[2] . الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لعريب ، هزج بالبنصر .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدّثنا عمى يوسف بن محمد قال : حدّثنى عمى إسماعيل بن أبى محمد قال : قال الواقدىّ : حدّثنى محمد بن صالح قال :

حديث حسان مع الحارث بن أبى شمر

كان حسّان بن ثابت يَغـدُو على جبلة بن الأيهم سـنةً ويقيم سنةً فى أهله ، فقال : لو وفدتُ على الحارث بن أبى شِمر الغَسّانى ، فإنّ له قرابةً ورحِمًا بصاحبى ، وهو أبذل الناس للعروف ، وقد يئس منّى أن أفِدَ عليه ، لمـا يَعرِف من انقطاعى إلى جَبَلة .

قال : فخرجتُ فى السـنة التى كنت أقيم فيها بالمدينـة ، حتى قدمت على الحـارث وقد هيّأتُ له مديحًا ، فقال لى حاجبُه ، وكان لى ناصحًا : إنّ الملك

(١) كذا على الصواب فى ط ، ها ، مط . وفى حـ : « نصيب » ، وفى سائر النسخ : « نصف » محرّفتان .	(٢) ط ، أ ، ها ، مط : « الثلاثة » .

قد سُرّ بقدومك عليه ، وهو لا يدعُك حتّى تذكر جبلة ، فإياك أن تقع فيه فإنّه إنما يختبرك ، وإن رآك قد وقعتَ فيه زهِدَ فيك ، وإن رآكَ تذكر محاسنه ثقُل عليه فلا تبتدئ بذكره، وإن سألكَ عنه فلا تُطنب فى الثناء عليه ولا تَعِبْه ، امسح ذكره مَسْحًا، وجاوزْه إلى غيره، فإنّ صاحبك — يعنى جبلةَ — أشدُّ إغضاءً عن هذا [من هذا][1]، أى أشدُّ تغافلًا وأقلُّ حَفْلا به ، وذلك أنّ صاحبك أعقلُ من هذا وأبين ، وليس لهذا بيان ، فإذا دخلتَ عليه فسوف يدعُوك إلى الطعام ، وهو رجلٌ يثقُل عليه أن يؤكل طعامُه ولا يبالى الدرهمَ والدينار ، ويثقل عليه أن يشرب شرابُه أيضا ، فإذا وضع طعامُه فلا تضَعْ يدك حتّى يدعوَك ، وإذا دعاك فأصِبْ من طعامه بعضَ الإصابة . قال : فشكرتُ لحاجبه ما أمرنى به .

قال : ثم دخلتُ عليه فسألنى عن البلاد وعن الناس، وعن عَيشنا بالحجاز، وعن رجالِ يهودَ، وكيف ما بَيْننا من تلك الحروب . فكلَّ ذلك أخبره حتّى انتهى إلى ذكر جبلة ، فقال : كيف تجدُ جبلة ، فقد انقطَعْتَ إليه وتركتنا ؟ فقلت : إنّما جبلة منك وأنت منه . فلم أجرِ إلى مدح ولا عيب ، وجاز ذلك إلى غيره ثم قال : الغَداءَ . فأتى بالغَداء ووضع الطعام، فوضع يدَه فأكل أكلًا شديدا ، وإذا رجلٌ جبّار ، فقال بعد ساعة : ادنُ فأصِبْ [من هذا][2] . فدنوتُ فخطّطتُ تخطيطا، فأتِىَ بطعام كثير ، ثم رُفع الطعام وجاء وُصفاءُ كثيرٌ عددهم، معهم الأباريقُ فيها ألوانُ الأشربة . ومعهم مناديلُ اللِّين[3] فقاموا على رءوسنا ، ودعا أصحابَ برابِطَ[4]

(١) التكملة من ط ، مط ، وهى فى أ مع أثر ترميج .
(٢) التكملة من ط ، مط .
(٣) اللين ، وقد ضبط فى ط بفتح اللام ، كأنه مخفف اللين ، وهى قرية من كورة بين النهرين التى بين الموصل ونصيبين .
(٤) جمع بربط ، وهى آلة ذات أوتار .

من الروم فأجلسهم وشرب فالهَوْه، وقام الساقى على رأسى فقال : اشربْ . فأبيتُ حتى قال هو : اشربْ . فشربت ، فلما أخذ فينا الشرابُ[1] أنشدتُه شعرًا فأعجبه ولَذَّ به ، فأقمتُ عنده أيامًا فقال لى حاجبه : إنّ له صديقًا هو أخفُّ الناس عليه، وهُو جاءٍ، فإذا هو جاءَ جفاكَ وخلص به وقد ذُكِر قدومه، فاستأذِنْه قبل أن يقدم عليه ، فإنه قبيحٌ أن يجفوكَ بعد الإكرام، والإذنُ اليوم أحسن . قلت : ومن هو؟ قال : نابغة بنى ذبيان . فقلت للحارث : إنْ رأى الملكُ أن يأذنَ لى فى الانصراف إلى أهلى فعل . قال : قد أذنتُ لك وأمرتُ لك بخمسمائة دينار وكُسًى وحُمْلانٍ[2] . فقبضتُها وقدم النابغةُ وخرجتُ إلى أهلى .

صـــوت

ألَا إنّ ليلَى العامريّةَ أصبحَتْ * على النأى منّى ذنبَ غيرِىَ تنقِمُ

وما ذاك من شىءٍ أكونُ اجترمتُه * إليها فتجـزِينى به حيثُ أعلمُ[3]

ولكنّ إنسانًا إذا ملّ صاحبًا * وحاول صَرمًا لم يزل يتجرّمُ[4]

وما زال بى ما يُحدِث النأىُ والذى * أعالج حتّى كدت بالعيش أبرَمُ

وما زال بِى الكتمانُ حتّى كأنّنى * بِرجع جَوابِ السائلِى عنك أعجَمُ

لأسلمَ من قول الوُشاة وتسلمى * سَلِمْتِ وهل حىٌّ من الناس يسلمُ

---

(١) ما عدا ط ، أ ، ها، مط : « أخذ بنا الشراب » .

(٢) الحملان ، بالضم : مصدر حمل ، والمراد بها الإبل ونحوها .

(٣) ما عدا ط ، ها، مط : « فتخبرنى به » تحريف .

(٤) تجرم عليه : ادعى عليه ذنبا لم يفعله .

عروضه من الطويل . الشعر لنُصيب ، ومن الناس من يروى الثلاثة الأبيات الأول للمجنون . والغناء لبديح مولى عبد الله بن جعفر رحمهما الله .

وفى الأبيات الأول منها ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامى وحبش . وذكره حمّاد بن إسحاقَ ولم يجنّسه . وفيه لابن سُريج هزج خفيف بالبنصر فى مجراها عن إسحاق فى البيتين الأخيرين . وفيه لمعبد فى البيتين الأولين خفيف ثقيل أول بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

٥

خبر بُديح فى هذا الصوت وغيره

صنعة بديح

بُديح مولى عبد الله بن جعفر، وكان يقال له بديح المليح. وله صنعة يسيرة وإنما كان يغنّى أغانى غيره مثل سائب خاثر، ونَشيط، وطُوَيس، وهذه الطبقة. وقد روى بُديح الحديثَ عن عبد الله بن جعفر.

١٠/١٤

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنا العباس بن محمد الدُّورى قال : حدّثنا أبو عاصم النَّبيل[1] عن جُويرية بنِ أسماء، عن عيسى بن عمر بن موسى، عن بديح مولى عبد الله بن جعفر قال :

٥

رواية لخبر يحيى ابن الحكم

لما قدم يحيى بن الحكم المدينةَ دخل إليه عبدُ الله بن جعفر فى جماعة فقال له يحيى : جئتَنى بأوباشٍ من أوباشِ خِبثة[2]؟ فقال عبد الله : سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبةَ وتسمّيها أنت خِبثة[3]؟ !

١٠

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : قال داود بن جميل حدّثنى من سمع هذا الحديث من ابن العتبى يذكره عن أبيه قال :

حيلة عبد الله ابن جعفر فى رقية بديح لعبد الملك ابن مروان

دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوّه، فقال : يا أمير المؤمنين، لو أدخلتَ عليك من يُؤْنسك بأحاديث العرب وفُنون الأسمار؟ قال : لستُ صاحبَ هزل، والجِدّ مع عِلّتى أحْجى بى. قال: وما علّتك يا أمير المؤمنين؟

١٥

---

(١) ما عدا ط، ها، مط : «عاصم النبيل». تحريف. وأبو عاصم هو الضحاك بن مخلد الشيبانى البصرى، ترجم له فى تهذيب التهذيب. وانظر القاموس (عصم).

(٢) خبثة، بكسر الخاء، كنى بها عن طيبة مدينة الرسول.

(٣) ما عدا ط، ها، مط : «خبيثة».

قال : هاجَ بى عِرق النَّسا فى ليلتى هذه، فبلغ منى . قال : فإنّ بُديحا مولاى أرقى[1] الناس منه . فوجّه إليه عبد الملك فلما مضَى الرسول سُقِط فى يدَىْ[2] ابن جعفر وقال: كِذبةٌ قبيحة عندَ خليفة . فما كان بأسرعَ من أن طلع بديح فقال : كيف رُقيتك من عِرق النَّسا . قال : أرقَى الخلق يا أمير المؤمنين . قال : فسُرِّى عن عبد الله لأنّ بُديحًا كان صاحبَ فكاهة يُعرف بها؛ فمدّ رجلَه فتفَلَ عليها ورقاها مرارا، فقال عبد الملك : الله أكبر، وجدتُ والله خِفًّا[3]، يا غلامُ ادعُ فلانةَ حتّى تكتب الرُّقية، فإنّا لا نأمنُ هَيْجَها بالليل فلا نَذْعر بُديحا . فلما جاءت الجارية قال بديح : يا أمير المؤمنين، امرأته الطلاقُ[4] إن كتبتُها حتى تعجِّل حِبائى . فأمر له بأربعة آلاف درهم فلما صار المالُ بين يديه قال: وامرأته الطلاقُ إن كتبتُها أو يصيرَ المالُ إلى منزلى . فأمر به فحُمِل إلى منزله ، فلما أحرزه قال : يا أمير المؤمنين ، امرأتُه الطلاق إن كنتُ قرأت على رجلك إلّا أبياتَ نصيب :

ألا إنّ ليلَى العامريةَ أصبحتْ * على النأى منّى ذنبَ غيرِى تَنقِم

وذكر الأبياتَ وزاد فيها :

ومازلتُ أستصفِى لكِ الودَّ أبتغى * مُحاسَنةً حتّى كأنّى مُجرِمُ

قال : ويلَك ما تقول؟ قال امرأتُه الطلاق إنْ كان رقاك إلّا بما قال . قال : فاكتمْها علىّ . قال : وكيف ذاك وقد سارت بها البُردُ إلى أخيك بمصر ؟ ! فطفق عبد الملك ضاحكًا يفحَص برجليه .

---

(١) أرقى ، من الرقية . ط : « أرقا » أ : « أرقا » .

(٢) سقط فى يده وأسقط ، بالبناء للمفعول فيهما ، أى ندم وتحير . ط ، أ ، ها : « أسقط » .

(٣) الخف ، بفتح الخاء وكسرها : الخفة . ط فقط : « خفافا » تحريف .

(٤) كذا فى ط ، أ ، جـ ، ها ، مط فى المواضع الأربعة من هذا الخبر . وفى ب ، س : «طالق» .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنى الأصمعى عن المنتجع النّبهانى، عن أبيه بهذا الخبر مثل الذى قبله . وزاد فى الشعر :

فلا تصرمينى حينَ لالِىَ مرجِعٌ * ورأيى ولا لى عنكمُ متقدَّم

وقال فيه : فسكّن ما كان يجدُه عبد الملك، وأمر لبُديح بأربعة آلاف درهم، فقال ابن جعفر لبديح : ما سمعتُ هذا الغناءَ منكَ مذْ ملكتُك ! فقال : هذا من ٥ نُتَف سائب خاثر .

أخبرنى إسماعيل قال حدّثنا عمر قال حدّثنى القاسم بن محمد بن عباد عن الأصمعى عن ابن أبى الزناد عن نافع — أراه نافع الخير مولى ابن جعفر — بهذا الخبر مثلَه ، وزاد فيه أنّ بُديحا رفع صوتَه يغنيه به لمّا قال له أن يكتبَ الرقية . ١١/١٤ وزاد فيه : فجعل عبدُ الملك يقول : مهلًا يا بُديح . فقال : إنّما رقيتك كما علّمتُ[1] ١٠ يا أمير المؤمنين .

أخبرنى إسماعيل قال حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى أبو سَلمة الغفارىّ عن عبد الله بن عِمران بن أبى فَروة قال :

كان ابن جعفر يحبُّ أن يُسمعَ عبدَ الملك غناء بُديح، فدخل إليه يوماً فشكا إليه عبدُ الملك رُكبته فقال له ابنُ جعفر : يا أمير المؤمنين، إن لى مولىً كانت أمّه ١٥ بربريّة ، وكانت تَرقِى من هذه العلّة ، وقد أَخذَ ذلك عنها . قال : فادعُ به . فدُعِى بُديح، فجعل يتفُل على ركبة عبد الملك ويُهمهِم، ثم قال : قُم يا أمير المؤمنين جعلنى الله فِداك . فقام عبد الملك لا يجدُ شيئا، فقال عبد الله : يا أميرَ المؤمنين مولاك لا بدَّ له من صلة . قال : حتّى تكتب رُقيتَه . ثم أمر جاريةً له فكتبَتْ :

(١) كذا فى ط، أ، جـ، ها بهذا الضبط . وفى سائر النسخ : «ما علمت» . ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم . قال : كيف تكون ويلك رقيةٌ ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : فهو ذاك . قال : فاكتبها على ما فيها . فأملى عليها :

دِيارَ سُليمى بين عَيقة فالمُهدى * سُقيتِ، وإن لم تَنطق، سَبَل الرعدِ (١)

ثم قال له ابن جعفر : لو سمعتَه منه . قال : أوَ يُجيد ؟ قال : نعم . قال : هات . فما برح والله حتّى أفرغها فى مسامعه .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى، قال حدّثنى عمى عبيد الله قال : حدّثنى سليمان بن أبى شَيخ قال :

تنصل الفضل بن دكين من الرفض

كنا عند أبى نعيم الفَضل بن دُكَين بخاءه رجل فقال : يا أبا نُعيم ، إن الناس يزعُمون أنّك رافضىّ . قال : فأطرق ساعةً ثم رفع رأسَه وهو يبكى وقال : يا هذا أصبحتُ فيكم كما قال نُصَيب :

وما زال بى الكِتمان حتّى كأنّنى * برَجع جوابِ السّائلى عنك أعجمُ

لأسلَمَ من قول الوشاةِ وتَسلمى * سَلمتِ وهل حىٌّ من الناس يسلمُ

صوت

يا غرابَ البينِ أسمعتَ فقُلْ * إنّما تنطق شيئاً قد فُعِلْ

إنّ للخيرِ وللشرّ مَدًى * لِكلا ذَينِكَ وقتٌ وأجَلْ

---

(١) ط فقط : « عتقه » ها : « عيفة » مط « عقة » . تحريف . وعيقة : اسم موضع . وفى أسماء مواضعهم أيضا : « غيقة » بالغين المعجمة . والمهدى، كذا ورد فى عامة النسخ .

كُلُّ بؤسٍ ونعيمٍ زائلٌ * وبناتُ الدهرِ يَلعبنَ بكُلّْ
والعطياتُ خِساسٌ بينهم * وسَواءٌ قبرُ مُثْرٍ ومُقِلّْ(١)

الشعر لعبد الله بن الزِّبَعرى السَّهمى ، يقوله فى غَزاة أحد ، وهو يومئذ مشرك . والغناء لابن سُرَيج خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالبِنصر ، عن عمرو على مذهب إسحاق . وفيه لحنٌ لابن مُسْجِح من رواية حماد عن أبيه فى كتاب ابن مسجح . ٥

(١) يقال : هذه الأمور خساس بينهم ، أى دول يتداولونها . ولم ترد هذه الكلمة فى اللسان ، ووردت فى القاموس ومقاييس اللغة ، حيث استشهد الأخير بصدر البيت ملفقا مع عجز البيت السابق .

نسب ابن الزِّبعرَى وأخبارُه وقصّة غَزْوة أُحُد

نسب ابن الزبعرى

هو عبد الله بن الزِّبعرى بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو ابن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة ابن خُزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار .

حاله قبل الإسلام وبعده

٥ وهو أحدُ شعراءِ قريش المعدودين . وكان يهجو المسلمين ويحرِّض عليهم كفارَ قريش فى شعره ، ثم أسلمَ بعد ذلك فقبِل النبىُّ صلى الله عليه وسلم إسلامَه وأمَّنه يومَ الفتح .

١٢/١٤

وهذه الأبياتُ يقولها ابنُ الزبعرى فى غزوة أحد .

حدّثنا بالخبر فى ذلك محمد بن جرير الطبرى قال حدّثنا ابن حميد قال : حدّثنا ١٠ سلَمة عن محمد بن إسحاق قال حدّثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزُّهرى ، ومحمد بن يحيى بن حَيان [1] ، وعاصم بن عمرو بن قَتادة ، والحُصين بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن مُعاذ وغيرهم من علمائنا ، كلُّهم قد حدّث ببعض هذا الحديث ، فقد اجتمع حديثُهم كلُّهم فيما سُقت من الحديث عن يوم أحد . قالوا :

خبر غزوة أحد

لمّا أصيبت قريشٌ ، أو من قاله منهم يومَ بدرٍ من كفار قريش ، من ١٥ أصحاب القَليب ، فرجَع فَلُّهم [2] إلى مكة ، ورجع أبو سفيانَ بن حرب بعيره ، مشى عبد الله بن أبى ربيعة ، وعكرمةُ بن أبى جَهلٍ ، وصَفْوان بن أمية ، فى رجالٍ من

(١) حيان هذا ، بفتح الحاء وتشديد الياء كما فى القاموس وتقريب التهذيب . ولمحمد بن يحيى بن حبان ترجمة فى تهذيب التهذيب ٩ . أ : « حسان » وس : « حيان » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٢) الفل : القوم المنهزمون .

قريش، ممن أصيب آباؤهم [وأبناؤهم][1] وإخوانهم ببدر، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومَن كان له فى تلك العير من قريش تجارة[2]، فقال أبو سفيان : يا معشرَ قريش، إنّ محمدًا قد وَتَركم وقتَل خيارَكم، فأعينونا بهذا المال على حَربه، لعلّنا أن ندرك ثأرًا ممن أصيبَ منا . ففعلوا، فاجتمعتْ قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حينَ فعل ذلك أبو سفيانَ وأصحاب العير بأحابيشها[3] ومَن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة، وكلٌّ أولئك قد استغووا[4] على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أبو عَزّة عمرو بن عبد الله الجُمَحى قد منّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدر، وكان فى الأسارى فقال : يا رسول الله، إنّى فقيرٌ ذو عيال وحاجة قد عرفْتَها، فامنُنْ علىّ صلى الله عليك . فمنّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صفوان بن أميّة : يا أبا عزّة، إنك امرؤٌ شاعر فاخرجْ معنا فأعنّا بنفسك . فقال : إن محمدًا قد منّ علىّ، فلا أريد أن أظاهرَ عليه . فقال : بلى فأعنّا بنفسك، ولك الله إن رجعتَ أن أغنيَك، وإن أصبتَ أن أجعل بناتِك مع بناتى، يصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسر أو يسر . فخرج أبو عزة يسير فى تهامة ويدعو بنى كنانة، وخرج مُسافع بن عَبْدة بن وهب بن حُذافة بن جُمَح إلى بنى مالك بن كنانة يحرّضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعا جُبير بن مُطعِم غلامًا يقال له وحشىّ، وكان حبشيا يقذِف بحربة له قَذْفَ الحبشة، قلّما يخطئ

(١) من ط، ها، مط، مب فقط .

(٢) ماعدا ط، ها، مط، مب : « لهم » .

(٣) الأحابيش : الجماعة أيا كانوا، أو أحابيش قريش، هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند جبل يسمى « حبشيا » بأسفل مكة لحالفوا قريشا .

(٤) استغووا، بالغين المعجمة فى ط، ها، مط، مب . وفى سائر النسخ بالعين المهملة، وهما سيان . يقال : هو يستغوى القوم ويستعويهم، أى يستغيث بهم .

بها، فقال : اخرجْ مع الناس، فإن أنت قَتلتَ عمَّ محمدٍ بعمى طُعَيمة بن عدىّ فأنت عتيق. وخرجت قريشٌ بحدِّها وأحابيشها ومَن معها من بنى كنانة وأهل تهامة، وخرجوا بالظُّعُن[1] التماسَ الحفيظة، ولئلا يفرُّوا . وخرج أبوسفيانَ بن حربٍ وهو قائد الناس، معه هنـدُ بنت عتبة بن ربيعـة،[2] وخرج عِكرمة بن أبى جهل بن هشام بن المغيرة، وخرج صَفْوان بن أمية بن خَلَف ببرزةَ ـ وقيل بَبرّةَ من قول أبى جعفر ـ بنت مسعود ابن عمرو بن عُمير الثقفية، وهى أم عبد الله بن صَفْوان .[3] وخرج عمرو بن العاص، وخرج طلحة بن أبى طلحة وأبوطلحة عبدُ الله بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار بسُلافةَ بنت سعدِ بن سُهيل،[4] وهى أم بنى طَلْحة : مُسافع، والجُلاس، وكلاب، قُتلوا يومئذ وأبوهم . وخرجت خُناسُ بنت مالك بن المضرّب إحدى نساء بنى مالك ابن حِسل مع ابنها أبى عَزّة[5] بن عمير، وهى أمُّ مصعب بن عمير . وخرجت عمرة بنت عَلقمة إحدى نساء بنى الحارث بن [عبد مناة بن][6] كنانة .

وكانت هنـدُ بنت عتبة بن ربيعـة إذا مرّتْ بوحشىّ أو مرّ بهـا قالت : إيه أبا دَسْمة[7] اشتفِ[8] . فنزلوا ببطن السَّبخة[9] من قَناةٍ على شفير الوادى مما يلى المدينة،

---

(١) الظعن : جمع ظعينة، وهى المرأة ما دامت فى الهودج .

(٢) فى السـيرة ٥٥٧ جوتنجن والطبرى (٣ : ١٠) : « وخرج عكرمة بن أبى جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة » .

(٣) فى السيرة والطبرى : « وخرج عمرو بن العاصى بريطة بنت منبه بن الحجاج » .

(٤) كذا فى ط، ها، مط، مب . وفى سائر النسخ : « سـعيد بن سهم » وفى السيرة : « سعد بن شهيد » .

(٥) فى السيرة : « أبى عزيز » .

(٦) التكملة من السيرة . وفى ها : « بنى الحارث بنى مناة بنى كنانة » .

(٧) ط، مط : «أبو رسمة» ها : « أبو رشمة » وهى فى السيرة والطبرى بالدال أيضا كما أثبت من سائر النسخ .

(٨) فى الأصول : « استف » بالسين المهملة، صوابه فى السيرة وتاريخ الطبرى (٣ : ١٠) . والنص فيها : « ويها أبا دسمة اشف واشتف » .

(٩) ط، مط، مب : « الشيحة » مخالفة ما فى السيرة وسائر النسخ .

فلمّا سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلُوا حيثُ نزلوا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسلمين : «إنى قد رأيتُ بقرا تُذبَح فأوّلتها خيرًا ، ورأيتُ فى ذُباب سيفى ثَلْما ، ورأيت أنّى أَدخلتُ يدى فى دِرعٍ حصينة ، وهى المدينة (١) ، فإنْ رأيتم أن تُقِيموا بالمدينــة وتَدَعوهم حيث نزلوا فإنْ أقاموا أقاموا بشرِّ مُقام ، وإن هم دَخلوا علينا فيها قاتلناهم» .

ونزلت قريشٌ منزلَها من أحد يوم الأربعاء ، فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة ، وراح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حينَ صلَّى الجمعة فأصبح بالشِّعب من أحد ، فالتقوا يومَ السبت للنصف من شوال . وكان رأىُ عبــد الله بن أبىّ ابن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يَرى رأيَه فى ذلك : أن لا يخرج إليهم ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروجَ من المدينة ، فقال رجالٌ من المسلمين ، ممن أكرم الله جلّ ثناؤه بالشهادَة يوم أحد وغيرُهم ممن فاته بدر وحضوره : يا رسولَ الله صلى الله عليك وسلم اخرجْ بنا إلى أعدائنا لا يَرَون أنّا جَبُنَّا عنهم وضَعُفنا . فقال عبد الله بن أبىّ بن ســلول : يا رسولَ الله أقمْ بالمدينة ، ولا تخرجْ إليهم ، فوالله ما خرجْنا منها إلى عدوٍّ قط إلا أصابَ منّا ، ولا يدخلُها علينا إلّا أصبنا منهم ، فدَعْهم يارسول الله ، فإنْ أقاموا أقاموا بشَرِّ مجلس ، وإن دخلُوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم النساءُ والصِّبيان بالحجــارة من فوق رءوسهم ، وإن رجعوا رجَعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاءِ العــدوّ ، حتّى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لأمتَه ، وذلك يومَ الجمعة ، حين فرغَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة . وقد مات فى ذلك

(١) فى السيرة : « فأولتها المدينة » .

اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو، أحد بنى النجّار فصلّى عليه رسول الله عليه وسلم ثم خرج عليهم، وقد ندم الناس: وقالوا استكْرَهنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا! فخرجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فقالوا : يارسول الله استكرهناك ولم يكنْ ذلك لنا، فإن شئتَ فاقعدْ صلى الله عليك. فقال عليه السلام: «ماينبغى لنبيٍّ إذا لبس لأمتَه أن يضعَها حتّى يقاتل» قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألفِ رجلٍ من أصحابه، حتّى إذا كانوا بالشوط، بين أحد والمدينة، انخزلَ عنه عبد الله بن أبَىّ بن سَلول بثلث الناس، وقال: أطاعَهم فخرجَ وعصانى، والله ما ندرى علامَ نقتلُ أنفسَنا هاهنا أيُّها الناس. فرجَع بمن اتّبعه من الناس مِن قومه، من أهل النِّفاق والرِّيب، واتّبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حَرام أحد بنى سلمة يقول : ياقوم أذكّركم[(1)] اللهَ أن تخذُلوا نبيّكم وقومَكم عند ما حضر من عدوّهم. فقالوا : لو نعلم أنّكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنّا لانرى أنّه يكون قتال. فلما استعصَوْا عليه وأبَوا إلّا الانصرافَ قال : أبعدَكم الله أعداءَ الله، فسيُغنى الله عزّ وجلّ عنكم.

وقال محمد بن عمر الواقدى : انخزل عبد الله بن أبىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشّيخين[(2)] بثلثمائة، فبقى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى سبعمائة، وكان المشركون فى ثلاثة آلاف، والخيل مائتا فارس، والظُّعن خمسَ عشرةَ امرأة. قال : وكان فى المشركين سبعُمائة دارع، ولم يكن معهم من الخيل إلّا فرَسانِ : فرسٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرس لأبى بُردة بن نيار الحارثى. فادّلج[(3)] رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشّيخين حتّى طلع الحمراء، وهما[(4)] أُطُمانِ كان يهودىٌّ

(١) كذا فى ط، مط، مب والسيرة. وفى سائر النسخ : «اذكروا».
(٢) الشيخان : موضع بالمدينة كان فيه معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(٣) ادلج : سار فى آخر الليل. (٤) أى الشيخان.

ويهودية أعميان يقومان عليهما فيتحدّثان ، فلذلك سميا الشيخين ، وهما فى طرف المدينــة .

قال : وعرَض رسول الله صلى الله عليه وسلم المقاتلةَ بعد المغرب ، فأجاز من أجاز ، وردّ من ردّ . قال : وكان فيمن ردّ زيد بن ثابت ، وأبو عمرو أُسيد بن ظهير ، والبَرَاء بن عازب ، وعَرَابة بن أوس . قال : وهو عَرَابة الذى قال فيه الشماخ : ٥

إذا ما رايةٌ رفعتْ لمجــدٍ * تلقّــاها عَــرابةُ باليمــين

قال : وردّ أبا سعيد الخدرىَّ ، وأجاز سَمُرة بن جُنــدب ، ورافعَ بن خَديج . وكان رســول الله صلى الله عليه وسلم قد استصْغَر رافعاً ، فقام على خفَّين له فيهما رِقاع ، وتطاولَ على أطراف أصابعه ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم أجازَه .

قال محمد بن جرير : فحدّثنى الحارث قال : حدّثنا ابن سعد قال : أخبرنا محمد ابن عمر قال : ١٠

كانت أمُّ سمرة تحتَ مُرَىّ[1] بن سِنان بن ثعلبة ، عمِّ أبى سعيد الخدرى ، وكان ربيبه[2] ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحدٍ وعَرض أصحابَه فردَّ مَن استصغر ، ردَّ سمرة بن جندب ، وأجاز رافعَ بن خديج ، فقال سَمُرة لربيبه مُرَىّ بن سِنان : أجاز رافعًا وردّنى وأنا أصرعُه ! فقال يا رسول الله : رددتَ ابنى وأجزتَ رافع بن خَديج وابنى يصرعُه؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم لرافعٍ وسَمُرة: اصطرِعا . فصرعَ سمرةُ رافعا ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهدها مع المسلمين ، وكان دليلَ النبى صلى الله عليه وسلم أبو خَيثمة الحارثى . ١٥

(١) مرى ، بالتصغير ، كما فى الإصابة ٢ ٧٩١ . وفيها « مرى بن سنان بن عبيد بن ثعلبة » .
(٢) الربيب : ابن امرأة الرجل من غيره ، وزوج الأم أيضا . ٢٠

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك فى حَرّة بنى حارثة، فذبّ فرس بذَنبه فأصاب كُلّابَ سيفٍ[1] فاستلّه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكان يحبُّ الفال ولا يعتاف — لصاحبِ السيف : « شِمْ سيفَك فإنّى أرى السيوفَ ستُستَلُّ اليوم» ! ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : «مَنْ رجلٌ يخرجُ بنا على القوم مِن كَثَبٍ مِن طريقٍ لا يمرُّ بنا عليهم؟» ، فقال أبو خيثمة، أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فقدّمه فنفذ به فى حَرة بنى حارثة وبين أموالهم ، حتّى سلك به فى مال المِرْبع بن قَيظىّ[2] ، وكان رجلاً منافقا ضرير البصر، فلما سمِع حِسّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يَحثِى التراب فى وجوههم ويقول: إن كنتَ رسولَ الله فلا أُحِلّ[3] لك أن تَدخُل حائطى . قال : وقد ذُكِر لى أنّه أخذ حَفنةً من ترابٍ فى يده ثم قال : لو أنّى أعلم أنّى لا أصيبُ بها غيرَك لضربتُ بها وجهَك ! فابتدره القومُ ليقتلوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تفعلوا فهذا الأعمى البصرِ الأعمى القلب! » وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بنى عبد الأشهل حين نَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فضربَه بالقوس فى رأسه فشجّه ، ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على وجهه حتّى نزل الشعب من أُحدٍ فى عُدوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يُقاتلن أحدٌ أحدًا حتى نأمرَه بالقتال . وقد سرَّحت قريشٌ الظَّهر والكُراع[4]

---

(١) فى الأصول : « سيفه » والصواب من السيرة واللسان (كلب) وتاريخ الطبرى (٣ : ١٣) . وكلاب السيف ، بوزن رمان : الحلقة أو المسمار الذى فى قائم السيف تكون فيه علاقته .

(٢) فى السيرة : « لمربع » . (٣) ما عدا ط ، س ، ها ، مط ، مب : «فلا يحل» .

(٤) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

فى زُروعٍ كانت بالصَّمْغة[1] من قناةٍ للسلمين ، فقال رجلٌ من المسلمين حينَ نَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال : أَتُرْعَى زروعُ بنى قَيْلة ولمّا نضارب ! وتعبَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى سبعمائة رجلٍ ، وتعبأت قريشٌ وهم ثلاثة آلافٍ ، ومعهم مائتا فارس قد جَنَبوا خيولهم ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمةَ بن أبى جهل ، وأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبدَ الله بن جُبير[2] [أخا بنى عمرو بن عوف][3] ، وهو يومئذ مُعلِمٌ بثيابٍ بيض ، والرماة خمسون رجلا ، وقال : انضَحْ عنا الخيلَ بالنَّبل لا يأتونا مِن خلفِنا إنْ كانت لنا أو علينا ، فاثبتْ بمكانك لا نُؤْتَيَنَّ مِن قِبلك . وظاهرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين .

قال محمد بن جرير : فحدّثنا هارون بن إسحاق قال : حدّثنا مُصعب بن المقدام قال : حدّثنا أبو إسحاق عن البراء قال :

لما كان يومَ أحد ولقى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المشركين أجلَس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجالًا بإزاء الرماة ، وأمَّر عليهم عبد الله بن جُبير وقال لهم : « لا تَبرحوا مكانكم وإنْ رأيتمونا ظَهَرنا عليهم ، وإن رأيتموهم ظَهَروا علينا فلا تعينونا » . فلما لقى القومَ هزمَ المشركين ، حتّى رأيت النساء قد رفعن عن سُوقهن وبدت خَلاخيلهنّ فجعلوا يقولون : الغنيمةَ الغنيمةَ ! ! فقال عبد الله : مهلًا أمَا علمتم ما عهِدَ إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأبوا فانطلقوا ، فلما أتَوهم صُرِفَتْ [وجُوههم][4] فأصيب من المسلمين سبعون رجلا .

---

(١) كذا فى جميع النسخ بالعين المهملة . وفى معجم البلدان وتاريخ الطبرى (٣ : ١٣) بالغين المعجمة . وفى السيرة : « بالصبغة » . وفى الروض الأنف : « بالسبخة » . (٢) التكملة من ط ، مب والسيرة .

(٣) ط فقط : « عبد الله بن أبى جبير » .

(٤) التكملة من ها ، مب . وفى الطبرى ٣ : ١٤ : « صرف الله وجوههم » .

قال محمد بن جرير : حدّثنى محمد بن سعد قال : حدّثنى أبى قال : حدّثنى عمى قال : حدّثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال :

أقبَل أبو سفيانَ فى ثلاثِ ليالٍ خَلَوْن من شوّال حتّى نزل أحدا ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأذّنَ فى الناس فاجتَمعوا ، وأمّرَ الزبيرَ على الخيل ، ومعه يومئذ المِقداد الكِندىّ ، وأعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الرايةَ رجلًا من قُريش يقال له مصعب بن عمير ، وخرجَ حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه بالجيش ، وبُعث حمزةُ بين يديه . وأقبل خالدُ بن الوليد على خيل المشركين ، ومعه عِكرمة بن أبى جهل ، فبعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ، وقال : استقبلْ خالد بنَ الوليد فكُنْ بازائه حتّى أوذِنَك . وأمَر بخيلٍ أخرى فكانوا من جانبٍ آخر ، فقال : لا تبرحُنَّ حتى أوذِنَكم . وأقبل أبو سفيانَ يحمل اللات والعزى ، فأرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير أن يَحمِل ، فحملَ على خالد بن الوليد فهزَمه الله تعالى ومَن معه ، فقال جل وعز : ﴿ولقد صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهم بإذنه﴾ إلى قوله تبارك اسمه وتعالى : ﴿مِنْ بَعدِ ما أرَاكُمْ ما تُحِبُّونَ﴾ وإنّ الله تعالى وَعد المؤمنين النّصرَ وأنّه معهم . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثَ ناسًا من الناس فكانوا من ورائهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كونوا ها هنا ، فردُّوا وجهَ من فَرَّ منّا وكونوا حرسًا لنا مِن قِبلَ ظهورنا . وإنه عليه السلام لما هزم القومَ هو وأصحابه قال الذين كانوا جُعِلوا من ورائهم بعضُهم لبعض — ورأوا النساء مُصْعِداتٍ فى الجبل ، ورأوا الغنائم — : انطلِقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدرِكوا الغنائم قبل أن تُسبَقوا إليها . وقالت طائفةٌ أخرى : بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبتُ مكاننا . فقال ابن مسعود : ما شعرتُ أنّ أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعَرَضَها حتّى كان يومئذ .

١٦/١٤

قال محمد بن جرير : حدثنى محمد بن الحسين قال : حدثنا أحمد بن الفضل قال حدثنا أسباط عن السُّدّى قال :

لمّا برز رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُحُدٍ إلى المشركين أمر الرماة فقاموا بأصل الجبَل فى وُجوه خيل المشركين وقال لهم : لا تَبرحوا مكانكم إنْ رأيتم قد هَزمناهم ، فإنّا لا نزال غالبين ما ثبتّم مكانَكم . وأمَّر عليهم عبدَ الله بن جُبير أخا خَوّات بن جُبير . ثم إنّ طلحة بن عثمان صاحبَ لواء المشركين قام فقال : يا معاشرَ أصحابِ محمد ، إنّكم تزعمون أنّ الله عز وجل تَعجِّلنا بسيوفكم إلى النار ، وتعجِّلكم بسيوفنا إلى الجنة ، فهل منكم أحدٌ يعجِّله اللهُ بسيفى إلى الجنة ، أو يعجِّلنى بسيفه إلى النار ؟ فقام إليه على بن أبى طالب عليه السلام فقال : والذى نفسى بيده لا أفارقُك حتى يعجِّلك الله عزّ وجل بسيفى إلى النار ، أو يعجِّلنى بسيفك إلى الجنة ! فضربه علىٌّ فقطع رِجلَه فبدت عورتُه فقال : أنشُدك اللهَ والرحمَ يا ابنَ عم . فتركه فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لعلىّ وأصحابه : ما مَنعك أن تُجهِزَ عليه ؟ قال : إنّ ابن عمى ناشَدنى حين انكشفت عورتُه ، فاستحييتُ منه . ثم شدّ الزبيرُ بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ، وحَمل النبىُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابُه فهزموا أبا سفيان ، فلما رأى ذلك خالدُ ابن الوليد وهو على خَيل المشركين حَمل فرمته الرماة فانقمع[1] ، فلما نظر الرماةُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابِه فى جوف عَسكر المشركين يَنتهبونه بادَروا الغنيمةَ فقال بعضهم : لا نترُكُ أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانطلق عامّتُهم فلحِقوا بالعسكر ، فلما رأى خالدٌ قِلّة الرماة صاحَ فى خيله ، ثم حَمل فقتل الرماة ، وحَمل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا رأى المشركون أنّ خيلَهم تُقاتِل تبادَروا فشدُّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم .

(١) انقمع : اختفى .

رجع إلى حديث ابن إسحاق

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن يأخذ هذا السيفَ بحقّه ؟ فقام إليه رجالٌ، فأمسكه بينَهم ، حتّى قام إليه أبو دُجانة سِماكُ بن خَرَشة أخو بنى ساعدةَ فقال: وما حقُّه يارسولَ الله ؟ قال: أن تضربَ به فى العدوّ حتّى ينحنِىَ . فقال : أنا آخُذه بحقّه يا رسول الله . فأعطاه إياه . وكان أبو دُجانة رجلًا شجاعا يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلَمَ على رأسه بعصابةٍ له حمراءَ علِم الناس أنّه سيقاتل ، فلما أخذَ السيفَ من يدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله أخذَ عِصابتَه تلك فعصَب بها رأسه ، ثم جعل يَتبختر بين الصّفّين .

قال محمد بن إسحاق : حدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عن رجل من الأنصار من بنى سَلمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنّها مِشيةٌ يُبغِضها الله إلّا فى هذا الموطن . وقد أرسل أبو سفيان رسولا فقال : يا معشرَ الأوس والخزرج، خلُّوا بيننا وبين ابن عمنا نَنصرِفْ عنكم ، فإنّه لا حاجةَ بنا إلى قتالكم . فردُّوه بما يكره .

وعن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمر بن قَتادة أنّ أبا عامر عمــرو بن صيفىّ ابن النعمان بن مالك بن أمية ، أحد بنى ضُبيعَة وقد خرج إلى مكة مباعِدًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه خمسون غلاما من الأوس، منهم عثمان بن حُنَيف — وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر — فكانَ يعِدُ قريشًا أنْ لو قد لقِىَ محمدًا لم يختلف عليه منهم رجلان . فلمــا التقى الناس كان أوّلَ من لقيهم أبو عامرٍ فى الأحابيش وعُبدانِ أهلِ مكة، فنادى : يا معشر الأوس، أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنعَمَ الله بك عينًا يا فاسق . وكان أبو عامرٍ يسمّى فى الجاهليــة الراهب ، فسماه رسول الله

صلى الله عليه وسلم الفاسق . فلما سمع ردّهم عليه قال : لقد أصابَ قومى بعدى شَرٌّ ! ثم قاتلهم قتالًا شديدا ثم راضخهم بالحجارة[1] . وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرّضهم بذلك على القتال : يا بنى عبد الدار ، إنكم وَلِيتم لواءنا يومَ بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنّما يُؤتَى الناس من قِبَل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإمّا أن تَكفُونا لواءنا ، وإمّا أن تُخلُّوا بيننا و بينه فسنكفيكُمُوه . فهمُّوا به وتوعّدوه وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ؟! ستعلمُ غدًا إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك الذى أراد أبو سفيان . فلما التقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض قامت هند بنت عتبة فى النّسوة اللواتى معها ، وأخذن الدُّفوف يَضرِبن خلف الرجال ، ويحرضنهم، فقالت هندٌ فيما تقول :

إنْ تُقبِلوا نُعانِقْ * ونَفرش النمارِقْ
أو تدبروا نفارِقْ * فِراقَ غيرِ وامِقْ

وتقول :

إيهًا بنى عبد الدارْ * إيهًا حُماةَ الأدبارْ[2]
* ضربًا بكلِّ بتّارْ *

واقتتل الناسُ حتّى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجانة حتّى أمعن فى الناس، وحمزة ابن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب عليهما السلام فى رجالٍ من المسلمين، فأنزل الله نَصره، وصَدَقهم وعده ، فحسُّوهم[3] بالسّيف حتى كَشَفوهم ، وكانت الهزيمة .

---

(١) المراضخة : المراماة .

(٢) فى السيرة ٥٦٢ جوتنجن : « ويها » فى هذا الموضع وسابقه .

(٣) حسوهم : استأصلوهم قتلا . وفى الكتاب : « إذ تحسونهم بإذنه » .

وعن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده قال قال الزبير : والله لقد رأيتني أنظر إلى هند بنت عُتبة وصواحبها مشمّرات هوارب ، ما دون أخذهنّ قليل ولا كثير ، إذ مالت الرُّماة إلى الكَرّ حتّى كشفنا القومَ عنه يُريدون النهب ، وخلّوا ظهورَنا للخيل ، فأُتينا من أدبارنا وصرخ صارخٌ : ألَا إنّ محمّدا قد قُتل ! فانكفأنا وانكفأ علينا القومُ بعد أن أصبنا أصحابَ اللواء ، حتّى ما يدنو إليه أحدٌ من القوم .

وعن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم أنّ اللواءَ لم يزل صريعًا حتّى أخذته عَمرة بنت علقمةَ الحارثيّة ، فرفعتْه لقريش فلاذُوا بها ، وكان اللواء مع صَوابٍ غلام لبني أبي طلحة حَبَشيّ ، فكان آخرَ من أخذه منهم ، فقاتلَ حتّى قُطعت يداه ، فبرك عليه وأخذَ اللواءَ بصدره وعُنقه حتّى قُتل عليه وهو يقول : اللهم قد أعذَرْت ! فقال حسّان بن ثابت في قطع يد صوابٍ حِينَ تقاذفوا بالشعر :

فخرتم باللواءِ وشرُّ فخرٍ * لواءٌ حينَ ردّ إلى صَوابِ
جعلتم فخرَكم فيها لعبدٍ * مِنَ الأمِ من وَطِى عَفَرَ التراب
ظننتم والسَّفيه له ظُنونٌ * وما إن ذاكَ من أمرِ الصَّواب
بأنّ جِلادَنا يوم التقينا * بمكّة بيعُكم حُمرَ العِياب (١)
أقَرَّ العينَ إن عُصِبَت يداه * وما أن يُعصَبانِ على خِضابِ

قال محمد بن جرير : وحدثنا أبو كُرَيب قال : حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا حِبّان (٢) بن علي عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه عن جده قال :

(١) أي ظننتموه من الهون بمنزلة بيع العياب ، والعياب : جمع عيبة ، وهي زبيل من أدم ، أو ما يجعل فيه الثياب .

(٢) ذكره في تهذيب التهذيب ، فيمن يقال له « حبان » بالكسر . ط ، مط ، مب فقط : « حيان » ، تحريف .

لمّا قُتِل[1] أصحابُ الألوية يوم أحد — قتلَهم على بن أبى طالب عليه السلام — أبصرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جماعةً من مشركى قريش فقال لعلى : ٱحمِلْ عليهم . فحمَلَ علىٌّ ففرّق جمعَهم ، وقتَل عَمرَو بنَ عبد الله بن الجمحى ، ثم أبصر جماعةً من مشركى قريش فقال لعلى : ٱحمِلْ . فحَمَل علىٌّ ففرّق جمعهم ، وقتَل شَيبةَ ابن مالك أحد بنى عامر بن لؤى ، فقال جبريل عليه السلام : [يا رسولَ الله][2] إنّ هذه لَلمواساةُ[3] . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو منّى وأنا منه » ، فقال جبريل عليه السلام : وأنا منكم ! قال : فسمعوا صوتا :

لا سيفَ إلّا ذو الفَقا * رِ ولا فتًى إلّا علِى

فلما أتَى المسلمون من خَلفهم انكشفوا ، وأصاب منهم المشركون ، وكان المسلمون لمّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثًا : ثلثٌ قتيل ، وثلثٌ جريح ، وثلث منهزمٌ وقد جهدَتْه الحربُ حتّى ما يدرى ما يصنع . وأصيبت رَباعِيَة[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم السُّفلى ، وشُقّت شَفته ، وكُلِم فى وجنته وجَبْهته فى أصول شعره ، وعلاه ابن قمئة بالسّيف على شِقّه الأيمن ، وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص .

قال محمد بن جرير : وحدثنا ابن يسار[5] قال حدثنا ابن أبى عدىّ عن حميد عن عن أنس بن مالك قال :

لمّا كان يوم أحد كسرت رباعِية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشُجّ ، فجعل الدمُ يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم عن وجهه و يقول : « كيف يُفلح قومٌ

---

(١) ما عدا ط ، مط ، مب : « لمّا ولى » وفى ها والطبرى (٣ : ١٧) : « لمّا قتل على ابن أبى طالب أصحاب الألوية » . (٢) التكلة من مب .

(٣) هذا ما فى ط ، مط ، مب . وفى ها : « إن هذا المواساة » . وفى سائر النسخ : « إن هذه المواساة » . (٤) الرباعية : السن التى بين الثنية والناب .

(٥) ط ، ها ، مب : « ابن بشار » . مط : « أبو يسار » .

خضبوا وجهَ نبيِّهم بالدم، وهو يدعوهم إلى الله تعالى! » . فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ لكَ مِنَ الأمرِ شيءٌ أوْ يَتُوبَ عليهم ﴾ . الآية . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيه القومُ : «مَن رجلٌ يَشري لى نفسه ؟» .

دفاع الصحابة عن الرسول الكريم

قال محمد : فحدثنى ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى محمد بن إسحاق قال : حدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود ابن عمرو بن يزيد بن السَّكَن [قال : فقام زياد بن السَّكَن] (١) فى نفرٍ خمسةٍ من الأنصار — وبعضُ الناس يقول : إنّما هو عُمارة بن زياد بن السكن — فقاتلوا دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلًا ثم رجلا ، يُقتَلون دونه حتّى كان آخرهم زياد بن عُمارة (٢) بن زياد بن السكن، فقاتَل حتّى أثبتته الجراحة، ثم فاءت من المسلمين فئةٌ حتّى أجهضُوهم عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنُوه منّى . فأدنَوه منه فوسّده قدمَه، فمات وخدُّه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وترّس من دون النبى صلى الله عليه وسلم أبو دُجانة بنفسه، يقعُ النّبل فى ظهره وهو منحنٍ عليه حتّى كثرت فيه النّبل . ورَمى سعدُ بن أبى وقاص دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيته يُناولنى ويقول : فداكَ أبى وأمّى، حتّى إنّه ليناولُنى السهمَ ما فيه نصلٌ فيقول : آرمِ به !

١٩/١٤

قوس الرسول صلى الله عليه وسلم

وعن محمد بن إسحاق قال حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رَمَى عن قوسه حتّى اندقّت سِيَتُها، فأخذَها قتادةُ بن النعمان فكانت عنده، وأصيبت يومئذ عينُ قتادة حتى وقعتْ على وَجنته .

---

(١) هذا الإكمال من ها وتاريخ الطبرى (٣ : ١٨) .

(٢) فى الطبرى : « زياد أو عمارة » .

ومن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّها بيــده فكانت أحسنَ عينيه وأحَدَّهما . وقاتل مُصعبُ بن عُمـير دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لواؤُه حتّى قُتل، وكان الذى أصابه ابن قمئة اللّيثى وهو يظنّ أنه رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، فرجَع إلى قريش فقــال : قد قتلتُ محمدا ! فلما قُتل مصعب بن عمير أعطَى رسـولُ الله صلى الله عليه وسـلم اللواءَ علىَّ بن طالب عليه السلام . وقاتَل حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه حتّى قتل أرطاةَ بن شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَىّ، وكان أحدَ النَّفر الذين يحملون اللواء، ثم مَرّ به سِبَاعُ بن عبد العُزّى الغُبْشانى، وكان يُكنَى أبا نيار، فقــال له [حمزة](1): هَلُمّ إلىّ يا ابنَ مقطِّعة البظور — وكانت أمُّه(2) خَتّانة [بمـكة](3) مولاةَ شَريق بن عمرو بن وهب الثقفى — فلما التقَيا ضربَه حمزةُ عليه السلام فقتله، فقال وحشىٌّ غلامُ جُبير بن مُطعِم : إنّى لأنظرُ إلى حمزةَ يهذُّ(4) الناس بسيفه ما يُلِيق(5) شيئًا يمـرّ به ، مثـلَ الجملِ الأورَق ، إذْ تقدّمنى إليه سِباع بن عبـد العُزّى فقال له حمزة : هلمّ إلىّ يا ابن مقطِّعة البظور . فضربَه فــا أخطأ رأسَــه ، وهززتُ حربتى حتّى إذا ما رضِيتُ دفعتُهــا عليه فوقعَتْ عليه فى لَبّته حتّى خرجَتْ من بين رجليه، وأقبَلَ نحوى فغُلِب فوقَع، فأمهلتُه حتّى إذا مات جئتُ فأخذتُ حربتى ثم تنحّيتُ إلى العسكر، ولم يكن لى بشىء حاجة غيره . وقد قتَــل عاصمُ بن ثابت ابن أبى الأقلح، أحدُ بنى عمرو بن عَوف، مُسافِعَ بنَ طلحة وأخاه كلابَ بن طلحة،

(1) التكلة من ط، ها، مط، مب الطبرى .
(2) فى الطبرى : « أمه أم أنمـار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفى » .
(3) التكلة من ط، ها، مط، مب والطبرى .
(4) هذه بالسيف هذا : قطعه .
(5) ما يليق : ما يترك وما يبق .

كلاهما يُشعِره سهمًا[1] فيأتي أمّه فيضعُ رأسَه في حجرها فتقول : يا بُنيَّ مَن أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلا يقول حينَ رماني : خُذْها إليكَ وأنا ابن أبي الأقلح ! فتقول : أقْلحيٌّ ؟ ! فنذرَتْ لله إن اللهُ أمكنَها من رأس عاصمٍ أن تشربَ فيه الخمر . وكان عاصمٌ قد عاهَدَ الله عز وجل أن لا يمسّ مشركًا ولا يمسَّه .

٥ عن ابن إسحاقَ قال حدّثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ، أخو بني عديّ ابن النجار قال :

جهاد أنس بن النضر

انتهى أنسُ بن النضر، عمُّ أنس بن مالك، إلى عمرَ بن الخطاب وطلحةَ بن عبيد الله، في رجالٍ من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقَوْا بأيديهم ، فقال : ما يُجلسكم ههنا ؟ فقالوا : قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فما تصنعون بالحياة بعدَه ؟

١٠ قوموا فموتوا كِرامًا على ما ماتَ عليه . ثم استقبل القومَ فقاتلَ حتّى قُتِل . وبه سمى أنسُ بن مالك .

عن ابن إسحاق قال : حدّثني حُميد الطّويل عن أنس بن مالك قال :

لقد وجدنا بأنسِ بن النضر يومئذ سبعينَ ضربةً وطعنة ، فما عرفَتْه إلا أختُه ، عرَفَتْه بحُسْن بَنانه .

١٥ عن ابن إسحاق قال :

معرفة رسول الله بعد الهزيمة

كان أوّلَ من عرف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقولِ الناس : قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدّثني ابن شهابٍ الزُّهري — كعبُ ابن مالكٍ أخو بني سَلِمة . قال : عرفتُ عينيه تَزْهَران تحت المغفر ، فناديتُ

٢٠/١٤

(١) أشعره السهم : خالطه به . قال أبو عازب الكلابي :

٢٠ فأشعرته تحت الظلام وبيننا * من الخطر المنضود في العين ناقع

بأعلى صوتى : يا معشرَ المسلمين ، أبشروا ، هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ! فأشار إلىّ عليه السلام : أنْ أنصتْ . فلما عرَفَ المسلمون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نَهَضوا به ، ونهض نحوَ الشعب معه أبو بكر بن أبى قُحافة ، وعمر ابن الخطاب ، وعلىُّ بن أبى طالب ، وطلْحة بن عبيد الله ، والزُّبير بن العوَّام ، والحارث بن الصِّمَّة ، فى رهطٍ من المسلمين رضى الله عنهم أجمعين . فلما أَسنَد[1] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعب ، أدركه أُبَىّ بن خَلَف وهو يقول : يا محمد[2] لا نجوتُ إنْ نجوتَ ! فقال القوم : يا رسولَ الله أيعطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال : دَعُوه . فلمَّا دنا تناولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربةَ من الحارث بن الصِّمَّة .

قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبىّ بن خلف

قال : يقول بعض الناس فيما ذُكر لى : فلما أخذَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انتفضَ بها انتفاضةً تطايَرْنا عنه تَطايُرَ الشُّعراء[3] عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبلَه فطعنَه فى عُنقه طعنةً تَدأدأ[4] بها عن فرسه مِرارا . وكان أُبَىُّ بن خلف — كما حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن صالح عن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف — يلْقَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد ، إنّ عندى العَوْدَ أَعلِفُه كلَّ يومٍ فَرَقًا من ذُرَة[5] أقتلُك عليه ! فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى . فلما رجعَ إلى قريش وقد خَدَشه فى حَلْقه[6] خدشًا غيرَ كبير ، فاحتقنَ الدم قال : قتلَنى والله محمد ! قالوا : ذَهب والله فؤادُك ، والله ما بكَ بأس . قال : إنّه كانَ بمكة قال لى : أنا أقتلُك ،

(١) أسند فيه : رقى فيه . (٢) فى الطبرى (٣ : ١٩) : « أين محمد » ، لعلها « أى محمد » . (٣) فى ها : « الفراش » وفى سائر الأصول : « الشعر » صوابه من الطبرى والسيرة ٥٧٥ جوتنجن . والشعراء : ذباب أحمر وقيل أزرق ، يقع على الإبل و يؤذيها أذى شديدا . (٤) تدأدأ : تدحرج . (٥) الفرق : مكيال لأهل المدينة يسع ثلاثة أصواع . (٦) الطبرى : « فى عنقه » .

دعاء رسول الله على محاربيه

فوالله لو بَصَق علىَّ لقتلنى . فمـاتَ عدوُّ الله بسَرِف[1] وهم قافلون به إلى مكة ، فلما انتهى رسـولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى فَم الشِّعب خرج علىٌّ بن أبى طالب حتى مَلأ دَرَقَتَه من المِهراس[2] ثم جاء به إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فشرِبَ منه[3] وغسَـلَ عن وجهه الدم ، وصَبَّ على رأسـه وهو يقول : « اشـتدَّ غضبُ الله عزّ وجل على من دَمَّى وجهَ نبيه » . ٥

قال محمد بن إسحاق : حدّثنى صالح بن كيسان عمن حدّثه عن سعد بن أبى وقاص أنه كان يقول : والله ما حَرَصت على قَتل رجلٍ قطُّ ما حَرَصت على قتـلِ عتبة ابن أبى وقّاص ، وإنْ كان ما علمت لسَيِّئَ الخلق مبغَضًا فى قومه ، ولقـد كفانى منه قولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : « اشتدّ غضَبُ الله على مَن دَمَّى وجه رسول الله » . ١٠

قال حدّثنا محمد بن إسحاق قال : حدّثنى صالح بن كيسان قال :

تمثيل هند وصواحباتها بقتلى المسلمين

خرجَتْ هندٌ والنسوة اللواتى معها يمثُلن بالقتلى[4] من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يَجدعْنَ الآذانَ والآنُف ، حتّى اتخذت هندٌ من آذان الرجال وآنفهم خَدَمًا وقلائد ، وأعطت خَدَمها[5] وقلائدها وقُرطَها وحشيا غلامَ جُبير بن مُطعِم ، وبَقرت عن كَبِد[6] حمزةَ عليه السـلام ، فأخرجَتْ كبده فلاكَتْها ، فلم تستطع أن تُسِيغها ١٥

(١) سرف : موضع على ستة أميال من مكة . (٢) المهـراس : ماء بجبـل أحد .

(٣) صواب النص كما فى السـيرة والطبرى (٣ : ٢٠) : « ليشرب منه فوجد له ريحا فعافه ولم يشرب منـه » . (٤) فى بعض النسخ : « تمتاز القتلى » . ولم ترد « امتاز » متعدية ، وإنما هى مطاوعة . والصـواب ما أثبت من ها والطـبرى . (٥) الخـدم : جمع خدمة بالتحريك ، وهى الخلخال . (٦) هـذا الصواب من ط ، مط ، مب والطبرى . وفى سائر ٢٠ النسخ : « عن بطن » .

فلفظتها ، ثم علَتْ على صخرة [مشرفة](١) فصاحَتْ بأعلى صوتها بمـا قالتْ من الشعر حين ظفروا بمـا أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال: حدّثنى صالح بن كيسان أنّه حُدِّث أنّ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال لحسان : يا ابنَ الفُريعة ، لو سمعتَ ما تقول هنـد ورأيتَ أشَرها قائمـةً على صخرةٍ ترتجز بنا وتذكر ما صنعَتْ بحمزة ؟ قال له حسان : والله إنّى لأنظرُ إلى الحربة تَهوِى وأنّى على رأس فارع — يعنى أطُمَه — فقلت : والله ، إنّ هـذه لسلاحٌ ما هى بسـلاح العرب ، وكأنّها إنّمـا تَهوِى [إلى حمـزة](٢) ولا أدرى ، أسمِعْـنى بعضَ قولهـا أكفِكُموها . قال : فأنشـده عمرُ بعضَ ما قالتْ ، فقال حسان يهجو هندًا :

هجاء حسان لهند

أشِرَتْ لَكاعِ وكان عادتُهـا * لؤمًا إذا أشِرت من الكُفْرِ(٣)

لعنَ الإلٰهُ وزوجَها معهـا * هنـدَ الهنود طويلةَ البَظْـرِ(٤)

أخرجتِ مرقِصـةً إلى أحدٍ * فى القـوم مُقتِبةً على بَكْـرِ(٥)

[بَكرٍ ثَفَـالٍ لا حَراكَ به * لا عن مُعاتبـةٍ ولا زجـرِ](٦)

وعصاكِ إستُكِ تتّقين بهـا * دُقُّ العجايةَ منـك بالفهـرِ(٧)

---

(١) هذه من ط ، ها ، مط ، مب والطبرى . (٢) التكملة من تاريخ الطبرى (٣ : ٢٣) والسيرة ٥٨٢ (٣) لكاع ، كنى بهـا عن هند . وامرأة لكاع كقطام : لئيمة . فى الطبرى والديوان ٢٢٩ : « مـع الكفر » . (٤) البظر : الهنة بين شـفرى المرأة . الطبرى : « عظيمة البظر » . (٥) الإرقاص : أن يحمل البعير على الخبب . (٦) البيت من ط ، مط ، مب والطبرى والديوان . والثفال ، كسحاب : البطىء من الإبل . مب « ثقال » تحريف .

(٧) يقال عصاه استه ، أى ليس معه عصا فهو يحرّك استه على المطية حتى تسير . انظر مجالس ثعلب ٣٨٠ والبيان (٣ : ٧٧) . دق العجاية ، هى على هذا الصواب فى ها ، وفى الطبرى : «دق العجاية هند بالفهـر» ، وفى الديوان : « دق العجاية عارى الفهـر » . وفى سائر النسخ « دق عجانك منك » تحريف . وأنشدوا لمزرد بن ضرار :

بجاء على بكر ثفال يكده * عصاه استه و جى العجاية بالفهر

قَرِحت عجيزتُهـا ومَشرجُهـا * مِن دَأبها نصـا على القَتْر (١)

ظلّتْ تُداويهـا زميلتُهـا * بالمـاء تَنضَحه وبالسِّـدر

أخــرجتِ نائرةً مبـادِرةً * بأبيـك فاتِـك يومِ ذى بدر (٢)

وبعمّـك المسـتُوهِ فى رَدَع * وأخيك مُنعَفِرين فى الجفْـر (٣)

٥ ونَسيتِ فاحشـةً أتيتِ بهـا * يا هنـدُ ويحك سَيْئةَ الذكْر (٤)

فرجَعتِ صـاغرةً بلا ترةٍ * منّـا ظَفرتِ بهـا ولا نَصر

زعـمَ الولائدُ أنّهـا ولدت * وَلَدًا صـغيرا كان من عَهْـر

قال محمد بن جرير : ثم إنّ أبا سـفيان بن حرب أشرف على القـوم فيما حدّثنا هارون بن إسحاق قال : حدّثنا مصعب بن المقـدام قال حدّثنا إسرائيل، وحدّثنا

١٠ ابن وكيع قال : حدّثنا أبى عن إسرائيل قال حدّثنا ابن إسحاق عن البراء قال :

تعقب أبى سفيان المسلمين ووعيده لهم

ثم إن أبا سفيان أشرَف علينا فقال : أفى القوم محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : لا تُجيبوه ! مرّتين ، ثم قال : أفى القوم ابنُ أبى قحـافة ؟ ثلاثا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجيبوه!] (٥) . ثم التفتَ إلى أصحابه فقال : أمّا هؤلاء فقـد قتلوا ، لو كانوا فى الأحياء لأجابوا ! فلم يملك عمـرُ بن الخطاب

---

١٥ (١) ط ، حـ ، ها ، مط ، مب : «عجيزتها» تحريف ، صوابه فى سائر النسخ والطبرى والديوان . والنص : ضرب من السير السريع . والقتر ، بالضم : الناحية والجانب . وفى الديوان : « من نصها نصا على القهر » . (٢) الطبرى والديوان : « بأبيك وابنك » ، وهو الصواب . و« ذو » تزاد كثيرا فى كلامهم . (٣) المستوه : المضروب فى استه . والردع : الدم . ط ، والطبرى : «ودع» . وفى الديوان : « المسلوب بزّته » . والجفـر : البئر . وهذه رواية ط ، مط والديوان ،

٢٠ وفى الطبرى وسائر النسخ : « الحفر » بالحاء المهملة . (٤) فى الديوان والطبرى : « سبة الدهر » . وسيئة ، فى رواية أبى الفرج ، هو تخفيف السيئة . قال :

أنى جزوا عامرا سـيئا بفعلهـم * أم كيف يجزوننى السوأى من الحسن

(٥) التكملة من ط ، ها ، مط ، مب والطبرى (٣ : ٢٣) .

رضى الله عنه نفسه أن قال : كذبتَ يا عدوّ الله ، قد أبقى الله لك ما يُخزيك.
فقال : أعلِ هُبَل ، أعلِ هُبل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجيبوه .
قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا « الله أعلى وأجلّ » قال أبو سفيان : لنا العُزّى
ولا عُزّى لكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟
قال : قولوا الله مولانا ولا مولى لكم . قال أبو سفيان : يومٌ بيومِ بدر ، والحربُ ٥
سِجال، أمَا إنكم ستجدون فى القوم مُثَلاً لم آمُرْ بها ولم تسؤنى .

قال ابن إسحاق فى حديثه :

لما أجابَ عمر رضى الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيان : هلمَّ ياعمر .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتِه فانظرْ ما شأنه ؟ فجاءه فقال له
أبو سفيان : أنشُدك الله يا عمر أقتلْنا محمدا ؟ فقال عمر : اللهمّ لا ، وإنّه ليسمعُ ١٠
كلامَك الآن . قال : أنت أصدقُ عندى من ابن قمئة وأبرّ ؛ لقول ابن قمئة
لهم : إنّى قتلتُ محمدا . ثم نادى أبو سفيان فقال : إنّه قد كان مُثَلٌ[1] والله ما رضيتُ
ولا سخِطت، ولا أمرتُ ولا نهيت، وقد كان الحُلَيس بن زبّان، أخو بنى الحارث
ابن عبد مَناة ، وهو يومئذ سيّد الأحابيش، قد مرّ بأبى سفيان بن حرب وهو
يَضرِب فى شِدق حمزةَ عليه السلام وهو يقول : ذُقْ عُقَق[2] ! فقال الحُلَيس : ١٥
يابنى كنانة، هذا سيّد قريش يصنع بابن عمه كما ترَون لحما[3] ! فقال : اكتُمْها علىّ فإنّها
كانت زَلّة قال : فلما انصرفَ أبو سفيانَ ومن معه نادى : أنْ موعدُكم بدرٌ، العامَ

٢٢/١٤

(١) الطبرى : « قد كان فى قتلاكم مثل » . والمثل : جمع مثلة .
(٢) فى اللسان : « ذق عقق ، أى ذق جزاء فعلك يا عاق » ... وعقق معدول عن عاق للبالغة ،
كغدر من غادر، وفسق من فاسق» . ٢٠
(٣) مطابق لما فى الطبرى والسيرة ٥٨٦ جوتنجن . أراد وهو قتيل .

خروج على بن أبى طالب فى أثر المشركين

المقبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله لرجل من أصحابه : « قل : نعم، هى بيننا وبينك موعد ». ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب عليه السلام فقال : اخرجْ فى آثار القوم فانظرْ ماذا يصنعون، فإنْ كانوا قد جنّبوا وامتطَوا الإبلَ فإنّهم يريدون مكّة ، وإنْ ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، فو الذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم ثم لأناجزنّهم . قال على: فخرجتُ فى آثارهم أنظرُ ما يصنعون، فلما جنّبوا الخيل وامتطَوا الإبل توجّهوا إلى مكّة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى : أىّ ذلك كان فأخفِه حتّى يأتينى . قال علىّ : فلما رأيتُهم قد توجّهوا إلى مكة أقبلْتُ أصيح، ما أستطيع أنْ أكتم الذى أمرنى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، لما بى من الفرح ، إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكّة عن المدينة، وفرغ الناس لقتلاهم[1] . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدّثنا ابن حُميد قال : حدّثنا سلمة قال حدّثنى محمد ابن إسحاق

سؤال رسول الله عن سعد بن الربيع

عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة[2] المازنى أخى بنى النجار، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ رجلٌ ينظُر لى ما فعلَ سعد بن الربيع — وسعدٌ أخو بنى الحارث بن الخزرج — أفى الأحياءِ هو أم فى الأموات ؟» . فقال رجلٌ من الأنصار : أنا أنظُر لك يا رسول الله ما فعل . فنظر فوجَده جريحًا فى القتلى به رَمق . قال : فقلت له : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر له أفى الأحياء أنت أم فى الأموات؟ قال : فأنا فى الأموات . أبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقل له : إنّ سعد بن الربيع يقول لك : جزاكَ الله خيرَ

(١) فى الأصول : « لقتالهم » ، صوابه من الطبرى (٣ : ٢٤) والسيرة ٥٨٣ جوتنجن .

(٢) كذا فى الطبرى . وفى الأصول : « بن عبد الرحمن أخى صعصعة » . لكن فى ها : « بن أخى صعصعة » .

ما جَزَى نبيًّا عن أمته ، وأبلغ قومَك عنّى السلام وقل لهم : إنّ سعد بن الربيع يقول : لا عُذْرَ لكم عند الله جل وعز إنْ خُلِصَ إلى نبيكم وفيكم عينٌ تَطرِف . ثم لم أبرح حتّى مات رحمه الله، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته .

التماس الرسول لحمزة بين القتلى وحزنه عليه

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغنى، يلتمس حمزةَ بن عبد المطلب عليه السلام، فوجدَه ببطن الوادى قد بُقِر بطنُه عن كبده ، ومُثِّل به فجُدِع أنفُه وأذناه . ٥

وعن ابن إسحاق قال : فحدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى بحمزة ما رأى : « لولا أنْ تَحْزَنَ صفيةُ أو تكونَ سنةً من بعدى لتركتُه حتّى يكون فى أجواف السباع وحَواصل الطير ، ولئنْ أنا اظهرنى اللهُ على قريشٍ فى موطنٍ من المواطن لأُمَثِّلَنّ بثلاثينَ رجلا منهم » . فلما رأى ١٠ المسلمون حُزْنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظَه على ما فُعِل بعمِّه قالوا : والله لئن أظهَرَنا الله عليهم يومًا من الدهر لَنُمَثِّلَنّ بهم مُثْلةً لم يُمثِّلها أحدٌ من العرب بأحدٍ قطّ .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدّثنى بُريدة بن سفيان بن فَروة الأسلمى عن محمد ابن كعب القُرَظى ، عن ابن عباس . قال ابن حميد قال سلمة ، وحدّثنى محمد ١٥ ابن إسحاق قال : فحدّثنا الحسن بن عمارة عن الحكم بن عُتيبة عن مِقْسم عن ابن عباس : أنّ الله عز وجل أنزل فى ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] : ﴿ وإنْ عاقبتُم فعاقِبوا بمثل ما عُوقِبتم به ولئن صَبرتم لهو خيرٌ للصّابرين ﴾ إلى آخر السورة. فعفا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وصبر، ونَهَى عن المُثْلة .

٢٣ / ١٤

(١) زاد فى الطبرى : « وقول أصحابه » . ٢٠

خروج صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة

قال ابن إسحاق فيما بلغنى : خرجَتْ صفيةُ بنت عبد المطلب لتنظرَ إلى حمـزة وكان أخاها لأمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير : القَها فأرجِعْها لا ترى ما بأخيها . فلقيها الزبير فقال : يا أُمَّه ، إنّ رسـول الله صلى الله عليه وسلم يأمُرك أن ترجِعى . فقالت : ولِمَ، فقد بلغنى أنه مُثِّل بأخى، وذلك فى الله جل وعز قليلٌ، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله تعالى ! فلما جاء الزبير رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم فأخبره بذلك قال : خلِّ سـبيلها . فأتته فنظرَتْ إليه وصلّت عليه واسترجَعت واستغفرتْ له ، ثم أمَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدُفِن .

قال : حدّثنى محمد بن إسحاق قال : حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود ابن لبيد قال :

استشهاد حسيل ابن جابر وثابت ابن وقش

لمّـا خرجَ رسول الله صـلى الله عليه وسـلم إلى أُحُد ، رجع حُسَـيل بن جابر — وهو اليمـانِ أبو حذَيفة بن اليمـان — وثابت بن وَقْش[1] بن زعُـورا فى الآطام مع النساء والصبيان ، فقـال أحدُهما لصاحبه وهما شـيخانِ كبيران : لا أبا لك ما تنتظر ، فوالله إنْ بقِىَ لواحدٍ منّا من عُمُـره إلّا ظِمء حمار[2]، إنّما نحن هامةُ اليوم أو غد[3] ، أفلا نأخذ أسيافَنا ثم نلحقُ برسول الله صلى الله عليه وسلم لعـلَّ الله يرزقنا شهادةً معه . فأخذا أسيافَهما ثم خرجا حتّى دخلا فى الناس ، ولم يعلمْ أحدٌ بهما . فأمّا ثابت بن وقش[1] فقتـلَه المشركون، وأما حُسَيل بن جابرٍ اليمـانِ فاختلفَتْ عليه

---

(١) كذا فى ط ، مب والطبرى وفى مط : « ثابت بن زعورا » وفى ها : « بن قيس » وفى سائر النسخ « بن قريش » ، تحريف .

(٢) ظمء الحمار : ما بين الشربين له ، وليس شىء من الدواب أقصر ظمأ من الحمار، يرد الماء كل يوم فى الصيف مرتين .

(٣) أى سنموت اليوم أو غدا .

أسيافُ المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه، فقال حذيفة : أبى ! قالوا : والله إنْ عَرفناه . وصَدَقوا . قال حذيفة : يغفرُ الله لكم وهو أرحمُ الراحمين . فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ يَدِيَه[1] ، فتصدَّق حذيفةُ بديته على المسلمين ، فزادته عنـد رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا .

مصرع قزمان

قال حدّثنى محمـد بن إسحاق عن عاصم بن عُمر بن قتادة قال : كان فينا رجلٌ أَتِىٌّ[2] لا ندرى من أين هو، يقال له قُزمان ، فكان رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكره : « إنّه لمن أهلِ النار » فلما كان يومَ أحد قاتلَ قتالًا شديدا فقتَل هو وحدَه ثمانيةً من المشركين أو تسعة، وكان شهمًا شجاعا ذا بأس، فأثبتَتْه الجراحة فاحتمِلَ إلى دار بنى ظَفَـر ، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبليتَ اليوم[3] يا قُزمان ، فأبشِرْ . قال : بم أُبْشِر؟ فوالله أنْ قاتلتُ إلّا على أحسابِ قومى ، ولولا ذلك ما قاتلتُ . فلما اشتدّت عليـه جِراحتُه أخذ سهمًا من كِنانته فقطع رواهِشَه فنزَنَه الدمُ فمات؛ فأُخبِر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : إنّى رسولُ الله حقًا .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدّثنى حسين بن عبد الله عن عِكرِمة قال :

استئذان جابر بن عبدالله فى الخروج

كان يومُ أحد يومَ السبت للنصف من شوّال ، فلما كان الغد من يوم أحد، وذلك يومَ الأحد لستٍّ عشرةَ ليلةً خلت من شوّال، أذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بِطلبِ العدوّ، وأذّن مؤذّنه أن لايخرجنَّ معنا إلّا من حضَر يومنا بالأمس . فكلّمه جابر بن عبد الله [بن عمرو][4] بن حَرَامٍ[5] الأنصارى فقال : يارسول

(١) وداه : أدى ديته . (٢) الأتى : الغريب، ليس من القوم . (٣) كذا فى ها والطبرى، وفى سائر النسخ : « القوم » . (٤) التكلة من الطبرى (٣ : ٢٨) والإصابة ١٠٢٢ (٥) كذا على الصواب فى ط ، ها ، مط ، مب . وفى ا : «حزام» وفى سائر النسخ « حزم » .

٢٤/١٤

الله ؟ إنّ أبى كان خلّفنى على أخواتٍ لى سبع وقال لى : يابُنىّ ، إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة بلا رجلٍ فيهن ، ولستُ بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ، فتخلّف على أخواتك . فتخلّفت عليهنّ . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه ، وإنّما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ٥ مُرهِبًا للعدو ، وأنّهم خرجوا فى طلبهم فيظنون أنّ بهم قوة ، وأن الذى أصابهم لم يُوهِنْهم عن عدوّهم .

خروج بعض الجرحى لمعاودة القتال

عن محمد بن إسحاق : قال فحدّثنى عبد الله بن خارجة[(١)] بن زيد بن ثابت ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان بن عفان ، أنّ رجلًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الأشهل كان شهد أحدا . قال : فشهدتُ رسولَ الله ١٠ صلى الله عليه وسلم أنا وأخٌ لى ، فرجعنا جريحين ، فلما أذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدوّ قلتُ لأخى وقال لى : أتفوتنا غزوةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما لنا من دابةٍ نركبها ، وما منّا إلا جريحٌ ثقيل . فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أيسرَ جُرحاً منه ، فكنتُ إذا غُلب عليه حملتُه عُقبة[(٢)] حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرجَ إليه رسول الله ١٥ صلى الله عليه وسلم حتّى انتهينا إلى حمراءِ الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثًا : الاثنين والثلاثاءَ والأربعاء ، ثم رجَع إلى المدينة .

تخذيل معبد الخزاعى وهو مشرك لأبى سفيان

قال ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم ، أنه مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم معبدٌ الخزاعى ، وكانت خُزاعة مسلمُهم ومشركهم

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، ا ، ها ، مط ، مب . وفى حـ « عبد الله بن خارجة » أيضا لكن ٢٠ كتب فوقها « محمد » وفى سائر النسخ : « محمد بن خارجة » .

(٢) العقبة ، بالضم : النوبة . الطبرى : « حمله عقبة ومشى عقبة » .

عَيْبة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لا يُخفون عليه شيئا كان بها[1]، ومعبدٌ يومئذ مشرك، فقال : يا محمد لقد عَزَّ علينا ما أصابَك فى أصحابك ، ولوددتُ أنَّ الله قـد أعفاك منهم . ثم خرج مِن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد حتّى لقى أبا سفيان ابن حَرْبٍ بالرَّوحاء ومَن معه، وقد أجمعوا الرَّجعةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أصبنا جِدّ[2] أصحابه وقادتهم وأشرافهم، ثم رجَعْنا قبـل أن نستأصلَهم ، لَنكُرَّنَّ على بقيّتهم فلنفْرُغنّ منهم! فلما رأى أبو سفيان معبدا قال: ماوراءك يامعبد؟ قال : محمدٌ قد خرج فى أصحابه يَطلبكم فى جمع لم أرَ مثلَه قطّ يتحرّقون عليكم تحرُّقا ، قد اجتمعَ معه مَن كان تخلّف عنه فى يومكم، وندِموا على ما صنعوا فيهم من الحَنَق عليكم ، شىء لم أرَ مثلَه قطّ . قال : ويلكَ ما تقول ! قال : والله ما أراكَ ترتحل حتّى ترى نواصىَ الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكَرّة لنستأصلَ شأفتهم[3] . قال: فإنّى أنهاكَ عن ذلك ، فوالله لقد حملَنى ما رأيتُ على أن قلتُ فيه أبياتا من شعر . قال : وماذا قلت ؟ قال قلت :

كادت تُهَدُّ من الأصوات راحلتى * إذْ سالت الأرضُ بالجُرد الأبابيل[4]

فظلْتُ عدْوًا أظنُّ الأرضَ مائلة * لـمّا سَمَـوْا برئيس غيرِ مخـذول

فقلتُ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكم * إذا تَغَطمطتِ البطحاءُ بالجيـل[5]

(١) عيبة الرجل : موضع سره، على المثل .

(٢) ط، مط، مب : «حد» بالحاء المهملة .

(٣) الطبرى (٣ : ٢٩) : «لنستأصل بقيتهم» .

(٤) تهد : يبلغ منها وتكسر . والجرد : جمع أجرد، وهو الفرس القصير الشعر . والأبابيل : الجماعات . وقوله : «سالت الأرض» هو من قوله :

أخذنا بأطـراف الأحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الأباطـح

(٥) تغطمطت : اضطربت . والجيل : الأمة، وكل صنف من الناس .

إنّى نذيرٌ لأهل السَّيلِ ضاحيةً (١) * لكلّ ذى إربةٍ منهم ومعقولِ
من جيشِ أحمدَ لا وَخْشٍ (٢) تنابلةٍ * وليس يوصَف ما أنذرت بالقيلِ

٢٥/١٤ قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومَن معه ، ومرّ به ركبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : فلِمَ ؟ قالوا : نُريد المِيرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنّى محمّدًا رسالةً أرسلكم بها إليه، وأحمّل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظَ ٥ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنْ قد أجمعنا السّير إليه وإلى أصحابه، لنستأصلَ شأفتهم. فمرّ الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بالذى قال أبو سفيان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه : « حَسبنا الله ونعم الوكيل » .

صـــوت ١٠

أمِن ريحانةَ الداعى السَّميعُ * يؤرّقُنى وأصحابى هُجُوع
يرانى حبُّ مَن لا أستطيعُ * ومن هو للذى أهوَى مَنُوعُ
إذا لم تستطعْ شيئاً فدَعْه * وجاوِزْهُ إلى ما تستطيع

الشعر لعمرو بن معديكرب الزبيدى، والغناء للهذلى، ثقيل أوّل بإطلاق الوتر ١٥ فى مجرى الوسطى، من رواية إسحاق. وفيه ثقيل أوّل على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة . وفيه لابن سُرَيج رمل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه .

---

(١) السيل : اسم من أسماء مكة ، عن نصر . ماعدا ط ، ١ ، مب : « السبل » وفى الطبرى : « البسل » . ضاحية ، أى علانية . المعقول : العقل .

(٢) الوخش : رذالة الناس وصغارهم . ما عدا ط ، ا : « وحش » صوابه فى سائر النسخ ٢٠ والطبرى . والتنبل : القصير .

ذكر عمرو بن معديكرب وأخباره

نسبه

هو عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن عمرو بن زُبَيْد ، وهو منبِّه .

هكذا ذكر محمد بن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه .

وذكر عمر بن شَبّة عن أبى عبيدة أنه عمرو بن معد يكرب بن ربيعةَ بن عبدالله ابن عمرو بن عُصْم بن زبيد بن منبِّه بن سَلَمة بن مازن بن ربيعة بن مُنَبِّه بن صَعْب ابن سَعد العشيرة بن مَذْحِج بن أُدد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان .

ويكنى أبا ثور، وأُمّه وأم أخيه عبدِالله امرأةٌ من جرم فيما ذُكر، وهى معدودة من المُنْجِبات .

تقديمه على زيد الخيل

أخبرنا محمد بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : عمرو بن معديكرب فارس اليمن، وهو مقدَّم على زيد الخيل فى الشدّة والبأس .

استعداده لقتال خثعم

وروى على بن محمد المدائنى عن زيد بن خُنَيف الكلابىّ قال : سمعتُ أشياخنا يزعمون أنّ عمرو بن معد يكربَ كان يقال له « مائق بنى زبيد » ، فبلغهم أنّ خثعم تريدُهم ، فتأهّبوا لهم ، وجمع معديكربُ بنى زُبيد ، فدخل عمروٌ على أخته فقال : أشبِعينى إنّى غدًا لِكتيبةٍ (١) . قال : فجاء معديكرب فأخبرته ابنتُه فقال : هذا المائق يقول ذاك ؟ قالت : نعم . قال : فسَليه ما يُشبعه . فسألَتْه فقال : فَرَقٌ من ذرة ، وعَتُودٌ رَبَاعية . قال : وكان الفَرَق يومئذ ثلاثةَ أصْوع (٢) . فصنَع له ذلك ،

(١) كذا فى ط ، ا ، مط ، مب : وفى سائر النسخ : « إن غدا الكتيبة » .

(٢) أصوع : جمع صاع ، وهو مكيال لأهل المدينة يأخذ أربعة أمداد . ويجمع أيضا على «أصؤع» بالهمز ، وأصواع ، وصوع ، وصيعان .

حلوله محل أبيه في القتال وقهره العدو

وذبحَ العنزَ وهيّأ له الطعام . قال : فجلسَ عليه فَسَلَتَه[1] جميعا . وأتتهم خثعمُ الصباحَ فلقُوهم، وجاء عمرو فرمَى بنفسه ، ثم رفَع رأسَه فإذا لواءُ أبيه قائم، فوضع رأسَه فإذا لواء أبيه قد زالَ، فقام كأنّه سرحةٌ مُحرقة، فتلقّ أباه وقد انهزموا فقال : انزلْ عنها، فاليومُ ظُلْم[2] . فقال له : إليكَ يا مائق ! فقال له بنو زبيد : خلّه أيها الرجل وما يريد، فإن قُتل كفِيتَ مؤنته، وإن ظهر فهو لك . فألق إليه سلاحَه فركب، ثم رمَى خثعمَ بنفسه حتى خَرجَ من بين أظهُرهم، ثم كرّ عليهم وفعلَ ذلك مرارا، وحملت عليهم بنو زُبيد فانهزمت خثعم وقُهِروا، فقيل له يومئذ : فارسُ زبيد .

٣٦/١٤

وفود عمرو ابن معد يكرب على الرسول الكريم

قال أبو عمرو الشيبانى : كان من حديث عمرو بن معد يكرب بن ربيعة ابن عبد الله بن زبيد بن منبه [بن سَلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه][3] بن صعب ابن سَعد العشيرة بن مالك —وهو مَذحِج— بن أدد بن زيد بن يشجُب بن عريب[4] ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان ، أنّه قال لقيس ابن مكشوحٍ المرادى، وهو ابن أخت عمرو ، حينَ انتهى إليهم أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيسُ، إنّك سيّدُ قومك، وقد ذُكر لنا أنّ رجلًا من قريش يقال له محمّد قد خَرجَ بالحجاز، يقال له نبيٌّ، فانطلقْ بنا حتّى نعلمَ عِلمَه، وبادِرْ [فروة][5] لا يغلبْك على الأمر . فأبى قيسٌ ذلك وسفّه رأيه وعصاه، فركب عمرٌو متوجّها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : خالفتَنى يا قيس! وقال عمرو فى ذلك :

أمرتُك يومَ ذى صَنعا[6] * ءَ أمرًا بيّنًا رشَده

(١) سلته، يقال سلت القصعة : مسحها بإصبعه . والسلت أيضا : القطع والاستئصال .
(٢) عنها، أى عن الفرس . اليوم ظلم، عبارة يقولها العرب بمعنى حقا . طلب من أبيه أن يتنحى له فرسه ليحارب عليها .
(٣) التكملة من ط، مط، مب .
(٤) كذا فى ط، أ، مط، مب على الصواب . وفى سائر النسخ : «يعرب» تحريف .
(٥) هذه من ط، مط، مب، وموضعها بياض فى أ فقط .
(٦) ذو، زائدة، وكثيرا ما تزاد فى كلامهم . وأراها زائدة فى البيت الثالث .

أمرتُــك باتّقــاء اللــ * ـه تأتيــه وتتّعــده[1]
فكنتَ كذى الحُميِّر غَـ * ـرَّهُ من أيرِه وَتِــده[2]

وفود فروة ابن مسيك على الرسول

قال أبو عبيدة: حدّثنا غير واحدٍ من مَذحِج قالوا: قدم علينا وفدُ مذحِج، مع فَرْوة ابن مُسيك المرادىّ، على النبى صلى الله عليه وسلم، فأسلَموا و بعث فروةُ صدقاتِ من أسلمَ منهم وقال له: ادعُ الناس وتألّفْهم، فإذا وجدتَ الغفلةَ فاهتبلْها واغزُ. ٥

قال أبو عمرو الشيبانى: وإنّما رحلَ فروةُ مفارقاً لملوك كِندة مباعِداً لهم، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كانت قبل الإسلام بين مُرادٍ وهَمْدانَ وقعةٌ أصابت فيها همدانُ من مرادٍ حتّى أثخنوهم، فى يومٍ يقال له يوم الرَّزْم[3]، وكان الذى قاد هَمْـدانَ إلى مراد الأجدعَ بن مالك بنَ حريم[4] الشـاعر الهَمْدانى بن مسروق ابن الأجدَع، ففضحَهم يومئذ، وفى ذلك يقول فَروة بنُ مسيك المرادى: ١٠

فإن نَغلِبْ فغلاّبون قِدمًا * وإن نُهزَمْ فغير مهزَّمينا

فلما توجّه فروةُ إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول:

لـمّا رأيتُ ملوكَ كندةَ أعرضَتْ * كالرِّجل خانَ الرجلَ عِرقُ نَسَاها
يمّمتُ راحلتى أمامَ محمّـدٍ[5] * أرجـو فواضلَها وحسنَ ثَرَاها[6]

(١) فى السيرة ٩٥٢: «والمعروف تتعده». ١٥

(٢) الحمير: مصغر الحمار. ط، مط، مب: «من عيره». وفى السيرة:

خرجت من المنى مثل الـ * ـحمير غره وتـده

(٣) الرزم، براء بعدها زاى، هو الصواب من ط، مط، مب ومعجم البلدان ومعجم ما استعجم. وفى السيرة والخزانة (٢: ١٢٣): «الردم»، وفى سائر النسخ: «الروم» كلاهما محرف.

(٤) حريم، بالراء المهملة. وهذا الصواب من ط، مط، مب، وفى سائر النسخ «حزيم» بالزاى. ٢٠

(٥) كذا فى الأصول. وفى السيرة ٩٥١: «قربت راحلتى أؤم محمدا».

(٦) الثرى: مقصور الثراء، وهو الثروة والغنى.

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له فيما بلغنا : هل ساءكَ ما أصاب قومَك يوم الرزْم[1] ؟ قال : يا رسـول الله ، مَن ذا الذى يصيب قومَه مثـلُ الذى أصابَ قومى ولا يسوءه. فقال له : أمَا إنّ ذلك لم يزد قومَك فى الإسلام إلاّ خيرا ! واستعملَه على مرادٍ وزُبيد ومَذحِج كلّها .

ارتداد عمرو ابن معد يكرب

قال أبو عبيدة : فلم يلبثْ عمرٌو أن ارتدّ عن الإسلام، فقال حين ارتد :

وجدنا مُلْك فروةَ شرَّ ملك * حِمارٌ ساف مَنخرَه بقَـذْرِ[2]

وإنّك لو رأيتَ أبا عمير * ملأْتَ يديك من غَدر وخَتر

حرب مذحج

٢٧ / ١٤

قال أبو عبيدة : فلما ارتدّ عمرو مع من ارتدّ عن الإسلام من مَذحِج، استجاش فروةُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فوجّه إليهم خالد بن سَعيد بن العاص وخالد بن الوليد، وقال لهما : إذا اجتمعتم فعـلىُّ بن أبى طالب أميركم وهو على النـاس . ووجّه عليا عليه السلام فاجتمعوا بكُسَر[3] من أرض اليمن، فاقتتلوا وقُتِل بعضهم ونجـا بعض، فلم يزل جعفرٌ وزُبيد وأودٌ بنو سعد العشيرة بعدَها قليلة . وفى هذا الوجه وقعت

حديث الصمصامة

الصمصامةُ إلى آل سعيد ، وكان سببُ وقوعها إليهم أنّ ريحانةَ بنت معد يكرب سُبِيت يومئـذ، ففداها خالد ، وأثابَه عمرٌو الصمصامةَ[4]، فصار إلى أخيه سعيد ، فوُجِد سعيدٌ جريحًا يوم عثمان بن عفان رضى الله عنه حين حُصِر وقد ذهب السيف والغِمد، ثم وُجد الغمد، فلما قام معاويةُ جاءه إعرابىٌّ بالسيف بغير غمد، وسعيد

(١) ما عدا ط، مط، مب : « الروم» . وانظر ما سلف من التحقيق فى الصفحة السابقة .

(٢) ساف سوفا : شم، وقد زاد الباء مع الفعل . والقذر، بالفتح وسكون الذال وصف من قولهم : قذر قذارة فهو قذر . ط ، أ ، مط ، مب : « بقدر » . وفى السيرة : « حمـارا ساف منخره بثفر» . وثفـر الدابة : حياؤها .

(٣) فى معجم البلدان : « الكسر: قرى كثيرة بحضرموت يقال لها كسر قشاقش، سكنها كندة» .

(٤) كذا الصواب فى ط، مط، مب . وفى سائر النسخ : « وأصابه غمد الصمصامة » .

حاضر ، فقال سعيد : هذا سيفى ! فجحد الأعرابىُّ مقالته ، فقال سعيد : الدليلُ على أنّه سيفى أنْ تبعث إلى غِمده فتغْمِده فيكون كِفافهَ . فبعث معاويةُ إلى الغمد فأتى به من منزل سعيد فإذا هو عليه ، فأقرّ الأعرابىُّ أنّه أصابه يومَ الدار ، فأخذه سعيدٌ منه وأثابه ، فلم يزلْ عنــدَه حتّى أصعد المهدىُّ من البصرة ، فلما كان بواسطٍ بعث إلى سعيدٍ فيــه ، فقال : إنّه للسبيل . فقال : خمسون سيفًا قاطعا أغْنَى من سيفٍ واحد . فأعطاهم خمسينَ ألفَ درهم وأخذه .

وذكر ابن النطّاح أنّ المدائنى حكى عن أبى اليقظان عن جُوَيرِيَة بن أسماء قال :

حديث إسلام عمرو بن معديكرب

أقبلَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم من غزاةِ تبَوك يريد المدينة ، فأدركه عَمرو ابن معديكرِبَ الزُّبيدى فى رجالٍ من زبيد، فتقدم عمروٌ ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسك حتّى أوذِنَ به ، فلما تقدّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسير قال : حَيّاك الله إلهُك، أبيتَ اللعن ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ لعنةَ الله وملائكته والناسِ أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . فآمِنْ بالله يؤمِنْك يومَ الفزع الأكبر » . فقال عمرو بن معديكرب : وما الفزع الأكبر؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّه فزعٌ ليس كما تحسَب وتظُنّ ، إنّه يُصاح بالنــاس صَيحة لا يبقى حىٌّ إلّا مات ، إلا ما شاء الله من ذلك ، ثم يُصاح بالناس صَيحة لا يبقى ميّتٌ إلا نُشِر ، ثم تَلِجُّ تلك الأرضُ بدوىٍّ تنهدّ منه الأرض ، وتخِرُّ منه الجبــال ، وتنشق السماءُ انشقاقَ القُبْطية[1] الجــديدِ ما شاء الله فى ذلك ، ثم تَبرز النارُ فيُنظَر إليها حمراءَ مظلمةً قد صار لها لسانٌ فى السماء ، تَرمِى بمثل رءوس الجبال من شَرَرِ النار ، فلا يبقى ذو رُوح إلّا انخلعَ قلبه ، وذكر ذنبه . أين أنتَ يا عمرو » قال : إنّى أسمع أمرا عظيما ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمرو أسلِمْ

(١) القبطية : ثياب مصرية رقيقة بيضاء . الجديد : المجدودة ، أى المقطوعة .

تَسلم» . فأسلمَ وبايعَ لقومه على الإسلام، وذلك مُنصرفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة تبوك، وكانت فى رجب من سنة تسع[1] .

ضخامة بدنه

وقال أبو هارون السَّكسكى البصرىّ : حدّثنى أبو عمرو المدينىّ أنّ عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كان إذا نظَر إلى عمرو قال : « الحمد لله الذى خَلقنا وخلق عمرا ! » تعجُّبًا من عِظم خَلقه .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدّثنا عمر بن شَبّة عن خالد ابن خِداش عن أبى نُميلة قال : أخبرنى رُمَيح عن أبيه قال :

رأيت عمرو بنَ معد يكربَ فى خلافة معاوية شيخًا أعظمَ ما يكون من الرجال، أجشّ الصوت، إذا التفتَ التفتَ بجميع جسده .

موته وقبره

٢٨ / ١٤

وهذا خطأ من الرواية، والصحيح أنّه مات فى آخر خلافة عمر رضى الله عنه، ودُفن بِرُوذة[2] بين قُمّ والرىّ . ومن الناس من يقول إنّه قتل فى وقعة نَهاوَند، قبرُه فى ظاهرها موضعٌ يعرف بقبديشجان[3]، وأنّه دُفن هناك يومئذ هو والنعمان بن مقرّن .

وروى أيضا من وجهٍ ليس بالموثوق به، أنّه أدرك خلافةَ عثمان رضى الله عنه، روى ذلك ابن النطّاح عن مَروان بن ضِرار عن أبى إياس البصرىّ، عن أبيه، عن جُويريَة المذلّى فى حديث طويل قال :

رأيت عمرو بن معديكربَ وأنا فى مسجد الكوفة فى خلافة عثمان، حين وجّهه إلى الرىّ، كأنه بعيرٌ مهنوء .

(١) أسلم عمرو ثم ارتدّ ثم عاود الإسلام بعد أن أسر . الإصابة ٥٩٦٥ .

(٢) روذة، بضم أوله، كما فى ياقوت .

(٣) كذا فى أ . وهى فى ط، مب مهملة النقط، وفى حـ : «بقبديشحان» وفى مط «بقبدسيحان» وفى ها «بقنديسجان» وفى سائر النسخ : « بقبد يشحان » .

وقال ابن الكلبى : حدثنى أسعر، عن عمرو بن جرير الجُعفى قال : سمعت خالد بن قطن يقول :

خرج عمرو بن معد يكرب فى خلافة عثمان رضى الله عنه إلى الرى ودَستبى[1]، فضربه الفالجُ فى طريقه فمات برُوذة .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبّة قال : أخبرنى خالد بن خداش قال حدثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبى :

طلبـه الزيادة فى العطاء

أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فَرَض لعمرو بن معديكرب فى ألفين[2]، فقال له : يا أمير المؤمنين ألفٌ ههنا وأومأ إلى شقّ بطنه الأيمن، وألف ههنا وأومأ إلى شقّ بطنه الأيسر — فما يكون ها هنا؟ وأومأ إلى وسط بطنه . فضحك عمر رضوان الله عليه وزاده خمسمائة .

خوفه من الحرين والعبدين

قال على بن محمد[3] : قال أبو اليقظان : قال عمرو بن معديكرب : لو سرت بظعينة وحدى على مياه معدّ كلّها ما خفتُ أن أُغلبَ عليها، ما لم يَلقَنى حُرّاها أو عبداها . فأما الحُرّان[4] فعامر بن الطفيل وعُتيبة بن الحارث بن شهاب، وأما العبدان فأسودُ بنى عبس، يعنى عنترةَ والسُّليك بن السُّلَكة، وكلّهم قد لقيت . فأما عامر ابن الطُّفيل فسريع الطَّعن على الصوت، وأما عتيبة فأوّل الخيل إذا غارت، وآخرها إذا آبت . وأما عنترة فقليل الكَبوة، شديدُ الكَلَب[5] . وأما السُّليك فبعيد

(١) دستبى : كورة كبيرة كانت مقسومة بين الرى وهمذان . ط، ح، مط، ها، مب : « دستى » أ « دسبى » وسائر النسخ « دسق »، والصواب ما أثبت .

(٢) هذه الكلمة من ط، ح، مط .

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى .

(٤) ط، مط، مب : « وعبداها » .

(٥) الكلب : الغضب والإلحاح فى القتال . ما عدا ط، ح، مط، ها، مب : « الجلب » .

الغارة ، كالليث الضارى . قالوا : فما تقول فى العباس بن مرداس ؟ قال : أقول فيه ما قال فىّ :

إذا مات عمرٌو قلتُ للخيل أَوطئوا * زُبيدًا فقـد أودى بنجدتهـا عَمـرو

وقام مُغضَبا وعلم أنّهم أرادوا توبيخَه بالعباس .

قال على : وقال أبو اليقظان : أحسب فى اللفظ غلطًا وأنه إنّما قال : « هَجَينا مُضَر» ؛ لأنّ عنترة استرِقّ ، والعباس لم يسترقّ قطّ .

أخبرنى أبو خليفة قال حدثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنـا عمر بن شبةَ قال حدثنا أحمد بن جَناب[1] عن عيسى بن يونس ، عن إسماعيـل[2] ، عن قيس[3] : أن عمر رضى الله عنه كتبَ إلى سعد بن أبى وقاص :

كتاب عمر إلى سعد وتقـديره لعمرو ابن معـد يكرب

إنّى قـد أمددتُك بألفَىْ رجل عمرو بن معـد يكرب ، وطليحة بن خويلد — وهو طليحة الأسدى — فشاوِرْهما فى الحرب ولا تولِّهما شيئا .

أخبرنى أحمد بن عبـد العزيز قال حدّثنا عمر بن شـبة قال : حدثنا أحمد ابن جناب قال حدثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل ، عن قيس قال :

شجاعة عمـرو وتحضيضه عـلى القتـال

شهدتُ القادسيةَ وكانَ سعدٌ على النـاس ، فجاءَ رستم بجفـل يمرُّبنا وعمرو ابن معد يكرب الزبيـدى يمرّ على الصفوف يحضُّ النـاس ويقـول : يا معشر المهاجرين ، كونوا أسدًا أغنى شأْنَه[4] ، فإنّما الفارسىُّ تيسٌ بعـد أن يُلقِىَ نيزكَه[5] .

(١) ترجم له فى تهـذيب التهذيب وقال : « روى عن عيسى بن يونس » . ما عدا ط ، حـ : « حباب » محرف .

(٢) هو إسماعيل بن أبى خالد الأحمسى . روى عن قيس بن أبى حازم وأكثر فى الرواية عنه ، كما فى تهذيب التهذيب .

(٣) هو قيس بن أبى حازم الأحمسى ، ترجم له فى تهذيب التهذيب .

(٤) أغنى شأنه : كفى نفسه ، لم يستعن بشىء . قال المتلمس :

أغنيت شأنى فأغنـوا اليـوم شأنكم * واستحمقوا فى مراس الحرب أو كيسوا

(٥) النيزك : الرمح القصير ، فارسى معرب . والرمح بالفارسية « نيزه » بكسر النون . وفى اللسان أن النيزك « حقيقته تصغير الرمح بالفارسية » . والكاف تستعمل للتصغير فى الفارسية : فكلمة « مرد » بمعنى رجل ، تصغر على « مردك » أى رجيل . حـ : « بيركة » أ ، مط ، مب « بركه » بالإهمال ، والصواب فى ط ، ها .

قال : وكان مع رستم أسوارٌ لا تسقط له نُشّابة . فقال له : يا أبا ثور، اتّق ذاك ! فإنا لنقول له ذلك إذْ رماه رميةً فأصاب فرسَه، وحمل عليه عمرٌو فاعتنقه ثم ذبحَه، وسلبه سِوارَىْ ذهبٍ كانا عليه، وقَباءَ ديباج .

قال أبو زيد[1] : فذكر أبو عبيدة أنّ عمراً حملَ يومئذٍ على رجلٍ فقتلَه ثم صاح: يا معشرَ بنى زبيد، دونَكم فإنّ القوم يموتون !

وقال على بن محمد المدائنى : وأخبرنا محمد بن الفضل وعبدُ ربِّه بنُ نافع، عن إسماعيل عن قيس بن أبى حازم قال :

شجاعته فى حرب القادسية

حضر عمرٌو الناسَ وهم يقاتِلون ، فرماه رجلٌ من العجم بنُشّابةٍ فوقعت فى كَتفه، وكانت عليه درعٌ حصينة فلم تنفُذ ، وحمَل على العِلج فعانقه فسقطا إلى الأرض، فقتله عمرٌو وسلبهُ ، ورجع بسلبِه وهو يقول :

أنا أبو ثَور وسيفِى ذو النُّونْ * أضربُهم ضربَ غلامٍ مجنون

* يالَ زُبيد إنَّهم يموتون *

قال أبو عبيدة : وقال فى ذلك عمرو بن معد يكرب :

صـــوت

أَلِمْ بسلمَى قبلَ أن تظْعنا * إنّ لنا من حبِّها ديدنا

قد علمتْ سَلمى وجاراتُها * ما قطَّرَ الفارسَ إلا أنا

شكَكتُ بالرمح حيازيمَه * والخيلُ تعدو زِيَمًا[2] بيننا

غنى فيه الغريضُ ثانىَ ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى البِنصر . وفيه رَملٌ بالبنصر يقال إنه لمعبَد . ويقال إنه من منحول يحيى المكى .

(١) أبو زيد : كنية عمر بن شبة . (٢) زيما : متفرقة .

قال أبو عبيدة فى رواية أبى زيد عمر بن شبة :

شهد عمرو بن معد يكرب القادسية وهو ابن مائة وستّ سنين . وقال بعضهم: بل ابن مائة وعشر . قال : ولما قَتَل العلجَ عبرَ نهر القادسية هو وقيسُ بن مكشوح المرادى، ومالك بن الحارث الأشتر .

٥ قال : فحدثنى يونس أنّ عمرو بن معد يكرب كان آخرَهم، وكانت فرسُه ضعيفةً فطلبَ غيرَها ، فأُتِىَ بفرسٍ فأخَذ بعُكْوة[1] ذنبه وأخلدَ به إلى الأرض، فأقعى الفرس فردّه ، وأُتىَ بآخرَ ففعل به مثلَ ذلك فتحلحلَ ولم يُقْعِ فقال : هـذا على كلّ حالٍ أقوى من تلك ، وقال لأصحـابه : إنّى حاملٌ وعابرٌ الجسر ، فإنْ أسرعتم بمقدارِ جَزْر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتلُ به تِلقاءَ وجهى ، وقد عَقَر بى[2] القـوم

١٠ وأنا قائمٌ بينهم وقد قَتلتُ وجُرِّدت . وإنْ أبطأتم وجدتمونى قتيلاً بينهم وقد قُتِلتُ وجُرِّدت . ثم انغمَس فحمل فى القوم فقال بعضُهم : يابنى زُبيد، تدَعون صاحبَكم والله ما نرى أن تُدركوه حيا . فحملوا فانتهَوْا إليه وقد صُرِع عن فرسه ، وقد أخذ برِجْلِ فـرسِ رجُلٍ من العجم فأمسكَها، وإنّ الفارس ليضربُ الفرسَ فما تقدر أن تتحرّك من يده . فلما غَشِيناه رمَى الأعجمىُّ بنفْســه وخلّى فرسَــه، فركبه عمرو

١٥ وقال : أنا أبو ثور، كِدتم والله تفقدوننى ! قالوا : أين فرسُك ؟ قال رُمِى بنُشّابةٍ فشَبَّ فصرعَنى وعار[3] .

ورَوَى هذا الخبر محمد بن عمر الواقدى عن ابن أبى سَبْرة[4] عن أبى عيسى[5] الخياط . ورواه علىّ بن محمـد أيضا عن مُرّة عن أبى إسماعيل الهمذانى عن طلحة ابن مصرِّف . فذكرا مثل هذا .

٢٠ (١) العكوة، بالضم : أصل الذنب . (٢) عقروا به ، أى عقروا فرسه . ومنه الحديث : « فعقر حنظلة الراهب بأبى سـفيان بن حرب » أى عرقب دابته . ما عدا ط ، مط ، ها : « عقرنى القوم » ، محرف . (٣) عار يعير عيارا : ذهب كأنه منفلت . (٤) كذا على الصواب فى ها ، مب . وفى سائر النسخ : « عن أبى سبرة » . (٥) مط ، ها : « عن عيسى » .

قال الواقدى : وحدّثنى أسامة بن زيد، عن أبان بن صالح قال :

ضربه فيل رستم ٣٠/١٤

قال عمرو بن معد يكرب يوم القادسية : الزَموا خراطيمَ الفيلة السُّيوف ، فإنه ليس لها مقتلٌ إلّا خراطيمها . ثم شدّ على رُستمَ وهو على الفيل فضربَ فيلَه بجَذَم عُرقوبيه فسقط ، وحُمل رستم على فرس وسَقَط من تحته خُرجٌ فيه أربعون ألف دينار، فحازه المسلمون، وسقط رُستُم بعد ذلك عن فرسه[1] فقتله . ٥

قال على بن محمد المدائنى : حدّثنى على بن مجاهد عن ابن إسحاق قال :

مصرع رستم

لمّا ضرب عَمْرو الفيل وسَقَط رستم ، سقط على رستم خُرجٌ كان على ظهر الفيل فيه أربعون ألف دينار، فمات رستمُ من ذلك، وانهزم المشركون .

وقال الواقدى : حدّثنى ابن أبى سَبْرة ، عن موسى بن عقبة عن أبى حبيبة مولى آل الزبير قال : حدّثنا نِيار[2] بن مُكرم الأسلمى، قال : ١٠

تنكيله بالفرس يوم القادسية

شهدت القادسيةَ فرأيتُ يومًا اشتدّ فيه القتال بيننا وبين الفُرس، ورأيت رجلًا يفعل يومئذ بالعدوّ أفاعيل ، يُقاتل فارسًا ثم يقتحم عن فرسه ويربط مِقودَه فى حَقْوِه فيقاتل ، فقلت : مَن هذا جزاهُ الله خيرا ؟ قالوا : هذا عمرو بن معد يكرب .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا السكن بن سعيد، عن محمد ١٥ ابن عباد، عن ابن الكلبىّ، عن خالد بن سعيد، عن أبى محمد المرهبىّ قال :

كان شيخٌ يجالس عبدَ الملك بن عُمير، فسمعته يحدّث قال :

---

(١) ط ، مط ، مب : « من فرسه » . ها : « عن الفرس » وأثبت ما فى سائر النسخ .

(٢) نيار ، بكسر النون ، بن مكرم بضم أوله وسكون ثانيه ، اختلف فى صحبته . ترجم له فى تهذيب التهذيب والإصابة . ط ، مط ، ها ، مب : « سيار » محرف . ٢٠

قدوم عيينة ابن حصن على عمرو

قدِم عيينةُ بن حصنٍ الكوفةَ فأقام بها أياما ثم قال : والله مالى بأبى ثَور عهدٌ منذُ قدِمنا هذا الغائط — يعنى عمرو بن معد يكرب — أسرِجْ لى يا غلامُ. فأسرج له فرسًا أنثى من خَيله ، فلما قرَّبها إليه قال له : ويحك أرأيتنى ركبتُ أنثى فى الجاهلية فأركبها فى الأسلام ؟ فأسرجَ له حِصانًا فركبه ، وأقبل إلى مَحَلَّة بنى زبيد فسأل عن محلّة عمرو فأرشِدَ إليها ، فوقف ببابه ونادى : أى أبا ثور ، اخرجْ إلينا . فخرج إليه مؤتزرًا كأنما كُسِر وجبِر ، فقال : اِنعِمْ صباحاً أبا مالك . فقال : أو ليس قد أبدلَنا الله تعالى بهذا : السَّلامُ عليكم ؟ قال : دَعْنا مما لا نعرف ، انزلْ فإنّ عندى كبشًا ساحًا[1] . فنزل فعمَد إلى الكبش فذبَحه ثم كشط عنه وعَضّاه[2] ، وألقاه فى قِدر جماع[3] ، وطبخَه حتّى إذا أدرك جاء بجَفْنة عظيمة فثَرَد فيها فأكفأ القِدر عليها ، فقعدا فأكلاه ، ثم قال له : أىُّ الشراب أحبُّ إليك : آللبنُ أم ما كنّا نتنادم عليه فى الجاهلية ؟ قال : أو ليس قد حرّمها الله جل وعزّ علينا فى الإسلام ؟ قال : أنت أكبر سنا أم أنا ؟ قال : أنت . قال : فأنت أقدمُ إسلاما أم أنا ؟ قال : أنت . قال : فإنّى قد قرأت ما بين دَفّتى المصحف فوالله ما وَجدتُ لها تحريمًا إلا أنّه قال : ﴿ فهل أنتم مُنتَهون ﴾ فقلنا : لا . فسكتَ وسكتْنا ! فقال له : أنت أكبرُ سنًّا وأقدم إسلاما . فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان ، ويذكران أيام الجاهلية ، حتى أمسيا ، فلما أراد عيينة الانصراف ، قال عمرو : لئن انصرفَ أبو مالك بغير حِباءٍ إنّه لوصمةٌ علىّ . فأمر بناقة له أرحبيةٍ[4] كأنّها جَبيرة بُجَين[5] ، فارتحلَها وحَمَله عليها ، ثم قال : ياغلامُ هاتِ المِزود .

(١) ساحا : بالغا غاية السمن . ما عدا ط ، مط ، مب : « سياحا » محرف .
(٢) أى كشط عنه جلده وسلخه . وهذا ما فى ط ، مط . وفى أ : « كمف » وسائر النسخ : « كشف » محرفتان . وعضاه : قطعه عضوا عضوا .
(٣) قدر جماع ، بالكسر ، أى عظيمة ، وقيل هى التى تجمع الجزور .
(٤) أرحبية : نسبة إلى بنى أرحب بطن من همدان ، أو أرحب موضع أو فحل تنسب إليه تلك النجائب .
(٥) الجبيرة : السوار من الذهب أو الفضة . س : « حبيرة » صوابه فى سائر النسخ .

فجاء بمزودٍ فيه أربعةُ آلافِ درهم، فوضَعها بين يديه ، فقال : أمّا المال فوالله لا قبِلتُه . قال : والله إنّه لمن حِباءِ عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فلم يَقبلْه عيينة وانصرفَ وهو يقول :

جُزِيتَ أبا ثَــورٍ جزاءَ كرامــةٍ * فنعم الفتى المُــزدارُ والمتضيِّفُ
قريتَ فأكرمتَ القِرى وأفدتنا * تَخِيلةَ[1] عِلمٍ لم يكن قطُّ يعـرف
وقلت : حَلالٌ أن تُديرَ مُدامةً * كلونِ انعقاقِ البرقِ والليلُ مسدِفُ
وقــدّمتَ فيها حُجّــةً عربيةً * تَردُّ إلى الإنصاف مَن ليس ينصِف
وأنت لنا والله ذى العرش قُدوةٌ * إذا صَــدَّنا عن شربها المتكلِّف
تقــول[2] : أبو ثورٍ أحلَّ حرامَهــا * وقولُ أبى ثورٍ أســدُّ وأعرف

وقال على بن محمد : حدّثنى عبد الله بن محمد الثقفى عن أبيــه ، والهذلىّ عن الشّعبى قال :

قدومه على عمر بالمدينة وما كان من شراهته فى الطعام

جاءت زيادةٌ من عند عمر بعد القادسية فقال عَمرو بن معديكرب لطُليحة : أمَا ترى أنّ هــذه الزعانف[3] تُزاد ولا نُزاد ، انطلقْ بنا إلى هذا الرجل حتى نكلّمه . فقال : هيهــاتَ ، كلّا والله لا ألقاه فى هذا أبدًا[4] ، فلقد لقيَنى فى بعض فِجاج مكّة فقال : يا طليحة ، أقتَلتَ[5] عكّاشةَ ؟ ! فتوعّدنى وعيدًا ظننتُ أنّه قاتلى، ولا آمنهُ .

---

(١) تخيلة هو ما ورد فى ها ، وفى مط « خيثة علم » . وفى ط ، مب « محسه » مهملة وفى أ : « نخية » وفى سائر النسخ « تحية علم » . و « يكن » و « يعرف » هى بالتاء فى س .
(٢) هذا البيت ساقط من جـ . ما عدا ط : « يقول » لكن فى مط : « تقول » .
(٣) هــذه الكلمة من ط ، مط ، مب . (٤) ما عدا ط ، مط ، مب : « كلا والله ألقاه فى هــذا المعنى أبدا » محرف . (٥) فى الأصــول ما عدا مط ، مب : « أقبلت » ، تحريف . وفى الإصابة ٤٢٨٣ : « وهرب طليحة إلى الشام ثم أحرم بالحج فرآه عمر فقال : إنى لا أحبك بعد قتل الرجلين الصالحين : عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم ، وكانا طليقين لخالد ، فلقيهما طليحة وسلمة فقتلاهما » . وسلمة ، هو أخو طليحة بن خويلد الأسدى .

قال عمرو : لكنّى ألقـاه . قال : أنتَ وذاك . فخرجَ إلى المدينة فقدِم على عُمر رضى الله عنه وهو يغدِّى الناس وقد جَفَّن لعَشرةٍ عشرة ، فأقعـده عمرُ مع عشرة فأكلوا ونَهَضوا ، ولم يقُم عمرو ، فأقعد معه تكملةَ عشرةٍ [فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو ، فأقعـده مع عشرة] (١) حتّى أكل مع ثلاثين ثم قام ، فقال : يا أمير المؤمنين إنّه كانت لى مآكلُ فى الجاهلية منعنى منها الإسلام ، وقد صررتُ فى بطنى صرّتين وتركت بينهما هواءً فسُدَّه . قال : عليك بحجارةٍ من حجارةِ الحَرّة فسُدّه به يا عمرو ، إنّه بلغنى أنّك تقول إنّ لى سيفًا يقال له الصمصامة ، وعندى سيفٌ أسمّيه المصمِّم ، و إنى إنْ وضعتُه بين أذنيك لم أرفعْه حتّى يخالطَ أضراسك .

لقاء جبيلة وربيعة لعمرو وشدتهما عليه

وذكر ابن الكلبى ومحمد بن كناسة (٢) أنّ جُبيلةَ بن سُويد بن ربيعة بن رياب ، لقِىَ عَمرو بن معديكرب وهو يسوقُ ظُعُنًا له فقال عمرو لأصحابه : قِفُوا حتّى آتيَكم بهذه الظعن . فقرَّبَ نحوه حتى إذا دنا منه قال : خَلِّ سـبيلَ الظُّعن . قال : فلمَ إذًا ولَدْتنى؟ ثم شدّ على عمرو فطعنه فأذراه عن فرسِه وأخذَ فرسَه ، فرجع إلى أصحابه فقالوا : ما وراءك ؟ قال : كأنّى رأيت منيّتى فى سِنانه .

وبنو كنانة يذكُرون أنّ ربيعةَ بن مكدَّم الفراسىّ ، طعن عمرو بن معديكرب فأذراه عن فَرسِـه وأخذ فرسَه . وأنّه لقيـه مرّةً أخرى فضربه فوقعت الضربةُ فى قَرَبوس السَّرج فقطعه حتّى عض السيفُ بكاثبة (٣) الفَرس ، فسالمه عمرٌو وانصرف .

قال المدائنى : حدّثنى مسلمةُ بن محارب ، عن داود بن أبى هند قال :

سؤال عمرو لمجاشع ابن مسعود

حمل عمرو بن معد يكرب حَمالةً (٤) ، فأتى مجاشعَ بن مسعود يسأله فيها .

(١) هذه التكملة من ط ، مط ، مب . (٢) ما عدا مط ، ط ، مب ، ط : «ابن النطاح» .
(٣) الكاثبة : هى من الفرس مجتمع كتفيه قدام السرج . (٤) الحالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وقال خالد بن خداش : حدّثنى أبو عَوانة عن حُصين بن عبد الرحمن قال :

بلغنى أنّ عَمْرًا أتَى مجاشعَ بن مسعود فقال له : أسألكَ حُملانَ مِثلى[1] ، وسلاحَ مثلى . قال : إنْ شئتَ أعطيتُك ذاك من مالى . ثم أعطاه حُكْمَه . وكان الأحنف أمَر له بعشرين ألف درهم ، وفرسٍ جَواد عتيق ، وسيفٍ صارم ، وجارية نفيسة ، فمرّ ببنى حنظلةَ فقالوا له : يا أبا ثَور ، كيف رأيتَ صاحبَك ؟ فقال : لله بنُو مجاشع ما أشدَّ فى الحرب لقاءها ، وأجزلَ فى اللّزَبات[2] عطاءها ، وأحسن فى المكُرمات ثناءها ، لقد قاتلتُها فما أقللتُها[3] ، وسألتُها فما أبخلتُها ، وهاجيتُها فما أفحمتها ! !

وقال أبو المِنهال عُيينة بن المنهال : سمعت أبى يحدث قال :

قوة عمرو ابن معديكرب

جاء رجلٌ وعمرو بن معد يكرب واقفٌ بالكُناسة[4] على فرسٍ له ، فقال : لأنظرنّ ما بقِىَ من قُوّة أبى ثور . فأدخل يدَه بين ساقَيه و بين السَّرج ، وفطن عمرٌو فضمَّها عليه وحرك فرسَه ، فجعل الرجلُ يعدو مع الفرس لا يقدِر أن ينزع يدَه ، حتّى إذا بَلَغ منه قال : يا ابن أخى ، مالَكَ ؟ قال : يدى تحتَ ساقك ! فخلّى عنه ، وقال : يا ابنَ أخى ، إنّ فى عمك لَبقيّة ! !

٣٢ / ١٤

شهرته بالكذب

وكان عمرو مع ما ذكرنا من محلّه مشهورًا بالكذب :

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد النحوى المبرّد ولم يجاوزه . وذكر ابن النطاح هـذا الخبرَ بعينه عن محمد بن سـلام ، وخبر المبرد أتمّ قال :

(١) الحملان ، مصدر حمل . عنى به ما يحمل عليه . (٢) اللزبة : الشدة والقحط . والجمع بسكون الزاى لأنه صفة . (٣) أقللتها ، بالقاف ، أى عددتها قليلة . وفى ط ، أ : « أفللتها » فإن صحت كانت مأخوذة من الفل ، وهم القوم المنهزمون وفى ها : « فللتها » .
(٤) الكناسة ، بالضم : محلة بالكوفة .

كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظاهرها يتناشدون الأشعار، ويتحدثون ويتذاكرون أيامَ الناس ، فوقف عمرٌو إلى جانب خالد بن الصَّقعب النهدىّ ، فأقبل عليه يحدِّثه ويقول : أغَرتُ على بنى نهد فخرجوا إلىّ مسترعِفين[1] بخالد ابن الصَّقعب يقْدمهم ، فطعنتُه طعنةً فوقع ، وضربتُه بالصمصامة حتّى فاضت نفسه[2] ! فقال له الرجل : يا أبا ثور إنّ مقتولك الذى تحدِّثه . فقال : اللهم غَفرًا إنّما أنتَ محدِّثٌ[3] فاسمع ، إنّما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لنُرهِب هذه المعدِّيّة .

قال محمد بن سلام : وقال يونس : أبَت العربُ إلّا أنّ عمرًا كان يكذب .
قال : وقلتُ لخلف الأحمر وكان مولى الأشعريين، وكان يتعصّب لليمانية : أكان عمرٌو يَكذب ؟ قال : كان يكذب باللّسان، ويصدُق بالفعال .

أخبرنى ابراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة[4] :

هو وسعد يتقارضان الثناء

أنّ سعدًا كتبَ إلى عُمر رضى الله عنه يُثْنى على عمرو بن معد يكرب ، فسأله عمُر عن سعد فقال : « هو لنا كالأب أعرابىٌّ فى نَمِرته[5] ، أسدٌ فى تامورته[6] ، يَقسِم بالسويّة ، ويَعدِل فى القضية ، ويَنفِر فى السريّة ، وينقُل إلينا حقّنا كما تنقُل الذرة » فقال عمر رضوان الله عليه : لشدّ ما تقارضتُما الثناء[7] .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدثنا الحارث عن ابن سعد عن الواقدى عن بُكير بن مسمار[8] عن زيادٍ مولى سعد قال :

(١) الاسترعاف : السبق والتقدم . (٢) جـ ، أ ، ها ، مب : « فاظت نفسه » بالظاء ، وهما بمعنى ، أى خرجت . وعن بعض اللغويين أنه لا يقال فاظت نفسه ، وإنما يقال فاظ ، بدون ذكر النفس ، فاذا ذكرت النفس قيل فاضت بالضاد . (٣) المحدث : الملهم ما يقول . (٤) الخبر التالى فى الشعر والشعراء ٢٢٣ . (٥) النمرة : شملة فيها خطوط بيض وسود ، أو بردة من صوف تلبسها الأعراب . (٦) التامورة : عرين الأسد . (٧) ما عدا ط ، ها ، مط ، مب : « الشهادة » وما فى ط يطابق الشعر والشعراء والبيان (٢ : ٦٨) .
(٨) س : « يسار » « تحريف » . ولبكير بن مسمار ترجمة فى تهذيب التهذيب .

ثناء سعد عليه

سمعت سعدًا يقــول و بلغه أنّ عمرو بن معــد يكرب وقَع فى الخمر، وأنّه قــد دُلِّهَ . فقال : لقد كان له موطنٌ صالح يوم القادسية ، عظيم الغَنَاء ، شديد النِّكاية للعدوّ . فقيل له : فقيس بن مكشوح؟ فقال : هذا أبذلُ لنفسه من قَيس، و إنّ قيسا لَشُجاع .

أخبرنى أحمــد بن عبــد العزيز الجوهرى ، قال : حدثنا عمَر بن شــبة . وأخبرنى إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة . ونسخت هذا الخبر من رواية ابن الكلبى خاصة : حدثنى أسعر بن عمرو بن جرير، عن خالد بن قَطَن قال: حدّثنى من شهد موتَ عمرو بن معد يكرب ، والرواية قريبة ، وحكايتا عُمَر بن شبّة وابنِ قتيبة عن أنفسهما ولم يتجاوزاها، قالا :

موت عمــرو

كانت مَغازِى العرب إذ ذاك الرىّ ودستَبى(1)، فخرج عمرٌو مع شباب من مَذحِج حتّى نزل الخان الذى دُون روذَة ، فتغدّى القومُ ثم ناموا، وقام كلُّ رجلٍ منهم لقضاء حاجته ، وكان عمرٌو إذا أراد الحاجة لم يجترئْ أحدٌ أن يدعوَه و إن أبطأ ، فقــام الناسُ للرحيل وترحّلوا إلّا من كان فى الخان الذى فيــه عمرو ، فلما أبطأ صِحْنا به : يا أبا ثور . فلم يُجبنا وسمعنا عَلَزا(2) شديدا، ومراسا فى الموضع الذى دخَله ، وقَصَدناه فإذا به محمرّةٌ عيناه، مائلًا شِــدقُه مفلوجا، فحملناه على فرسٍ وأمَرنا غلاماً شــديد الذِّراع فارتدفَه ليعدِلَ ميله ، فمات برُوذة ودُفن على قارعة الطريق . فقالت امرأته الجُعفية ترثيه :

رثاء امرأته الجعفيــة له

(1) كذا على الصواب فى أ ، ها ، وفى ط ، مط ، مب : « دستى » وسائر النسخ « دستى » . وانظر ماسبق فى ص ٢١٤ .

(2) العلز، بالتحريك : الكرب والقلق عند الموت .

لقد غادَرَ الركْبُ الذين تحمَّلوا * بِرُوذَةَ شخصًا لا ضعيفا ولا غُمْرا

فقل لزُبيدٍ بل لمذحِجَ كلِّها * فَقَدتم أبا ثورٍ سِنانَكم عَمْرا

فإن تجزعوا لا يُغنِ ذلك عنكمُ * ولكن سَلُوا الرحمن يُعْقِبكمُ صبرا

٣٣ / ١٤

شعره فى أخته ريحانة لما سباها الصمة

والأبيات العينية التى فيها الغناء، وبها افتُتِحَ ذكْرُ عمرو[1]، يقولها فى أخته ريحانة بنت معد يكرب لمَّا سباها الصِّمة بن بكر، وكان أغار على بنى زُبيد فى قيس فاستاقَ أموالَهم وسَبَى رَيحانة ، وانهزمت زُبيد بين يديه ، وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معد يكرب، ثم رجع عبد الله واتَّبعه عمرو .

فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام أنّ عمرًا اتّبعه يناشِدُه أن يخلِّىَ عنها، فلم يفعل ، فلما يئس منها ولَّى وهى تناديه بأعلى صوتها : يا عمرو ! فلم يقدِرْ على انتزاعها، وقال :

أمِنْ ريحانةَ الدّاعِي السّميعُ * يؤرِّقنى وأصحابى هُجوعُ

سَباها الصِّمَّةُ الجشمىُّ غَصْبًا * كأنّ بياضَ غرّتها صَديعُ[2]

وحالت دونَها فُرسانُ قيسٍ * تكشَّفُ عن سواعدها الدُّروعُ

إذا لم تستطِع شيئًا فدَعْهُ * وجاوِزْه إلى ما تستطيعُ

وزاد الناس فى هذا الشعر وغنّى فيه :

وكيف أحبُّ مَن لا أستطيع * ومن هو للذى أهوى مَنوعُ

ومَن قد لامنِى فيه صديق * وأهلى ثمّ كُلًّا لا أطيعُ

ومَن لو أظهرَ البغضاءَ نحوى * أتانى قابضُ الموتِ السريعُ[3]

فدًى لهمُ معًا عمِّى وخالى * وشَرْخُ شبابِهم إن لم يُطيعوا

وقد أخبرنى الحسين[4] بن يحيى قال : قال حماد : قرأت على أبى :

(١) انظر ما سبق فى ص ٢٠٧ . (٢) الصديع : الفجر؛ لانصداعه وانشقاقه .
(٣) كذا فى ط ، ء ، ها ، مط ، مب . وفى سائر النسخ : «قانص» . (٤) ط : «الحسن» .

قصته مع ريحانة

وأما قصّة ريحانة فإن عمرو بن معد يكرب تزوّج امرأةً من مُراد، وذهب مُغيرًا قبل أن يدخُل بها، فلما قدِم أُخبِر أنه قد ظهر بها وضَح — وهو داءٌ تحذره العرب — فطلّقها وتزوّجها رجلٌ آخر من بنى مازن بن ربيعة، وبلغ ذلك عمرًا وأن الذى قيل فيها باطلٌ، فأخذ يُشبِّب بها، فقال قصيدته وهى طويلة:

أمِن ريحانةَ الداعى السميعُ * يؤرّقنى وأصحابى هجوعُ

مقتل عبد الله ابن معد يكرب

وكان عبد الله بن معد يكرب، أخو عمرو، رئيسَ بنى زبيد، فجلس مع بنى مازن فى شَربٍ[1] منهم. فتغنّى عنده حبشىٌّ عبدٌ للخزّم، أحد بنى مازن، فى امرأةٍ من بنى زُبيد، فلطمه عبدُ الله وقال له: أمَا كفاك أن تشربَ معنا حتى تشبّب بالنساء؟ فنادى الحبشىُّ: يا آل بنى مازن! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه، وكان الحبشىُّ عبدًا للخزم، فرثَى عمرو مكانَ أخيه، وكان عمرٌو غزا هو وأبىٌّ المرادىّ فأصابوا غنائم، فادّعى أبىٌّ أنه قد كان مساندا، فأبى عمرٌو أن يعطيه شيئا، وكرِهَ أبىٌّ أن يكون بينهما شرّ، لحداثة قتل أبيه، فأمسكَ عنه. وبلغ عمرًا أنه توعّده،

شعر عمرو فى توعد أبىّ له

فقال عمرو فى ذلك قصيدةً له أوّلها:

صوت

أعاذلَ شِكّتى بدَنى ورُمحى * وكلُّ مقلّص سَلِس القِيادِ[2]

أعاذل إنّما أفنَى شبابى * وأقرحَ عاتقى ثِقَلُ النِّجاد

تمنّانى ليلقانى أبىٌّ * ودِدتُ وأينما منّى ودادى[3]

(١) الشرب: جماعة الشاربين.

(٢) المقلص: الفرس الطويل القوائم المنضم البطن.

(٣) فى سمط اللآلى ٦٣: «ليلقانى قيس» مصغر قيس بن مكشوح المرادى. انظر التنبيه التالى.

ولو لاقيتَنِي ومعي سِلاحي * تكشَّفَ شحمُ قلبِك عن سوادِ

أريد حِباءَه ويريدُ قتلي * عذيرَك مِن خليلِك من مرادِ (١)

وتمام هذه الأبيات :

تمنَّاني وسابغتي دِلاصٌ * كأنَّ قتيرَها حدَقُ الجراد (٢)

وسيفي كان من عهدِ ابن صدٍّ * تخيَّره الفتى من قوم عاد

ورمحي العنبريُّ تخال فيه * سِناناً مثلَ مِقباس الزِّناد

وعِجْلِزة يزِلُّ اللِّبْدُ عنها * أمَرَّ مَراتَها خَلْقُ الجياد (٣)

إذا ضُرِبَتْ سمعتَ لها أزيزاً * كوقع القَطْر فى الأدم الجِلادِ (٤)

إذًا لوجدتَ خالكَ غيرَ نِكسٍ * ولا متعلِّماً قتلَ الوحاد (٥)

يقلِّب للأمور شَرنبثاتٍ * بأظفارٍ مَغارِزُها حداد

لابن سُريج فى الأول والثانى ثانى ثقيل بالبنصر ، ولابن محرز فى السادس والخامس ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى الوسطى ، وفى الرابع والخامس والسادس لحنٌ للهذلى من رواية يونس .

---

(١) فى الإصابة ٧٣٠٧ ومعجم المرزبانى ٢٠٩ وسمط اللآلى والكامل ٥٥٠ ليبسك ، أن الذى قيل فيه الشعر هو قيس بن مكشوح المرادى ، وهو ابن أخت عمرو .

(٢) الدلاص : الدرع الملساء اللينة . والقتير : رءوس مسامير الدرع . ماعدا ط ، ها ، مط ، مب : « حلق الجراد » تحريف .

(٣) العجلزة : الفرس الشديدة الخلق . ح : « خلق » بالخاء المعجمة . ط : « الجياد » بالحاء المهملة .

(٤) الجداد ، فى ها . وفى سائر النسخ : « الجلاد » .

(٥) ما عدا ط ، ها ، مط ، مب : « قبل » . والوحاد ، هى فى ح « الوخاد » .

تمثل على ببيت من شعره

وهذا البيت الخامس كان علىّ بن أبى طالب عليه السلام إذا نظر إلى ابن مُلجَم تمثل به .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا حَيّان[(1)] بن بشر قال حدّثنا جرير عن حمزة الزيات قال :

كان علىٌّ عليه السلام إذا نظر إلى ابنِ مُلجَم قال :

أريد حِباءه ويريدُ قتلى * عَذيرَكَ من خليلِكَ من مرادِ

حدّثنى العباس بن على بن العباس، ومحمد بن خلف وكيع قالا : حدّثنا أحمد ابن منصور الرمادى قال : حدّثنا عبد الرّزاق قال : أخبرنا مَعمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين، عن عَبِيدة السَّلْمانى قال :

كان علىٌّ بن أبى طالب إذا أعطى الناس فرأى ابنَ ملجَم قال :

أريد حِباءه ويريد قتلى * عذيرَكَ من خليلِك من مُرادِ

حدّثنى محمد بن الحسن الأشنانى قال : حدّثنا على بن المنذر الطَّريفى قال : حدّثنا محمد بن فُضَيل قال : حدّثنا فِطر بن خليفة[(2)] عن أبى الطفيل عامر بن واثلة[(3)]، والأصبغ بن نباتة قال :

مقال على فى ابن ملجم

قال على عليه السلام : ما يحبس أشقاها[(4)] ؟ والذى نفسى بيده لتُخضبَنّ هذه من هذا .

(1) مط : « حسان » .

(2) فى الأصول : « قطن بن خليفة » صوابه ما أثبت .

(3) الكلام بعده إلى « ونهض على الحال » فى ص ٢٣٤ ساقط من أ .

(4) اقتبسه من قول الله تعالى : « إذ انبعث أشقاها » ، وهو عاقر ناقة صالح الذى بعقره أصيب قومه بعذاب الله .

قال أبو الطفيل : وجمع عليٌّ الناسَ للبَيعة بخاء عبد الرحمن بن ملجَم المرادى، فردّه مرّتين أو ثلاثًا ثم بايعه ، ثم قال : ما يحبس أشقاها ؟ فوالذى نفسى بيده لتُخضَبنَّ هذه من هذا . ثم تمثل بهذين البيتين :

اشددْ حيازيمَكَ للموتِ * فإنَّ الموت يأتيكَ[1]

ولا تجزعْ من القتلِ * إذا حلَّ بواديكَ

٥

(١) هذا ما يسميه علماء العروض بالخزم ، بالزاى ، وهو الزيادة على وزن البيت فى أوله . انظر العمدة (١ : ٩٢) والكامل ٥٥٢ ليبسك . وهذا أقصى ما يزاد فى الخزم ، كما نص ابن رشيق ، إذ زاد أربعة أحرف ، وهى « اشدد » . ها : « آتيك » .

رجع الخبر إلى سياقة خبر عمرو

تعير أخته كبشه له حين هم بأخذ الدية

قال : وجاءت بنو مازن إلى عمرو فقالوا : إن أخاك قتَلَه رجلٌ منا سفيه وهو سكرانُ، ونحن يدُك وعَضُدك، فنسألك الرحِمَ وإلّا أخذت الديةَ ما أحببت! فهمّ عمرو بذلك . وقال :

٥

* إحدى يدىَّ أصابتنى ولم ترد (١) *

فبلغ ذلك أختًا لعمرو يقال لها كَبْشة، وكانت ناكحًا فى بنى الحارث بن كعب، فغضبت، فلما وافى الناسُ من الموسم قالت شعرًا تعيِّر عمرا :

٣٥ / ١٤

أرسلَ عبدُ الله إذ حانَ يومُه * إلى قومه لا تَعقِلوا لهُمُ دمِى

ولا تأخذوا منهم إفالًا وأبكُرًا (٢) * وأُترَكَ فى بيتٍ بِصَعدةَ مظلِم

١٠

ودَعْ عنك عَمْرًا إنّ عمرًا مسالمٌ * وهل بطنُ عمرو غيرُ شِبرٍ لمطعمِ

فإن أنتمُ لم تقبَلوا واتّديتُمُ (٣) * فمشُّوا بآذان النَّعام المصلَّمِ

أيقتُلَ عبدَ الله سيِّدَ قومه * بنو مازنٍ أن سُبَّ راعى المخزَّمِ

فقال عمرٌو قصيدةً له عند ذلك يقول فيها :

---

(١) البيت لأعرابى قتل أخوه ابنا له، مما اختاره أبو تمام فى الحماسة (١ : ٦٦) . وهو :

١٥

أقول للنفس تأساء وتعزية * إحدى يدى أصابتنى ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

(٢) الإفال : جمع أفيل، وهو من أولاد الإبل ما بلغ سبعة أشهر . وإنما ذكر الإفال والأبكر تحقيرا لشأن الدية، إذ الدية لا تكون منهما . وصعدة : مخلاف باليمن .

(٣) فى الحماسة : «لم تثأروا» . واتديتم : قبلتم الدية . المصلم : المجدع .

صـــــوت

أرِقتُ وأمسيتُ لا أرقُدُ * وساوَرَنى الموجِعُ الأسـودُ
وبتُّ لذِكرى بنِى مازنٍ * كأنّىَ مرتفِـقٌ أرمـدُ[1]

فيـه لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى ، نسـبه يحيى المكى إلى ابن محرز ، وذكر الهشامى أنّه منحول .[2]

ثم أكبَّ على بنى مازنٍ وهم غارُّونَ[3] فقتلهم ، وقال فى ذلك شعرا :

خُـذُوا حُقُقًا مخطَّمة صفايا * وكَيدِى يا مخزَّم أن أكيدا[4]
قتلتم سادتِى وتركتمونى * على أكتافكم عبئا جـديدا[5]
[فمن يأبى من الأقوام نصرا * ويتركنَا فإنّا لن نريدا

وأرادت بنو مازن أن تردّ عليهم الديَة لما آذنهم بحرب، فأبىَ عمرو، وكانت بنو مازن من أعداء مذحج، وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمِّها دون عمرو، وكان عمرو قد همَّ بالكف عنهم حين قَتَلَ من قتل منهم، فركبت كبشةُ فى نساءٍ من قومها وتركت عمرًا أخاها وعيَّرته فأحمتْه ، فأكبَّ عليهم أيضا بالقتل ، فلما أكثر فيهم القتلَ تمزّقوا ، فلحقت بنو مازنٍ بصاحبهم بتميم ، ولحقت ناشرة بنى أسـد ، وهم رهطُ الصقعب بن الصحصح ، ولحقت فالج بسليم بن منصـور . وفالج وناشرة ابنا أنمـار بن مازن بن ربيعة بن منبّه بن صعب بن سـعد العشيرة، وأمُّهما هند بنت عدس بن زيد بن عبـد الله بن دارم . فقال كابية بن حرقوص بن مازن :

(١) المرتفـق : المتكئ على مرفق يده . (٢) الكلام بعـده إلى ما قبل الصوت التالى ناقص من ط . (٣) غارون : فى غرة وغفلة . (٤) الحقق ، بضمتين : جمع حق وحقة بالكسر فيهما ، وهـو من الإبل ما استكمل الثالثة ودخل فى الرابعة . وفى الأصول ما عدا مط ، مب : « حقا » وفيها ما عدا مب : « ما أكيـدا » . (٥) كذا فى ها ، مب . وفى سائر النسخ : « سادتى عرضا فإنى على أكتافكم حث » .

يا ليلتى ما ليلتى بالبلدة * رُدَّتْ علىّ نجومُها فارتدتِ
مَن كان أسرعَ فى تفرّق فالج * فلبُونه جربتْ معًا وأغدّتِ
هَلّا كناشرة الذى ضيَّعتمُ (١) * كالغصن فى غلوائه المتنبت]

وقال عمرو فى ذلك :

تمنّت مازنٌ جهلًا خِلاطى * فذاقتْ مازن طَعم الخِلاط ٥
أطلتُ فِراطكم عامًا فعامًا * ودينُ المَذحِجى إلى فِراط (٢)
أطلتُ فراطكم حتّى إذا ما * قتلتُ سراتكم كانت قَطَاط (٣)
غدرتم غدرة وغدرتُ أخرى * فما إنْ بيننا أبدًا يَعاط (٤)

أخبرنى الحسين بن يحيى قال : قال حماد : قرأت على أبى قال المدائنى :

غناء إحدى الجوارى بيت من شعره

حدّثنى رجلٌ من قريش قال : كنّا عند فلانٍ القرشىّ فجاءه رجلٌ بجارية فغنته : ١٠

بالله يا ظبيَ بنى الحارث * هل مَن وفى بالعهد كالناكث

وغنته أيضا بغناء ابن سُريج :

يا طولَ ليلى وبتُّ لم أنم * وسادىَ الهمُّ مُبطَنٌ سَقَمى

فأعجبته واستام مولاها ، فاشتطّ عليه فأبى شراءها، وأعجبت الجارية بالفتى ، فلما امتنع مولاها من البيع إلّا بشطط قال القرشى : فلا حاجة لنا فى جاريتك . ١٥ فلما قامت الجارية للانصراف رفعتْ صوتها تغنّى وتقول :

إذا لم تستطعْ شيئًا فدعْه * وجاوزْه إلى ما تستطيعُ

(١) التكلة من ها ، مب . (٢) أى أطلت إمهالكم والتأنى بكم إلى أن تتلتكم .
(٣) قطاط ، بوزن قطام ، أى حسبى . وفى اللسان (قطط) : « قالت قطاط » .
(٤) يعاط : زجر فى الحرب ، وهى كلمة ينذر بها الرقيب أهله إذا رأى جيشا . يقول : ليس بيننا ٢٠ إنذار ، إنما نفاجئ بالحرب مفاجأة . وفى الأصول : « تعاطى » .

قال : فقال الفتى القرشى: أفأنا لا أستطيع شراءكِ ، والله لأشترينّك بمـا بلغتِ .
قالت الجارية : فذاكَ أردتُ . قال القرشىّ : إذا لأجيبتُكِ . وابتاعها من ساعته .
والله أعلم .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

٣٦/١٤

٥ صـــوت

بالله يا ظَبىَ بنى الحـارثِ * هل مَن وفى بالعهدِ كالناكثِ
لا تخـدَعَنّى بالمنى باطـلاً * وأنت بى تلعبُ كالعابثِ

عروضه من السريع ، الشعر لعمر بن أبى ربيعة ، والغناء لابن سُريج ، رمل
بالبِنصِر ، وفيه لِسياطٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى ، وفيه لإبراهيمَ الموصـلىّ لحنٌ
١٠ من رواية بَذْل . ومنها :

صـــوت

يا طولَ ليـلى وبتُّ لم أنَم * وِسادِىَ الهـمُّ مبطَنٌ سَقَمى
إذْ قمتُ ليـلاً على البلاط فأبـ[1] * ـصرتُ ربيبًا فليتَ لم أقـم
فقلتُ عُوجِى تُخـبِّرِى خَبَرًا * وأنتِ منـه كصاحب الحُـلُمُ
١٥ قالتْ بلَ آخشى العيونَ إذْحضرت * حَـولى وقلـبى مُبـاشِرُ الألم

[عروضه من المنسرح[2] . والشعر[3] و] الغناء لابن سريج ، رمل بالسبابة فى مجرى
الوسطى عن إسحاق .

---

(١) الربيب : المربى ، عنى ظبيا ربيبا شبه به صاحبته . مط ، مب : «فأبصرت زينبا» ، وفى سائر
النسخ ما عدا ط : « رشاقا » وصواب هذه « رشا فياليت لم أقم » .
٢٠ (٢) فى الأصل ، وهو هنا ط ، مط ، مب : « من الخفيف » .
(٣) التكملة من ط ، مط ، مب .

وذكر محمد بن الفضل الهاشمى قال حدّثنا أبى قال :

مناظرة محمد ابن العباس الصولى وعلى بن الهيثم فى حضرة المأمون

كان المأمونُ قد أطلق لأصحابه الكلامَ والمناظرةَ فى مجلسه ، فناظر بين يديه محمدُ بن العباس الصولىُّ علىَّ بنَ الهيثم جَوْنقا[1] فى الإمامة ، فتقلّدها أحدُهما ودفعها الآخر ، فلجّت المناظَرةُ بينهما إلى أن نبَّط[2] محمدٌ عليًّا فقال له على : إنّما تكلّمتَ بلسان غيرك ، ولو كنتَ فى غير هذا المجلس لسمعتَ أكثر مما قلت ! فغضب المأمونُ وأنكر على محمد ما قاله وما كان منه من سُوء الأدَب بحضرته ، ونَهَض عن فَرْشه ونهض الجلساءُ فخرجوا ، وأراد محمدٌ الانصرافَ فمنعه على بن صالح صاحبُ المصلَّى ، وهو إذْ ذاك يحجُب المأمون ، وقال : أفعلتَ ما فعلتَ بحضرة أمير المؤمنين ونَهَضَ على الحال التى رأيتَ[3] ، ثم تنصرفُ بغير إذن ، اجلسْ حتى نعرفَ رأيه فيك . وأمر بأن يجلِس .

غضب المأمون على محمد الصولى

قال : ومكث المأمونُ ساعةً فجلس على سريره ، وأمرَ بالجلَساء فرُدُّوا إليه ، فدخل إليه علىُّ بن صالح فعرّفه ما كان من قَول على بن محمد فى الانصراف ، وما كانَ مِن مَنْعه إياه ، فقال : دَعْه ينصرف إلى لعنة الله . فانصرف ، وقال المأمون لجلسائه : أتدرونَ لمَ دخَلتُ إلى النساءِ فى هذا الوقت ؟ قالوا : لا . قال : إنّه لمّا كان من أمر هذا الجاهل ما كان لم آمَنْ فلتاتِ الغضَب ، وله بنا حُرمة ، فدخلتُ إلى النساء فمابثْتُهنّ[4] حتّى سكن غضبى .

قال : وما مضى محمدٌ عن وجهه إلاّ إلى طاهر ، فسأله الركوبَ إلى المأمون ، وأن يستوهبَه جُرْمه ، فقال طاهر : ليس هذا من أوقاتى ، وقد كتب إلىّ خليفتى

(١) ما عدا ط ، ها ، مط ، مب : « جولنا » وصوابه وضبطه من هذه النسخ ، كما هو فى مواضع أخرى من الأغانى . (٢) نبط ، كذا وردت فى الأصول . ولعل معناها شبهه بالنبط ونسبه إليهم .
(٣) إلى هنا ينتهى سقط أ الذى نبهت على مبدئه فى ص ٢٢٨ (٤) كذا فى ط . وفى حـ : « فما تبهن » و أ ، ها ، مط ، مب « فما بثتهن » و سائر النسخ : « فماقتهن » والأخيرة صحيحة كالأولى .

فى الدار أنّه قد دعا بالجلساء . فقال : أكرهُ أن أبيتَ ليلةً وأميرُ المؤمنين علىّ ساخط . فلم يزلْ به حتّى ركب طاهرٌ معه ، فأذن له فدخل ومجيرٌ الخادم واقفٌ على رأس المأمون، فلما بصُر المأمون بطاهر أخذَ منديلاً فمسح به عينَيه مرّتين أو ثلاثا ، إلى أنْ وصل إليه وحرّك شفتيه بشىءٍ أنكره طاهر ، ثم دنا فسلّم، فردّ السلامَ وأمره بالجلوس فجلسَ(١) فى موضعه، فسأله عن مجيئه فى غير وقته ، فعرّفه الخبرَ واستوهبه ذنبَ محمد، فوهبه له وانصرف ؛ وعرّف محمدا ذلك . ثم دعا بهارون بن خنعويه ؛ وكان شيخًا خراسانيًّا داهيةً ثقةً عنده، فذكر له فعلَ المأمون وقال له : الق كاتب مُجيرٍ والطُفْ له ، واضمنْ له عَشرةَ آلاف درهم على تعريفك ما قاله المأمون . ففعل ذلك ولطَف له ، فعرّفه أنّه لما رأى طاهرًا دمعت عيناه وترحّم على محمد الأمين ، ومسح دمعةَ بالمنديل ، فلما عرَف ذلك طاهرٌ ركب من وقته إلى أحمدَ بن أبى خالدٍ الأحول — وكان طاهرٌ لا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون ، وكلُّهم يركب إليه — فقال له : جئتكَ لتولّينى خراسان وتحتالَ لى فيها . وكان أحمد يتولّى فضَّ الخرائط بين يدَى المأمون ، وغسّان ابن عبّاد يتولّى إذْ ذاك خراسان، فقال له أحمد : هلّا أقمتَ بمنزلك وبعثتَ إلىّ حتى أصيرَ إليك ولا يُشهَر الخبرُ فيما تريده بما ليس من عادتك ، لأنّ المأمون يعلم أنّك لا تركب إلى أحدٍ من أصحابه، وسيبلُغه هذا فينكره، فانصرِف وأغضِ(٢) عن هذا الأمر وأمهِلْنى مدّةً حتّى أحتال لك . ولبث مدّةً، وزوّر ابن أبى خالد كتابًا عن غسّان بن عباد إلى المأمون ، يذكر فيه أنّه عليل وأنه لا يأمن على نفسه ، ويسأل أن يستخلف غيرَه على خراسان ، وجعلَه فى خريطةٍ وفضّها بين يدى المأمون ،

احتيال أحمد الأحول لتولية طاهر خراسان

٣٧ / ١٤

(١) بعده سقط فى ط ينتهى إلى : « فغناه واحتفل فقال » فى ص ٢٣٦ .

(٢) س ، ب : « وغض » .

فى خرائط وردت عليه، فلما قرأ على المأمون الكتاب اغتمّ به وقال له : ما ترى؟
فقال : لعلّ هذه علّةٌ عارضة تزول، وسيرِدُ بعد هذا غيره فيرى حينئذ أمير المؤمنين
رأيه . ثم أمسك أياما وكتب كتابا آخر ودسّه فى الخرائط، يذكُر فيه أنه تناهى
فى العلّة إلى ما لا يرجو معه نفسه، فلما قرأه المأمونُ قلِق وقال : يا أحمد، إنه
لا مَدفع لأمر خراسان فما ترى ؟ فقال : هذا رأى إن أشرت فيه بما أرى فلم ٥
أصِب لم أستقبله ، وأمير المؤمنين أعلم بخدَمِه ومن يصلُح بخراسان منهم . قال :
فجعل المأمونُ يسمّى رجالا ويطعن أحمد على واحدٍ واحدٍ منهم، إلى أن قال :
فما ترى فى الأعور؟ قال : إن كان عندَ أحدٍ قيامٌ بهذا الأمر ونهوضٌ فيه فعنده.
فدعا به المأمون فعقد له على خراسان، وأمره أن يُعسكر، فعسكر بباب خراسان .
ثم تعقّب الرأىَ فعلم أنّه قد أخطأ، فتوقّف عن أمضائه وخشِى أن يُوحش طاهرا ١٠
بنقضه، فمضى شهرٌ تامٌّ وطاهر مقيم بمعسكره . ثم إنّ المأمون فى السّحر من ليلةَ
أحدٍ وثلاثين يوما من عَقْدِه له، عقد اللواءَ لطاهرٍ ظاهرا ، وأمر بإحضار مُخارق
المغنّى، فأُحضِر وقد صلّى المأمون الغداةَ مع طلوع الفجر، فقال : يا مخارق، أتغنى :

إذا لم تستطع شيئًا فدعْهُ * وجاوزْهُ إلى ما تستطيعُ

وكيف تريدُ أن تُدعَى حكيما * وأنت لكلِّ ما تهوى تَبوع ١٥

قال : نعم . قال : هاته . فغنّاه فقال : ما صنعتَ شيئا ، فهل تعرفُ مَن يقوله
أحسنَ مما تقوله ؟ قال : نعم ، علويه الأعسر . فأمر بإحضاره فكأنّه كان وراء
السّتر ، فأمره أن يغنّيَه ، فغنّاه واحتفلَ فقال[1] : ما صنعتَ شيئًا أتعرف مَن يقوله
أحسنَ مما تقوله ؟ قال : نعم عَمرو بن بانة شيخُنا . فأمر بإحضاره فدخَل فى مقدار

(١) إلى هنا ينتهى سقط ط الذى بدأ فى ص ٢٣٥ . ٢٠

دُخول طلويه، فأمر بأن يغنيه الصوتَ، فغناه [فأحسن][1] فقال: أحسنتَ ما شئت[2]،
هكذا ينبغى أن يُقال. ثم قال: يا غلام اسقِنى رِطلًا واسق صاحبيه رِطلاً رطلا.
ثم دعا له بعشرة آلاف درهم، وخِلعةٍ ثلاثة أثواب، ثم أمره بإعادته، فأعاده فردّ
القولَ الذى قاله، وأمر له بمثـل ما أمر، حتّى فعل ذلك عشراً، وحصل لعمرو
٥ مائة ألف درهم وثلاثون ثوبا، ودخَل المؤذِّنون فأذّنوه[3] بالظهـر، فعقد إصـبعَه ٣٨/١٤
الوسطى بإبهامه وقال: «برقٌ يمَـانٍ، برقٌ يمـانٍ». وكذلك كان يفعل إذا أراد
أن ينصرفَ من بحضرته من الجلساء. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، قد أنعمتَ
علىّ وأحسنتَ إلىّ، فإن رأيتَ أن تأذنَ لى فى مقاسمة أخوىّ[4] ما وصـل إلىّ فقد
حَضَراه؟ فقال: ما أحسنَ ما استمْحَتَ لهما، بل نُعطيهما نحنُ ولا نُلحِقهما بك.
١٠ وأمر لكلّ واحد بمثـل [نصف][5] جائزة عمرو، وبكّر إلى طاهر فرحّله، فلما ثنى
عِنانَ دابتِه منصرفاً دنا منه حُميـدٌ الطوسىٌّ فقال: اطرح على ذَنَبه ترابا. فقال:
اخسأْ يا كلب! ونفَـذ[6] طاهرٌ لوجهه، وقدِم غسّان بن عبّـاد فسأله عن علّتـه
وسببِها، فحلف له أنّه لم يكن عليـلا، ولا كتبَ بشىء فى هذا. فعلم المـأمون
أنّ طاهرًا احتال عليه بابن أبى خالد، وأمسكَ على ذلك. فلما كان بعد مدّةٍ من
١٥ مقدم طاهرٍ إلى خراسان قَطَعَ الدعاءَ للمأمون على المنـبر يوم الجمعة، فقال له عونُ
ابن مجاشـع بن مَسعدة صاحب البريد: لم تَدْعُ فى هـذه الجمعة لأمير المؤمنين؟
فقال: سهوٌ وقع فلا تكتبْ به. وفعل مثل ذلك فى الجمعة الثانية، وقال لعون:
لا تكتب به، وفعله فى الجمعة الثالثـة فقال له عون: إنّ كتب التجّارِ لا تنقطع

---

(١) هـذه من ط فقط. (٢) كذا فى ط، حـ، أ، ها، مط، مب وفى سائر النسخ
« ما غنيت ». (٣) ط، ها، مط، مب: « فنقد ». (٤) ما عدا ط، ها،
٢٠ مط: «إخوتى» تحريف. (٥) هذه من ط، ها، مب. وفى مط: «لكل واحد بنصف».
(٦) هذا الصواب فى ط، ها، مط، مب. وفى سائر النسخ « و بعد ».

من بغداد ، و إن اتّصلَ هذا الخبر بأمير المؤمنين من غيرنا لم آمَنْ أن يكون سببَ زوالِ نعمتى . فقال : اكتبْ بما أحببت . فكتب إلى المأمون بالخبر، فلما وصل كتابُه دعا بأحمدَ بنِ أبى خالد وقال : إنّه لم يذهب علىّ احتيالك علىّ فى أمر طاهر، وتمويهُك له ، وأنا أُعطى اللهَ عهدًا لئن لم تَشْخص حتّى تُوافينى به كما أخرجتَه من قَبْضتى وتُصلحْ ما أفسدته علىّ من أمر مُلكى لأُبيدَنّ غَضْراءك[1] ! فشخَص أحمدُ وجعل يتلوّم[2] فى الطريق ، ويقول لأصحاب البُرُد[3] : اكتبوا بخبرِ علّةٍ أجدُها . فلما وصل الرىّ لقيته الأخبارُ ووافاه رسلُ طلحة بن طاهر بوفاة طاهر، فأغذّ السير حتّى قدم خراسانَ ، فلقيه طلحةُ على حَدّ غَفْلة[4] فقال له أحمد : لا تكلّمْنى ولا تُرِنى وجهك فإنّ أباك عرّضنى للعطَب وزوال النعمة، مع احتيالى له وسعيى كان فى محبّته . فقال له : أبى قد مضى لسبيله ولو أدركتَه لما خرجَ عن طاعتك، وأمّا أنا فأحلف لك بكلّ ما تسكن به نفسُك[5] وأبذل كلّ ما عندى من مالٍ وغيرِه، فاضمنْ له عنّى حسنَ الطاعة، وضبط الناحية، والإخلاصَ فى النصيحة . فكتب أحمد بخبره وخبر طاهر وخبر طلحة إلى المأمون ، وأشار بتقليده، فأنفذ المأمونُ إليه اللواءَ والخِلَعَ والعهد، وانصرفَ أحمد إلى مدينة السلام .

أخبرنى وكيع قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

هجاء ابن هرمة لرجل من قريش وفيه اجتلاب بيت لعمرو

مدح ابنُ هَرْمةَ رجلًا من قريش فلم يُثبه، فقال له ابنُ عمٍّ له : لا تفعل، فإنه شاعرٌ مفوّه . فلم يقبلْ منه، فقال فيه ابن هَرْمة :

(١) الغضراء : النعمة والخير وسعة العيش . (٢) التلوم : التلبث والانتظار .
(٣) البرد : جمع بريد . (٤) حد كل شىء : نهايته . وكذا وردت العبارة فى ط ، أ ، ها ، مط ، مب . وفى سائر النسخ : « على حين غفلة » . (٥) أشير فى ط إلى أنها فى نسخة : « بكل يمين تسكن إليها » .

فهلّا إذ عجزتَ عن المعالى * وعمّا يفعل الرجلُ القريعُ[1]

أخذتَ برأى عمرٍو حين ذكّى * وشُبّ لناره الشرفُ الرفيع

إذا لم تستطع شيئا فدَعْه * وجاوِزْه إلى ما تستطيع

عما قاله فى أخته ريحانة مما يتغنى به
٣٩
١٤

ومما قاله عمرو بن معد يكرب فى ريحانةَ أخته، وغُنِّىَ فيه، قولُه :

٥

هاج لك الشوقُ من ريحانةَ الطربا * إذْ فارقتكَ وأمست دارها غُرُبا[2]

ما زلتُ أحبِس يومَ البينِ راحلتى * حتّى استمروا وأذرتْ دمعَها سَرِبا[3]

حتّى ترفّعَ بالحُزّان يركُضها * مثلَ المهاة مَرَتْه الريحُ فاضطربا[4]

والغانياتُ يقتّلنَ الرجالَ إذا * ضرّجن بالزعفران الرِّيطَ والنُّقَبا[5]

من كلِّ آنسةٍ لم يغذُها عُدُمٌ * ولا تشدُّ لشىءٍ صوتَها صَخَبا[6]

١٠

إنّ الغوانىَ قد أهلكننى وأرى * حِبالَهنّ ضعيفاتِ القُوى كُذُبا[7]

غنّى فى هذا الشعر ابن سريج خفيف ثقيل من رواية حماد، وفيه رمل نسبه حبش إليه أيضا.

قصة نسبه هذا الشعر لسهيل الغنوى

وقال الأصمعىّ: هذا الشعر لسهل بن الحنظلية الغَنَوى ثم الضُّبينى ثم الجابرى، وهو جابر بن ضبينة.

١٥

(١) القريع : السيد والرئيس. (٢) الغرب، بضمتين : الغريب، ودكره لتأويل الدار بالمنزل.
(٣) أذرت : أرسلت. س : «درت». تحريف. والسرب : السائل.
(٤) الضمير فى «ترفع» للراحلة، والراحلة تكون للذكر والأنثى. ترفع : ارتفع فى سيره. والحزان بضم الحاء وكسرها : جمع حزيز، وهو ما غلظ من الأرض. المهاة : البقرة الوحشية.
(٥) الريط : جمع ريطة، وهى الملاءة غير ذات لفقين. وفى الأصول : «النيط». والنقب :

٢٠

جمع نقبة، وهى ثوب كالإزار يجعل له حجزة مطيفة من غير نيفق.
(٦) ما عدا ط، ا، ها، مط، مب : «ولا تسدد بشىء صوتها صحبا».
(٧) ما عدا ط، مط، مب : «قد أهلكننى تعبا وخلتهن».

قال أبو الفرج الأصبهانى : وسَهل بن الحنظلية أحدُ أصحاب رســول الله صلى الله عليه وسلم، وقد روى عنه حديثا كثيرا .

فذكر الأصمعىُّ أنّ السببَ فى قوله هــذا الشعرَ أنّه اجتمع ناسٌ من العــرب بعكاظ ، منهم قُرّة بن هُبيرة القشَـيرى، فى سنينَ تتابعَتْ على النــاس ، فتواعَدُوا وتوافَقوا أن لا يتغاوروا حتّى يُخْصِب الناس(١) ثم قالوا : ابعثوا إلى المنتشر بن وهبٍ الباهلى ثم الوائلى فليشهدْ أمرنا ، ولنُدخلْه معنا . فأتاهم فأطلعوه ما صنعوه ، قال : فمـا يأكلُ قومى إلى ذاك ؟ فقال له ابن جارمٍ الضبّى(٢) : إنّك لهناك يا أخا باهلة؟ قال : أمّا أنا فالغســل والنساءُ علىّ حرامٌ حــتّى آكلَ من قَمَــع(٣) إبلك . فتفــرقوا ولم يكن إلّا ذلك . وقال ابن جارم للمنتشر عنــد قوله : استُكَ أضيقُ من ذاك ! فأغار المنتشرُ على ابن جارم، فلما رآه ابن جارمٍ رمَى بنفسه فى وِجارِ ضَبُعٍ ، وأطرد المنتشرُ إبلَه ورِعاءها، فقال سهلٌ فى ذلك :

* هاج لك الشّوقُ من ريحانةَ الطربا *

فى قصيدةٍ طويلة له حسنة . وقال فى ذلك أعشى باهلة :

فدًى لك نفسى إذ تركتَ ابنَ جارمٍ * أجبَّ السّنام بعــدَ ما كان مُصعبا(٤)

وقال المخبل فى ذلك :

إنّ قشـــيرا من لقاح ابن جارم * كغاســلةٍ حَيضًا وليست بطاهرِ
وأنبأتمــانى أنّ قُــرّةَ آمنٌ(٥) * فنــاك أباه من مجـير وخافر

(١) توافقوا : وقفوا جميعا . والتغاور : تبادل الغارات . (٢) ابن جارم الضبى بالجيم والراء المهملة . وفيما عدا ط ، أ ، ها ، مب : « حازم » فى كل موضع من هذا الخبر .

(٣) القمع ، بالتحريك : جمع قمعة ، وهى أعلى السنام . (٤) الأجب : المقطوع السنام، أو الذى أكله الرحل فلم يكبر . والمصعب : الفحل المكرم . (٥) حـ : « قتال » س : « قتالا » .

فلا تُوكلوها الباهليّ وتقعُدوا * لَدى غرضٍ أرميكُمُ بالنواقر[1]
إذا هي حلّتْ بالذّهاب وذي حُسّى * وراحتْ خِفافَ الوطءِ حُوسَ الخواطر[2]

أخبرنا أحمد بن عمار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل، قال حدّثني قَعنب ابن المحرز قال أخبرنا الهيثم بن عدى عن ابن عياش[3] عن محمد بن المنتشر قال :

تلاحى الأشعث وعمرو بن معديكرب

أخبرني من شهد الأشعثَ بن قيس وعمرو بن معديكرب وقد تنازعا في شيء، فقال عمرٌو للأشعث : نحن قتلنا أباك ونكنا أمّك! فقال سعد: قُوما أفّ لكما! فقال الأشعث لعمرو : والله لأضرِّطنَّك . فقال : كلّا إنها عَزوزٌ[4] موثقة .

قال جرير بن عبد الله البجلي : فأخذتُ بيد الأشعث فنترته[5] فوقع على وجهه ، ثم أخذتُ بيد عمرو فجذبته فما تحلحل والله، لكأنّما حركت أسطوانة القصر .

ما كان من عمرو والأجلح الفهمى فى حضرة عمر ابن الخطاب

٤٠/٤١

وقال أبو عبيدة : قدِم عمرو بن معد يكرب والأجلحُ بن وقّاص الفهميُّ على عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فأتياه وبين يديه مالٌ يوزَن، فقال : متى قدمتما ؟ قالا : يومَ الخميس . قال : فما حبَسَكما ؟ قالا : شُغلنا بالمنزل يوم قدِمنا، ثم كانت الجمعة، ثم غدونا عليكَ اليوم. فلما فَرغ من وزن المال نحّاه، ثم أقبل عليهما فقال: هِيه ! فقال عمرو : يا أمير المؤمنين، هذا الأجلح بن وقّاص، شديد المِرّة، بعيد

---

(١) النواقر : السهام الصائبة . ما عدا ط، ها : « بالنوافر » تحريف .
(٢) الذهاب، بضم أوّله وكسره : غائط من أرض بني الحارث بن كعب . وذو حسى : واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان . والحوس : جمع أحوس وحوساء، وهو البطىء التحرك من المرعى . والخواطر : جمع خاطر وخاطرة، وهو الذى يخطر بذنبه من الخيلاء . س : «حوش» .
(٣) ط، مط، مب : «عن ابن عباس عن عمه» . (٤) الأصل فى معنى العزوز أنها الناقة أو الشاة الضيقة الإحليل . حـ : « عزور » مط « غروز » وفى سائر النسخ ما عدا ط ، ها ، مب : « عرور » . (٥) النتر : الجذب بجفاء .

الفترة، وشيكُ الكرة، والله ما رأيت مثلَه من الرجال صارعًا ومصروعا، والله لكأنه لا يموت ! فقال عُمر للأجلح بن وقّاص، وأقبلَ عليه : هيه . قال : وأنا أعرف الغضبَ فى وجهه، فقلت : يا أمير المؤمنين، النـاسُ صالحون كثير نسلهُم، دارّة أرزاقُهم، خصبٌ نبـاتُهم ، أجْرِياءُ على عدوّهم، جبان عدوُّهم عنهم ، صالحـون بصلاح إمامهم، والله ما رأينا مثـلَك إلّا مَن تقدمك، فلستمتعُ اللهَ بك . فقال : ما منعك أن تقول فى صاحبك مثلَ الذى قال فيك؟ قال: منعَنى ما رأيتُ فى وجهك . قال : قـد أصبتَ، أمَا لو قلت له مثـلَ الذى قال لك لأوجعتُكما عقـوبة، فإن تركُك لنفسك فسوف أتركه لك، والله لوددتُ لو سـلمتْ لكم حالُكم هذه أبدا ، أمَا إنّه سيأتى عليك يومٌ تعضُّه وينهشك، وتهرُّه وينبحك، ولستَ له يومئذ وليس لك، فإنْ لم يكن بعهدكم فما أقربهُ منكم[1] .

قال أبو عبيدة : حدّثنا يونس وأبو الخطاب قالا :

طمع عمرو فى العطاء من غنائم القادسية

لـمّا كان يوم القادسية أصاب المسلمون أسلحةً وتيجانًا ومناطق ورقابًا[2] فبلغت مالًا عظيما، فعزل سعدٌ الخُمس ثم فضّ البقية، فأصاب الفارسَ ستة آلاف، والراجلَ ألفان، فبقى مالٌ دثْر[3] . فكتب إلى عمر رضى الله عنه بمـا فعل ، فكتب إليه أنْ ردَّ على المسلمين الخُمس، وأعطِ من لحِـقَ بك ممن لم يشهدَ الوقعة . ففعل فأجراهم مجرى من شَهِد ، وكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه أنْ فُضَّ ما بقى على حَمَلة القرآن . فأتاه عمرو بن معد يكربَ فقال : ما معك مِن كتاب الله تعالى ؟ فقال : إنّى أسلمتُ باليمن، ثم غزوتُ فشُغلت عن حفظ القرآن . قال : ما لك فى هذا المـال نصيب .

(١) العهد : المعرفة والرؤية . س : «بعدكم» تحريف . وفيما عدا ط ، ها ، مط ، مب : «فما أقربكم منكم» ، تحريف أيضا . (٢) رقابا ، كذا وردت فى معظم الأصول ، ولعلها ضرب من حلى الرقاب . وبدلها فى ها : «وذوائب» . (٣) مال دثر : كثير .

شعره وشعر بشر بن ربيعة فى حرمانهما من العطاء

قال : وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمى ، صاحبُ جبّانة بِشر[1] فقال : ما معك من كتاب الله ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم . فضحِكَ القوم منه ولم يُعطِه شيئا ، فقال عمرو فى ذلك :

إذا قُتِلنا ولا يبكى لنا أحدٌ * قالت قريشٌ ألاَ تلك المقاديرُ

نُعطَى السوِيَةَ من طَعنٍ له نفذٌ[2] * ولا سوِيّةَ إذ تُعطَى الدنانيرِ ٥

وقال بشر بن ربيعة :

أنختُ بباب القادسيّة ناقتى * وسعدُ بن وقّاصٍ علىّ أميرُ

وسعدٌ أمير شرُّه دونَ خيره * وخيرُ أميرٍ بالعراق جريرُ

وعند أمير المؤمنين نوافلٌ * وعند المثنّى فِضّةٌ وحريرُ

تذكّرْ هداكَ الله وَقعَ سيوفنا * بباب قُدَيس[3] والمكرُّ عسيرُ ١٠

عشيةَ ودَّ القومُ لو أنّ بعضَهم * يُعارُ جَناحَىْ طائرٍ فيطيرُ

إذا ما فرغنا من قِراعِ كتيبةٍ * دَلَفنا[4] لأخرى كالجبال تسيرُ

ترى القومَ فيها واجمين[5] كأنّهم * جمالٌ بأحمالٍ لهنّ زفيرُ

إجازة عمر لهما على بلائهما فى الحرب

فكتب سعدٌ إلى عمر رضى الله تعالى عنه بما قال لهما وما ردّا عليه ، وبالقصيدتين ، فكتب أنْ أعطِهما على بلائهما . فأعطى كلَّ واحدٍ منهما ألفَى درهم. ١٥

٤١/١٤

(١) أى الذى تنسب إليه جبانة بشر . وفى معجم البلدان : « وأهل الكوفة يسمون المقابر جبانة كما يسميها أهل البصرة المقبرة » . (٢) السوية : العدل . (٣) قديس : موضع بناحية القادسية . وفى معجم البلدان : « والمكر ضرير » . (٤) دلفنا : تقدمنا . (٥) الوجوم : السكوت على غيظ . س : « فيها أجمين » .

كتاب عمر إلى سلمان بن ربيعة فى شأن عمرو

قال : وحدّثنى أبو حفص السلمى قال : كتب عمر إلى سلمان بن ربيعة الباهلى[1] : إنّ فى جندك عَمرو بن معديكرب، وطلحةَ بن خُويلد الأسدىّ، فإذا حضر النـاسُ فأدنهما وشاورْهما وابعثْهما فى الطّلائع ، وإذا وضعت الحربُ أوزارها فضعْهما حيثُ وضَعا أنفسَهما . يعنى بذلك ارتدادهما ، وكان عمرٌو ارتدّ وطليحةُ تنبأ .

بين سلمان بن ربيعة وعمرو

قال : وحدّثنا أبو حفص السلمى قال : عرض سَلمانُ[1] بن ربيعة جُندَه بأرمينية، فجعلَ لا يقبل إلّا عتيقًا، فمرّ به عمرو بن معد يكرب بفرس غليظ، فقال سلمان : هذا هَجِين . فقال عمرو : والهجينُ يعرف الهجين ! فبلغ عمرَ رضى الله تعالى عنه قولُه فكتب إليه : أمّا بعد فإنك القائلُ لأميرك ما قلتَ ، وإنّه بلغنى أنّ عندك سيفًا تسمّيه الصمصامة، وعندى سيفٌ أسميه مصمّما[2] ، وأقسم لئنْ وضعتُه بين أذنيك لا أُقلِع حتّى يبلغ قِحْفَك[3] » . وكتب إلى سَلمانَ يلُومه فى حلمه عنه .

تقدير عمر ابن الخطاب له

قال : وزعموا أنّ عَمرًا شهد فتح اليرموك ، وفتحَ القادسية ، وفتح نهاوند مع النّعمان بن مقرِّن المزنى ، وكتب عُمر إلى النعمان : إنّ فى جندك رجُلين : عمرو ابن معد يكرب ، وطُليحة بن خويلد الأسدى من بنى قُعَين ، فأحضِرْهما الحربَ وشاوِرْهما فى الأمر، ولا تولِّهما عملا . والسلام .

(١) سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلى، وهو سلمان الخيل ، يقال إن له صحبة ، شهد فتوح الشام ثم سكن العراق وولاه عمر قضاء الكوفة ، وهو أول قاض استقضى بها ، ثم ولى غزو أرمينية فى زمن عثمان ، فقتل ببلنجر سنة ٢٥ . تهذيب التهذيب . وفيما عدا ط ، ها ، مط ، مب : « سليمان » فى كل موضع من هذا الخبر وتاليه ، والصواب ما أثبت من ط .

(٢) س : « اسمه مصمم » .

(٣) القحف ، بالكسر : العظم فوق الدماغ .

صـــــوت

خليلَّ هُبَّا طالما قد رقدتُما * أجدَّكُما لا تقضِيان كَرَاكما

سأبكيكما طولَ الحياة وما الذى * يردُّ على ذى لَوعةٍ إن بكاكما (١)

ويروى : « ذى عولة » .

الشعر لقُس بن ساعدةَ الإيادى، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدىّ فى خبرٍ أنا ذاكُره هاهنا .

وذكر يعقوبُ بن السكِّيت أنّه لعيسى بن قُدامة الأسدى (٢) .

وذكر العتبى أنّه لرجلٍ من بنى عامر بن صعصعة، يقال له الحسن بن الحارث .
والغناء لهاشم بن سليمان، ثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن عمرو .

---

(١) ما عدا ط، ها، مط، مب : « على ذى عولة » . وبعده : « ويروى : ذى لوعة » .

(٢) الكلام بعده ساقط من ط إلى « قال : بينا أنا » فى ص ٢٤٧ .

ذكر خبر قُسّ بن ساعدةَ ونَسَبه وقصته فى هذا الشعر

نســبه

هو قُسّ بن ساعدة بن عمرو — وقيل مكان عمرو شِمْر — بن عدىّ بن مالك ابن أيدعان[1] بن النَّمِر[2] بن واثلة بن الطَّمَثان بن زيد مناة بن يقدم بن أفصى بن دُعمىّ ابن إياد . خطيبُ العرب وشاعرها ، وحليمها وحكيمها فى عصره . يقال : إنه

هو أول من خطب على شرف ، وقال أما بعد

أولُ مَن علا على شَرَف وخطب عليه . وأوّل من قال فى كلامه : أمّا بعد ، وأول من اتّكأ عند خطبتــه على سَيف أو عصا .

أدركه الرسول قبل النبوة

وأدركه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، ورآه بعكاظ فكان يأثُر عنه كلامًا سمِعه منه ، وسئل عنه فقال : « يُحشَر أُمّةً وحدَه » .

وقد سمعت خبرَه من جهاتٍ عِدّة ، إلّا أنّه لم يحضُرنى وقتَ كتبتُ هذا الخبر غيره ، وهو و إن لم يكن من أقواها على مذهب أهل الحديث إسنادًا ، فهو من أتمها .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال : حدّثنا أبو شعيب صالح بن عمــران قال : حدّثنى عمر بن عبد الرحمن بن حفص النسائى قال : حدّثنى عبد الله بن محمد

٤٢ / ٤٠

قال : حدّثنى الحسن بن عبد الله قال : حدّثنى محمد بن السائب عن أبى صالح عن ابن عباس قال :

وفد إياد وما قيل فى قس بن ساعدة

لمّــا قدِم وفدُ إيادٍ على النبى صلى الله عليه وسلم قال : مافعَلَ قُسّ بن ساعدة ؟ قالوا : مات يا رســول الله . قال : « كأنّى أنظرُ إليــه بسوقِ عُكاظَ على جمــلٍ له أورقَ[3] ، وهو يتكلّم بكلامٍ عليه حلاوةٌ ماأجِدُنى أحفظه» . فقال رجلٌ من القوم : أنا أحفظُه يارسولَ الله . قال : كيف سمعتَه يقول ؟ قال سمعتُه يقول :

---

(١) جـ ، مط ، مب : « عوذ مناة » ها « عبد مناة » . (٢) ضبط فى أ بضم الدال .

(٣) الأورق : مالونه الورقة ، وهى بياض إلى سواد .

خطبته

أيُّها الناس اسمَعُوا وعُوا ، من عاشَ مات ، ومن مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت . ليلٌ داج ، وسماءٌ ذاتُ أبراج ، بحارٌ تزخَر ، ونجومٌ تزهر[1] ، وضوءٌ وظلام ، وبِرٌّ وآثام ، ومَطعَمٌ ومشرَب ، وملبَس ومركب . مالى أرى الناسَ يذهبونَ ولا يرجعون ، أرَضُوا بالمُقام فأقاموا ، أم تُرِكوا فناموا . وإلهِ قُسِّ بن ساعدةَ ما على وجهِ الأرض دينٌ أفضلُ من دينٍ قد أظلّكم زمانُه ، وأدركَكم أوانه ، فطُوبَى لمن أدركَه فاتّبعه ، وويلٌ لمن خالفه . ثم أنشأ يقول :

فى الذّاهبين الأوّليـ * ـنَ من القُرون لنا بصائرْ
لمّا رأيتُ مواردًا * للموت ليس لها مَصادر
ورأيتُ قومى نحوها * يَمضِى الأصاغرُ والأكابر
أيقنتُ أنّى لا محا * لةَ حيثُ صار القومُ صائر

فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله قُسًّا ، إنى لأرجو أن يُبعَثَ يوم القيامة أمّةً[2] وحده » .

قصة شعر منسوب إلى قس

فقال رجلٌ يا رسول الله : لقد رأيتُ من قُسٍّ عجبا . قال : وما رأيت ؟ قال : بينا أنا بجبلٍ يقال له[3] سِمعان[4] فى يومٍ شديد الحرّ ، إذْ أنا بقُسّ بن ساعدةَ تحت ظلِّ شجرةٍ عند عينِ ماء ، وعنده سباعٌ ، كلما زأر سَبعٌ منها على صاحبه ضربَه بيده وقال : كُفَّ حتى يشربَ الذى وَرَد قبلَك . قال : ففرِقْتُ[5] ، فقال : لا تخَفْ .

---

(١) تزهر : تتلألأ وتضىء . (٢) الأمة : الرجل المتفرد بدين ، كقوله تعالى : « إن إبراهيم كان أمة » . وجاء مثله الحديث أنه قال : « يبعث يوم القيامة زيد بن عمرو بن نفيل أمة على حدة » . وذلك أنه كان تبرأ من أديان المشركين وآمن بالله قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم . (٣) إلى هنا ينتهى سقط ط الذى بدأ فى ص ٢٤٥ . (٤) سمعان بالكسر : جبل فى ديار بنى تميم . (٥) فرقت ، بكسر الراء من الفرق ، وهو الخوف والفزع .

وإذا أنا بقبرين بينهما مسجدٌ، فقلت له : ما هذان القبران ؟ قال هذان قبرا أخوين كانا لى فماتا ، فاتّخذتُ بينهما مسجدًا أعبدُ الله جلّ وعزّ فيه حتّى ألحق بهما . ثم ذكر أيامهما فبكى ، ثم أنشأ يقول :

خليلَىَّ هُبّا طالما قد رقدتما * أجِدَّكما لا تَقضيان كَراكما
ألم تعلما أنّى بسمعانَ مفردٌ * وما لىَ فيه من حبيبٍ سِواكما
أقيمُ على قبرَيْكما لستُ بارحًا * طَوالَ الليالى أو يجيبَ صَداكما
كأنّكما والموتُ أقربُ غايةٍ * بجسمىَ فى قبرَيْكما قد أتاكما
فلو جُعِلت نفسٌ لنفسٍ وقايةً * لجُدتُ بنفسى أن تكون فِداكما

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله قُسًّا » .

الشعر السابق لعيسى ابن قدامة

وأما الحكاية عن يعقوب بن السكيت أنّ الشعر لعيسى بن قُدامة الأسدى فأخبرنى بها علىّ بن سليمان الأخفش، عن السكونى قال: قال يعقوب بن السكيت :
قال عيسى بن قُدامة الأسدىّ ، وكان قَدِم قاسان(1) ، وكان له نديمان فماتا ، وكان يجىء فيجلس عند القبرين ، وهما براوَند(2) ، فى موضعٍ يقال له خُزَاق ، فيشرب ويصبُّ على القبرين حتّى يقضِىَ وطرَه ، ثم ينصرف وينشد وهو يشرب :

خليلَىَّ هُبّا طالما قد رقدتُما * أجِدَّكما لا تقضيان كَراكما
ألم تعلما مالى براوَندَ هذه * ولا بخُزاقٍ من نديمٍ سواكما
مقيمٌ على قبرَيْكما لستُ بارحا * طَوالَ الليالى أو يجيبَ صداكما
جَرى الموتُ مجرى اللحمِ والعظمِ منكما * كأنّ الذى يَسقِى العُقارَ سَقاكما

٤٣/١٤

(1) قاسان ، وأهلها يقولون كاسان : مدينة كانت بما وراء النهر فى حدود بلاد الترك . ياقوت .
(2) راوند ، بفتح الواو : بليدة قرب قاسان وأصبهان .

تحمّل من يهوى القُفول وغادروا * أخا لكما أشجاه ما قد شجاكما (١)

فأىّ أخ يجفو أخا بعد موته * فلستُ الذى من بعد موتٍ جفاكما

أصبّ على قبريكما من مُدامةٍ * فإلّا تذوقاها أُروِ منها ثَراكما (٢)

أناديكما كيما تجيبا وتَنطقا * وليس مجاباً صوتُه من دعاكما

أمِن طولِ نومٍ لا تُجيبان داعياً * خليلىّ ما هذا الذى قد دهاكما

قضَيتُ بأنّى لا محالةَ هالكٌ * وأنّى سيعرونى الذى قد عراكما

سأبكيكما طولَ الحياة وما الذى * يردُّ على ذى عَولةٍ إن بكاكما

وأخبرنى ابن عمّارٍ أبو العباس أحمد بن عبيد الله بخبر هؤلاء، عن أحمد ابن يحيى البَلاذُرى قال: حدّثنا عبد الله بن صالح بن مُسلم العجلىّ قال:

نسبته إلى رجل من أهل الكوفة

١٠ بلغنى أنّ ثلاثةَ نفرٍ من أهل الكوفة كانوا فى الجيش الذى وجّهه الحجاج إلى الدّيلم، وكانوا يتنادمون لا يُخالطون غيرَهم، فإنّهم لعلى ذلك إذ ماتَ أحدُهم فدفنه صاحباه، وكانا يشربان عند قبره، فإذا بلغَه الكأسُ هَراقاها على قبره وبكيا. ثم إنّ الثانىَ مات فدفنه الباقى إلى جَنْب صاحبه، وكان يجلسُ عند قبريهما فيشرب ويصبُّ الكأسَ على الذى يليه ثم على الآخر ويبكى، وقال فيهما:

١٥ * نديمىّ هُبّا طالما قد رقدتما *

وذكر بعضَ الأبيات التى تقدم ذكرها. وقال مكان «براوند هذه»: «بقزوين»، وسائر الخبر نحو ما ذكرناه. قال ابن عمار: فقبورهم هناك تُعرف بقبور الندماء.

نسبته إلى الحزين ابن الحارث

وذكر العُتبى عن أبيه أنّ الشّعر لحزين بن الحارث، أحد بنى عامر ابن صَعصعة، وكان أحدُ نديميه من بنى أسد والآخر من بنى حَنيفة، فلما مات

٢٠ أحدُهما كان يشرب ويصبُّ على قبره ويقول:

(١) القفول: العودة. س: «المقول»، محرف.

(٢) ط: «صداكما»، وكتب فوقها «ثراكما».

لا تصرِدْ هامــةً من كأسها * واسقِه الخمرَ وإن كان قُــبِر[1]

كان حُرًّا فهوى فيمن هوى * كلُّ عودٍ ذى شُعوبٍ ينكسر

قال : ثم مات الآخر فكان يشرب عند قبريهما و ينشد :

خليلىَّ هبا طالمــا قد رقدتما * ... ...

الأبيــات .

قال : ثم قالت له كاهنةٌ : إنّك لا تموت حتّى تنهشَك حيةٌ فى شجــرةٍ بوادى كذا وكذا . فورد ذلك الوادىَ فى سفرٍ له وسأل عنه فعرَفَه ، وقد كان خَطَّ[2] فى أصل شجرة ، ومدّ[3] رجلَه عليها ، فنهشَته حية فأنشأ يقول :

خليلىَّ هــذا حيثُ رمسِى فعرِّجا * عــلىَّ فإنِّى نازلٌ فمعــرِّسُ

لبِست رداءَ العيش أحْوَى أجُرّه الـ * ـعَشيّاتِ[4] حتّى لم يكنْ فيه مَلبس

تركتُ خِبائى حيثُ أرمَى عمادَه * علىَّ وهذا مَرمَسِى حيث أُرمَس

أحتْفِى الذى لا بدَّ أنّك قاتـلى * هَــلُمَّ فمــا فى غابرِ العيش مَنْفَس[5]

أيسعَدَ نديمىَّ اللذَيْن بعاقــلٍ * بكيتُهما[6] حــولًا مَدَى أتــوجّس

---

(١) التصريد : قطع الشرب، أو تقليله . وعنى بالهامة هنا الميت . الضمير فى « كأسها » للهامة ، أو الخمر . ما عدا ط ، ا ، ها ، مط ، مب : « لا يصرد » .

(٢) أى خط له قبرا فى هذا الموضع . (٣) هذه الكلمة من ط ، ها ، مب .

(٤) أحوى ، أى أسود الشعر حين الشباب . ما عدا ط ، ا ، ها ، مب : « عشيات » .

(٥) الغابر ، هنا : الباقى . منفس ، أى متسع ومهلة ، يقــال زدنى نفسا فى أجلى ، أى طولا فيه ، ولك فى هذا الأمر نفسة ، بالضم ، أى مهلة .

(٦) ما عدا ط ، ها ، مب : « بكيتكما » .

٤٤ / ١٤

ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره

اسمه وكنيته ولقبه

هو هاشم بن سليمان مولى بنى أميّة[(١)]، ويكنى أبا العباس، وكان موسى الهادى يسمّيه أبا الغَرِيض . وهو حَسَن الصنعة عزيزها ، وفيه يقول الشاعر :

يا وَحشتى بعدك يا هاشمُ * غِبتَ فشجوى بك لى دائمُ
اللهـــوُ واللـــذّةُ يا هاشمُ * ما لم تكن حاضرَه مأتمُ[(٢)]

٥

أخبرنى على بن عبد العزيز قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن خُرداذبه قال : كان موسى الهادى يميل إلى هاشم بن سليمان ويمازحُه ، ويلقّبه أبا الغريض .

غنـــاؤه لموسى الهادى وإجازته على ذلك

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمـــاد قال : بلغنى أن هاشم بن سليمان دخل يوماً على موسى الهادى فغناه :

١٠

صـــــوت

لو يُرسِل الأَزْلُ[(٣)] الظِّبا * ء تَرودُ ليس لهنّ قائد
لتيمّمتْـــك تـــدُلُّـا * رَيّاكَ للسُّـبُلِ الموارد
وإذا الرياحُ تنكّبتْ * نُكُبًا هواجرها صَوَارِدْ[(٤)]
فالنـــاس سائـــلةٌ[(٥)] إليـ * ـكَ فصادرا تُغنى ووارد

١٥

الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفى ، يقوله فى الوليـــد بن يزيد بن عبد الملك . والغناء لهاشم بن سليمان ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر .

---

(١) ما عدا ط ، ها ، مب : « مولى الهادى » . (٢) المأتم : مجتمع النساء للحزن والنياحة . ماعدا ط ، ا ، ها : «مأتم» . والمأثم : الإثم والذنب . (٣) الأزل ، بالفتح : الشدة والضيق . (٤) النكب : جمع نكباء ، وهى كل ريح بين ريحين ، وكلها لا خير فيه .

٢٠ (٥) سائلة من السيل ، يعنى كثرة الوارد .

فطرب موسى، وكان بين يديه كانونٌ كبير ضخمٌ عليه فحم، فقال له: سَلْنى ما شئت. قال: تملأ لى هذا الكانونَ. فأمر له بذلك، وفرِّغ الكانونُ فوسِعَ ستَّ بُدور(١)، فدفعها إليه.

وقد أخبرنى بهذا الخبر الحسنُ بن على قال حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا عبد الله بن أبى سعد، عن أبى توبة، عن محمد بن جَبْر، عن هاشم بن سليمان قال:

أصبح موسى أمير المؤمنين يومًا وعنده جماعةٌ منّا، فقال: يا هاشم غنّنى:

* أبَهَارُ قد هيّجتِ لى أوجاعا *

فإنْ أصبتَ مُرادى فيه فلك حاجةٌ مقضيّة. فغنيته فقال: قد أصبتَ وأحسنت سَلْ حاجَتك. فقال: يا أمير المؤمنين تأمرُ أن يُملأ هذا الكانون دراهمَ. قال: وبين يديه كانونٌ عظيم، فأمر به فملئ فوسع ثلاثين ألف درهم، فلما حَصَّلنها قال: يا ناقصَ الهمّة، والله لو سألتَنى أن أملأه دنانيرَ لفعلت. فقلت: أقِلْنى يا أمير المؤمنين. فقال: لا سبيلَ إلى ذلك فلم يُسعِدْك الجَدُّ به.

نسبة هذا الصوت

أبهارُ قد هيّجتِ لى أوجاعا * وتركتِنى عبدًا لكم مِطواعا
بحديثِك الحسنِ الذى لو كُلِّمتْ * وَحشُ الفلاةِ به لجِئْنَ سِراعا
وإذا مررتُ على البَهار منضَّدا * فى السُّوق هيّج لى إليك نِزاعا(٢)
واللهِ لو عَلِمَ البَهارُ بأنّها * أضحَتْ سَميّتَه لصار ذِراعا

الغناء لهاشم، ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو، وفيه ثقيل أول بالبنصر، ينسب إلى إبراهيم الموصلى، وإلى يحيى المكى، وإلى إسحاق.

(١) البدور: جمع بدر، والبدر والبدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار. (٢) النزاع: الشوق. نازع إلى أهله: اشتاق.

٤٥
١٤

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا : حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنى بعض أصحابنا قال :

مجلس غناء

كُنّا فى منزل محمد بن إسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس، وكان عالمًا بالغناء والفقه جميعا، وقد كان يحيى بن أكثم وصَفَه للمأمون بالفقه، ووصَفَه أحمد بن يوسف بالعلم بالغناء، فقال المأمون : ما أعجبَ ما اجتمع فيه : العلم بالفقه، والغناء! فكتبتُ ٥ الى إسحاق بن إبراهيم الموصلى أن يتحوّلَ إلينا وكان فى جوارنا ، وعندنا يومئذ محمد ابن أيوب بن جعفر بن سليمان ، وذُكاءُ وصفيرٌ غلامَا أحمد بن يوسف الكاتب ، فكتب إلينا إسحاق : جُعِلتُ فداءكم ، قد أخذت دواءً ، فإذا خرجتُ منه حملتُ قِدرى وصرتُ إليكم . وكتب فى أسفل كتابه :

١٠ أنا شماطيط الذى حُدِّثتَ به * متى أنبَّــه للغَــدَاءِ أنتبهْ

ثم أدور حــولَه وأحتبِــهْ * حتى يقــال شرِهٌ ولستُ به

ثم جاءنا ومعه بُديح غلامه ، فتغدّينا وشربنا ، فغنّى ذكاء غلام أحمد بن يوسف :

* أبهارُ قد هيّجتِ لى أوجاعا *

فسأله إسحاق أن يعيدَه فأعاده مِرارًا، ثم قال له : ممّن أخذت هذا ؟ فقال : ١٥ من مُعاذ بن الطَّبيب، قال : والصنعة فيه له . فقال له إسحاق : أحبُّ أن تُلقيَه على بُديح . ففعل . فلما صلّيت العِشاءَ انصرفَ ذكاء ، وقعد أبو جعفر يشرب -- يعنى مولاه (١) -- وعنده قومٌ، وتخلّف صَفير فغنّانا ، فقال له إسحاق : أنت والله يا غلامُ ماخوريٌّ . وسكر محمد بن إسماعيل فى آخر النّهار فغنّانا :

دَعُونى أغُضُّ إذا ما بدت * وأملِكُ طـرفى فـلا أنظـرُ

٢٠ (١) أى مولى ذكاء، وهو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح، كاتب المأمون . توفى سنة ٢١٣، تاريخ بغداد ٢٦٩٢، ما عدا ط ، ها : « يغنى مولاه » ، تحريف .

فقال إسحاق لمحمد بن الحسن : آجرك الله فى ابن عمك ! أى قد سكِرَ فأقدم على الغناء بحضرتى .

نسبة هـذا الصـوت

صـوت

هَبُونى أغضّ إذا ما بدَتْ * وأملِك طَرفِى فلا أنظُر
فكيف احتيالى إذا ما الدموعُ * نَطقنَ فبُحن بما أضمِرُ
أيا مَن سرورى به شِقوةٌ * ومَن صفوُ عيشى به أكدر
أمنّى تخاف انتشارَ الحديث * وحظّىَ فى سَتره أوفَرُ
ولو لم أصُنه لِبُقيا عليك * نظرتُ لنفسى كما تنظر

الشعر للعباس بن الأحنف ، والغناء للزبير بن دُحمان ، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو فى الأبيات الثلاثة الأول . وفيها لعمرو بن بانة ماخورى . وفى :

* أيا مَن سُرورى به شِقوةٌ *

لسُلَيم هزج . وفيه ثانى ثقيل ينسب إلى حُسين بن محرز ، وإلى عباس مِنقار .

صـوت

هذا أوانُ الشدّ فاشتدّى زِيَمْ * قد لفّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ
ليسَ براعى إبلٍ ولا غَنَمْ (١) * ولا بجزّارٍ على ظهر وَضَمْ

عروضه من الرجز . الشعر لرُشَيد بن رُمَيض العنَزى يقوله فى الحُطَم ، وهو شُريح بن ضُبيعة ، وأمّه هندُ بنت حسّان بن عمرو بن مَرثد ، والغناء ليزيد حوراء ، خفيف ثقيل أول بالبنصر ، وفيه خفيفُ رملٍ يقال إنّه لأحمد المكى .

(١) جـ ، أ : « لست براعى » .

الحطم ونجاته بقومه فى المفازة

قال أبو عبيدة : كان شُريح بن ضُبيعة غزا اليمنَ فى جموعٍ جمَعها من ربيعة، فغنَم وسبَى بعد حربٍ كانت بينه وبين كِندة، أسر فيها فُرطان[1] بن مهدىّ بن معديكرب عم الأشعث بن قيس ، وأخذَ على طريق مفازةٍ فضلَّ بهم دليلُهم ثمّ هرب منهم ومات فُرطان فى أيديهم عطَشا، وهلكَ منهم ناسٌ كثير بالعطش . وجعل الحُطمُ يسوق بأصحابه سَوقا عنيفا . حتّى نَجَوا ووردُوا الماء[2] . فقال فيه رُشَيد :

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدّى زِيَمْ * ليسَ براعى إبلٍ ولا غنم

ولا بجزّار على ظهرِ وضَمْ * نامَ الحداةُ وابن هندٍ لم ينم

باتَ يقاسيها غلامٌ كالزّلَمْ * خَدلجُ السّاقين خَفّاقُ القدمْ

* قد لفّها الليلُ بسَوّاقٍ حُطَمْ *

فلقّب يومئذ « الحُطَم » لقول رُشيد هذا فيه .

وأدرك الحطمُ الإسلامَ فأسلم، ثم ارتدّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدّثنا محمد بن جرير الطبرى قال حدّثنا عبد الله بن سعد[3] الزهرى قال أخبرنا عمى يعقوب قال : أخبرنى سيف قال :

إسلام الجارود ابن المعلى

خرج العلاء بن الحضرمىّ نحو البحرين، وكان من حديث البحرين أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ماتَ ارتدّوا[4] ففاءت عبدُ القيس منهم ، وأمّا بكر فتمّت على ردّتها . وكان الذى ثنَى عبدَ القيس الجارودَ بن المعلّى .

---

(١) فرطان، بضم الفاء، والطاء مهملة . وفى ط، حـ : « قرطان » بالقاف المعجمة .

(٢) بعده سقط فى ط إلى ما قبل (ذكر على بن أديم) بسطر واحد .

(٣) فى الطبرى (٣ : ٢٥٤) : « عبيد الله بن سعيد » . وفى الأصول : « عبيد الله بن سعد » وأثبت ما فى تهذيب التهذيب .

(٤) نص الطبرى : « أن النبى صلى الله عليه وسلم والمنذر بن ساوى اشتكيا فى شهر واحد، ثم مات المنذر بعد النبى صلى الله عليه وسلم بقليل وارتد بعده أهل البحرين » .

فذكر سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم [عن الحسن بن أبى الحسن قال :

قدم الجارود بن المعلَّى على النبى صلى الله عليه وسلم مُرتاداً، وقال : أسلِمْ يا جارود . فقال : إنّ لى ديناً . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : إنّ دينك يا جارود ليسَ بشىء ، وليسَ بدين . فقال له الجارود : فإن أنا أسلمتُ فما كان من تبعةٍ فى الإسلام فعليك ؟ قال : نعم](١) . فأسلم وأقام بالمدينة حتّى فقُه .

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حميد، قال : حدّثنا سلمة بن الفضل عن أبى إسحاق قال :

خبر المنذر الغرور

اجتمعت ربيعةُ بالبحرين، فقالوا : رُدُّوا الملكَ فى آل المنذر، فملّكوا المنذر ابن النعمان بن المنذر، وكان يسمَّى الغَرُور، ثم أسلم بعد ذلك وقال : لستُ بالغَرور ولكنّى المغرور .

حدّثنا محمد بن جرير قال : حدّثنا عبد الله بن سعد(٢) قال : أخبرنى عمى قال أخبرنا سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم عن عُمَير بن فلان العبدى قال :

ارتداد الحطم وتأليبه القبائل

لمـّا(٣) ماتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الحُطَم بن ضُبَيعة ، فى بنى قيس ابن ثعلبة ومن اتّبعه من بكر بن وائل على الردّة، ومَن تأشّبَ [إليه](٤) من غير المرتدّين ممن لم يزلْ كافرا، حتّى نزل القطيف وهَجَر، واستغوى [الخَطَّ و](٤) من كان بهما من الزُّطّ والسيابجة ، وبعثَ بعثًا إلى دارينَ فأقا[موا](٤) له ليجعلَ عبد القَيس بينهم وبينه، وكانوا مخالفينَ له يُمدّون [المنذر و](٤) المسلمين ، وأرسل إلى الغَرور بن سويد

(١) التكملة من تاريخ الطبرى (٣ : ٢٥٤) فى حوادث سنة ١١ .

(٢) فى الأصول : « عبيد الله بن سعد » . وانظر ما سبق فى ص ٢٥٥ .

(٣) فى الطبرى (٣ : ٢٥٥) : « أخو بنى قيس » .

(٤) التكملة من الطبرى . وتأشبوا : تجمعوا من ها هنا وهنا .

ابن المنذر بن أخى النعمان بن المنذر ، فقال له : اثبت فإنى إنْ ظفرتُ ملّكتك البحرين، حتّى تكون كالنُّعمان بالحيرة . وبعث إلى رواثا وقيل إلى جُؤاثا ، فحاصرهم وألح عليهم، فاشتدّ الحصار على المحصورين من المسلمين، وفيهم رجلٌ من صالحى المسلمين يقال له عبد الله بن حَذَف، أحد بنى أبى بكر بن كلاب، فاشتدّ عليه وعليهم الجوعُ حتّى كادوا يَهلِكون، فقال عبد الله بن حَذَف :

شكوى المحصورين من المسلمين إلى أبى بكر

٥

أَلَا أبلِغْ أبا بكرٍ رسولًا * وفتيانَ المدينةِ أجمعينا

فهلْ لكُمُ إلى قومٍ كرامٍ * قُعودٍ فى جُؤاثا مُحْصَرينا

كأنّ دماءهم فى كلّ فجٍ * شُعاعُ الشمس يُعشى الناظرينا

توكّلنا على الرحمن إنا * وجَدنا النَّصرَ للمتوكلينا

٤٧/١٤

١٠ حدّثنى محمد بن جرير قال كتب إلى السرىّ بن يحيى عن شُعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن الصقعب[1] بن عطية بن بلال، عن سهم بن مِنجاب، عن [منجاب][2] ابن راشد قال :

قتال أهل الردة بالبحرين

بعث أبو بكرٍ العلاءَ بن الحضرمىّ على قتال أهل الرِّدّة بالبحرين ، فتلاحَق به مَن لم يرتدّ من المسلمين، وسلك بنا[3] الدّهناء حتّى إذا كنّا فى بُحبوحتها أراد الله عزّ

١٥ وجل أن يُرِيَنا آية ، فنزل العلاءُ وأمر الناسَ بالنزول ، فنفرت الإبلُ فى جوف الليل، فما بقى بعيرٌ ولا زادٌ ولا مَزاد[4] ولا بِناءٌ — يعنى الخيم قبل أن يحطّوا — فما علمت جمعًا هجم عليه من الغمّ ما هَجَم علينا ، وأوصى بعضُنا إلى بعض، ونادى منادى العلاء: اجتمِعُوا . فاجتمعنا إليه فقال : ما هذا الذى ظَهَر فيكم وغلبَ عليكم؟ فقال الناس:

(١) فى الطبرى : «الصعب» . (٢) التكملة من أ ، مب والطبرى .

٢٠ (٣) اختزل أبو الفرج قدرا كبيرا من نص الطبرى فى أول هذا الخبر .

(٤) كذا فى الطبرى . وفى الأصول ما عدا مب ، ها : «مراد» بالراء المهملة .

وكيف نلام ونحن إن بلغنا غدًا لم نحم شمسه حتى نصير حديثا . فقال : أيها الناس ، لا تُراعوا ، ألستم مسلمين ؟ ألستم فى سبيل الله ؟ ألستم أنصار الله ؟ قالوا : بلى . قال : فأبشروا ، فوالله لا يخذل الله تبارك وتعالى من كان فى مثل حالكم . ونادى المنادى بصلاة الصبح حين طلع الفجر ، فصلّى بنا ومنا المتيمم ومنا من لم يزل على طَهوره ، فلما قضى صلاته جثا لركبتيه ، وجثا الناس معه ، فنصب فى الدعاء ونصبوا (١) فلمع لهم سرابٌ فأقبل على الدعاء ، ثم لمع لهم آخر كذلك فقال الرائد : ماء . فقام وقام الناسُ فمشينا حتى نزلنا عليه فشربنا واغتسلنا ، فما تعالى النهارُ حتى أقبلت الإبل من كل وجه وأناخت إلينا ، فقام كلُّ رجل إلى ظهره فأخذه ، فما فقدنا سلكا (٢) ، فأرويناها العَلَل بعد النَّهَل وتروّحنا . وكان أبو هريرة رفيقى ، فلما غبنا عن ذلك المكان قال لى : كيف علمك بموضع ذلك الماء ؟ فقلت : أنا أهدى الناس (٣) بهذه البلاد . قال : فكُرَّ معى حتى تقيمنى عليه . فكررتُ به فأنخت على ذلك المكان بعينه ، فإذا هو لا غدير به ، ولا أثر للماء ، فقلت له : والله لولا أنّى لا أرى الغدير لأخبرتك أنّ هذا هو المكان ، وما رأيتُ بهذا المكان ماءً قبل ذلك (٤) . فنظر أبو هريرة فإذا إداوةٌ مملوءة فقال : يا سهم ، هذا والله المكانُ ولهذا رجعتُ ورجعت بك ، وملأتُ إداوتى هذه ثم وضعتها على شفير الوادى فقلت : إن كان منًّا من المنّ وكانت آية عرفتها ، [وإن كان غياثا عرفته . فإذا منٌّ من المنّ] (٥) وحمدت الله جلّ وعز . ثم سرنا حتى نزلنا هجر فأرسل العلاءُ إلى الجارود ورجل آخر : أن انضمّا فى عبد القيس حتى تنزلا على الحُطَم مما يليكما . وخرج هو فيمن معه وفيمن

(١) نصب ينصب فى الدعاء ، إذا تعب فيه واجتهد . وبه فسر قوله تعالى : «فإذا فرغت فانصب» أى اتعب فى الدعاء . (٢) السلك : جمع سلكة ، وهو الخيط الذى يخاط به الثوب .
(٣) الطبرى : «أنا من أهدى الناس» . (٤) الطبرى : «ماء ناقعا قبل اليوم» .
(٥) التكملة من تاريخ الطبرى .

قدم[1] عليه حتّى ينزل مما يلي هجر . وتجمّع المسلمون كلّهم إلى العلاء بن الحضرمىّ ، ثم خندق المسلمون والمشركون فكانوا يتراوحون القتال و يرجعون إلى خندقهم ، فكانوا كذلك شهرًا . فبينا الناسُ ليلةً كذلك إذ سمع المسلمون فى عسكر المشركين ضوضاءَ شديدة ، فكأنّها ضوضاءُ هزيمة فقال العلاء : مَن يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله بن حذف : أنا آتيكم بخبر القوم — وكانت أمُّه عِجليّة — فخرج حتّى إذا دنا من خندقهم أخذوه فقالوا له : مَن أنت ؟ فانتسب لهم وجعل ينادى ياأبجراه ! فجاء أبجر بن بُجَير فعرفه فقال : ما شأنك ؟ فقال لا أُضيعنّ الليلةَ بين اللّهازم ، علامَ أقتَل وحولى عساكرُ من عِجل وتَيم اللات وعَنَزة وقيس ، أيتلاعبُ بى الحطَم ونُزّاعُ القبائل وأنتم شهود ! فتخلّصه وقال : والله إنّى لأظنك بئسَ ابن الأخت لأخوالك الليلةَ . قال : دَعْنى من هذا وأطعمنى ، فقد مِتُّ جوعا . فقرب إليه طعامًا فأكل . ثم قال : زوّدنى واحملنى وجوِّزْنى انطلق إلى طِيّتى . و يقول ذلك لرجلٍ قد غلبَ عليه الشراب ، ففعل وحمله على بعير وزوّده وجوّزه . وخرج عبدُالله حتّى دخل عسكر المسلمين ، فأخبرهم أنّ القوم سُكارى ، فخرج القومُ عليهم حتى اقتحموا عَسكَرهم فوضعوا فيهم السيوفَ حيث شاءوا ، واقتحموا الخندقَ هُرّابا ، فمتردٍّ ، وناجٍ ، ودَهِشٌ ، ومقتولٌ ، ومأسور . واستولى المسلمون على ما فى العسكر ، ولم يفلت رجلٌ إلّا بما عليه . فأمّا أبجر فأفلتَ ، وأمّا الحطم فإنه بَعِل[2] ودُهِش وطار فؤاده ، فقام إلى فرسه والمسلمون خِلالهم يجوسونهم ليركبه ، فلما وضع رِجلَه فى الركاب انقطع ، فمر به عفيف بن المنذر أحد بنى عمرو بن تميم ، والحطم يستغيث و يقول : ألَا رجلَ من بنى قيس بن ثعلبة يَعقِلنى ؟ فرفع صوتَه فعرفه عفيفٌ فقال : أبو ضبيعة ؟

---

(١) فى الأصول : « وفيمن قدم عليه » . رأيت ما فى الطبرى .

(٢) بعل : دهش وفرق فلم يدر ما يصنع .

قال : نعم . قال : أعطنى رجلك أعقلك . فأعطاه رجله يعقُلها فنفحَها فأطنّها من الفخذ وتركه [1]، فقال : أجهِزْ علىّ . فقال : إنّى لأحبُّ أن لا تموتَ حتى أمِضَّك . وكان مع عفيف عِدّةٌ من ولدِ أبيه فأصيبوا ليلتئذ ، وجعل الحطم يقول ذلك لمن لا يعرفه حتّى مرّ به قيس بن عاصم فقال له ذلك فعرفه، فمالَ [2] عليه فقتله ، فلما رأى فخذه نادرة [3] قال : واسوأتاه ! لو عرفتُ الذى به لم أحرِّكه . وخرج المسلمون، بعد ما أحرزُوا الخندق، على القوم يطلبونهم، فاتّبعوهم فلحق قيسُ بن عاصم أبجَر، وكان فرس أبجـر أقوى من فرس قيس ، فلما خشى أن يفوتَه طعنَه فى العرقوب فقَطَع العصبَ وسَلِم النَّسا . فقال عفيفُ بن المنذر فى ذلك :

فإن يرقأ العـرقوبُ لا يرقأ النَّسا * وما كلُّ من تلـق بذلك عالمُ
ألم تر أنَّا قـد فَللنا حُماتَهـم * بأسرةِ عمـرو والرِّباب الأكارمِ

وأسر عفيف بن المنذر الغرورَ بن أخى النعمان بن المنذر، فكلّمته الرِّباب فيه وكان ابنَ أختهم [4] وسألوه أن يُجيره، فجاء به إلى العلاء قال : إنّى أجرته . قال : ومن هو ؟ قال : الغرور . قال العلاء : أنت غررتَ هؤلاء ؟ قال : أيُّها الملك إنّى لست بالغَرور، ولكنّى المغرور . قال : أسلِمْ . فأسلمَ وبقى بهجَر . وكان الغَرور اسمَه، ليس بلقب . وقتل [5] العفيف أيضا المنذرَ بن سويد أخا الغرور لأمّه، وكان له يومئذ بلاءٌ عظيم فأصبح العلاء يقسِّم الأنفال، ونفّل رجالًا من أهل البلاء ثيابًا، [فكان فيمن نفّل

(١) نفحه بالسيف : تناوله به . أطنّها : قطعها . (٢) حـ : « فات عليه » وأثبت ما فى ها ، مب وفى سائر النسخ : « فصلت عليه » ، صوابهما من الطبرى (٣ : ٢٥٨) .
(٣) نادرة : ساقطة . فى الأصول : « نادرا » ، والفخذ مؤنثة . وجاء على الصواب فى الطبرى .
(٤) الطبرى : « وكان أبوه ابن أخت القوم » . (٥) وقتل ، هى فى أ : « وقيل » وفى سائر النسخ : « وكان » ، صوابها من ها ، مب والطبرى . وكلمة « أيضا » هى فيما عدا حـ ، أ ، ها ، مب « بن » . وهذه الكلمة ليست فى الطبرى .

عفيفُ بن المنذر ، وقيسُ بن عاصم ، وثُمامة بن أُثال . فأما ثُمامة فنفّل ثيابا [(1)
فيها خَميصةٌ ذات أعلام ، وكان الحُطَم يُباهي فيها . وباع الباقى ، وهرب الفَلّ(2)
إلى دارِينَ فركبوا إليها السُّفن ، بجمعهم الله عزّ وجل بها ، وندبَ العلاءُ الناسَ
إلى دارِينَ ، وخطبهم فقال : إنّ الله عزّ وجل قد جمع لكم أحزابَ الشيطان ،
وشُذّاذ الحرب(3) فى هذا اليوم ، وقد أراكم من آياته فى البرّ(4) لتعتبروا بها فى البحر ،
فانهضوا إلى عدوّكم ثم استعرِضوا البحرَ إليهم ، فإنّ الله جل وعزّ قد جمعهم به .
فقالوا : نفعلُ ولا نَهاب والله بعدَ الدهناء هولًا(5) ما بقينا ! فارتحلَ وارتحلوا حتى
أتى ساحلَ البحر فاقتحموا على الخيل ، هم والحَمولة والإبلُ والبغال ، الراكب
والراجل(6) ، ودعا ودعوا ، وكانَ [دعاؤه و](7) دعاؤهم : يا أرحمَ الراحمين ، يا كريمُ يا حليم ،
يا صمدُ يا حىُّ يا محيى الموتى ، يا حىُّ يا قيوم ، لا إله إلا أنتَ يا ربَّنا . فأجازوا
ذلك الخليجَ بإذن الله ، يمشون على مثلِ رملةٍ مَيثاء فوقها ماءٌ يغمرُ أخفافَ الإبل ،
و بين الساحل ودارينَ مسيرةُ يومٍ وليلةٍ لسُفُن البحر . ووصلَ المسلمون إليها
فما تركوا من المشركين بها مُخْبِرا(8) ، وسبَوا الذَّرارى ، واستاقوا الأموالَ ، فبلغ من
ذلك نَفَل الفارس من المسلمين ستّة آلاف ، والراجلِ ألفين . فلما فرغوا رجَعوا
عودَهم على بَدئهم ، وفى ذلك يقول عَفيف :

ألم تر أنّ الله ذلّل بحرَه * وأنزلَ بالكفّار إحدى الجلائل
دعَونا الذى شقّ البحارَ بجاءنا * بأعجبَ من شقّ البحار الأوائل(9)

(1) التكملة من تاريخ الطبرى (٣ : ٢٥٩) .
(2) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .
(3) فى الطبرى : « وشرد الحرب » .
(4) فى الطبرى : « البحر » .
(5) فى الأصول : « هؤلاء » ، صوابه من الطبرى .
(6) فى الطبرى : « فاقتحموا على الصاهل والجامل والشاحج والناهق ، الراكب والراجل » .
(7) التكملة من الطبرى .
(8) مخبرا ، أى أحدا يخبر بما كان ، يريد أنهم استأصلوهم .
(9) فى الطبرى : « من فلق » .

وأقفل العلاءُ الناسَ[1] إلّا من أحبّ المُقام، فاختار ثُمَامة بن أثال الذى نفّله العلاء خميصةَ الحُطَم حين نزل على ماءٍ لبنى قيس بن ثعلبة ، فلمّا رأوه عرفوا الخميصة فبعثوا إليه رجلًا فسألوه : أهو الذى قتل الحُطَم ؟ قال : لا، ولوددتُ أنّى قتلته . قال : فأنّى لك حُلّته ؟ قال: نُفِّلتها . قالوا : وهل يُنفَّل إلا القاتل . قال : إنها لم تكن عليه إنّما كانت فى رَحله . قالوا : كذبت . فقتلوه ، وكان بهجرٍ راهبٌ فأسلم فقيل له : ما دعاك إلى الإسلام فقال : ثلاثة أشياءَ خشيتُ أن يمسخنى الله بعدها إن أنا لم أفعل : فَيضٌ فى الرمال ، وتمهيدُ أثباج البحور ، ودعاءٌ سمعته فى عسكرهم فى الهواء من السّحر . قالوا : وما هو ؟ قال : «اللهمّ إنك أنت الرحمن الرحيم ، لا إله غيرك ، والبديع ليس قبلك شىء ، والدائم غيرُ الغافل ، والحىّ الذى لا يموت، وخالقُ ما يُرى وما لا يُرى ، وكلّ يومٍ أنتَ فى شأن،وعلمْتَ اللهم كلّ شىء بغير تعليم»[2] . فعلمتُ أنّ القوم لم يُعاوَنوا بالملائكة إلاّ وهم على أمرِ الله جلّ وعز .

فلقد كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعون هذا من ذلك الهجرىّ بعد .

صـــوت

يا خليلىَّ من مَلامٍ دعانِى * وألِمّا الغداةَ بالأظعانِ
لا تلوما فى آل زينبَ إنّ الـ * ـقلبَ رهنٌ بآلِ زينبَ عانِ[3]

الشعر لعمر بن أبى ربيعة ، والغناء للغريض ، خفيف رمل بالبنصر . وهذا الشعر يقوله فى زينب بنت موسى ، أخت قُدامة بن موسى الجمحىّ .

---

(١) أقفلهم : أرجعهم . والقفول : الرجوع . (٢) فى الطبرى : « تعلم » .
(٣) العانى : الأسير .

أخبرني حرمي بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزُّبير بن بكار قال : حدّثني عبدالملك بن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة، قال: حدّثني قُدامة بن موسى قال :

عمر بن أبي ربيعة وزينب بنت موسى

خرجتُ بأختي زينبَ بنت موسى إلى العُمرة ، فلما كنتُ بسَرِف[1] لقيني عمرُ بن أبي ربيعة على فرسٍ فسلّم عليّ ، فقلت : إنّي أراك متوجِّها يا أبا الخطاب؟ قال : ذُكرت لي امرأةٌ من قومي بَرْزَة الجمال[2] ، فأردت الحديث معها . قلت : أمَا علمتَ أنّها أختي؟ قال : لا والله . واستحيا وثنَى عنقَ فرسه راجعًا إلى مكة .

٥

أخبرني حرمي قال حدّثني الزبير : قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد العزيز[3] الزهري قال :

نَسَب[4] ابن أبي ربيعة بزينبَ بنت موسى الجمحيّ ، أخت قُدامة بن موسى ، فقال :

١٠

* يا خليليّ من ملامٍ دَعانى *

٥٠/١٤

وذكر البيتين وبعدهما :

لم تَدَعْ للنِّساء عندي نصيبًا * غيرَ ما قلتُ مازحًا بلساني

فقال له ابن أبي عتيق : أمّا قلبك فمغيَّب عنّا ، وأمّا لسانُك فشاهدٌ عليك .

أخبرني الحرمي قال : حدّثني الزبير قال : قال عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد العزيز الزهري : لمّا نسَبَ عمر بن أبي ربيعة بزينب قال :

١٥

لم تَدَعْ للنِّساء عندي نصيبًا * غيرَ ما قلتُ مازحًا بلساني

---

(١) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .   (٢) برزة الجمال : بارزة المحاسن .

(٣) أ : « عبد الرحمن بن عبد العزيز » ، لكنه ورد كاملا في السند التالي .

(٤) كذا على الصواب في أ ، ها ، مب . وفي سائر النسخ : « تشبب » .

٢٠

قال له ابن أبى عتيق : رضِيت لها بالمودّة ، وللنساء بالدّهفشَة[1] .

قال : والدهفشة : التجميش[2] والخديعة بالشىء اليسير .

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدّثنا الزبير قال : أخبرنى مثلَ ذلك عبدُ الملك بن عبد العزيز ، عن يوسف بن الماجشون قال :

فبلغ ذلك أبا وداعة السهمى فأنكره ، فقيل لابن أبى عتيق : أبو وداعة قد اعترَض لعمر بن أبى ربيعة دون زينب بنت موسى الجمحىّ وقال : لا أُقِرُّ له أن يذكرَ فى الشعر امرأةً من بنى هُصَيص . فقال ابن أبى عتيق : لا تلوموا أبا وداعة أن يُنْعِظَ من سمرقند على أهل عدن .

قال عبد الملك : وفيها يقول أيضا عمر :

طالَ عن آل زينب الإعراضُ * للتعــزّى وما بنا الإبغاضُ

ووليــدًا قد كان عُلِّقها القلـ * ـبُ إلى أنْ علا الرءوسَ البياض

حبلُها عنــدنا متينٌ وحَبـلِى * عنـدَها واهنُ القـوى أنقاضُ

غنّاه ابن محرز رمل بالبنصر عن حبش . وفيها يقول أيضا :

صـــوت

أيها الكاشح المعـيِّر بالصُّـرْ * مِ تزحزَحْ فما بها الهجرانُ

لا مطاعٌ فى آل زينبَ فارجـعْ * أو تكلَّمْ حتّى يمَـلَّ اللسانُ

فاجعـلِ الليـلَ موعِدًا حين يمسى * ويُعـفِّى حديثَنا الكتمانُ

كيف صبرى عن بَعضِ نفسى وهل يَصـ * ـبِرُ عن بعضِ نفسِـه إنسان

---

(١) الدهفشة ، فسرت فى اللسان تفسيرا مطابقا لما سيأتى . أ ، ها ، مب : « بالدهشة » حـ : « بالدهشة » محرفتان عما أثبت من سائر النسخ .

(٢) التجميش : المغازلة والتقريص والملاعبة . وفى س ، أ « التخميش » ، محرف .

ولقد أشهدُ المحدّث عند ال * قصر فيه تعفف وبيان

في زمانٍ من المعيشة لَذٍّ * قد مضى عصره وهذا زمانُ

عروضه من الخفيف ، غناه ابن سريج ، ولحنه رمل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية ، ووافقته دنانير . وذكر يونس أنّ فيه لابن محرز ولابن عباد الكاتب لحنين ، ولم يجنّسهما . وأوّل لحن عباد : « لا مطاع في آل زينب » ، ٥
وأوّل لحنِ ابن محرز : « ولقد أشهد المحدّث » .

قال : وفيها يقول أيضا :

صوت

أحدّث نفسي والأحاديثُ جمّةٌ * وأكبر همّي والأحاديثِ زينبُ

إذا طلعَتْ شمسُ النهار ذكرتُها * وأحدث[1] ذكراها إذا الشمسُ تغرب ١٠

ذكر حمّادٌ عن أبيه أنّ فيه للهذليّ لحنًا لم ينسبْه .

٥١/١٤

صوت

يا نُصبَ عيني لا أرى * حيثُ التفتُّ سواكِ شيّا

إنّي لَميْتٌ إن صَدَد * تِ وإن وصلتِ رجعتُ حيّا

الشعر لعليّ بن أديم الجعفي الكوفي ، والغناء لعمرو بن بانة ، رمل بالوسطى . ١٥

(١) ما عدا ـ : « فأحدث » .

ذكر على بن أديم[1] وخبره

حب على بن أديم لمنهلة وشهرته بذلك

هو رجلٌ من تجار أهل الكوفة كان يبيع البزّ، وكان متأدِّبا صالحَ الشعر، يهوى جاريةً يقال لها منهلة، واستُهِيم[2] بها مدّة ثم بيعت فمات أسفًا عليها. وله حديثٌ طويل معها فى كتابٍ مفرد مشهور، صنعهُ[3] أهلُ الكوفة لهما، فيه ذكر قِصصهما وقتًا وقتا، وما قال فيها من الأشعار. وأمرُهما متعالَم عند العامّة، وليس مما يصلح الإطالة به.

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنى محمد[4] بن داود بن الجراح قال حدّثنا أحمد بن أبى خيثمة قال: قال دعبل بن على:

كان بالكوفة رجلٌ يقال له علىّ بن أديم، وكان يهوَى جاريةً لبعض أهلها، فتعاظَم أمرُه وبيعت الجاريةُ فمات جزعًا عليها، وبلغها خبرُه فماتت.

قال: وحدّثنى بعضُ أهل الكوفة أنّه عَلِقها وهى صبيةٌ تختلف[5] إلى الكتّاب، فكان يجىء إلى ذلك المؤدِّب فيجلس عنده لينظرَ إليها، فلما أن بلغَتْ باعها مواليها لبعض الهاشميين، فمات جزعا عليها. قال: وأنشدنى له أيضا:

---

(١) هذا ما فى ط فى كل موضع ورد فيه الاسم من هذه الترجمة. وط هذه هى أوثق نسخ الأغانى وأصحها على الإطلاق. وتوافقها فى هذا نسخة أ، ها، مب، وهى تلى ط فى الجودة. وفى سائر النسخ «آدم». وقد جاء على الصواب فى فهرست ابن النديم ٣٠٦ ليبسك ٤٢٦ فى أسماء العشاق من سائر الناس: «كتاب على بن أديم ومنهلة».

(٢) كذا على الصواب فى حـ. وفى سائر النسخ: «استهام» محرف.

(٣) ما عدا حـ: «صنفه».

(٤) أ: «عمر بن داود بن الجراح».

(٥) حـ: «تختلف»، وفى سائر النسخ: «فتختلف»، والوجه ما أثبت.

صــــوت

صاحُوا الرَّحيلَ وحثَّني صحبي * قالوا الرواحُ فطيِّروا لُبِّي
واشتقتُ شوقاً كاد يقتلني * والنفسُ مشرفة على نَحْبِ[1]
لم يَلْقَ عند البينِ ذو كلَفٍ * يوماً كما لاقيتُ من كَرْبِ
لا صبرَ لي عند الفراق على * فَقْدِ الحبيب ولوعةِ الحُبِّ[2]

الشعر لعليّ بن أديم الكوفي الجعفي، والغناء لحكم الوادي. وذكر حبشٌ أن لإبراهيم ابن أبي الهيثم فيه لحناً[3]. والله أعلم.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال: حدّثني أبو بكر العمري قال: حدّثني دِعبل بن عليّ قال:

كان بالكوفة رجلٌ من بني أسد يقال له عليّ بن أديم، فهوِيَ[4] جارية لبعض نساءِ بني عبس، فباعتْها لرجلٍ من بني هاشم، فخرج بها عن الكوفة، فمات على ابن أديم جزعاً عليها بعد ثلاثةِ أيام من خُروجها، وبلغها خبرُه فماتت بعده[5]، فعمل أهلُ الكوفة لهما أخبارا هي مشهورةٌ عندهم.

جزعه على منهلة

حدّثني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثنا أبو بكر العمري[6] قال حدّثنا أبو صالح الأزديّ قال: حدّثنا محمد بن الحسين الكوفيّ قال: حدّثنا محمد ابن سَماعة قال:

(١) النحب: الموت. (٢) إلى هنا ينتهي سقط ط الذي بدأ في ص ٢٥٥.
(٣) كذا الصواب في ط، أ. وفي سائر النسخ: «لحنان» محرف.
(٤) ما عدا ط، أ، ها، مب: «يهوى». (٥) هذه الكلمة من ط، أ، مب.
(٦) س: «العمري».

آخر مَن مات من العشق علىُّ بن أديم الجُعْفِىّ، مرّ بمكتبٍ فى بنى عبس بالكوفة، فرأى فيه جارية تسمّى مَنهلةَ ، عليها ثيـابُ سوادٍ ، فاستُهِيم بها وأعجبتْه ، وكلِف بها وقال فيها :

إنّى لمـا يعتـــادنى * من حبِّ لابسة السوادِ
فى فتنـــةٍ وبليّـــةٍ * ما إنْ يطيقهما فـُؤادى
فبقِيتُ لا دنيـا أصيـ * ـبُ وفاتنى طلبُ المَعادِ

وسأل عنها فإذا لهـا مالكةٌ عبسية ، وكان ابن أديم خزّازا[1] ، فتحمّل أبوه بجماعةٍ من التُّجّار على مولاتها لتبيعَها فأبت ، وخرج إلى أمّ جعفر ورفع إليها قصّتَه يسألها فيها المعونةَ على الجارية ، فخرج له توقيعٌ بما أحبّ ، وأقام يتنجّز تمامَ أمره . فبينا هو ذاتَ يومٍ على باب أم جعفر إذْ خَرجت امرأةٌ من دارها فقالت : أينَ العاشق ؟ فأشاروا إليه فقالت : أنت عاشقٌ و بينك و بين من تحبُّ القناطرُ والجسور ، والمياه والأنهار، مع ما لا يُؤمَن من حدوث الحوادث، فكيف تصبر على هذا، إنّك لجَسُورٌ صَبـورٌ ! فخامر قلبَه هـذا القولُ وجزع ، فبادر[2] فاكترى بغـلًا إلى الكوفة ، على الدخول ، فمـاتَ يوم دخول الكوفة .

---

(١) الخزاز : بائع الخز ، وهى ثياب تنسج من صوف و إبريسم . ما عدا حـ ، ها : «خرازا» وهذا لا يوافق ما فى أوّل خبره أنه كان يبيع البز .   (٢) ما عدا ط ، ها ، مب : « فنادى » .

ذكر عمرو بن بانة

نسبه وغناؤه

هو عَمرو بن محمد بن سليمان بن راشد، مولى ثقيف . وكان أبوه صاحبَ ديوانٍ ووجهًا من وجوه الكتّاب، ويُنسَب إلى أمه بانة [بنت روح](١) القحطبية(٢) . وكان مغنّيًا مُحسنا، وشاعرًا صالح الشعر، وصنعته صنعةٌ متوسّطة، النادرُ منها ليس بالكثير(٣)، وكان يُقعده عن اللَّحاق بالمتقدّم(٤) فى الصنعة أنه كان مرتجلا، والمرتجل من المحدَثين لا يلحق الضُّرّابَ . وعلى ذلك فما فيه مَطعن، ولا يقصّر جيّد صنعته عن صنعة [غيره من](٥) طبقته وإن كانت قليلة، وروايته أحسنُ رواية . وكتابه فى الأغانى أصلٌ من الأصول، وكان يذهبُ مذهبَ إبراهيم بن المهدى فى الغناء وتجنيسه، ويخالف إسحاقَ ويتعصّب عليه تعصّبا شديدا، ويواجهُه بذلك وينصرُ إبراهيم ابن المهدىّ عليه . وكان تيّاها معجبا شديدَ الذهاب بنفسه، وهو معدودٌ فى ندماء الخلفاء ومغنّيهم، على ما كان به من الوضَح . وفيه يقول الشاعر :

تعصبه لإبراهيم ابن المهدى وتعصبه على إسحاق

أقولُ لعمرٍو وقد مرَّ بى * فسلّمَ تسليمةً جافيه

لئن وصّلوك بفَضْل الغناء(٦) * لقد فضّل الله بالعافيه

حسن حكايته لأستاذه

وقال ابن حمدون : كان عمرو حسن الحكاية لمن أخذ الغناءَ عنه، حتّى كان مَن يسمعُه لو توارى عن عينه عمرو ثم غنّى لم يشكُك فى أنّه هو الذى أخذ عنه، لحسْن حكايته، وكان محظوظًا(٧) ممن يعلّمه، ما علّم أحدًا قطُّ إلا خرَج نادرًا مبرِّزا .

(١) التكملة من مب . (٢) ما عدا ط ها، مب : « القحطية »، تحريف . ولعلها منسوبة إلى آل قحطبة، ومنهم حميد والحسن ابنا قحطبة . (٣) ما عدا ط، ها، مب : « النـادر منها ما ليس بالكثير » . (٤) ما عدا ط، حـ، ها، مب : « بالتقـدم » . (٥) التكملة من ط . (٦) ما عدا ط، ها، مب : « لئن فصل الله فضل الغناء » . (٧) ما عدا ط، ها، مب : « محفوظا » تحريف .

فأخبرنى جحظة قال حدّثنى أبو العُبَيْس بن حمدون قال : قال لى عمرو ابن بانة : علّمتُ عشرةَ غلمان كلُّهم تبينتُ[1] فيهم الثقافة والحذق، وعلمتُ أنه يتقدم[2]، أحدهم أنت، وتمرة، وما تبينت[1] قطُّ من أحدٍ خلافَ ذلك فعلمتُه .

وقال محمد بن الحسن الكاتب : حدّثنى أبو حارثةَ الباهلىّ[3] عن أخيه أبى معاوية قال :

بين إسحاق وعمرو ابن بانة

سمعتُ عمرو بن بانةَ يقول لإسحاقَ فى كلامٍ جرى بينهما : ليس مثلى يقاس بمثلك ، لأنّك تعلّمت الغناء تكسُّبا ، وتعلّمتُه تطرّبا، وكنت أُضرَب لئلا أتعلّمه، وكنتَ تضرب حتى تتعلّمه .

وأخبرنى على بن سليمان الأخفش قال حدّثنى محمد بن الحسن [بن][4] الحَرُون قال :

اتهامه بخادم يقال له مفحم

اجتمع عمرو بن بانة والحُسين بن الضّحاك فى منزل ابن شَعُوف، وكان له خادمٌ يقال له مُفْحَم[5]، وكان عمرو يتّهم به، فلما أخذ[6] فيه الشراب سأل عمروٌ الحسينَ ابن الضحاك أن يقول فى مُفْحَم شعرًا ليغنى فيه ، فقال الحسين :

وا بأبى مُفحـم لِغـرّته[7] * قلتُ له إذ خلوتُ مكتتِما
تحب بالله من يخصُّك بالحـ[8] * ـبِّ فما قال لا ولا نعما

الشعر لحسين بن الضحاك، والغناء لعَمرو بن بانة، ثانى ثقيل بالبنصر .

(١) ما عدا ط ها، مب: «ثبتت» ، محرف . (٢) هذه الكلمة من ط، ها، مب، وموضعها بياض فى حـ. ويتقدم، هى فيا عدا ط : «متقدم» . (٣) ما عدا ط ، ها، مب : «أبو جارية الباهلى» . (٤) هذه من ط ،ها ،مب . (٥) ما عدا ط، ها، مب : «مقحم» بالقاف ، فى كل موضع ورد فيه من هذه الأخبار . (٦) ما عدا ط ، ها، مب : «فيهم» . (٧) الغرة والغرارة : الغفلة وضعف التجربة . ما عدا ط ، جـ ، ها ، : «لعزته» .
(٨) ما عدا ط، ها، مب : «من يخصك بالود» .

قال : فغنى فيه عمرو . ولم يزل هذا الشعرُ غناءهم، وفيه طربُهم، إلى أن تفـرّقوا . وأتاهم فى عشيّتهم إسحاق بن إبراهـيم الموصلى فسألوا ابن شـعوف أن[1] لا يأذن له، فحجَبه، وانصرف إسحاق بن إبراهيم الموصلى إلى منزله، فلما تفرّقوا مرّ به الحسينُ بن الضحاك وهو سكران، فأخبره بجميع ما دارَ بينهما فى مجلسهم، فكتب

٥ إسحاق إلى ابن شعوف :

يا ابن شـعوفٍ أمَا سمعتَ بمـا * قد صار فى النـاس كلِّهم علَمـا

أتاك عمـرٌو فبات ليلَتـه * فى كلِّ ما يُشتهَى كما زَعَمـا

حتّى إذا ما الظلامُ خالطَـه * سرى دبيبًـا بخامع الـندَما

تُمّتَ لم يرضَ أن يفوز بذا * سِرًّا ولكن أبدى الذى كتما

١٠ حـتّى تغنّى لفـرط صَـبوته * صوتًا شفَى من فؤاده السَّـقَما

« وا بأبى مفحَـم لغـرته * قلتُ له إذ خلـوت مكتتما[2]

تحبُّ بالله من يخصّـك بالـ * ـودّ فمـا قال لا ولا نعـمـا »

فهجر ابن شعوف عمرو بن بانة مدّةً وقطع عِشرته .

وأخبرنى محمد بن العباس اليزيدى بهذا الخبر قال : حدّثنى ميمون بن الأزرق[3]

١٥ قال :

عشقه لحسين الغلام

كان لمحمد بن شعوف الهـاشمىّ ثلاثةُ غلمانٍ مغنّين ، ومنهـم اثنان صَقْلبيان محبوبان : خاقانُ وحسين، وكان خاقانُ أحسنَ الناس غِناء ، وكان حسـين يغنّى غناءً متوسطا، وهو مع ذلك أضْرَبُ النـاس، وكان قليلَ الكلام جميلَ الأخلاق،

(١) ما عدا ط ، ها ، مب : « ابن شفوف » فى هذا الموضع وسائر المواضع التالية . وقد سبق
٢٠ اتفاق النسخ على « شعوف » فى أول موضع ورد فيه . (٢) ما عدا ط ، جـ ، ها ، مب :
« لعزته » . (٣) ما عدا ط ، ها ، مب : « ميمون بن هارون » .

أحسنَ الناس وجهًا وجسما، وكان الغلام الثالث فلًّا يقال له حجّاج، حسن الوجه رومىّ [حسن](١) الغناء، فتعشّق عمْرو بن بانة منهم المعروفَ بحسين وقال فيه:

وا بأبى مفحمٌ لغرته * قلتُ له إذ خلوت مكتتما
تحبُّ باللّه من يخصّك بال‍ * ـودّ فما قال لا ولا نعما

ولم يذكر غير هذا.

٥

وقال محمد بن الحسن: حدّثنى أبو الحسين(٢) العاصمى قال:

جودة غنائه

دخلت أنا وصديقٌ لى على عمرو بن بانة فى يوم صائف، فصادفْناه جالسا فى ظلٍّ طويلٍ ممتع(٣)، فدعانى إلى مشاركته فيه، وجعل يغنّينا يومَه(٤) كلَّه لحنَه:

صوت

١٠

نِقابُكِ فاتنٌ لا تفتنينا * ونَشْرُكِ طيّبٌ لا تحرمينا
وخاتَمكِ اليمانِى غيرَ شكٍّ * خَتمتِ به رقابَ العالمينا

الغناء لعمرو بن بانة، هزج خفيف بالبنصر.

٥٤/١٤

قال: فما طربت لغناءٍ قطُّ طربى له، ولا سمعت أشجى ولا أكثر نغمًا، ولا أحسنَ من غنائه(٥).

أخبرنى جحظة قال: حدّثنى أبو حشيشة قال:

١٥

عمرو بن بانة وجعفر الطبال

كنت يومًا عند عمرو بن بانة، فزاره خادمٌ كان يحبّه [فأقام عنده(٦)]، فطلب عمرٌو فى الدنيا كلّها مَن يضرب عليه فلم يجد أحدا، فقال له جعفرٌ الطبّال: إنّ أنا

(١) هذه من ط، ها، مب فقط. (٢) ها، مب: «أبو الحسن» وفى سائر النسخ ط: «أبو الحسين». وفى سائر النسخ: «عمرو بن الحسين». (٣) ما عدا ط، ها، مب: «ممتنع». (٤) ما عدا ط جـ، ها، مب: «يومنا».

٢٠

(٥) ما عدا ط، ها، مب: «ولا أحسن مما غناه». (٦) هذه من ط، ها، مب فقط.

غَنّيتك اليوم على عُودٍ يُضرَب به عليك، أَىُّ شىء لى عندك ؟ قال : مائة درهم ودَستيجة نبيذ[1] . وكان جعفرٌ حاذقًا متقدّما نادرا طيبا[2]، وكان نذْلَ الهمّة[3]، فقال : أَسمِعنى مَخرج صوتك . ففعلَ فسوّى عليه طبلَه كما يسوى الوَتر، واتكأ عليه بركبته فأوقع عليه[4] . ولم يزل عمرٌو يغنّى بقية يومه على ايقاعه لا ينكر منه شيئاً حتى انقضى يومُنا ودفع إليه مائةَ درهم، وأحضر الدستيجة[5] فلم يكن له مَن يحملها، فحملها جعفرٌ على عنقه، وغطّاها بطيلسانه وانصرفا .

مقاضاة جعفر الطبال لإبراهيم ابن المهدى

قال أبو حشيشة : فحدّثت بهذا الحديث إسحاق بن عمرو بن بَزِيع ، وكان صديقَ إبراهيم بن المهدى ، فحدّثنى أنّ إبراهيم بن المهدى قال له : يا جعفر حَذِّق فلانةَ جاريتى ضربَ الطبل، ولك مائةُ دينار أُعجِّل لك منها خمسين . قال : نعم . فعجِّلت له الخمسون وعلّمها، فلما حَذَقت طالبَ إبراهيمُ بتتمّة المائة فلم يعطه ، فاستعدَى عليه أحمد بن أبى دُوادٍ[5] الحسنى خليفتَه فأعداه، ووكّل إبراهيم وكيلا، فلما تقدّم مع الوكيل إلى القاضى[6] أراد الوكيلُ أن يكسر حجّة جعفر فقال : أصلحَ الله القاضى ، سَلْه من أين له هذا الذى يدّعى ؟ وما سببه ؟ فقال جعفر : أصلح الله القاضى أنا رجلٌ طبّالٌ، وشارطنى إبراهيمُ على مائة دينارٍ على أن أُحذّق جاريتَه فلانة، وعجّل لى بخمسين دينارا ومنعنى الباقَ بعد أن رَضِى حِذقَها ، فيُحضِر القاضى الجارية

(١) الدستيجة : مأخوذة من « دستى » الفارسية ، جاء فى القاموس : « الدستيج : آنية تحول باليد، معرب دستى » . وفى المعجم الفارسى الانجليزى لاستينجاس ٥٢٥ أنها كل وعاء يمكن رفعه باليد :
" any vessel wich can be lifted up by the hand ".
ها ، مب : « دستجة » . ما عدا ط ، جـ : « دستيبجة » محرف .
(٢) ما عدا ط ، ها : « بادرا نادرا » . (٣) ما عدا ط ، ها ، مب : « وكان بذل الهمة » وفى هامش ط : « بذ الهيئة » . (٤) هـذا ما فى ط . وفى جـ ، أ ، ها ، مب : « وأوقع عليه » س : « ووقع عليه » ، والأخيرة محرفة . (٥) س : « داود » .
(٦) ما عدا ط ، ها ، مب : «فلما تقدموا القاضى مع الوكيل» .

وطبلها، وأُحضر أنا طبلى، ويسمعنا القاضى، فإن كانت مثلى قضَى لى عليه، وإلّا حذّقها فيه حتى يرضى القاضى . فقال له القاضى : قُمْ عليك وعليها لعنة الله، وعلى من يرضى بذلك منك ومنها . فأخذ الأعوانُ بيده فأقاموه .

وقال على بن محمد المشامى[1] : حدّثنى جدى ابن حمدون قال :

عمرو بن بانة ورزق غلام علويه

كنت عند عمرو بن بانة يومًا ففتح بابَ داره فإذا بخادمٍ أبيضَ شيخٍ قد دخَل يقود بغلًا له عليه مَزادة، فلما رآه عمرٌو صرخ : لا إله إلا الله، ما أعجب أمرك يادنيا ! فقلت له : مالك ؟ قال : يا أبا عبد الله[2]، هذا الخادم رِزقٌ غلام[3] علّوية المغنى، الذى يقول فيه الحسين بن الضحاك الشاعر :

ياليت رزقًا كان من رزق * ياليتَه حظّى من الخلق

قد صار إلى ما ترى . ثم غنّانى لحنًا له فى هذا الشعر، فما سمعت أحسن منه منذ خلقت .

نسبة هذا اللحن

صوت

ياليت رزقًا كان من رِزقى * ياليتَه حظّى من الخلق
يا شادنًا ملّكتُه رقّى * فلستُ أرجُو راحةَ العتقِ

يتباع المتوكل له بيتا

الشعر للحسين بن الضحاك، والغناء لعمرو بن بانة، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى .

وقال على بن محمد المشامى : حدّثنى جدّى — يعنى ابن حمدون — قال : كنا عند المتوكّل ومعنا عمرو بن بانة، فى آخر يومٍ من شعبان فقال له عمرو : ياأمير المؤمنين،

---

(١) كذا فى ط، ها . وفى ب، مب : « البسامى » وأشير إليها فى هامش ط . وفى سائر النسخ : « الشامى » .
(٢) ما عدا ط، ها، مب : « يا عبد الله » .
(٣) ط، مب : « خادم » .

جعلنى الله فداءك، تأمرُ لى بمنزلٍ فإنه لا منزل لى يَسَعُنى . فأمر المتوكّل عبيدَ الله ابن يحيى بأن يبتاع له منزلًا يختاره . قال : وهجم الصوم وشُغِل عبيد الله، وانقطع عمرٌو عنا، فلما أهلَّ شوالٌ دعا بنا المتوكل فكان أولَ صوتٍ غناه عمرٌو فى شعرٍ هذا :

صـــــوت

مَلّاك ربِّى الأعيادَ تُخلِقها * فى طولُ عمرٍ ياسيدَ الناس[1]

دُفِعتُ عن منزلٍ أمرتَ به * فإنّنى عنـــه مباعَد خاس[2]

[فمـرْ بتسليمِه إلىّ على * رَغْم عدوّى بحرمة الكاس][3]

أعـوذ بالله والخليفة أن * يرجـع ما قلته على راسى

لحن عمرو فى هذا الموضع هزج بالبنصر .

١٠ فدعا المتوكّل بعبيد الله بن يحيى فقال له : لِمَ دافعتَ عمرًا بابتياع المنزل الذى كنت أمرتُك بابتياعه ؟ فاعتـلّ بدخول الصوم وتشعُّب الأشغال . فتقدّمَ إليـه أن لا يؤخّرَ ابتياعَ ذلك إليـه، فابتاعَ له الدور التى فى دورِ سُرَّ من رأى، بحضرة المعلّى بن أيوب . وفيها توفى عمرو .

امتحان عبد الله ابن طاهر للمغنين وفيهم عمرو

أخبرنى محمـد بن إبراهيـم قريص[4] قال : سمعت أحمـد بن أبى العـلاء ١٥ [يحدث أستاذى — يعنى محمد بن داود بن الجراح[5]] قال : جمع عبد الله بن طاهر بين المغنين وأراد أن يمتحنهم ، وأخرج بَدرةَ دراهمَ سَبَقًا[6] لمن تقدّم منهم وأحسن، فحضره مُخـارق ، وعلُّويه ، وعمرو بن بانة ، ومحمـد بن الحارث بن بسخُنَّر، فغنى

(١) ملاك الأعياد : متعك بها وأعاشك معها طويلا . تخلقها : تبليها . ماعدا ط، ها، مب « تخلقها » بالقاف . (٢) س : « رفعت » و « معبد » . الخاسئ : المبعد .

٢٠ (٣) هذا البيت من ط، ها، مب، ف فقط . (٤) ماعدا ط، ها، مب : «قريض» .

(٥) التكملة من ط، ها، مب، ف . (٦) السبق، بالتحريك : ما يجعل رهنا على المسابقة .

فلم يصنعْ شيئاً، وتبعه محمد بن الحارث فكانت هذه سبيلَه ، وامتدت الأعينُ إلى مخارق وعمرو، فبدأ مخارقٌ فغنّى :

إنى امرؤٌ من خيرهم * عمّى وخالى من جذامْ

فما نهنهَهُ عمرٌو مع انقطاع نَفَسه حتّى غنى :

يا ربعَ سلّامة بالمنحنَى * بخَيف سَلْع جادكَ الوابلُ

وكان إبراهيم بن المهدى حاضرًا فبكى طربا وقال: أحسنتَ والله واستحققت، فإن أعطيتَه و إلا نخذه من مالى ، ياحبيبي عنِّى أخذتَ هـذا الصوت ، وقد والله زدتَ علىّ فيه وأحسنتَ غاية الإحسان ، ولا يزال صوتى عليك أبدا . فقال له عبد الله : مَن حكَمت له بالسَّبق فقد حَصَل . وأمر له بالبَدرة فحُملت إلى عمرو .

ثم حدّثنا بعد ذلك أن إسحاق لقِيَ عمرو بن راشد الخناق فقال له : قد بلغنى خبرُ المجلس الذى جمع عبدُ الله فيه المغنِّين يمتحنهم ، ولو شاء لكان فى راحةٍ من من ذلك . قلت : وكيف ؟ قال : أمّا مخارق فأحسنُ القوم غناء إذا اتّفق له أن يحسن، وقلّما يتفق له ذلك . وأما محمد بن الحارث فأحسنهمْ شمائلَ ، وأملحهم إشارةً بأطراف وجهه فى الغناء، وليس له غير ذلك . وأما عمرو بن بانة فأعلمُ القوم وأرقاهم . وأما علّويه فمن أدخله ابنَ الزانية مع هؤلاء ؟

نسبة هـذين الصوتين

صـوت

إنّى امرؤ من خيرهمْ * عمِّى وخالى من جُـذامْ

خَودٌ كضوء البـدر أو * أضوَا لدَى الليـل التمـام (1)

يجـرِى وشاحاها على * نحـرٍ نقيٍّ كالرُّخـام (2)

والغناء لابن جامع ، رمل مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق .

(1) أضوا : أضوأ وأشد إشراقا .

(2) هذا ما فى ها : وفى مب « تجرى » . وفى سائر النسخ : « يخرى » .

صــوت

يا خليلىَّ من بنى شيبانِ ٭ أنا لاشكَّ ميّتٌ فابكيانى

إنّ روحى لم يَبق منها سوى شى ٭ ءٍ يسير مُعلَّق بلسانى

الشعر لأبى العتاهية ، والغناء لإبراهيم ، رمل بالوسطى عن عمرو والهشامى ٥ وإبراهيم .

عصب يزيد بن معن على أبى العتاهية

وهذا الشعر يخاطب به أبو العتاهية عبدَ الله وزائدةَ بنَ معن بن زائدة الشيبانى ، وكان صديقًا وخاصا بهما . ثم إنّ يزيد بن معن غضب لمولاة لهم يقال لها سُعدى ، وكان أبو العتاهية يشبِّب بها ، فضربه مائة سوط ، فهجاه وهجا إخوته ، ثم أصلَح بينهم مندلُ بن علىّ العبدى ، وهو مولى أبى العتاهية ، فعادَ إلى ما كان ١٠ عليه لهم .

فأخبرنى وكيع قال : حدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه . وأخبرنى أحمد ابن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنى على بن محمد النوفلى عن أبيه قالا : قولُ أبى العتاهية :

٭ يا خليلىَّ من بنى شيبان ٭

١٥ يخاطب به عبدَ الله ويزيد ابنى مَعن بن زائدة ، أو قال عبد الله وزائدة .

شعر أبى العتاهية فى سعدى

أخبرنى ابن عمار قال : حدّثنى زيد بن موسى بن حماد . وأخبرنى محمد بن يحيى قال : حدّثنى محمد بن سعيد . قال : حدّثنى أبو سويد عبد القوى بن محمد بن أبى العتاهية قال : كان أبو العتاهية فى حداثته يهوى امرأةً من أهل الحيرة نائحةً[1] ، لها حُسنٌ

---

(١) كذا فى ها ، مب . وفى س : « نالحة » . وفى جـ : « باعة » . وفى ا : « بالحة » .

وجمال ودَماثة ، وكان ممن يهواها أيضا عبدُ الله بن معن بن زائدة أبو الفضل ؛ وكانت مولاةٌ لهم يقال لها سعدى ، وكان أبو العتاهية مغروما بالنساء فقال فيها :

ألا يا ذواتِ السحق فى الغرب والشرق * أفقنَ فإنّ النيكَ أشهى من السحقِ
أفقن فإنّ الخبز بالأدم يشتهى * وليس يسوغ الخبزُ بالخبز فى الحلق
أراكُنّ ترقعن الخروقَ بمثلها * وأىُّ لبيب يرقع الخرق بالخرق ٥
وهل يَصلُح المِهراسُ إلّا بسوده * إذا احتيج منه ذاتَ يومٍ إلى الدقّ

قال وقال فيه أيضا :

قلتُ للقلب إذ طوى وَصلَ سُعدى * لهواهُ البعيدة الأنسابِ
أنتُ مثل الذى يفرُّ من القَطـ * ـر حِذارَ الندى إلى الميزاب

قال محمد بن محمد فى خبره : فغضِبَ عبد الله بن معنٍ لسُعَدى(1) ، فضرب ١٠ أبا العتاهية مائةً فقال :

جلَدتنى بكفِّها * بنتُ معن بن زائده
جلدتنى بكفِّها * بأبى أنتِ جالده
جلدتنى وبالغَتْ * مائةً غيرَ واحده
اِجلدى اجلدى اجلدى * إنّما أنتِ والده ١٥

بين عبد الله بن معن وأبى العتاهية

أخبرنى وكيع قال : حدّثنى أبو أيوب المدينى قال :

احتال عبد الله بن معن فضربَ أبا العتاهية ضربا غير مبرِّح ، إشفاقًا ممّا يغنى(2) به ، فقال :

اجلدى اجلدى اجلدى * إنّما أنت والده

(1) أ : «بسعدى» يقال غضب له ، ولا يقال غضب به إلا الميت . أنشد فى اللسان لدريد بن الصمة : ٢٠
فإن تعقب الأيام والدهر فاعلموا * بنى قارب أنا غضاب بمعبد
(2) أى من غنائه هنا ، مب : «من كثرة من» وفى سائر النسخ ما عدا جـ : «من» .

٥٧ / ١٤

أخبرنى محمد بن يحيى قال : حدّثنا الغلابى قال : حدّثنى مهدى قال :

تهدد عبدُ الله بن معن أبا العتاهية وخوّفه ونهـاه أن يعرض لمولاته سُعدى، فقال أبو العتاهية قوله :

ألا قل لابن معن و الذ * ى فى الودّ قـد حالا
لقـد بلِّغتُ ما قال * فـا باليتُ ما قالا
ولو كان من الأُسد * لما راعَ ولا هـالا
فصُغْ ما كنتَ حلّيتَ * به سـيفَك خَلخالا
فـا تصنع بالسيف * إذا لم تـكُ قتّـالا
ولـو مـدّ إلى أذنيـ * ـه كفّيـه لما نالا
قصـير الطُّول والطَّوْل * فـلا شبٌّ ولا طالا
أرى قومَـك أبطالا * وقـد أصبحتَ بطّالا

أخبرنى محمـد بن يحيى قال حدّثنى الحسن بن على الرازى قال حدّثنى أحمد ابن أبى قَنَن قال :

فزع عبد الملك وعبد الله بن معن من الهجاء

كنّا عند ابن الأعرابى فذكَرَ قول يحيى بن نوفل فى عبد الملك بن عمير القاضى :

إذا كلّمتْـهُ ذاتُ دَلٍّ لحـاجةٍ * فهمّ بأن يقضى تنحنحَ أو سعَلْ

وأن عبد الملك بن سليمان بن عمير[1] قال : تركَنى والله و إنّ السّعلة لتعرض لى فى الخلاء فأذكر قولَه فأتركها . قال : فقلت له : هـذا عبدُ الله بن معن بن زائدة يقول له أبو العتاهية :

فصُغْ ما كنت حلّيتَ * به سـيفك خلخالا
وما تصـنعُ بالسـيف * إذا لم تـكُ قتّـالا

(١) ط، ها، ب : « عبد الملك بن عمير » .

قال : فقال عبد الله : ما لبست السيفَ قطُّ فلمحنى إنسانٌ إلا قلت إنّه يحفظ شعر أبى العتاهية فىّ ، فينظر إلىّ بسببه . فقال ابن الأعرابى : اعجبوا إليه لعنه الله يهجو مولاه(١) ! وكان أبو العتاهية من موالى بنى شيبان .

هجاء أبى العتاهية لعبد الله بن معن

وقال محمد بن موسى فى خبره : وقال أبو العتاهية يهجو عبدَ الله بن معن :

لا تُكثرا يا صاحبىّ رحلى * فى شتم مَن أكثر من عذلى
سبحانَ من خصّ ابنَ معنٍ بما * أرى به من قلّة العقل
قال ابن معن وجلا نفسَه * علىّ من الجِلوةُ(٢) يا أهلى
أنا فتاةُ الحىِّ من وائلٍ * فى الشّرف الباذخ والنُّبل
ماقى بنى شيبان أهل الحِجى * جاريةٌ واحدةٌ مثلى
يا ليتنى أبصرتُ دلّالة * تدلُّنى اليوم على فحل
والهفتا اليومَ على أمردٍ * يُلصق منّى القُرط بالحِجْل
أتيتُه يومًا فصالحتُه * فقال دَعْ كفّى وخذْ رِجلى
يُكنَى أبا الفضل فيامَن رأى * جاريةً تكنى أبا الفضل
قد نقّطتْ فى خدّها نقطةً(٣) * مخافةَ العين من الكُحلِ
إنْ زُرتموها قال حُجّابُها * نحنُ عن الزوّار فى شغلِ
مولاتُنا خاليةٌ عندَها * بعلٌ ولا إذنَ على البعلِ
قولا لعبد الله لا تجهلَنْ * وأنتَ رأس النّوك والجهل
أتجلد الناسَ وأنت امرؤٌ * تُجلَد فى الدُّبْر وفى القُبْل

(١) ط ، ها ، مب : « اعجبوا لعبد يهجو مولاه » . (٢) الجلوة ، بالفتح والكسر : مصدر جلا العروس على بعلها . والجلوة بالكسر : ما تعطاه عند ذلك من مال أو هدية .

(٣) بعد هذا سقط فى مب ينتهى فى ٣٠١ .

تبـــذُّل ما يمنع أهلُ النـدى * هذا لعمرى مُنتهى البـــذلِ
ما ينبغي للنـاس أن يَنسبُوا * من كان ذا جـودٍ إلى البخلِ

وقال فى ضربه إياه :

ضربَتْـنى بكفِّهـا بنت معنٍ * أوجَعتْ كفَّها وما أوجعتْنى
ولعمرى لولا أذى كفِّها إذ * ضربَتْنى بالسَّـوط ما تركتنى

أخبرنى ابن عمار قال حدّثنى محمـد بن موسى ؛ وأخبرنى محمـد بن يحيى قال حدّثنى جبلة بن محمد (١) قالا : لمـا اتصل هجاء أبى العتاهية بعبد الله بن معن غضب من ذلك أخوه يزيدُ بن معن، فهجاه أبو العتاهية فقال :

هجاء أبى العتاهية ليزيد بن معن

بَنِى معنٍ ويهـــدِمُه يزيدُ * كذاك الله يفعلُ ما يريدُ
فمعنٌ كان للحساد غمًّا * وهذا قد يُسرُّ به الحسود
يزيدُ يزيد فى منع وبُخل * وينقُصُ فى النوال ولا يزيد

أخبرنى محمـد بن يحيى عن جبلة بن محمد قال حدّثنى أبى قال : [لمـا] (٢) هجـا أبو العتاهية بنى معن فمضَوا إلى مندلٍ وحيانَ (٣) ابنى علىٍّ العَنَزِيِّين الفقيهين، وكانا من سادات أهل الكوفة، وهما من بنى عمرو بن عمرو، بطن من يقدم بن عنزة (٤)، فقالوا لهما: نحن بيتٌ واحد وأهلٌ ولا فرق بيننا (٥)، وقد أتانا من مولاكم هذا مالو أتى من بعيد الولاء لوجَبَ أن تردَعاه. فأحضَرا أبا العتاهية ولم يكن يمكنه الخلاف عليهما، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيدَ ابنىْ معن، وضَمِنا عنه خُلوصَ النيـة، وعنهما ألاّ يتتبّعاه

استغاثة بنى معن بمندل وحيان لذلك

(١) ما عدا ط ، ها : « على بن محمد » . (٢) هذه من ط ، ها .
(٣) ما عدا ط ، ها : « حبان » بالباء الموحدة . (٤) كذا على الصـواب فى ها . وفى سه ، « تقدم بن عنزة » وفى ط : « صدم بن عنزة » وسائر النسخ : « تقدم من عنزة » .
(٥) ما عدا ط ، ها : « نحن واحد وأهل بيت لا فرق بيننا » .

بسوء ، وكانا ممن لا يمكن خلافهما، فرجعت الحال إلى المودّة والصفاء، وجعل الناسُ يعذِلون إبا العتاهية فيما فرط منه، ولامه آخرون على صُلحه لهم، فقال:

ما لعذّالى ومالى * أمَرونى بالضلالِ
عَذلونى فى اغتفارى * لابن معن واحتمالى
أنا منه كنت أكْبى * زَندةً فى كل حالِ ٥
كلُّ ما قد كان منه * فلقُبحٍ من فِعالى
إنما كانت يمينى * صَرَمتْ جهلاً شمالى (١)
مالهُ بل نفسُه لى * وله نفسى ومالى
قل لمن يعجب من حسـ * ـن رُجوعى وانتقالى
قد رأينا ذا كثيرًا * جاريًا بين الرجال ١٠
رُبَّ وصلٍ بعد صَدٍّ * وقِلًى بعد وصال

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن موسى قال :

رثاء أبى العتاهية لزائدة بن معن

كان أبو العباس زائدة بن معن صديقًا لأبى العتاهية، ولم يُعْنَ أخويه عليه ، فمات فرثاه فقال :

٥٩ / ١٤

حزنتُ لموت زائدةَ بنِ معن * حقيقٌ أن يطولَ عليه حزنى ١٥
فتى الفتيانِ زائدةُ المصفَّى * أبو العباس كان أخى وخدنى
فتى قومى وأىُّ فتًى توارت * به الأكفانُ تحت ثرًى ولِبنِ (٢)
ألا يا قبرَ زائدةَ بنِ معنٍ * دعوتُك كى تجيبَ فلم تجبنى
سلِ الأيامَ عن أركان قومى * أُصبت بهنّ ركنًا بعد ركن (٣)

(١) صرمت : قطعت . ما عدا ط، ها : «ضربت» . (٢) اللبن بالكسر : جمع لبنة ، بالكسر أيضا ، وهى لغة فى اللبِنة كفرحة ، وهى ما يضرب من الطين مربعا . ٢٠
(٣) كذا على الصواب فى ط، ها . وفى جـ : «عن أن كان» وسائر النسخ : «عنى إن قومى» .

صــــوت

فمــا روضةٌ بالحَــزْن طيِّبةُ الثرى * يمجّ النــدى جَثجاثُهــا وعَرارُها
بأطيبَ من أردانِ عَزّة موهِنًــا * وقد أُوقِدتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها
فإنْ خفِيتْ كانت لعينيـك قُــرّةً * وإن تبدُ يومًا لم يعمِّمْك عارُها[1]
من الخفِــرات البيض لم تَرَ شِقوةً * وفى الحسب المكنون صافٍ نِجارُها

الشعر لكثيّر، والغناء لمعبد فى الأوّل والثانى، ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

وذكر عمرو بن بانة أنه لابن سُريج . وللغريض فى الرابع والثالث ثقيل أوّل[2] بالبنصر عن عمرو وحبش .

وذكر الهشامى أنّ فى الأوّل والثانى رملًا لابن سريج بالوسطى .

وذكر عمرو وحبش أنّ فيه رملًا لابن جامع بالبنصر .

وفى الأبيــات خفيف ثقيل يقال إنه لمعبد ، ويقال إنه للغريض، وأحسبه للغريض .

لقاء كثير لقطام صاحبة ابن ملجم وما جـرى بينهما من هجاء

أخبرنى أحمد بن عبــد العزيز قال : حدّثنــا عمر بن شــبة هكذا موقوفا لم يتجاوز . وأخبرنى أنّ كثيّر بن عبد الرحمن كان غاليا فى التشيّع . وأخبر عن قَطامِ صاحبةِ ابن مُلجَم فى قَدمة قدِمَها الكوفة فأرادَ الدخول عليها ليو بِّخَها، فقيل له : لا تُرِدها فإن لها جوابا . فأبى وأتاها فوقَف على بابهــا فقرعَه فقالت : من هذا ؟ فقــال : كثيّر بن عبد الرحمن الشاعر . فقالت لبناتِ عمٍّ لها : تنحَّينَ حتى يدخل الرجل . فوبِلجنَ البيتَ وأذِنت له ، فدخلَ وتنحت من بين يديه ، فرآها وقد ولّت

(١) ما عدا ط : « لم يصمك » .   (٢) إلى هنا تنتهى نسخة ط .

فقال لها : أنت قطام؟ قالت : نعم . قال: صاحبة على بن أبى طالب عليه السلام ؟ قالت : صاحبة عبد الرحمن بن مُلجِم . قال : أليس فيك قُتِل على بن أبى طالب ؟ قالت : بل مات بأجَلِه . قال : أما والله لقد كنتُ أحبُّ أن أراكِ ، فلما رأيتك نبَتْ عينى عنك، فما احلوليتِ فى جَلَدى . قالت : والله إنّك لقصير القامة، عظيم الهامة، قبيحُ المنظر ، و إنك لكما قال الأوّل : «تسمع بالمعَيدِىّ خير من أن تراه»[1] . فقال :

رأتْ رجلًا أودَى السِّفارُ بوجهه * فلم يبقَ إلا منظرٌ وجَناجن[2]

فإنْ أكُ معروقَ العظام فإننى * إذا وُزِنَ الأقوامُ بالقوم وازن[3]

وإنى لما استودعتِنى من أمانةٍ * إذا ضاعت الأسرار للسر دافن

فقالت : أنت لله أبوكَ كثيِّر عزة ؟ قال : نعم . قالت : الحمدُ لله الذى قصّر بك فصرتَ لا تُعرَف إلا بامرأة ! فقال : الأمر كذلكِ ، فوالله لقد سار بها شعرى وطار بها ذِكرى ، وقرُبَ من الخليفة مجلسى ، وأنا لكما قلتُ :

فإن خفيتْ كانت لعينك قُرّةً * وإن تبدُ يوما لم يعمّك عارُها

فما روضةٌ بالحزنِ طيبة الثرى * يمجُّ الندى جَثجاثَها وعَرارها

بأطيبَ من أردانِ عزّة مَوهِنا * وقد أُوقدتْ بالمندلِ اللّدنِ نارُها

فقالت : بالله ما رأيتُ شاعرًا قطّ أنقصَ عقلا منك ، ولا أضعفَ وصفًا ، أين أنت من سيدك امرئ القيس حيث يقول :

---

(١) المعيدى هذا هو شقة بن ضمرة بن جابر، رآه المنذر بن ماء السماء وكان يعجبه ما يبلغه عنه ، فلما رآه حقره وأرسل فيه هذا المثل ، فقال له شقة : أبيت اللعن وأسعدك إلهك ، إن القوم ليسوا بجزر — يعنى الشاء — إنما يعيش الرجل بأصغريه : لسانه وقلبه . فأعجب المنذر كلامه وسره ما رأى منه . انظر مجمع الأمثال للميدانى . (٢) السفار : السفر . والجناجن : جمع جنجن ، وهى عظام الصدر . وفى البيان (١ : ٢٢٧) : «فلم يبق إلا منطق» . (٣) معروق العظام ، أى نحيلا .

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

٦٠/١٤

ألم ترياني كلّما جئتُ طارقا * وجدت بها طيباً وإن لم تَطَيَّب

فخرج وهو يقول :

الحقُّ أبلج لا يُخيل سبيلُه (١) * والحقُّ يعرفه ذوو الألباب

صوت

٥ هاكَ فاشرَبْها خليلي * في مدَى الليل الطويلِ

قهوةً في ظلّ كرم * سُبِيَتْ من نهر بِيلِ (٢)

في لسان المرء منها * مثلُ طعم الزنجبيلِ

قل لمن يلحاكَ فيها * من فقيهٍ أو نبيلِ (٣)

أنتَ دَعْها وارجُ أخرى * من رحيق السلسبيلِ

١٠ تعطش اليومَ وتُسقَى * في غدٍ نعتَ الطُّلولِ

الشعر لآدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، والغناء لإبراهيم الموصلي، هزج بالنصر عن حبش . ولإبراهيم بن المهدي في الخامس والسادس والأول خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي . ولهاشم فيها ثاني ثقيل بالبنصر، وقيل لعبد الرحيم (٤) .

---

(١) لا يخيل : لا يشتبه ولا يلتبس .

١٥ (٢) سبي الخمر يسبيها : حملها من بلد إلى بلد . نهر بيل : طسوج من سواد بغداد متصل بنهر بوق .
وأنشد ياقوت هذه الأبيات في (نهر بيل) ، وهي كذلك في تاريخ بغداد ٣٤٩١ .

(٣) وكذا الرواية في تاريخ بغداد . وفي معجم البلدان : « من وضيع أو نبيل » .

(٤) ها ، حـ : « لعبد الرحمن » .

ذكر آدم بن عبد العزيز وأخباره

نسبه

آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

وأمه أم عاصم بنت سفيان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أيضا .

من عليه السفاح

وهو أحد من مَنّ عليه أبو العباس السفاحُ من بنى أمية لمّا قتَل من وجَد منهم . ٥

كان خليعا ثم نسك

وكان آدم فى أوّل أمره خليعاً ماجناً منهمكا[1] فى الشراب ، ثم نسَك بعد ما عُمِّر ، ومات على طريقة محمودة .

وأخبرنى الحسين بن على عن أحمد بن سعيد الدمشقى ، عن الزبير بن بكار عن عمّه :

عتاب المهدى له فى شعر قاله

أنّ المهدىَّ أنشِدَ هذه الأبياتَ وغُنِّىَ فيها بحضرته : ١٠

أنتَ دَعْها وارجُ أخرى * من رحيق السلسبيلِ

فسئل عن قائلها فقيل آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، فدعا به فقال له : ويلَك تزندقتَ ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ومتى رأيتَ قرشياً تزندق ؟ والمحنة[2] فى هذا إليك ، ولكنّه طرَبٌ غلبنى ، وشِعرٌ طفَح على قلبى فى حال الحَدَاثة فنطقتُ به . فخلّى سبيله . ١٥

قال : وكان المهدىُّ يحبه ويكرمه ، لظَرفه وطِيب نفسه .

---

(١) حـ ، ا ، م : «منهوكا» . والمنهوك : المجهد المغلوب . والمنهمك : ذو اللجاجة والتمادى . وفى حديث خالد بن الوليد : «انهمكوا فى الخمر» . ها : «متهتكا» .

(٢) المحنة : الامتحان . وفى حديث الشعبى : المحنة بدعة . وهى أن يأخذ السلطان الرجل فيمتحنه ، يقول فعلت كذا وفعلت كذا ، فلا يزال به حتى يقول ما لم يفعله ، أو ما لا يجوز قوله . ٢٠

٦١/١٤ ورُوى هذا الخبر عن مصعب الزبيرى و إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال :

كان آدمُ بن عبد العزيز يَشرب الخمر ويُفرِط فى المجون، وكان شاعرًا، فأخذه المهدىُّ فضربه ثلثمائة سوط على أن يُقرَّ بالزندقة ، فقال : والله ما أشركتُ بالله طَرفةَ عين ، ومتى رأيتَ قرشيًّا تزندق ؟ قال : فأين قولك :

٥ اسقِنى واسقِ غُصَينَا * لا تبِعْ بالنقد دينَا

اسقنيها مُزَّة الطعـ(١) * ـم تُريك الشَّينَ زَينَا

ــ فى هذين البيتين لعمرو بن بانة ثانى ثقيل بالوسطى، ولإبراهيم هزج بالبنصر ــ

قال : فقال لئن كنتَ ذاك فما هو ممّا يشهدُ على قائله بالزندقة . قال : فأينَ قولك :

١٠ اسقنى واسقِ خليلى * فى مَدَى الليلِ الطويلِ

قهوةً صهباءَ صِرفًا * سُبِيت من نهر بيلِ

لونُها أصفرُ صافٍ * وهْى كالمسك الفتيلِ(٢)

فى لسانِ المرء منها * مثلُ طعم الزنجبيلِ

ريحُها ينفَح منها * ساطعًا من رأس ميلِ

١٥ مَن ينَلْ منها ثلاثًا * ينْسَ مِنهاجَ السبيلِ(٣)

فمتى ما نال خمسًا * تركَتْه كالقتيلِ

---

(١) فى الأصول : « مرة الطعم » ، وصوابه بالزاى ، كما فى تاريخ بغداد .

(٢) أنشد هذا البيت فى اللسان (فتل) وقال : « قال أبو حنيفة : ويروى كالمسك الفتيت . قال : وهو كالفتيل . قال أبو الحسن : وهذا يدل على أنه شعر غير معروف ، إذ لو كان معروفا

٢٠ لما اختلف فى قافيته . فتفهمه جدا » .

(٣) المنهاج : الطريق الواضح .

ليس يَدرى حينَ ذاكُمْ * ما دَبِيرٌ من قَبِيـــلِ (١)

إنَّ سمعى عن كلام الـ * ـلائمى فيهـا الثقيـلِ

لشَــديدُ الوَقْرِ، إنّى * غير مطواعٍ ذليـــلِ

قــلْ لمن يلحاك فيهـا * مِن فقيهٍ أو نبيل

أنتَ دعها وارجُ أخرى * مِن رحيـق السلسبيل ٥

نعطش اليومَ ونسـقى * فى غــدٍ نعتَ الطلول

فقال : كنت فتًى من فتيان قريش ، أشربُ النبيذ وأقول ما قلتُ على سبيل المجون ، والله ما كفرتُ بالله قطُّ ، ولا شككتُ فيه . فخلَّى سبيلَه ورقَّ له .

قال مصعب : وهو الذى يقول :

صــــوت ١٠

اسقنى يا معـاويه * سبعةً أو ثمـانيهْ

اســقنيها وغنِّــنى * قبـلَ أخذِ الزَّبانيه

اســقنيها مُدامــةً * مُزّةَ (٢) الطعم صافيــه

ثمَّ مَن لامَنـا عليـ * ـها فذاك ابنُ زانيه

فيه خفيف رملٍ بالبنصر ينسب إلى أحمد بن المكى ، وإلى حكم الوادىّ . ١٥

شعره فى الخمر وفى الغزل

قال : وآدم الذى يقول :

أقولُ وراعَنى إيوانُ كسرى * برأس مَعَـانَ أو أدروسفان (٣)

وأبصرتُ البِغـالَ مربَّطاتٍ * به من بعد أزمِنةٍ حسان (٤)

---

(١) اختلف فى تفسيره ، ومعظم الأقوال أنه فى الفتل ، فما أقبل به إلى صدره فهو قبيل ، وما أدبر به عنه فهو دبير . والمعنى أنه لا يعرف شيئا . (٢) جاءت هنا على الصواب فى حـ : « مزة » . ٢٠ وفى سواها بالراء المهملة . (٣) كذا ورد هذا العجز ، وفى حـ ، أ ، م ، ها : «أدرواسفان» .
(٤) حـ : « حصان » .

يعزُّ على أبي ساسان كسرى * بموقفكنّ في هذا المكان
شربتُ على تذكّر عيش كسرى * شرابًا لونُه كالزعفران
ورحتُ كأنني كسرى إذا ما * عَلاهُ التاجُ يوم المهرجان

قال وهو الذي يقول :

٥ أحبُّك حُبّين لي واحدٌ * وآخر أنّك أهلٌ لذاك
فأما الذي هو حبُّ الطباع * فشيءٌ خُصِصتِ به عن سواك
وأما الذي هو حبُّ الجمال * فلستُ أرى ذاكِ حتّى أراك
ولستُ أمنُّ بهذا عليك * لك المنُّ في ذا وهذا وذاك

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثني عمي
١٠ عن فليح بن سليمان قال :

عتاب صديقه فليح له بعد لقائه خالصة

مررنا يوما مع خالصة[1] في موكبها ، فوقفَتْ على آدم بن عبد العزيز فقالت :
يا أخي طلبتَ منا حاجةً فرفعناها لك إلى السيّدة[2] وأمَرَتْ بها وهي في الديوان ،
فساء ظنُّك بها فقعدْتَ عن تنجّزها . قال : فسوّه لها عذرًا اعتذَر به فوقفت عن
الموكب حتّى مضت ، ثم قلت له : أخمَلْتَ نفسَك ، والله ما أحسبُ أنه حبسك
١٥ عنها إلا الشراب ، أنت ترى الناسَ يركُضون خلفها وهي ترِقّ[3] عليك لحاجتك .
فقال : والله هو ذاكَ ، إذا أصبحْتَ فكُلْ كسرةً ولو بملح ، وافتح دَنّكَ فإن كان
حامضًا دبغ معدتك ، وإن كان حُلوًا خرطك[4] ، وإن كان مدرِكًا فهو الذي أردت .

---

(١) خالصة هذه جارية من جواري الخيزران أم الهادي والرشيد ، وكانت ذات نفوذ عظيم .
انظر الطبري (١٠ : ٣٠ ، ٣٧) ومجالس ثعلب ٤٧٥ . (٢) هي الخيزران . أ :
٢٠ « إلى الميرة » ـ « إلى الميدة » ، محرفتان . (٣) رقّ : حاطه وعطف عليه ، ونصح وأشفق .
(٤) يقال خرطه الدواء ، أي مشاه ، وكذلك خرطه تخريطا .

قلت : لا باركَ الله عليك . ومضيت ، ثم أقلع بعــد ذلك وتاب . فاستأذن يوما على يعقوب بن الربيع وأنا عنده فقال يعقوب : ارفعوا الشراب فإنّ هذا قد تاب وأحسَبه يكره أن يراه . فرُفع وأُذِن له ، فلما دخَل قال: ﴿إنّى لأجد ريحَ يوسفَ لولا أن تفنّدون﴾ . قال يعقوب : هو الذى وجدتَ، ولكنّنا ظننّا أن يثقل عليك لتركِك الشراب . قال : إى والله ، إنّه ليثقُل علىّ ذاك . قال : فهل قلتَ فى ذلك شيئًا منذُ تركتَه ؟ قال قلت :

ألا هل فتًى عن شُربها اليومَ صابر * لِيَجــزِيَه يومًا بذلك قادرُ
شربتُ فلمّـا قيل ليس بنـازعٍ * نزعتُ وثوبى من أذى اللُّوم طاهرُ

أخبرنى على بن صالح بن الهيثم قال : حدّثنى أبو هفان عن إسحاق قال :

هجاؤه لسليمان ابن المختار ، ولأسيد لطول لحيتهما

كان مع المهدى رجلٌ من أهل الموصل يقال له سليمان بن المختار ، وكانت له لحيةٌ عظيمة ، فذهب يومًا ليركبَ فوقعت لحيتُـه تحت قدمه فى الركاب فذهبَ عامّتُها ، فقال آدمُ بن عبد العزيز قولَه :

قد استوجَبَ فى الحكم * سليمانُ بنُ مختـارِ
بمـا طَـوَّل من لحيـ * ـتـهِ جَـزًّا بمنشـارِ
أو السيفِ أو الحَـلْقِ * أو التحـريق بالنـارِ
فقـد صار بهـا أشهـ * ـرَ من رايةِ بَيطـارِ (1)

فقال : ثم أنشدها عُمر بن بَزِيع المهـدىَّ فضحك، وسارت الأبياتُ ، فقال أسيد ابن أسـيد ، وكان وافر اللحية : ينبغى لأمير المؤمنين أن يكفَّ هذا المـاجنَ عن الناس . فبلغت آدمَ بنَ عبد العزيز فقال :

---

(١) ذكرها الثعالبى فى ثمار القلوب ١٩٣ . وأنشد هذا البيت .

لحيةٌ تمّتْ وطالت * لأسيد بن أسيد
كشِراعٍ من عَباءٍ[1] * قطعت حَبْلَ الوريد
يَعجب الناظرُ منها * مِن قريبٍ وَبعيدِ
هى إنْ زادت قليلًا * قطعَتْ حبلَ الوريدِ

٦٣/١٤

٥ وقال : وكان المهدىُّ يُدْنى آدمَ ويحبّه ويقرّبه ، وهو الذى قال لعبد الله بن على لمـا أمَر بقتله فى بنى أمية بنهر أبى فُطْرُس[2] : إنَّ أبى لم يكن كآبائهم ، وقد علمتَ مذهبَه فيكم . فقال : صدقتَ ، وأطلقَه . وكان طيِّب النفس متصوّفا ، ومات على توبةٍ ومذهب جميل .

صـــوت

١٠
ألا يا صاحِ للعَجَبِ * دعَوتُكَ ثم لم تُجبِ
إلى القَيناتِ واللـذّا * تِ والصَّهباءِ والطَّربِ
ومنهنّ التى تبَلَتْ * فـؤادَك ثمّ لم تَتبِ

الشعر ليزيد بن معاوية ، يقوله للحسين بن على بن أبى طالب عليـه السلام . والغناء لسائب خاثر ، خفيف رمل بالوسطى عن حبش .

١٥ أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى المدائنى قال :

منادمة مسلم ابن زياد ليزيد ابن معاوية

قدِم سَلْم بن زياد على يزيدَ فنادمه ، فقال له ليـلةً : ألا أولّيك خراسان ؟ قال : بلى وسِجِستان . فعقَد له فى ليلته فقال :

---

(١) كذا ورد هذا العجز لهذا البيت والبيت الرابع . حـ ، م : « لشراع » .

٢٠ (٢) نهـر أبى فطرس ، بضم الفاء والراء : موضع قرب الرملة من أرض فلسطين كانت به وقعة عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس مع بنى أمية سنة ١٣٢ . وفى الأصـول ماعدا « ها » : « أبى قرطس » ، تحريف .

اِسقِنى شَربةً فروِّ عظامى * ثم عُدْ واسقِ مثلَها ابنَ زيادِ
موضعَ السرِّ والأمانةِ منِّى * وعلى ثغرِ مَغْنمى وجِهادى

لوم الحسين بن على ليزيد بن معاوية

قال: ولمَّا رجع فى خلافة أبيه جَلس بالمدينة على شراب، فاستأذن عليه عبدُ الله ابن العباس، والحسينُ بن على، فأمر بشَرابه فرفع وقيل له: إنَّ ابن عباس إن وجَد ريح شرابك عرَفه. فحجَبه وأذن للحسين، فلما دخَل وجد رائحة الشراب مع الطِّيب فقال: لله درُّ طِيبك هذا ما أطيبه، وما كنت أحسبُ أحدًا يتقدّمنا فى صنعة الطيب، فما هذا يا ابنَ معاوية؟ فقال: يا أبا عبد الله، هذا طِيبٌ يصنع لنا بالشأم. ثم دعا بقَدح فشربه، ثم دعا بقدح آخر فقال: اسق أبا عبد الله يا غلام. فقال الحسين: عليك شرابَكَ أيها المرء، لا عينَ عليك منِّى. فشرب وقال:

ألا يا صاحِ للعجبِ * دعوتُك ثم لم تُجِبِ
إلى القينات واللذّا * تِ والصَّهباءِ والطربِ
وباطيةٍ[1] مُكلَّلَةٍ * عليها سادةُ العربِ
وفيهن[2] التى تَبَلَتْ * فؤادَكَ ثم لم تَتُبِ

فوثب الحسينُ عليه السلام وقال: بل فؤادُك يا ابن معاوية!

صوت

أَأَن نادَى هديلًا[3] يومَ فَلْجٍ * مع الإشراق فى فَنَنٍ حمامُ
ظَلِلتَ كأنّ دمعَك دُرُّ سِلكٍ * وهَى خيطًا وأسلمَهُ النِّظامُ

(١) الباطية: إناء من الزجاج عظيم يملأ من الشراب ويوضع بين الشرب يغرفون منه ويشربون، إذا وضع فيه القدح سَبح به ورقص من عظمه وكثرة ما فيه من الشراب. مكللة: محفوفة بالنور والزهر، كأن لها منه إكليلا. (٢) فيهن، أى فى القينات. (٣) فى الأصول: «هذيلا»، تحريف. وينادى الحمام الهديل، هو على ما يزعم العرب أن الهديل فرخ حمام كان على عهد نوح فمات ضيعة وعطشا، فيقولون إنه ليس من حمامة إلا وهى تبكى عليه. أو الهديل مصدر هدل يهدل هديلا. قال ذو الرمة:

أرى ناقتى عند المحصب شاقها * رواح اليمانى والهديل المرجع

تموتُ تشـوُّقا طورًا وتحيـا * وأنت جديرُ أنكَ مسـتهام

كأنّك من تذكّرِ أمّ عمـرو * وحبـلُ وصالها خَلَقٌ رِمام (١)

سـلامُ الله يا مطـرٌ عليها * وليس عليكَ يا مطرُ السـلام (٢)

فإنْ يكن النـكاحُ أحلَّ أنثى * فإنَّ نكاحها مطـرًا حرام (٣)

٥ ولا غَفَـر الإلهُ لمُنكِحيها * ذُنوبهمُ وإنْ صلَّوا أو صاموا

فطلِّقْها فلستَ لها بكُفءٍ * وإلّا عضَّ مَفـرِقَك الحسام (٤)

الشعر للأحوص، والغناء لمعبد من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجرى الوسطى. ولإبراهيم الموصلي في الأربعة الأبيات الأول ثاني ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر.

١٠ أخبرني الحرمي قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني محمد بن ثابت بن إبراهيم ابن خلّاد الأنصاري قال: حدّثني أبو عبد الله بن سعد الأنصاري قال:

الأحوص وازدراؤه لمامه مطر وقوله الشعر فيه

قدم الأحوصُ البصرةَ فخطب إلى رجلٍ من تميم ابنتَه، وذكر له نسبه، فقال: هاتِ لي شاهدًا واحدًا يشهد أنّكَ ابن حميِّ الدَّبْر (٥) وأزوّجك. فجاءه بمن شهد له على ذلك، فزوّجه إياها، وشرطت عليه ألا يمنعها من أحد من أهلها، فخرج إلى المدينة وكانت أختها عند رجل من بني تميم قريبًا من طريقهم، فقالت له: اعدلْ بي إلى أختي. ففعل، فذبحت لهم وأكرمتهم، وكانت من أحسن النـاس، وكان

---

(١) الخلق: البالي، والرمام مثله. (٢) البيت من شواهد النحويين. انظر الخزانة (١: ٢٩٤) وسيبويه (١: ٣١٣). (٣) س والخزانة: «أحل شيء» وفي أمالي الزجاجي ٥٣: «أحل شيئا»، وسائر النسخ: «أنثى». (٤) في الخزانة: «وإلا يعل».

٢٠ (٥) الدبر، بالفتح: جماعة النحل، وحميها، أي محميها. وحمي الدبر هو جد أبيه، عاصم بن ثابت ابن أبي الأقلح. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في بعث فقتله المشركون وأرادوا أن يصلبوه ويمثلوا به، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته منهم. الإصابة ٣٢٤٠ والخزانة (١: ٢٣٢).

زوجُها فى إبله ، فقالت زوجة الأحوص له : أقِمْ حتّى يأتى . فلما أمسَوْا راح مع إبله ورِعائه، وراحت غنمُه فراح من ذلك أمرٌ كثير[1] . وكان يسمّى مَطَرا ، فلما رآه الأحوصُ ازدراه واقتحمتْه عينُـه ، وكان قبيحًا دميا[2] ، فقالت له زوجتُه : قم إلى سِلْفك[3] وسلِّم عليه . فقال وأشار إلى أخت زوجته بإصبعه :

سـلامُ الله يا مطرٌ عليها * وليس عليكَ يا مطرُ السلام

وذكر الأبياتَ وأشار إلى مطرٍ بإصبعه، فوثب إليه مطرٌ وبنوه، وكاد الأمر يتفاقم حتى حُجِز بينهم .

قال الزبير : قال محمد بن ثابت : أبو عبد الله[4] بن سعد الذى حدّث بهذا الحديث، أمه بنت الأحوص، وأمها التميميّة أخت زوجة مطر .

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال : حدّثنا حماد عن أبيه، أنّ امرأة الأحوص التى تزوّجها ، إحدى بنى سعد بن زيد مناه بن تميم . وذكر باقى القصيدة، وهو قوله :

كأنكَ مِن تذكُّرِ أمِّ عمـرو * وحبـلُ وِصالها خَلَقٌ رِمامُ

صَريعُ مُدامةٍ غَلبتْ عليـه * تموتُ لها المفاصِلُ والعِظام

وأنَّى مِن بلادِك أمّ عمـرو * سـقَى دارًا تحُلُّ بها الغَمام

تحُـلُّ النَّعفَ من أُحدٍ وأدنى * مَساكنِها الشُّبيكةُ أو سَـنام[5]

فـلولم ينكِحـوا إلا كفيًّا * لكان كفيَّها المـلكُ الهُمام

---

(1) فى الخزانة (١ : ٢٩٥) نقلا عن الأغانى : « شىء كثير » . (2) فى الخزانة : «شيئا دميا» . (3) السلف بالكسر، وبفتح فكسر أيضا : هو للرجل زوج أخت امرأته .

(4) فى الأصول : «قال محمد بن ثابت بن عبد الله بن سعد» . والوجه ما أثبت .

(5) فى الأصول : «تحل النهد» ، صوابه من أمالى الزجاجى . والنعف هذا هو نعف سويقة قرب المدينة ، وفيه يقول الأحوص :

وما تركت أيام نعف سـويقة * لقلبك من سلماك صبرا ولا عزما

والشبيكة : موضع بين مكة والزاهر . وفى الأصول : « السكينة » صوابه فى أمالى الزجاجى . وسنام : جبل بالحجاز بين ماوان والربذة .

أخبرنى الحسين قال : قال حماد : قرأت على أبى : حدّثنا ابن كناسة قال :

أشعب وأبان بن سليمان

مرّ بنا أشعبُ ونحن جماعةٌ فى المجلس ، فأتى جارٌ لنا صاحب جَوارٍ يقال له أبان بن سُليمان ، وعليه رداء خَلَق ، قد بدا منه ظهرُه وبه آثار ، فسلّم علينا فرددْنا عليه السلامَ ، فلما مضى قال بعضُ القوم : مَدَنىٌّ مجلود! فأراه سمعَها أو سمعها رجلٌ يمشى معه فأخبره ، فلما انصرفَ وانتهى إلى المجلس قال :

٦٥ / ١٤

سَــلامُ الله يا مطــرٌ عليهــا * وليس عليكَ يا مطرُ الســلامُ

فقلت للقوم : أنتم والله مَطَر .

ومثــل ما جرى فى هــذا الخبر من قوله فى المــرأة ، خبرٌ له آخر شبيــه به مع ابن حزم .

١٠ أخبرنى الحـرمى قال حدّثنا الزبير قال : حدّثنا محمـد بن فضالة ، عن جميع ابن يعقوب قال :

الأحوص يدس أبياتا لمعمر ابن عبد الله يلومه فيها على تزويجه لأخته

خطب أبو بكر بن محمـد بن عمـرو بن حزم ، بنت عبد الله بن حنظـلة بن أبى عامر ، إلى أخيها معمـر بن عبد الله ، فزوّجه إياها ، فقـال الأحوص أبياتًا وقال لفتًى من بنى عمرو بن عوف : أنشِدْها معمرَ بنَ عبدِ الله فى مجلسه ولك هذه

١٥ الجُبّة . فقال الفتى : نَعم . فجاءه وهو فى مجلسه فقال :

يا معمر يا ابن زيدٍ حين تَنكحها * وتســتبدُّ بأمر الغىّ والرشــدِ

فقال : كان ذلك الرجل غائبا . فقال الفتى :

أما تذكّرتَ صــيفيًّا فتحفظه * أو عاصمًا أو قتيلَ الشِّعب من أُحُدِ

قال : ما فعلتُ ولا تذكّرتُ . فقال الفتى :

أكنتَ تجهل حزمًا حين تَنكِحها * أم خفتَ، لا زلتَ فيها جائع الكبِدِ

قال معمر : لم أجهَل حزمًا . فقال الفتى :

أبعدَ صهرِ بنى الخطّاب تجعلهمُ * صِهرًا و بعــد بنى العوّامِ من أسدِ

فقال معمر : قد كان ذلك . فقال الفتى :

هَبْها سليلةَ خَيــلٍ غيرِ مُقْــرِفةٍ (١) * مظلومةً حُبِست للعَير فى الجــدَدِ

قال : نعم أعانَها الله وصبّرها . فقال الفتى :

فكلُّ ما نالَنا من عارِ مَنكَحِها * شَــوَّى (٢) إذا فارقته وهى لم تــلِدِ

قال : نعم إلى الله عزّ وجلّ فى ذلك الرغبة .

قال الزبير : أمّا قــوله « صهر بنى الخطــاب » فإنّ جميــلةَ بنتَ أبى الأقلح كانت عند عمر بن الخطاب، فولدت له عاصم بن عمرو . وأمّا «صهر بنى العوام» فإنّ نهيسة بنت النعمان بن عبد الله بن أبى عُقبة، كانت عند يحيى بن حمزة بن عبد الله ابن الزبير، فولدت له أبا بكر ومحمدا .

كراهية أم جعفر لأصوات من الغناء القــديم ومن بينها شعــر الأحوص

أخبرنى الحرمى بن أبى العــلاء ، قال : حدّثنا الزبير قال : حدّثنى مصعب قال : قال المدير : كرِهَتْ أمُّ جعفر أصواتًا من الغِناء القديم ، فأرسلَتْ لها رسولا يُلقيها فى البحر ، ثم غنتها جاريةٌ بعد ذلك :

سـلامُ الله يا مطرٌ عليهـا * وليس عليك يا مطرُ السلامُ

(١) المقرف : ما يداني الهجنة ، أى أمه عربية لا أبوه ، لأن الإقراف من قبل الفحل ، والهجنة من قبل الأم .   (٢) الشوى : الهين اليسير . س : « سوى » تحريف .

فقالت : هــذا أرسلُوا به رسولًا مفردا إلى دَهلك(1) ليلقيَه فى البحر خاصّة . قال : والذى حمل أمّ جعفرٍ على هذا التطير على ابنها محمد بن الأمين من هذه الأصوات ، أيام محاربته المأمون فمنها قوله :

كُليبٌ لَعمرى كان أكثَرَ ناصرًا * وأيسَرَ جرمًا منــك ضُرِّج بالدمِ(2)

٥ ومنها قوله :

همُ قتَــلوه كى يكونوا مكانَه * كما غدرَتْ يوما بِكسرى مَرازِبه(3)

٦٦ / ١٤

ومنها قوله :

رأيت زهيرًا تحت كلكلِ خالدٍ * فأقبلتُ أســعى كالعَجُول أبادر(4)

ومنها قوله :

١٠ أبا منــذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضَنا * حنانَيكَ بعضُ الشرِّ أهوَنُ من بعضِ(5)

مضى الحديث .

صـــــوت

وكنّا كنَدْمانَىْ جَذيمــةَ حِقبــةً * من الدّهرِ حتّى قيل لن يتصدّعا

فلمــا تفرّقنــا كأنى ومالــكًا * لِطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليــلةً معا

١٥ الشعر لمتمّم بن نُوَيرة، يرثى أخاه مالكا . والغناء لسياط .

(1) دهلك : جزيرة بين اليمن والحبشة ضيقة حارة ، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها .

(2) البيت للنابغة الجعدى ، وقد سبق فى ترجمته من الأغانى . فى معظم الأصول : « وأكثر جرما » صوابه من ها ، مب . ومما سبق فى الأغانى .

(3) البيت للوليد بن عقبة بن أبى معيط ، كما فى الكامل ٤٤٤ ليبسك .

٢٠ (4) فى الأصول : « أبادره » تحريف . وقد سبق البيت منسوبا إلى زهير ، فى ترجمته . وبعده :

إلى بطلين ينهضان كلاهما * يريدان نصل السيف والسيف نادر

(5) البيت لطرفة فى ديوانه ٤٨ .

ذكر متمم وأخباره وخبر مالك ومقتله

نســـبه

هو متمِّم بن نويرة بن عَمرو[1] بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن اليـاس بن مضر ابن نزار . ويكنى متمِّم بن نويرة أبا نهشل .

كنية أخيه مالك ولقبـــه

ويكنى أخوه مالك أبا المِغوار . وكان مالكٌ يقال له فارسُ ذى الخمَار، قيل له ذلك بفرس كان عنده يقال له "ذو الخمار"، وفيه يقول وقد أحمدَه فى بعض وقائعه :

جزانى دَوائى ذُو الخمار وصَنعتى * بمـا باتَ أطْـواءَ بنىَّ الأصاغرُ[2]

أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سلام قال :

مقتـــل مالك ابن نويرة

كان مالك بن نويرة شريفًا فارسا، وكان فيـه خُيَلاءُ وتقدُّم ، وكان ذا لِمَّة كبيرة، وكان يقال له الجَفول[3] .

وكان مالكٌ قُتِل فى الرِّدّة ، قتـله خالدُ بن الوليد بالبِطاح فى خلافة أبى بكر ، وكان مقيمًا بالبطاح، فلما تنبأتْ سَجاح اتّبعها ثم أظهرَ أنّه مسلم، فضربَ خالدٌ عنقَه صَبْرا، فطَعن عليه فى ذلك جماعةٌ من الصحابة، منهم عُمر بن الخطاب، وأبو قَتادة الأنصارىّ، لأنه تزوّج امرأةَ مالكٍ بعـده، وقد كان يقال إنّه يهواها فى الجاهلية واتُّهم لذلك أنّه قَتله مسلمًا ليتزوّج امرأتَه بعده .

(١) فى شرح المفضليات لابن الأنبارى : « بن جمرة » بدل « بن عمرو » .

(٢) الدواء، بفتح الدال : ما عولج به الفرس من تضمير، وبكسرها : مصـدر داواه يداويه . والصنعة : حسن القيام عليه . وأطواء : جمع طوى بالتحريك، وهو الطاوى البطن الجائع . يقول : جزانى ذو الخمار الذى أحسنت القيام عليه وآثرته باللبن على عيالى فباتوا على الطوى زمنا ، يقول : جزانى خيرا بما كان منه من إنقاذ لى فى مأزق الحـرب . فى الأصول : « جزانى بلائى ذو الخمار وضيعتى » صوابه من كتاب أسماء الخيل لابن الأعرابى ص ٦٤ .

(٣) إلى هنا ينتهى النقل من ابن سلام طبق ما فى النسخة المطبوعة ص ٧٦ .

حدثنا بالسبب فى مقتل مالك بن نويرة محمد بن جرير الطبرى قال :

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى، يذكر عن شعيب بن إبراهيم التيمى، عن سيف ابن عُمر، عن الصَّقعب بن عطية عن أبيه :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عمالَه على بنى تميم ، فكان مالك ابن نويرة عاملَه على بنى يربوع . قال : ولمّا تنبأت سَجاح بنتُ الحارث بن سويد ابن عُقفان وسارت من الجزيرة، راسلت مالكَ بن نويرة ودعَته إلى الموادعة، فأجابَها وقنّاها[1] عن غزوها، وحمَلها على أحياء [من][2] بنى تميم ، فأجابته وقالت : نعَم فشأنَكَ بمن رأيت ، وإنّما أنا امرأةٌ من بنى يربوع، وإن كان مُلكٌ فهو مُلككم . فلمّا تزوجها مسيلمةُ الكذّاب ودخل بها انصرفَتْ إلى الجزيرة وصالحته أن يحمل عليها النِّصفَ من غَلّات اليمامة، فارعوَى حينئذ مالكُ بن نُويرة وندِم وتحيّر فى أمره، فلحق بالبِطاح ، ولم يبق فى بلاد بنى حنظلة شىء يُكره إلّا ما بقى من أمر مالك بن نويرة ومَنْ تأشّب[3] إليه بالبِطاح، فهو على حاله متحيّرا ما يدرى ما يصنع .

وقال سيف : فحدّثنى سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد وعمرو بن شعيب قالا : لمّا أراد خالدُ بن الوليد المسيرَ خرج [من ظَفَر][4] وقد استبرأ أسدًا وغطفان وطيئا[5]، فسار يريد البِطاح دون الحَزْن، وعليها مالكُ بن نويرة وقد تردّد عليه أمرُه وقد تردّدت الأنصار على خالد وتخلّفتْ عنه ، وقالوا : ما هذا بعهد الخليفة إلينا ؛

(١) قناها : كفها وردها . فى م : « فهاما » . وفى أ : « نهاها » ، صوابهما فى حـ . وفى ها ، والطبرى (٣ : ٢٣٧) : « قناها » ، وهى بمعنى كفها أيضا .

(٢) التكملة من الطبرى . على أن أبا الفرج قد اختصر نص الطبرى اختصارا شديدا .

(٣) تأشب : تجمع . وفى معظم الأصول : « وما ناسب » ، صوابه فى ها والطبرى (٣ : ٢٤١) .

(٤) التكملة من الطبرى . وظفر : موضع قرب الحوأب فى طريق البصرة إلى المدينة .

(٥) كذا فى حـ ، ها والطبرى . وفى سائر الأصول : « وغنيا » تحريف .

فقد عهد إلينا إن نحنُ فرَغنا من البُزَاخة[١] واستبرأنا بلادَ القوم ، أن يكتب إلينا بما نعمل . فقال خالد : إن يكنْ عَهِد إليكم هـذا فقد عَهِد إلىّ أن أمضى ، وأنا الأميرُ وإلىّ تنتهى الأخبار، ولو أنّه لم يأتنى له كتابٌ ولا أمرٌ ثم رأيتُ فرصةً إن أعلمته بها فاتتنى لم أعلمه حتّى أنتهزَها . وكذلك لو ابتُلينا بأمرٍ ليس منه عهدٌ إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا[٢] ونَعمَل به . وهـذا مالك بن نُوَيرة بحيالنا، وأنا قاصدٌ له بمن معى من المهاجرين والتابعين لهم بإحسان، ولستُ أُكرههم[٣] . ومضى خالدٌ و برِمت الأنصارُ وتذامروا[٤] وقالوا : لئن أصاب القومُ[٥] خيراً إنّه لخيرٌ حُرِمتموه، ولئنْ أصابتهم[٦] مصيبةٌ ليجتَنِبنّكمُ النـاس . فأجمعوا على اللَّحاق بخالد ، وجرّدوا إليه رسولا، فأقام عليهم حتّى لحِقوا به، ثم سار حتّى لحق البِطاح فلم يجد به أحداً .

قال السرى عن شعيب ، عن سيف عن خزيمة بن شجـرة[٧] العُقفانى عن عثمان ابن سُويد، عن سويد بن المثعبة[٨] الرياحى قال : :

قدِم خالد بن الوليد البطاحَ فلم يجدْ عليه أحدًا ، ووجد مالك بن نويرة قد فرّقهم[٩] فى أموالهم ونهاهم عن الاجتماع ، فبعثَ السرايا وأمرهم بداعيةِ الإسلام[١٠]، فمن أجابَ

(١) البزاخة : ماء لبنى أسد كانت به وقعة طليحة . حـ : «البراخة» وفى سائر النسخ : «البراهمة» ، والصواب من ها والطبرى . (٢) كذا الصـواب من الطبرى . وفى حـ : « لم ندع أن ندع لفضل » . وفى سائر النسخ : « لم ندع أن نرمى لفضل » . (٣) الطبرى : « أكرهكم » . وهما من الإكراه . (٤) كذا فى الطبرى و ها . وفى سائر الأصـول : « وندمت الأنصار وتراموا » ، و إنمـا هى تذامروا ، كما فى الطبرى . والتذامر : أن يحض القوم بعضهم بعضا على الجد فى القتال . (٥) فى الأصول ما عدا ها : « اليوم » ، وصححته من الطبرى .

(٦) فى الأصول : «أصابتكم» . والوجه ما أثبت من الطبرى ، و ها . (٧) فى الأصول : « جذيمة » و « سحـرة » وفى بعضها « منحره » و « النفقاقى » . وأثبت ما فى الطبرى .

(٨) فى الطبرى : « المثعبة » . (٩) كذا فى ها . وفى سائر الأصول « ملك قد فرقهم » محرّف . وفى الطبرى : «مالكا قد فرقهم» . (١٠) فى معظم الأصول : « برعاية الإسلام » ووجهه من الطبرى و ها .

فسالِمُوه ومن لم يُجِبْ وامتنع فاقتلوه . وكان فيما أوصاهم أبو بكر : إذا نزلتم [منزلًا](١) فأذّنوا وأقيموا ، فإنْ أذّن القومُ وأقاموا فكفُّوا عنهم ، وإنْ لم يفعلوا فلا شيء إلّا الغارة . ثم اقتلوهم كلَّ قتلة : الحرق فما سواه . فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم(٢) ، فإن هم أقرّوا بالزكاة قَبِلتم منهم ، وإلّا فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة .

٥ فجاءته الخيلُ بمالك بن نويرة في نفرٍ معه من بني ثعلبة بن يربوع ، ومن بني عاصم(٣) ، وعبيد ، [وعرين](١) ، وجعفر ، واختلفت السرية فيهم ، وفيهم أبو قتادة . وكان ممن شهد أنّهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا . فلما اختلفوا فيهم أمرَ بحبسهم ، في ليلةٍ باردة لا يقوم لها شيء ، وجعلَتْ تزداد بردا ، فأمر خالدٌ مناديا فنادى : «دافئوا أسراكم» . وكان في لغة كنانة إذا قالوا : دافأنا الرجل وأدفئوه ، فذلك معنى اقتلوه من الدفء .

١٠ فظنّ القوم أنّه يريد القتل فقتلوهم(٤) . فقتل ضرار بن الأزور مالكًا ، فسمع خالدٌ الواعيةَ(٥) ، فخرج وقد فرغوا منهم فقال : إذا أراد الله أمرًا أصابه . وقد اختلف القومُ فيهم فقال أبو قتادة : هذا عملك . فزبره خالد [فغضب](٦) ومضى حتّى أتى أبا بكر ، فغضب عليه أبو بكر حتّى كلّمه عمر بن الخطاب فيه ، فلم يرضَ إلا بأن يرجع إليه ، فرجع إليه فلم يزل معه حتّى قدم المدينة ، وقد كان تزوّج خالدٌ أم تميم بنت

غضب أبي بكر لقتل مالك

١٥ المنهال(٧) وتركها لينقضيَ طُهرها ، وكانت العرب تكره النساءَ في الحرب وتعايره ،

(١) هذه التكملة من الطبري . (٢) س : « فسالموهم » وفي سائر النسخ : « فسلوهم » . وأثبت الصواب من ها والطبري . (٣) الطبري : « من بني عاصم » بدون واو قبلها .

(٤) هذا نهاية سقط مب الذي بدأ في ص ٢٨٠ .

(٥) الواعية : الجلبة ، والصراخ على الميت ونعيه . ـ : « الراعية » . وفي سائر النسخ ما عدا ها

٢٠ ومب : « الداعية » صوابها من النسختين والطبري . (٦) هذه التكملة من الطبري .

(٧) في الأصول : « المهلب » ، صوابه في الطبري والإصابة ٧٦٩٠ في ترجمة مالك بن نويرة . والمنهال هذا هو المنهال بن عصمة الرياحي ، وهو الذي كفن مالكا في ثوبيه .

فقال عمر لأبى بكر : إنّ فى سيف خالد رَهَقا ، وحقّ عليه أن تُقيده[1] . وأكثر عليه فى ذلك . وكان أبو بكر لا يُقيد من عُمّاله ولا من وزَعته[2] ، فقال : هَبْه يا عمر تأوّل فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد . ووَدَى مالكا، وكتب إلى خالد أن يقدَم عليه ، ففعل وأخبره خبره فعذَره . وقَبِل منه ، وعنّفه بالتزويج الذى كانت العرب تعيب عليه من ذلك . ٥

فذكر سيفٌ عن هشام بن عروة عن أبيه قال : شهد قوم من السرية أنّهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا ، وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شىء فقُتِلوا . وقدم أخوه متمم يَنشُد أبا بكر دمَه ويَطلب إليه فى سَبْيِهم ، فكتب له بردّ السّبى ، وألحّ عليه عمر فى خالد أن يعزله وقال : إن فى سيفه لرَهَقا ! فقال له : لا يا عمر ، لم أكن لأَشِيمَ سيفًا سلّه الله على الكافرين . ١٠

٦٨ / ١٤

حدّثنا محمد بن إسحاق قال : كتب إلى السرى عن شعيب عن سيف عن خزيمة[3] عن عثمان عن سويد[4] قال :

كان مالك طويل الشعر

كان مالكٌ من أكثر الناس شَعَرًا، وإنّ أهل العسكر أثّفوا[5] القُدور برءوسهم، فما منها رأسٌ إلا وَصَلت النارُ إلى بشرته، ما خلا مالكا فإنّ القدر نضِجت وما نضِج رأسُه من كثرة شَعره، ووقى الشعر البشرةَ من حرّ النار أن تبلغَ منه ذلك . ١٥

(١) الطبرى : « فإن لم يكن هذا حقا حق عليه أن تقيده » .

(٢) الوزعة : أصحاب السلطان . فى جمهور الأصول : « من درعيه » والصواب من ها ومب والطبرى .

(٣) هو خزيمة بن شجرة . انظر ما مضى فى ص ٣٠٠ . وفى الأصول ماعدا مب : « عن سيف ابن جذيمة » ، صوابه من مب والطبرى . (٤) هذا ما فى الطبرى . وفى الأصول : « عن عثمان بن سويد » . (٥) أثف القدر تأثيفا : وضعها على الأثافى . وفى معظم الأصول : « اتقوا » ، صوابه من مب والطبرى . ٢٠

قال : وأنشد متمم عمر بن الخطاب ، ذكر تَخَصه — يعني قوله :

لقد كفن المنهالُ تحت ردائه * فتًى غيرَ مِبطانِ العشيّاتِ أروَعا

فقال : أكذاك كان يا متمم ؟ قال : أمّا ما أعني فنعم .

أخبرني اليزيديُّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن فليح ، عن موسى ابن عقبة ، عن ابن شهاب . وحدّثنيه أحمد بن الجعد قال : حدّثنا محمد بن إسحاق المسيّبي قال : حدّثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب :

أنّ مالك بن نويرة كان من أكثر الناس شَعرا ، وأن خالدًا لما قتله أَمر برأسه فجعل أُثفيّة لقدر ، فنضج ما فيها قبل أن تبلغ النارُ إلى شَواته .

أخبرني محمد بن جرير قال : حدّثنا محمد بن حميد قال حدّثنا مسلمة[1] عن ابن إسحاق ، عن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه .

خطأ خالد بن الوليد في قتله

أن أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه : أنْ إذا غَشِيتم دارًا من دُور الناس فسمعتم فيها أذانًا للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتّى تسألوهم ماذا نقموا ، وإذا لم تسمعوا أذانًا فشُنّوا الغارة واقتلوا[2] وحَرّقوا . فكان ممن[3] شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الأنصاري ، واسمه الحارث بن رِبعيّ أخو بني سَلِمة ، وقد كان عاهد الله أنّه لا يشهد حربًا بعدها أبدا . وكان يحدّث أنّهم لما غَشُوا القومَ راعُوهم تحت الليل ، فأخذ القومُ السلاح . قال : فقلنا لهم : [إنا المسلمون . فقالوا : ونحن المسلمون .

(١) هو مسلمة بن الفضل ، ذكر في ترجمته من تهذيب التهذيب أنه روى عن محمد بن إسحاق ، وكذا ورد في ترجمة محمد بن إسحاق أن سلمة بن الفضل روى عنه . في معظم الأصول : « سلمة » ، والوجه ما أثبت من مب والطبري .

(٢) في الأصول ما عدا ها ، مب : « فاقتتلوا » ، وفي الطبري : « فقتلوا » .

(٣) في معظم الأصول : « من » ، وأثبت ما في الطبري ، ها ، مب .

قلنا [(١)] : فما بال السلاح معكم ؟ فإن كنتم كما تقولون فضَعُوا السلاح . ففعلوا ثم صلّينا وصلّوا . وكان خالدٌ يعتذر فى قتله أنّه قال له وهو يراجعه : ما إخال صاحبكم — يعنى النبيّ صلى الله عليه وسلم — إلا وقد كان يقول كذا وكذا . فقال خالد : أوَ ما تعدّه صاحبًا ؟ ! ثم قدّمه فضربَ عنقَه وأعناق أصحابه ، فلما بلغ قتلُهم عمرُ ابن الخطّاب تكلّم فيه عند أبى بكر رضى الله عنه ، وقال : عدوُّ الله عَدَا على امرئٍ ٥ مسلم فقتلَه ، ثم نَزَا على امرأته . وأقبل خالدُ بن الوليد قافلًا حتّى دخل المسجدَ وعليه قباءٌ له ، وعليه صدأُ الحديد ، معتجرًا بعمامة قد غرز فيها أسهُما ، فلما أنْ دخل المسجدَ قام إليه عُمر فانتزع الأسهمَ(٢) من رأسه فحطّمها ثم قال : أقتلتَ امرأً مسلما ثم نَزَوتَ على امرأته ، والله لأرجُمنّك بأحجارك(٣) ! ولا يكلّمه خالد ابنُ الوليد ولا يظنُّ إلّا أن رأى أبى بكر على مثل رأى عمرَ فيه ، حتّى دخل على ١٠ أبى بكر فأخبره الخبرَ واعتذر إليه ، فعذَره أبو بكرٍ وتجاوَزَ له عمّا كان فى حربه تلك . فخرج خالدٌ حين رضى عنه أبو بكر ، وعمرُ جالسٌ فى المسجد الحرام ، فقال : هلمّ إلىّ يا ابن أم شَمْلة(٤) . فعرف عمرُ أن أبا بكرٍ قد رضى عنه ، فلم يكلّمه ودخل بيتَه . وكان الذى قتل مالكَ بنَ نويرة عبدُ [بن(٥)] الأزوَر الأسدىّ .

ضرار قاتل مالك

وقال محمد بن جرير : قال ابن الكلبى : الذى قتل مالكَ بن نويرة ضِرارُ ١٥ ابن الأزور .

٦٩/١٤

(١) التكملة من ها ومب والطبرى .
(٢) فى معظم الأصول : « السهم » ، والوجه ما أثبت من ها ، مب الطبرى .
(٣) هذا الصواب من أ ، م والطبرى . وفى حـ : « بأحجاره » وفى س : « بأحجار » .
(٤) حـ ، أ ، مب : « سلمة » وفى سائر النسخ « مسلمة » وأثبت ما فى الطبرى . ٢٠
(٥) التكملة من الطبرى . وترجمة عبد بن الأزور فى الإصابة ٥٢٦٢ ، وهو أخو ضرار.

وهكذا روى أبو زيد عُمــر بن شَبَّة[1] عن أصحابه ، وأبو خليفة عن محمد ابن سلّام[2] قال :

جمع المختلفين في عذر خالد

قدِم مالكُ بن نُويرة على النبي صلى الله عليه وسلم فيمن قَدِم من أمثاله من العرب ، فولّاه صدقاتِ قومه بني يربوع ، فلما ماتَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم اضطربَ فيها فلم يُحمَد أمرُه ، وفرّقَ ما في يده من إبل الصدقة ، فكلّمه الأقرع ابن حابسٍ المُجاشعيّ ، والقَعقاع بن مَعبد بن زُرارة[3] الدارميّ فقالا له : إنّ لهذا الأمر قائمًا وطالبا ، فلا تَعجَلْ بتفرقةِ ما في يدك . فقال :

أراني الله بالنَّعَم المنــدَّى[4] * ببُرقةِ رحرحانَ وقد أراني
تَمشّي يابنَ عَوذةَ في تمــيم * وصاحبُك الأقيرعُ تَلْحياني
حميتُ جميعَها بالسّيف صَلتًا * ولم تُرعَش يداي ولا بناني

يعني أمَّ القعقاع ، وهي مُعاذةُ بنت ضِرار بن عمرو . وقال أيضا :

وقلتُ خُذوا أموالَكم غيرَ خائفٍ * ولا ناظرٍ فيما يجيءُ من الغــد[5]
فإنْ قامَ بالأمر المخوف قائمٌ * مَنعنا وقلنا الدينُ دينُ محمّــد

قال ابن سلام[6] : فمن لا يعذر خالدًا يقول : إنه قال لخالد : وبهذا أمرك صاحبُك — يعني النبي صلى الله عليه وسلم — وأنّه أراد بهذه القرشية . ومَن يعذر خالدا يقول : إنّه أراد انتفاءً من النبوّة ، ويحتجّ بشعرَيه المذكورين آنفا . ويذكُر خالدٌ أن النبيّ

---

(١) أبو زيد : كنية عمر بن شبة . وفي الأصول ما عدا ح ، مب : «أبو زيد عن عمر بن شبة» . وكلمة « عن » مقحمة .
(٢) طبقات الشعراء لابن سلام ٧٩ — ٨٢ .
(٣) في الأصول ما عدا « ها » مب : « زياد » صوابه في ها والطبقات .
(٤) النعم : الإبل . وتنديتها : أن يوردها فتشرب قليلا ثم يجيء بها ترعى ثم يردّها إلى الماء .
(٥) البيتان في الإصابة أيضا ٧٦٩٠ . الخزانة (١ : ٢٣٦) ، وفي الخزانة ستة أبيات .
(٦) في الأصول ما عدا « ها » ، مب : « أبو سلام » والكلام لابن سلام في الطبقات ٨٠ .

صلى الله عليه وسلم لما وجّهه إلى ابن جُلندَى قال له : يا أبا سليمان، إنْ رأت عينُك مالكًا فلا تزايلْه أو تقتلَه .

قال محمد بن سلام : وسمعنى يومًا يونُس وأنا أُرادُّ التيمية فى خالدٍ وأعذرهُ ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، أمَا سمعتَ بساقَىْ أم تميم ؟ يعنى زوجةَ مالك التى تزوّجها خالدٌ لما قتله — وكان يقال إنّه لم يُرَ أحسَنُ من ساقيها . قال: وأحسنُ ما سمعتُ من عذر خالد قول متمم بأنّ أخاه لم يُستشهَدْ . ففيه دليلٌ على عذر خالد .

أخبرنا اليزيدى قال : حدّثنا الرياشى قال : حدّثنى محمد بن الحكم البجَلى عن الأنصارى قال :

إنشاد متمم أبا بكر شعرا فى مقتل مالك

صلّى متمم بن نويرةَ مع أبى بكرٍ الصُّبح ، ثم أنشدهُ قوله :

نِعمَ القتيلُ إذا الرياحُ تَناوحَتْ * تحت الإزار قتلتَ يا ابن الأزورِ[1]

أدعوتَه بالله ثُمّ قتلتَه * لو هُو دَعاكَ بِذِمّة لم يَغدِرِ[2]

فقال أبو بكر : والله ما دعوتُه ولا قتلته . فقال :

لا يُضمِر الفحشاءَ تحت ردائه * حلوٌ شمائله عفيفُ المِئزرِ

ولَنِعمَ حَشْوُ الدِّرعِ أنت وحاسرًا * ولنعم مَأوى الطارقِ المتنوّرِ[3]

قال: ثم بكى حتّى سالت عينُه، ثم انخرط[4] على سِيَة قوسِه [متكئًا][5]. يعنى مغشيًّا عليه .

(١) فى الكامل ٧٦١ : « خلف البيوت » . وفى الخزانة (١ : ٢٣٧) : « فوق الكنيف » .

(٢) ها ، مب : « وإذا دعاك بربه لم يغدر » .

(٣) الكامل : « كنت وحاسرا » . الخزانة : « يوم لقائه » .

(٤) الكامل : « ثم بكى وانحط على سية قوسه » .

(٥) التكلة من ها ، مب .

أخبرنى اليزيدى قال حدّثنا الرياشى قال حدّثنى محمد بن صخر بن خلخلة قال:

وصف متمم لأخيه مالك

ذكر متمم بن نويرة أخاه فى المدينة فقيل له: إنّك لتذكر أخاك، فما كانت صفته، أو صفه لنا؟ فقال: «كان(1) يركب الجمل الثفال(2) فى الليلة الباردة، يرتوى(3) لأهله بين المزادتين المضرّجتين(4)، عليه الشّملة الفلوت(5)، يقود الفرس الجرور(6)، ثم يصبح ضاحكا».

٥

تكفين المنهال لمالك

٧٠ / ١٤

أخبرنى اليزيدى قال: حدّثنا أحمد بن زهير، عن الزبير بن حبيب بن بدر الطائى وغيره: أن المنهال: رجلا من بنى يربوع، مرّ على أشلاء مالك بن نويرة لما قتله خالد، فأخذ ثوبا وكفّنه فيه ودفنه، ففيه يقول متمم:

صوت

١٠

لعمرى وما دهرى بتأبين مالك * ولا جزع مما أصاب فأوجعا(7)

لقد كفّن المنهال تحت ردائه * فتى غير مبطان العشيات أروعا

غنّاه عمرو بن أبى الكنّات، ثقيل أوّل بالوسطى عن حبش.

---

(1) فى الكامل: «كان والله أخى فى الليلة المظلمة ذات الأزيز والصراد». وانظر البيان (٣: ٢٥) وشروح سقط الزند ٥٨٧.

١٥

(2) الثفال، كسحاب: البطىء الذى لا يكاد ينبعث.

(3) هذا الصواب من مب. وفى سائر النسخ: «يرتمى».

(4) المضرجتين: المشققتين. وفى البيان وها، مب: «الضوحين» أى اللتين تنضحان الماء.

(5) الشملة: كساء أو مئزر يتشح به. والفلوت: التى لا ينضم طرفاها لصغرها.

(6) الجرور: الذى لا يكاد ينقاد مع من يجنبه، إنما يجر الحبل.

٢٠

(7) ها: «بتأبين هالك» مادهرى كذا، ومادهرى بكذا، أى ما هو همى وإرادتى. التأبين: مدح الميت. جزع بالخفض عطف على تأبين لفظه، وبالنصب عليه لمحله على أن الباء زائدة.

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثنا الحسن بن محمد البصرى، قال: حدّثنا الحسن بن إسماعيل القُضاعى قال حدّثنى أحمد بن عمار العبدى[1]، وكان من العلم بموضع قال: حدّثنى أبى عن جدى قال:

متمم ينشد عمر رثاءه لأخيه مالك

صلّيتُ مع عمر بن الخطاب الصبحَ، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل قَصير أعورَ متنكبًا قوسا[2]، وبيده هِراوة، فقال: مَن هذا؟ فقال: متمم بن نويرة. فاستنشده قولَه فى أخيه، فأنشده:

لعمرى وما دَهرِى بتأبين مالك * ولا جَزِعٍ مما أصابَ فأوجعا

لقد كفّن المِنهال تحتَ ثيابه * فتًى غيرَ مبطانِ العشياتِ أروعا

حتّى بلغ إلى قوله:

وكنّا كنَدمانَىْ جَذِيمةَ حِقبةً * من الدهر حتّى قيل لن يتصدّعا[3]

فلما تفرّقنا كأنّى ومالكا * لِطُول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

فقال عُمر: هذا والله التأبين، ولَوددتُ أنّى أُحسِنُ الشّعر فأرثى أخى زيدًا بمثل ما رثَيتَ به أخاك. فقال متمم: لو أنّ أخى ماتَ على ما مات عليه أخوك ما رثيته — وكان قُتل باليمامة شهيدا، وأمير الجيش خالدُ بن الوليد — فقال عمر: ما عزّانى أحد عن أخى بمثل ما عزّانى به متمم.

قال: وكان عمر يقول: ما هبت الصّبا من نحو اليمامة إلّا خُيِّل إلىّ أنّى أشم ريح أخى زيد[4].

(١) كذا فى ط، ها، مب: «محمد بن عمران العبدى» وسائر النسخ «أحمد بن عمران العبدى».

(٢) ها: «متنكب قوسه».

(٣) لن يتصدعا: لن يتفرقا.

(٤) الخبر فى الكامل وابن سلام وابن قتيبة فى الشعراء ٢٩٧ برواية أخرى.

جزع متمم لمقتل أخيه

قال : وقيل لمتمم : ما بلغ من وجدك على أخيك ؟ فقال أُصِبتُ بإحدى عينىّ فما قطرت منها دمعة عشرين سنة ، فلما قُتِل أخى استهلّت فما ترقأ[1] .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا أبو أحمد الزبيرى قال : حدّثنا عبد الله بن لاحق ، عن ابن أبى مليكة قال :

عائشة تمثل بشعر متمم

٥ مات عبد الرحمن بن أبى بكر بالحُبْشِىّ[2] خارج مكة ، فحُمِل فدفن بمكة ، فقدمت عائشةُ فوقفتْ على قبره وقالت متمثلة :

وكنا كندمانَىْ جذيمةَ حقبةً * من الدهر حتّى قيل لن يتصدّعا

فلما تفرّقنا كأنى ومالكا * لطول اجتماع لم نبتْ ليلة معا

أمّا والله لو حضرتُك لدُفنتُ حيث متّ ، ولو شهدتك مازرتك .

١٠ أخبرنى إبراهيم بن أيوب قال حدّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة :

متمم يصف نفسه وأخاه

أنّ متمم بن نويرة دخل على عمر بن الخطاب فقال له عمر : ما أرى فى أصحابك مثلك . فقال : يا أمير المؤمنين أمّا والله إنّى مع ذلك لأركب الجمَل الثّفال، وأعتقل الرُّمح الشّطون[3] ، وألبس الشّملة الفَلُوت . ولقد أسرَتنى بنو تغلبَ فى الجاهلية فبلغ ذلك أخى مالكا فجاء ليفديَنى منهم[4] ، فلما رآه القومُ أعجبهم جَمالُه ، وحدّثهم فأعجبهم

١٥ حديثُه ، فأطلقونى له بغير فداء .

(١) الخبر برواية أخرى عند ابن سلام . (٢) حبشى ، بالضم : جبل بأسفل مكة بنعمان الأراك . والخبر عند ياقوت فى رسم هذا . ها ، مب « حبل بمكة » .

(٣) فى معظم الأصول : « المثلوب » ولا وجه له ، وفى ها ، مب : « الشطوب » . وأثبت ما فى الشعر والشعراء . والشطون : الطويل الأعوج . وقد تكون « المثلوث » ولكنى لم أجدها فى المعاجم .

٢٠ وفى المعاجم أن المربوع والمخموس من الرماح : ما طوله أربع وخمس أذرع .

(٤) ها : « ليتقذفى منهم » .

٧١
١٤

إنقاذ مالك لأخيه متمم

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى النوفلى عن أبيه وأهله قالوا :
لما أنشد متمم بن نويرة عمرَ بن الخطاب قولَه يرثى أخاه مالكا :

وكنّا كندمانَىْ جذيمة حِقبةً * من الدهر حتّى قيل لن يتصدعا
فلمّا تفرقنا كأنّى ومالِكاً * لطول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

قال له عمر : هل كان مالكٌ يحبُّك مثلَ محبّتك إياه، أم هل كان مثلَك ؟ فقال : ٥
وأين أنا من مالك، وهل أبلغُ مالكا، والله يا أمير المؤمنين لقد أسَرَنى حىٌّ من
العرب فشدّونى وَثاقًا بالقِد ، وألقَونى بفنائهم ، فبلغه خبرى فأقبلَ على راحلته حتى
انتهى إلى القوم وهم جلوسٌ فى ناديهم، فلما نظر إلىّ أعرضَ عنّى ، ونظر القومُ
إليه فعَدَل إليهم، وعرفتُ ما أراد، فسلّمَ عليهم وحادثهم وضاحَكهم وأنشدهم،
فوالله إنْ زال كذلك حتّى ملأهم سرورا ، وحضرَ غَدَاؤهم فسألوه ليتغدّى معهم ١٠
فنزَل وأكل، ثم نظر إلىّ وقال : إنّه لقبيح بنا أن نأكلَ ورجلٌ ملقًى بين أيدينا
لا يأكل معنا ! وأمسكَ يدَه عن الطعام . فلما رأى ذلك القومُ نَهَضُوا وصبُّوا الماء
على قِدّى حتى لانَ وخلَّونى، ثم جاءوا فأجلسونى معهم على الغَدَاء ، فلمّا أكلنا قال
لهم : أما ترون تَحرُّمَ هذا بنا وأكلَه معنا ، إنّه لقبيح بكم أن تردُّوه إلى القِدّ .
فخلّوا سبيلى فكان كما وصفت . وما كذبتُ فى شىء من صفته إلا أنّى وصفتُه ١٥
خميصَ البطن ، وكان ذا بطن .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا أحمد بن نصر العتيقى قال : حدّثنى
محمد بن الحسن بن مسعود الزرقى، عن أبيه عن مروان بن موسى. ووجدت هذا
الخبر أيضا فى كتاب محمد بن على بن حمزة العلوىّ، عن على بن محمد النوفلى عن أبيه :

مشاحة زوجة متمم له

أن عمر بن الخطاب قال لمتمّم بن نويرة : إنكم أهل بيت قد تفانيتم ، فلو تزوجتَ عسى أن تُرزقَ ولدًا يكون فيه بقيّةٌ منكم . فتزوج امرأةً بالمدينة فلم ترضَ أخلاقه لشدّة حُزنه على أخيه، وقلّة حَفْله بها، فكانت تُماظُّه[1] وتؤذيه، فطلّقها وقال:

أقول لهند حين لم أرضَ فِعلَها * أهذا دلالُ الحب أم فعلُ فارك[2]

٥ أمِ الصرمُ ما تبغى ، وكلُّ مُفارقٍ * يسيرٌ علينا فقدُه بعدَ مالكِ

أخبرنى محمد بن جعفر الصيدلانى النحوى قال : حدّثنا محمد بن موسى ابن حماد قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى أحمد بن معاوية، عن سلمويه بن أبى صالح[3]، عن عبد الله بن المبارك عن نعيم بن أبى عمرو الرازى قال :

بينا طلحةُ والزُّبير يسيران بين مكّة والمدينة إذ عرَضَ لهما أعرابى ، فوقفا ١٠ ليمضىَ فوقف ، فتعجّلا ليسبقاه فتعجّل ، فقالا : ما أثقلكَ يا أعرابىّ ، تعجّلنا لنسبقَك فتعجّلت[4]، فوقفنا لتمضىَ فوقفت؟ فقال: لا إله إلا الله مُفْنى أغدرَ الناس[5]، أغدر بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟ هَبانى خِفتُ الضَّلالَ فأحببت أن أستدلَّ بكما ؛ أو خِفتُ الوَحشةَ فأحببت أن أستأنس بكما . فقال طلحة : من أنت ؟ قال : أنا متمم بن نويرة . فقال طلحة : . واسوأتاه ، لقد مَلِلْتنا غيرَ مملول . هاتِ بعض ١٥ ما ذكرتَ فى أخيك من البكاء . فزوّجوه أمَّ خالد، فبينا هو واضعٌ رأسَه على فخذها إذْ بكى فقالت : لا إله إلا الله، أمَا تنسى أخاك . فأنشأ يقول :

أقولُ لها لما نَهَتْنى عن البُكا * أفى مالكٍ تلحَيْنَنى أمَّ خالدِ

٧٢ ١٤ فإنْ كان إخوانى أصيبوا وأخطأتْ * بنى أمك اليومَ الحُتوفُ الرواصدُ

(١) فى ح ، أ ، م : « تماطه » ، وإنما هى بالظاء المعجمة . والمماظة : المنازعة والمخاصمة ٢٠ والمشاتمة . (٢) الفارك : التى تفرك زوجها ، تبغضه . (٣) كذا فى مب وفى ح ، أ : « سلمويه أبى صالح» . (٤) ما عدا ها ، مب : « موقفت» تحريف . (٥) أ : «معنى» . وماعدا ح، ها : «أعاى الناس» . والخبر مختصر فى الإصابة فى ترجمة متمم .

فكلّ بنى أم سُمَيسون ليلةً * ولم يبقَ من أعيانهم غيرُ واحدِ

خبر نديمى جذيمة الأبرش

أمّا معنى قول متمم :

* وكنا كندمانَىْ جذيمة حِقبة *

فإنه يعنى نديمى جذيمة الأبرش الملك ، وهو جذيمة [بن مالك](١) بن فهم(٢) بن غانم ابن دوس بن عدثان(٣) الأسْدىّ(٤) .

وكان الخبر فى ذلك ما أخبرنا به على بن سليمان الأخفش ، عن أبى سعيد السكرى ، عن محمد بن حبيب . وذكر ابن الكلبى عن أبيه والشرقىّ وغيره من الرواة أن جذيمة الأبرش — وأصله من الأزد ، وكان أوّل من ملك قُضاعة بالحيرة ، وأوّل من حَذَا النعال ، وأَدلج من الملوك ، ورُفِع له الشَّمَع(٥) — قال يوماً لجلسائه : قد ذُكر لى عن غلام من لخم ، مُقيم فى أخواله من إياد ، له ظَرف ولُبّ ، فلو بعثتَ إليه يكون فى ندمانى ، ووليّته كأسى والقيامَ بمجلسى ، كانَ الرأى . فقالوا : الرأى مارأى الملكُ ، فليبعثْ إليه . ففعل فلما قدم فَعل به ما أراد له ، فمكث كذلك مدّة طويلةً ثم أشرفَتْ عليه يوما رَقاش ابنةُ الملك ، أختُ جذيمة ، فلم تزلْ تراسلُه حتّى اتصل بينهما ، ثم قالت له : ياعدىّ ، إذا سقيتَ القوم فامزجْ لهم واسقِ الملك صِرفًا ، فإذا أخذَتْ منه الخمر فاخطُبنى إليه فإنّه يزوّجك ، وأَشهِد القومَ عليه

---

(١) التكلة من كتاب أسماء المغتالين لابن حبيب والاشتقاق ٢٩١ والعمدة (٢ : ١٧٨) والمعارف ٢٧٩ ، ٢٨١ ومروج الذهب (٢ : ٩٠) . (٢) فى الأصول : « فهر » ، صوابه من كتاب ابن حبيب والعمدة والاشتقاق . (٣) حـ : « عوثان » ها « غوثان » وفى سائر النسخ ماعدا مب : « عدنان » والوجه ما أثبت من مب وكتاب ابن حبيب والاشتقاق . (٤) الأسدى ، بسكون السين . والأسد لغة فى الأزد ، بل هو بالسين أفصح كما فى اللسان . وفى ها و مب وكتاب ابن حبيب : « الأزدى » . (٥) ت ، س : « وصنع له الشمع » . وما فى سائر النسخ يطابق ما أثبت من المعارف .

إنْ هو فعل . ففعل الغلام ذلك فخطَبها فزوّجه ، وانصرف الغلامُ بالخبر إليها فقالت : عرِّسْ بأهلك . ففعل فلما أصبحَ غدَا مضرَّجًا بالخَلُوق، فقال له جذيمة : ما هذه الآثارُ يا عديّ ؟ قال : آثار العُرس . قال : أيّ عرس ؟ قال : عرس رَقاش . قال : فنخَرَ وأكبّ على الأرض ، ورفع عديٌّ جراميزه، فأسرع جذيمةُ

٥ في طلبه فلم يجسسهُ[1]، وقيل إنه قتله وكتب إلى أخته :

حَــدّثيني رَقاشِ لا تَكذبيني * أبحُــرٍّ زنيتِ أم بهجــينِ[2]

أم بعبــدٍ فأنتِ أهلٌ لعبــدٍ * أم بِدُونٍ فأنت أهــلٌ لدونِ

قالت : بل زوّجْتَني أمرأ عربيــا . فنقلها جذيمة وحصّــنها في قصره ، واشتملت على حَمْلٍ فولدت منه غلامًا وسمّته عمرًا وربّته ، فلما ترعرع حلّته وعطّرته وألبسته

١٠ كُسوةَ مثله[3]، ثم أرته خالَه فأعجِبَ به، وألقيَتْ عليه منه محبّةٌ ومودّة، حتى إذا وَصُفَ[4] خرجَ الغلمان يجتنون الكمأة في سنةٍ قد أكمأتْ ، وخرجَ معهم ، وقد خرج جذيمة فبسط له في روضةٍ ، فكان الغلمانُ إذا أصابوا الكمأة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبَأها ، ثم أقبلوا يتعادَوْن وهو معهم يَقدُمهم ويقول :

هــذا جناى وخِياره فيــه * إذ كلُّ جانٍ يده إلى فيــه

١٥ فالتزمه جذيمةُ وحبَــاه وقرَّبَ من قلبــه ، وحل منه بكلّ مكان . ثم إنّ الجن استطارته ، فلم يزل جذيمةُ يرسِــل في الآفاق في طلبهِ فلم يُسمَع له بخــبر ، فكفّ

---

(١) في مروج الذهب : «فلم يجده» . (٢) بدله في مروج الذهب :

أنت زوجتني وما كنت أدري * وأتاني النســاء للتزيــين

ذاك من شربك المدامة صرفا * وتماديك في الصبا والمجــون

٢٠ (٣) في مروج الذهب : «كسوة فاخرة» .

(٤) كذا على الصواب في حـ ، ها ، مب ، يقال وصف الغلام بضم الصاد ، وأوصف أيضا ، إذا شب ، فهو غلام وصيف ، والأنثى وصيفة . وفي سائر النسخ : «وصب» ، تحريف .

عنه . ثم أقبل رجلان يقال لأحدهما عَقيل والآخر مالك ، ابنا فالج ، وهما يريدان الملكَ بهدية ، فنزلا على ماء ومعهما قينةٌ يقال لها أمّ عمرو ، فنصبتْ قدرا وأصلحت طعامًا ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل رجلٌ أشعثُ أغبر ، قد طالت أظفارُه وساءت حاله ، حتّى جلس مَزْجَرَ الكلب ، فمدّ يدَه فناولتْه شيئًا فأكله ، ثم مدّ يده فقالت : « إن يُعطَ العبدُ كُراعًا يتّسع ذراعا »[1] فأرسلتْها مثلا . ثم ناولتْ صاحبيها من شرابها وأوكأت دَنّها ، فقال عمرو بن عدىّ :

صــــوت

صَددتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرٍو * وكان الكأسُ مَجراها اليمينا
وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمـرو * بصاحبِك الذى لا تَصبَحينا

غناه معبد فيما ذكر عن إسحاق فى كتابه الكبير . وقد زعم بعض الرواة أن هذا الشعر لعمرو بن معد يكرب[2] .

وأخبرنا اليزيدى قال : حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشجانىّ قال : حدّثنا حفص ابن عمرو ، عن الهيثم بن عدى ، عن ابن عياش[3] ، أنّ هذا الشعر لعمرو بن معديكرب فى ربيعة بن نصير اللخمى .

(١) فى مروج الذهب : « طلب ذراعا » .
(٢) بل الأصح فى نسبتهما أنهما لعمرو بن كلثوم فى معلقته .
(٣) فى الأصول : « عن ابن عباس » ، وإنما هو : « ابن عياش » وهو عبد الله بن عياش المتوف ، ترجم له فى لسان الميزان (٣ : ٣٢٢) ، وذكر أن الهيثم بن عدى روى عنه ، وأنه كان ينادم المنصور ويجترئ عليه و يضحكه . وكذا ذكر فى ترجمة الهيثم بن عدى أنه يروى عن عبد الله بن عياش .

رجع الحديث إلى سياقه

فقال الرجلان : ومن أنت ؟ فقال : « إن تنكرانى أو تنكرا نسبى، فإننى عمرو وعدىّ أبى »[1] ، فقاما إليـه فلثّماه، وغسلَا رأسه وقلّما أظفاره، وقصّرا من لِمّته، وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا : ما كُنّا لنهـدىَ إلى الملك هديّةً أنفس عنـده ولا هو عليها أحسن صَفَدًا[2] من ابن أخته، فقد ردّه الله عز وجل إليه. فخرجا حتّى إذا دَفَعا[3] إلى باب الملك بشّراه به، فصرفَه إلى أمّه، فألبسَتْه ثيابًا من ثياب الملوك، وجعلَتْ فى عنقه طوقًا كانت تُلبسه إيّاه وهو صغير، وأمرَتْه بالدخول على خاله، فلما رآهُ قال : « شبَّ عَمْرٌو عن الطوق » فأرسلَها مثلا . وقال للرجلين اللذين قدما به : احتكما فلكما حكمكما . قالا : منادمُتك ما بقيتَ وبقِينا . قال : ذلك لكما . فهما نديمـا جذيمةَ اللذان ذكرهما متمّم ، وضَربت بهما الشعراءُ المثَـل . قال أبو خراش الهذلى :

ألم تَعلمى أنْ قد تفرّق قبلنـا * خليلَا صـفاءٍ مالكٌ وعقيلُ

قال ابن حبيب فى خبره[4] : وكان جذيمةُ من أفضل الملوك رأيا، وأبعدِهم مُغارا، وأشدِّهم نكاية، وهو أوّل من استجمع له الملكُ بأرض العراق، وكانت منازلُه ما بين الأنبار وبَقّة وهيت وعَين التمر، وأطراف البر والقُطقطانة[5] والحيرة، فقَصد فى جموعه

---

(١) جاء هذا الكلام فى الأصول على هيئة الشعر ، ولا يستقيم وزنه . وفى مروج الذهب : « إن تنكرانى فلن تنكرا حسبى، أنا عمرو بن عدى » . (٢) الصفد، بالفتح، وبالتحريك : العطية .

(٣) دفعا إلى الباب، بالبناء للعلوم والمجهول : انتهيا إليه . وفى الأصول ماعدا ها ، مب : « رفعا » .

(٤) هذا الخبر، هو فاتحة كتاب أسماء المغتالين من الأشراف لابن حبيب، نسخة دار الكتب المصرية .

(٥) القطقطانة، بضم القافين : موضع قرب الكوفة من جهة البرية . وفى الأصول : « القطقطانية » ، صوابه فى كتاب ابن حبيب .

عمرو بن الظَّرِب بن حسان[1] بن أذينة بن السميدع بن هو بر[2] العاملى ، من عاملة العماليق[3] ، فجمع عمرو جموعه ولقيه ، فقتله جذيمة وفضّ جموعه ، فانفلّوا[4] وملّكوا عليهم ابنته الزبّاء ، وكانت من أحزم الناس ، فخافت أن تغزوها ملوكُ العرب فاتّخذت لنفسها نَفَقًا فى حصنٍ كان لها على شاطئ الفرات ، وسَكَرت[5] الفراتَ فى وقت قلّة الماء ، و بنتْ أزجا[6] من الآجُرّ والكِلْس ، متّصلا بذلك النفق ، وجعلت نفقًا آخر فى البرّيّة متّصلا بمدينةٍ لأختها ، ثم أجرت الماء عليه ، فكانت إذا خافت عدُوًّا دخلت النَّفَق . فلما اجتمعَ لها أمْرُها واستحكم مُلكها أجمعت على غَزْو جذيمة ثائرةً بأبيها ، فقالت لها أختُها وكانت ذاتَ رأيٍ وحزم : إنّكِ إن غزوتِ جذيمة فإنّه امرؤٌ له ما بعده ، فإن ظفرتِ أصبتِ ثأرَكِ ، و إن ظفر بك فلا بقيّة لك ، والحربُ سِجال ، ولا تدرين كيف تكون[7] ألكِ أم عليك ، ولكن ابعثى إليه فأعلميه أنّك قد رغبتِ فى أن تتزوّجيه وتجمعى ملكَكِ إلى ملكه ، وسَليه أن يجيبَك إلى ذلك ، لأنّه إن اغتر ففعل ظفرتِ به بلا مُخاطَرة . فكتبت الزبّاءُ فى ذلك إلى جَذيمة تقول له : إنها قد رغبت فى صلة بلدها ببلده ، و إنّها فى ضعفٍ من سلطانها ، وقلّة ضبط لمملكتها ، و إنها لم تجد كفئًا غيره ، وتسأله الإقبالَ عليها و جَمْعَ ملكِها إلى مُلكه . فلما

---

(١) كذا على الصواب فى مب . وفى حـ : «حنان» وسائر النسخ : « حيان » ، صوابه فى مب وكتاب ابن حبيب ومروج الذهب . (٢) حـ : « هو بز» وسائر النسخ : « هو يز » ، محرفتان .

(٣) فى معظم الأصول : « العالين » صوابه فى مب وكتاب ابن حبيب ومروج الذهب .

(٤) كذا فى مب . وانفلوا : انهزموا وانكسروا . وفى أ : «انقلبوا» : رجعوا . حـ : «وأنفلوا» وسائر النسخ : « وأغلوا » . (٥) سكر النهر سكرا : سده ، وكل شق سد فقد سكر . وفى الأصول ماعدا ها ، مب : «وسكنت» صوابه فى ها وكتاب ابن حبيب . (٦) الأزج : بيت يبنى طولا . حـ : « أرخا » ها : « أزجاء » وسائر النسخ : « أرحاء » صوابها فى مب وكتاب ابن حبيب .

(٧) فى الأصول ما عدا ها ، مب : « تكونين » تحريف .

وصلَ ذلك إليه استخفَّه وطمع فيه ، فشاور أصحابَه فكلٌّ صوَّبَ رأيَهُ فى قصدها وإجابتهـا ، إلّا قصيرَ بنَ سـعدِ بن عمرو بن جَذيمة بن قيس بن هلال بن نُمـارة[1] ابن لخم ، فقال : هـذا رأىٌ فاتر، وغَدرٌ حاضر، فإن كانتْ صادقة فلْتُقبِلْ إليـك وإلّا فلا تمكنْها من نفسـك فتقعَ فى حبالها وقدْ وتَرتها فى أبيها . فلم يوافقْ جذيمةَ ما قال وقال له : « أنت امرؤٌ رأيك فى الكِنّ لا فى الضِّحِّ »[2] . ورحلَ فقال له قصير فى طريقه : انصرفْ ودمُك فى وجهـك . فقال جذيمة : « ببَقَّـةَ قُضِىَ الأمر » فأرسلَها مثـلا . ومضى حتّى إذا شارف مدينتَها قال لقصـير : ما الرأى ؟ قال : « ببقّة تركتُ الرأى » . قال : فما ظنُّك بالزباء ؟ قال : « القولُ رِدافٌ ، والحزمُ عَثَرَاتُهُ لا تخاف »[3] . واستقبله رسلُها بالهدايا والألطاف فقال : ياقَصير ، كيف ترى ؟ قال « خَطَرٌ يسيرٌ فى خطبٍ كبير »[4] ، وستلقاك الخيول ، فإن سارتْ أمامَك فالمرأةُ صادقة ، وإن أخذَتْ فى جنبيك وأحاطت بك فالقومُ غادرون . فلقيته الخيولُ فأحاطت به ، فقال له قصير : اركبِ العصا فإنّها لا تُدرَك ولا تُسبَق — يعنى فرسًا له كانت تُجنَب — قبلَ أن يَحُولوا بينك و بين جنودك . فلم يفعلْ ، فجال قصيرٌ فى ظهرها فمرّتْ به تعـدو فى أوّل أصحاب جذيمة . ولمـا أُحيط بجذيمةَ التفتَ فرأى قصـيرا على فرسه العصا فى أوّل القوم ، فقال : « لحَـازِمٌ مَنْ يَجْرِى العصا فى أوّلِ القوم »[5] . فذكر

(١) عند ابن حبيب : « بن هليل بن دمى بن نمـارة » .

(٢) الكن : ما يرد الحر والبرد من الأبنية والمساكن . والضح : كل ما أصابته الشمس .

(٣) الرداف : جمع ردف ، وهو الذى يركب خلف الراكب . والعيرانة : الناقة السريعة فى نشاط . أراد أن الحزم يمضى فى شأنه فى ثقة ولا يعبأ بالقول ، بل ربما حطمه . وكلمة « لا » ساقطة من ب ، س والميدانى ، إذ فيها : « عثراته تخاف » ، وفى حـ : « عيران لا يخاف » ، وفى م ، أ : « عراف لا يخاف » . (٤) فى الميدانى : « خطب يسير فى خطب كبير » . (٥) فى ب ، س : « الحازم » . ها ، مب : « لحازم ما تجرى » وفى سائر الأصول : « ما يجرى » . وفى مروج الذهب : (٢ : ٩٤) : « ما ضل من تجرى به العصا » . وفى الميدانى : « ويل أمه حزما على متن العصا » .

أبو عبيدة والأصمعى أنها لم تكن تَقِف، حتّى جرت ثلاثين ميلا، ثم وقفت فبالت هناك ، فبُنِى على ذلك الموضع برجٌ يسمَّى العصا — وأُخِذ جذيمةُ فأُدخِلَ على الزبّاء فاستقبلته قد كشفت عن فرجها ، فإذا هى قد ضَفَرت الشعر عليه ، فقالت : ياجَذِيم أذاتَ عروسٍ تَرى ؟ قال : بل أرى مَتاع أمةٍ لَكْعاءَ غيرِ ذاتِ خفر . ثم قال : بلغ المَدَى ، وجفّ الثَّرَى ، وأمرَ غدرٍ أرى . قالت : والله ما ذلك من عَدم مَواسٍ[1]، ولا قلة أَواسٍ[2] ، ولكنّها شيمةُ ما أُناسٍ[3] . ثم قالت لجواريها : خُذْن بعَضُدِ سيِّدكنّ . ففعلنَ ثم دعَتْ بنِطع فأجلسته عليه ، وأمرَتْ برواهشه[4] فقُطعت فى طَستٍ من ذهب يسيلُ دمه فيه ، وقالت له : يا جَذيم لا يضيعنّ من دمك شىءٌ فإنّى أريده للخَبْل[5]. فقال لها : وما يحزُنك من دمٍ أضاعه أهله . وإنما كان بعض الكهّان قال لها : إنْ نقَط من دمه شىءٌ فى غير الطست أُدرِكَ بثأره . فلم يزلْ دمُه يجرى فى الطَّست حتّى ضعُف ، فتحرّكَ فنقطت من دمه نُقطة على أسطوانة رخامٍ ومات .

قال : والعرب تحدّث فى أنّ دماء الملوك شفاءٌ من الخَبْل . قال المتلمس[6] :

من الدارِميِّين الذين دماؤهم * شِفاءٌ من الداءِ المَجَنَّةِ والخبلِ[7]

---

(١) المواسى : جمع موسى التى يحلق الشعر بها . (٢) الأواسى : جمع آسية ، وهى كتية من الحائط فى لغة أهل البادية . (٣) هذا ما فى حـ ومروج الذهب . و « ما » فيه زائدة . وفى سائر الأصول : « من أناس » . (٤) الرواهش : عروق فى باطن الذراع .

(٥) الخبل ، بفتح الخاء وضمها ، وبالتحريك أيضا : الجنون أو شبهه . (٦) فى الحيوان (٢ : ٦) وعيون الأخبار (٢ : ٧٩) أنه الفرزدق ، ولم أجد البيت فى أحد الديوانين . ونسب فى مروج الذهب إلى البعيث . وفى ها : « قال البعيث » . وأشير فى حاشيتها إلى أنه فى نسخة أخرى « المتلمس » . (٧) المجنة : الجنون . وفى معظم الأصول : « المحبة » صوابه من ها ومن الحيوان وعيون الأخبار ، واللسان (جنن) ومقاييس اللغة (كلب) .

قال : وجمعت دمه فى بَرنيّة وجعلته فى خزانتها ، ومضى قصيرٌ إلى عمرو بن عبد الجِنّ (١) التَّنُوخى فقال له : اطلبْ بدم ابن عمك و إلّا سبّتْك به العرب . فلم يحفِل بذلك ، فخرج قصيرٌ إلى عمرو بن عدىّ ابن أخت جذيمة فقال : هل لك فى أن أصرفَ الجنودَ إليك على أن تطلبَ بثأر خالك ؟ فجعل ذلك له ، فأتى القادةَ والأعلام فقال لهم : أنتم القادةُ والرؤساء ، وعندنا الأموالُ والكنوز . فانصرفَ إليه منهم بشرٌ كثير ، فالتقى بعمرو التنوخى فلما صافُّوا القتال (٢) تابعَه التنوخى ومالك بن عمرو ابن عدىّ ، فقال له قصير : انظرْ ما وعدتَنى فى الزباء . فقال : وكيف وهى أمنعُ من عُقاب الجوّ ؟ فقال : أمّا إذْ أبيتَ فإنى جادعٌ أنفى وأذنى ، ومحتالٌ لقتلها ، فأعِنّى وخَلَاك ذمّ . فقال له عمرو : وأنت أبصر . فجدعَ قصيرٌ أنفه ثم انطلق حتّى دخل على الزباء فقالت : من أنت ؟ قال : أنا قصير ، لا وربِّ البشر ما كان على ظهر الأرض أحدٌ أنصحَ لخدمته منّى ولا أغشَّ لكِ حتّى جدَع عمرو بن عدىّ أنفى وأذنى ، فعرفتُ أنّى لن أكونَ مع أحد أثقلَ عليه منك . فقالت : أىْ قصيرُ نقبَل ذلك منك ، ونصرِّفك فى بِضاعتنا . وأعطتْه مالا للتجارة ، فأتى بيت مالِ الحيرة فأخذ منه بأمر عدىّ ما ظنّ أنه يُرضيها ، وانصرف إليها به ، فلما رأت ما جاء به فرحَتْ وزادته ، ولم يزلْ حتّى أنستْ به فقال لها : إنه ليس مِن ملكٍ ولا ملكة إلّا وقد ينبغى له أن يتّخذ نفقًا يهرُب إليه عند حُدوث حادثة يخافها . فقالت : أمَا أنّى قد فعلتُ واتّخذت نفقًا تحت سريرى هذا ، يخرُج إلى نفقٍ تحت سرير أختى . وأرتْه إياه ، فأظهرَ لها سرورًا بذلك ، وخرج فى تجارته كما كان يفعل ، وعرف عمُرو بنُ عدىٍّ ما فعله ، فركب عمرو فى ألفَىْ دارعٍ على ألف بعير

(١) كذا فى الأصول . وفى الميدانى ومروج الذهب : « عبد الجن » .

(٢) سب : « خافوا القتال » . وفى مروج الذهب : « خافوا الفناء » .

فى الجَوالِق حتى إذا صاروا إليها تقدّمَ قصيرٌ يسبق الإبل ودخَل على الزباء فقال لها : اصعَدى فى حائط مدينتك فانظُرى إلى مالكِ، وتَقدّمى إلى بوابك فلا يعرِضْ لشىءٍ من أعكامنا[1] ، فإنى قد جئتُ بمالٍ صامت . وقد كانت أَمِنته فلم تكن تتّهمه ولا تخافه، فصعِدت كما أمرها فلما نظَرتْ إلى ثِقل مَشْى الجمال قالت — وقيل إنه مصنوع منسوب إليها — :

ما للجِمالِ مشيُها وئيدا * أجندلًا يَحمِلنَ أم حديدا

أم صَرَفانًا باردا شديدا[2] * أم الرجالُ جُثَّمًا قُعودا

فلما دخل آخِرُ الجمال نخَس البوّابُ عِكمًا من الأعكام بمِنخسةٍ معه ، فأصابت خاصرةَ رجلٍ فضَرَط، فقال البوّاب: « شرٌّ والله عكمٌ به فى الجُوالقات[3] » . فثاروا بأهل المدينة ضربًا بالسيف ، فانصرفت راجعةً فاستقبلها عمرو بن عدى فضربها فقتلها، وقيل بل مَصّت خاتَمها وقالت : « بيدى لا بيدِ عَمرو »، وخُربت المدينة وسُبيت الذرارىّ، وغنم عمرٌو كلّ شىء كان لها ولأبيها وأختها، وقال الشعراء فى ذلك تذكُر ما كان من قصير فى مَشُورته على جَذيمة ، وفى جدعه أنفَه ، فأكثروا . قال عدىّ بن زيد :

---

(١) الأعكام : جمع عكم ، بالكسر ، وهو العدل ما دام فيه المتاع .

(٢) الصرفان : الرصاص القلعى ، والموت ، وبهما فسر بيت الزباء فى اللسان (صرف)، ثم روى تفسيرا ثالثا لأبى عبيد، أن الصرفان : ضرب من التمر . قال أبو عبيد : ولم يكن يهدى لها شىء أحب من التمر الصرفان . وأنشد :

ولما أتتها العير قالت أبارد * من التمر أم هذا حديد وجندل

(٣) كذا فى حـ ، وسيبويه لا يجوز هذا الجمع . والجوالق ، بضم الجيم يجمع على جوالق بفتحها ، وكذلك على جواليق . ما عدا حـ : « فى الجواليق » .

ألا يأيها المُثرى المرجّى * ألم تسمع بخَطْب الأوّلينا [1]

دَعا بالبَقّة الأمراءَ يوما * جذيمة ينتحى عُصَبا ثُبِينا [2]

فطاوعَ أمرَهم وعصى قَصيرًا * وكان يقول لو سَمِع اليقينا

وهى طويلة . وقال المتلمس يذكر جَدْع قصير أنفه :

٥ ومِن حَذَر الأيام ما حَزّ أنفَه * قصيرٌ وخاضَ الموتَ بالسيف بيهس [3]

وفى هذا المعنى أشعارٌ كثيرة يطول ذِكرها .

كان جذيمة ملكا شاعرا

وكان جَذيمة الملكُ شاعرا ، وإنّما قيل له الوضاح لبرص كان به ، وكان يُعظِم أن يسمّى بذلك ، فجعل مكانه الأبرش والوضّاح . وهو الذى يقول :

والمُلكُ كان لذى نُوا * سٍ حَوله تَردِى يحابر [4]

١٠ بالسابغات وبالقَنا * والبِيض تَبرق والمَغَافر

أزمانَ لا مُلكٌ يُجيـ * ـر ولا ذِمامَ لمن يُجاور

أودَى بهم غِيَرُ الزما * نِ فمنجدٌ منهم وغائر

وهو الذى يقول :

ربّما أوفيتُ فى عَلَم * تَرفَعن ثوبى شمالاتُ [5]

١٥ فى شبابٍ أنا رابئهم * همْ لذى العَورة صِمّاتُ [6]

(١) فى مروج الذهب : « أيها الملك المرجى » . (٢) البقة : موضع قرب الحيرة . ينتحى : يقصد . الثبون : جمع ثبة بضم ففتح ، وهى الجماعة من الناس . المروج ومعجم البلدان : « ينحوهم » صوابه بالحاء . مب : « عصر ينحوهم ثبينا » . (٣) ويروى : « جز » بالجيم .

(٤) ذو نواس : أحد ملوك اليمن وأذوائهم . المعارف ٢٧٧ والعمدة (٢ : ١٧٧) . وفى معظم

٢٠ الأصول : « لذى براش » صوابه فى ها ومب ومروج الذهب . فى ب ، س : « يزوى بجابر » ، وفى حـ : « بجابر » وفى مروج الذهب : « من ذى بحائر » وأثبت ما فى مب . (٥) ها ، مب : « ترفع الأثواب شملات » . (٦) رابئهم ، أى ربيئتهم يستطلع لهم خبر العدو . وفى الأصول : « رابيهم » . العورة : الخلل فى الثغر يخاف منه العدو ويخشى . والصمة ، بالكسر : الشجاع .

ليتَ شعرى ما أطاف بهم * نحن أدلجنا وهُم باتوا

ثُمّ أبنا غانمين وكم * كَمْ ناسٌ قبلنا ماتوا

فيه غناء يقال إنه ليمانٍ ، ويقال إنه لمعبد، ولم يصحّ .

صــــوت

فى كَفِّه خَيْزُرانٌ ريحُــه عَبِقٌ * من كفِّ أروعَ فى عِرنينه شَمَمُ

يُغضى حياءً ويُغضَى من مَهابته * فما يُكلَّم إلا حين يبتسم

الشعر لحزينِ بن سُليمان الدِّيلىّ، والغناء لإسحاق، ثانى ثقيل بالبنصر عن حبش، وفيه لعريب رملٌ عِملَه على لحن ابن سُريج .

أخبار الحزين ونسبه

لقب الحزين ونسبه

ذكر الواقدى أنه من كنانة وأنه صَلِيبة[1] ، وأنّ الحزين لقبٌ غَلَب عليه ، وأن اسمه عمرو بن عبيد بن وُهَيب بن مالك — ويكنى أبا الشعثاء — بن حُرَيث بن جابر ابن بُجير[2] — وهو راعى الشمس الأكبر — بن يعمر بن عدىّ بن الدِّيل بن بكر ابن عبد مَناة بن كنانة .

أخبرنى بذلك أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة ، عن الواقدى .

قال : وأما عمر بن شبة فإنّه ذكر أنّ الحزين مولًى، وأنه الحزين بن سليمان ، ويكنى سُليمان أبا الشعثاء ، ويكنى الحزين أبا الحكم . من شعراء الدولة الأموية

الحزين شاعر أموى من الهجائين

حجازىّ مطبوعٌ ليس من فُحول طبقته . وكان هَجَّاءً خبيثَ اللسان ساقطا ، يُرضيه اليسير، ويتكسّب بالشرّ[3] وهجاءِ الناس، وليس ممن خَدَم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح، ولا كان يَريم الحجاز حتّى مات .

عبد الله بن عبد الملك الذى قال فيه الحزين الشعر

وهذا الشّعر يقوله الحزينُ فى عبد الله بن عبد الملك بن مروان . وكان عبدالله من فِتيان بنى أمية وظرفائهم ، وكان حسنَ الوجه حسنَ المذهب ، وأمّه أمّ ولد . وزَوجةُ عبدِ الله رملةُ بنت عبد الله بن عبد الله[4] — وعبد الله هذا هو عبد الحجر ابن عبد المدان بن الديان[5] بن قطن[6] بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب

(١) صليبة ، أى خالص النسب . يقال عربى صليبة .

(٢) س ، ب : « بكر » حـ : « بجير » ها ، مب : « بجر » وأثبت ما فى سائر النسخ .

(٣) كذا فى الأصول . وليس ما يوجب أن تكون « بالشعر » .

(٤) كذا فى ها . وفى سائر الأصول : « وعبد الله هذا هو عبد الحجر » .

(٥) ما عدا حـ ، م، ها ، مب : « الريان » بإزاء فى هذا الموضع وتاليه .

(٦) كذا فى ها ، مب . وفى سائر الأصول : « بن قطر بن الديان » .

ابن الحارث بن عمرو. وزوجته هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود ابن مطّلب بن أسد بن عبد العزى[1] بن قُصىّ — تزوجها[2] لمّا كان يُقال إنها ناتق[3] فى ولادها، فماتت عنها ولم تَلِدْ له[4]، فخلَفه محمد بن على بن عبد الله بن العباس على رملة فولدت له محمدا و إبراهيمَ وموسى، و بناتٍ .

٧٧ / ١٤

أخبرنى بذلك عُمَر[5] بن عبد الله بن جميل العَتَكى ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهرى ، ويحيى بن على بن يحيى ، قالوا : حدّثنا عمر بن شبة عن ابن رَوَاحة وغيره . وأخبرنى به الطوسىّ والحرمى عن الزبير عن عمه .

٥

خشية عبد الله ابن عبد الملك من الحزين

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال : حدّثنى الزبير قال : حدّثنى عمى أنّ عبد الله بن عبد الملك حَجّ، فقال له أبوه : سيأتيك الحزينُ الشاعر بالمدينة ، وهو ذَرِب اللسان ، فإياك أن تحتجبَ عنه ، وأرضه . ووصفتُه أنّه أشعرُ[6] ذو بطنٍ عظيمُ الأنف . فلما قدِمَ عبد الله المدينة وصفَه لحاجبه وقال له : إيّاك أن تردّه . فلم يأتِ الحزين حتّى قام فدخَل لينام، فقال له الحاجب: قد ارتفَع . فلما ولّى ذَكَر فلحقَه فقال : ارجعْ، فاستأذنْ له فأدخلْه ، فلما صار بين يديه ورأى جمالَه وبهاءه، وفى يده قضيبُ خيزُران ، وقف ساكتًا ، فأمهله عبدُ الله حتّى ظنّ أنه قد أراح ثم قال له : السلامُ رحمك اللهُ أوّلًا . فقال : عليك السلامُ وحيّا الله وجهَك أيُّها الأمير ، إنّى قد كنت مدحتُك بشعر ، فلما دخلتُ عليك ورأيت جمالَك

١٠

١٥

---

(١) فى الأصول ما عدا «ها» ، مب : «عبد العزيز» تحريف . انظر الاشتقاق ٥٧ ، ١٠١ .

(٢) أى تزوج عبد الله بن عبد الملك رملة .

(٣) الناتق والمتاق : الكثيرة الأولاد . والولاد : الولادة . م : « فاترة فى أولادها » . ها ، مب : « أنه كائن فى أولادها » وفى سائر النسخ : « فاتن » . وفى أ أيضا : «أولادها» .

(٤) أ ، م : « فماتت عنها ولم تلدا » .

(٥) حـ : « عمرو » .

(٦) الأشعر : الكثير الشعر .

٢٠

وبهاءك أذهلنى عنه فأُنسيتُ ما كنتُ قلتُـه ، وقد قلتُ فى مقامى هـذا بيتين .
فقال : ما هما؟ قال :

فى كفّه خيزرانٌ ريحُهـا عبِقٌ * من كفِّ أروعَ فى عرنينه شمَمُ
يُغضِى حياءً ويُغضَى من مهابته * فمـا يكلَّمُ إلا حيـن يبتسم

فأجازه فقال : أخدمْنى[1] أصلحك الله ، فإنّه لا خادم لى . فقال : اختر أحد هذين الغلامين . فأخذ أحدَهما فقال له عبد الله : أعلينا تُرذِل[2] ، خذْ الأكبر .

الخلاف فى نسبة بيتين للحزين

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق فى أبياته التى يمدح بهـا على بن الحسين ابن أبى طالب عليه السلام ، التى أوّلها :

هذا الذى تعرِف البطحاءُ وطأتَه * والبيتُ يعرفه والحِـلُّ والحـرَمُ

١٠ وهو غلطٌ ممن رواه فيهـا . وليس هذان البيتان ممـا يُمدح به مثل على بن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المتُعالَم ما ليسَ لأحد .

حدّثنى محمد بن محمد بن سليمان الباغندى قال : حدّثنى محمد بن عمر العـدَنى قال : حدّثنى سـفيان بن عيينة عن الزهرى قال : ما رأيت هاشِميا أفضلَ من على ابن الحسين .

أخبار فى فضل على بن الحسين

١٥ حدّثنى محمد قال حدّثنا يوسف بن موسى القطان قال : حدّثنا جرير بن المغيرة قال : كان على بن الحسين يُبخَّل ، فلما مات وجدوُه يَعول مائةَ أهل بيتٍ بالمدينة .

حدّثنى الحسن بن على قال : حدّثنى محمد بن معرّس قال حدّثنا محمد بن ميمون قال حدّثنا سفيان عن ابن أبى حمزة الثُّمـالىّ قال :

كان على بن الحسين يحمل جِرابَ الخبز على ظهره فيتصدّق به ويقول : « إنّ ٢٠ صدقة الليل تطفِئ غضبَ الربِّ » .

(١) أى اجعل لى خادما . (٢) أراد تأخذ الرذل، وهو الدون الخسيس .

حدّثنى أبو عبد الله الصّيرفى قال حدّثنا الفضل بن الحسين[(1)] المصرى قال : حدّثنا أحمد بن سليمان قال حدّثنا ابن عائشة قال : حدّثنا سعد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء ، عن نافع قال :

قال على بن الحسين : ما أكلتُ بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قطّ .

حدّثنا الحسن بن على قال : حدّثنى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : حدّثنى إسحاق بن موسى الأنصارى قال : حدّثنا يونس بن بكير ، عن محمد ابن إسحاق قال :

كان ناس من أهل المدينة يعيشون ما يَدرون من أين عَيشُهم ، فلما مات على ابن الحسين فَقَدوا ما كانوا يُؤتَوْن به بالليل .

الأبيات التى مدح بها الفرزدق على بن الحسين

وأما الأبيات التى مدح بها الفرزدق على بن الحسين وخبره فيها ، فحدّثنى بها أحمد بن محمد بن الجعد ، ومحمد بن يحيى قالا : حدّثنا محمد بن زكريا الغلابى قال : حدّثنا ابن عائشة قال :

حج هشام بن عبد الملك فى خلافة الوليد أخيه ، ومعه رؤساءُ أهل الشام ، فجهِد أن يستلم الحجَر فلم يقدِر من ازدحام الناس ، فنُصِب له منبرٌ فجلس عليه ينظر إلى الناس ، وأقبل على بن الحسين وهو أحسنُ الناس وجها ، وأنظفُهم ثوبا ، وأطيبهم رائحة ، فطاف بالبيت ، فلما بلغ الحجَرَ الأسود تنحّى الناس كلُّهم وأخلَوْا له الحجَر ليستلمه ، هيبةً وإجلالا له ، فغاظ ذلك هشامًا وبلغ منه ، فقال رجل لهشام : مَن هذا أصلح الله الأمير ؟ قال : لا أعرفه ، وكان به عارفا ، ولكنه خاف أن

(1) ح : « الحسن » .

يرغب فيه أهل الشام ويسمعوا منه . فقال الفرزدق وكان لذلك كله حاضرا : أنا أعرفه ، فسلني يا شامي . قال : ومن هو ؟ قال :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم

هـذا ابن خير عباد الله كلهم * هـذا التقى النقى الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها * إلى مكارم هـذا ينتهى الكرم

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

فليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم

أى الخلائق ليست فى رقابهم * لأوليـة هـذا أو له نعم[1]

من يعرف الله يعرف أولية ذا * فالدين من بيت هذا ناله الأمم

حبس هشام الفرزدق بسبب مديحه الحسين ثم عفوه عنه

فحبسه هشام فقال الفرزدق :

أيحبسنى بين المدينة والتى * إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلب رأسا لم يكن رأس سيد * وعينا له حولاء باد عيوبها

فبعث إليه هشام فأخرجه ، ووجه إليه على بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال : اعذر يا أبا فراس ، فلو كان عندنا فى هـذا الوقت أكثر من هـذا لوصلناك به . فردها وقال : ما قلت ما كان إلا لله، وما كنت لأرزأ عليه شيئا . فقال له على : قد رأى الله مكانك فشكرك ، ولكنا أهـل بيت إذا أنفـذنا شيئا ما نرجع فيـه . فأقسم عليه فقبلها .

الخلاف فى نسبة الشعر السالف

ومن الناس أيضا من يروى هـذه الأبيات لداود بن سلم فى قثم بن العباس، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد فيه؛ فهى فى روايته :

(١) الأولية : مفاخر الآباء والأجداد . والمراد أصحاب المفاخر من آبائه . انظر اللسان (وأل) .

كم صارخ بك من راجٍ وراجيةٍ * يرجوك يا قُثَمَ الخيراتِ يا قُثَمُ
أىُّ العمائر(١) ليست فى رقابهمُ * لأوّليةِ هذا أوْله نِعَم
فى كفّه خيزرانٌ ريحُها عَبِقٌ * من كفّ أروعَ فى عِرنينه شمم
يُغضِى حياء ويُغضَى من مهابته * فما يُكلَّم إلا حين يبتسم

٧٩/١٤ ومِمن ذكر لنا ذلك الصولى عن الغلابى عن مَهدىّ(٢) بن سابق، أنّ داود بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأوّل فى شعره فى على بن الحسين عليه السلام. ٥

وذكر الرياشى عن الأصمعى أنّ رجلاً من العرب يقال له داود وقف لقُثَم فناداه وقال :

يكاد يُمسكه عِرفانَ راحتِه * رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يَستلمُ
كم صارخ بك من راجٍ وراجيةٍ * فى الناس يا قُثَمَ الخيراتِ يا قُثَم ١٠

فأمر له بجائزة سنية .

والصحيح أنّها للحزين فى عبدالله بن عبد الملك . وقد غلط ابن عائشة فى إدخاله البيتين فى تلك الأبيات . وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعانى متشابهة ، تنبئ عن نفسها . وهى :

الله يعلمُ أنْ قد جُبت ذا يمنٍ * ثمّ العراقَين لا يَثنِينى السَّأَمُ ١٥
ثم الجزيرةَ أعلاها وأسفَلها * كذاك تَسرى على الأهوال بى القدمُ
ثم المواسمَ قد أوطنتُها زمنًا * وحيث تُحلَق عند الجمرة اللِّمَمُ
قالوا دِمشقُ يُنبِّيك الخبيرُ بها * ثم ائتِ مصرَ فثمّ النائلُ العمَمُ
لمّا وقفت عليها فى الجموع ضُحًى * وقد تعرّضتِ الحُجّابُ والخدَمُ

(١) العمائر : جمع عمارة ، وهى الحى العظيم ، أو هى أصغر من القبيلة . ٢٠
(٢) كذا فى أ ، م ها ، مب . وفى حـ : « العلا » وسائر النسخ : « العلائى » .

حَيّيته بسلامٍ وهو مرتفقٌ * وضجّةُ القوم عند الباب تَزدحمُ
في كفّه خيزُران ريحُها عبِقٌ * من كفّ أروعَ، في عِرنينه شممُ
يُغضِي حياءً ويُغضَى من مهابته * فما يكلَّم إلّا حين يبتسمُ
ترى رءوسَ بني مَروانَ خاضعةً * يمشون حولَ ركابَيه وما ظلموا
٥ إنْ هشَّ هشُّوا له واستبشَروا جذَلا * وإنْ همُ آنسوا إعراضَه وجِموا[1]
كلتا يديه ربيعٌ عند ذي خُلُفٍ * بحرٌ يفيض وهادِى عارضٍ هزِمِ[2]

ومن الناس من يقول: إن الحزينَ قالها في عبد العزيز بن مروان، لذكره دمشق ومصر. وقد كان ثَمّ عبدُ الله بن عبد الملك أيضًا في مصر، والحزين بها.

أخبرني الحرمي قال: حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غسان
١٠ عن عبد العزيز بن عمران[3] الزهري قال:

وفود الحزين على عبد الله ابن عبد الملك وإهداؤه غلاما له

وفد الحزين على عبد الله بن عبد الملك، وفي الرقيق أخَوانِ، فقال عبدُ الله للحزين: أيُّ الرقيق أعجبُ إليك؟ قال: ليختَرْ لي الأمير. قال عبد الله: قد رضيتُ لك هذا — لأحدهما — فإنّي رأيتُه حسنَ الصلاح. قال الحزين: لا حاجة لي به فأعطني أخاه. فأعطاه إيّاه. قال: والغلامان مزاحمٌ مولى عمر بن عبد العزيز، وتميم
١٥ أبو محمد بن تميم، وهو الذي اختاره الحزين. قال: فقال في عبد الله يمدحه:

* الله يعلم أنْ قد حيِّيتُ ذا يمن[4] *

وذكر القصيدة بطولها على هذا السبيل.

---

(١) حـ، أ، م: «إن يمشي يمشوا» تحريف. (٢) حـ: «عند ذي خلق». الهادى: المقدّم. والعارض: السحاب يعترض الأفق. والهزم: المتبعق الذي لا يستمسك.

٢٠ (٣) عبد العزيز بن عمران الزهري، ترجم له في تهذيب التهذيب، وذكر ممن روى عنه أبا غسان محمد بن يحيى الكناني. م، أ: «بن عمران أن الزهري» وفي سائر النسخ: «بن عمر أن الزهري» والوجه ما أثبت. (٤) ب، س: «أن قد جبت».

أخبرنى وكيع عن محمد بن على بن حمزة العلوى قال: حدّثنا أبو غسان دَماذ، عن أبى عبيدة قال :

خبر الحزين مع صفوان الطائف

كان على المدينة طائفٌ يقال له صفوان ، مولى لآلِ مَخرمةَ بن نوفل، فجاء الحزينُ الدِّيلى إلى شيخ من أهل المدينة فاستعاره حمارَه[1] وذهب إلى العقيق فشرب، وأقبل على الحمار وقد سكِر، فجاء به الحمارُ حتّى وقفَ به على باب المسجد كما كان صاحبُه عوّده إياه، فمرّ به صفوانُ فأخذه فحبسَه وحبسَ الحمار، فأصبح والحمارُ محبوسٌ معه . فأنشأ يقول :

٨٠/١٤

أيا أهل المدينة خبّرونى * بأىّ جريرة حُبِس الحمارُ
فما للعَير من جُرمٍ إليكم * وما بالعير إنْ ظُلِم انتصارُ

فردّوا الحمار على صاحبه، وضربوا الحزينَ الحدّ، فأقبل إلى مولى صفوان وهو فى المسجد فقال :

نشَدْتُك بالبيت الذى طِيفَ حولَه * وزمزمَ والبيتِ الحرامِ المحجّبِ
لِزانيةٍ صفوانُ أم لعفيفةٍ * لأعلمَ ما آتى وما أتجنّب[2]

فقال مولاه : هو لِزانية . فخرج وهو ينادى : إنّ صفوان ابن الزانية ! فتعلّق به صفوانُ فقال : هذا مولاك يشهدُ أنك ابنُ زانية . فخلّى عنه .

نصيحته لابن عم فى عدم زواجه لمن امرأة وما قال فى ذلك

وقال محمد بن على بن حمزة: وأخبرنى الرياشى أنّ ابن عمٍّ للحزين استشارَه فى امرأةٍ يتزوّجها، فقال له : إنّ لها إخوةً مشائيم وقد ردّوا عنها غيرَ واحد، وأخشى أن يردّوك فتُطلِقَ عليك ألسُنًا كانت عنكَ خُرْسًا. فخطبها ولم يُقبل منه فردّوه، فقال الحزين:

(١) يقال استعاره ثوبا فأعاره إياه ، يتعدى إلى اثنين . مب ، ط : «فاستعار» . م : «فاستعاذه» وهذا تحريف .
(٢) فى البيت إقواء .

نهيتُك عن أمرٍ فلم تَقبل النُّهى * وحذّرتك اليومَ الغُواةَ الأشائما[1]

فصرتَ إلى ما لم أكنْ منه آمِنا * وأشمتَّ أعدائى وأنطقتَ لائما

وما بهمُ مِن رغبةٍ عنك قلْ لهم * فإن تسألونى تسألوا بىَ عالما[2]

نسخت من كتاب لعلى بن محمد الشامى[3] : حدّثنى أبو محلّم . ولم يجاوزه .

٥ وأخبرنى عيسى بن الحسن قال : حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدّثنى عمر بن سلام مولى عمر بن الخطّاب[4] :

شعره فى هجاء سهيل ابن عبد الرحمن ومدح سفيان ابن عاصم

أنّ الحزين الديلى خرجَ مع ابنٍ لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف، إلى منتزهٍ لهم، فسكر الحزينُ وانصرف، فبات فى الطريق وسُلِب ثيابَه، فأرسل إلى سُهيلٍ يخبره الخبرَ ويستمنحه فلم يمنحْه، وبلغ الخبرُ سفيانَ بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان

١٠ فأرسل إليه بجميع ما يحتاج إليه، وعوّضه ثمنَ ثيابه، فقال الحزينُ فى ذلك :

هلّا سُهيلًا أشبهتَ أو بعض أعما * مك يا ذا الخلائق الشكسهْ[5]

ضيّعتَ ندمانك الكريمَ ولم تُشْـ * ـفِق عليه من ليلةٍ نَحِسه

ثم تعاللتَ إذْ أتاك له * صُبحًا رسولٌ بعلّة طفسه[6]

لكنّ سفيانَ لم يكن وَكَلًا * لمّا أتتنا صِلاتُه سلِسه[7]

١٥ سما به أروعٌ ونفسُ فتًى * أروعَ ليست كنفسك الدنِسه

---

(١) النهى : جمع نهية ، بالضم ، وهى اسم من النهى .

(٢) فى بعض الأصول : « تسألونى عالما » .

(٣) ب ، س : « الساعى » مب : « الساعى » .

(٤) مب ، ها : « مولى عمر بن الخطاب » .

٢٠ (٥) ما ، فى هذا زائدة .

(٦) الطفسة : القذرة .

(٧) الوكل ، بالتحريك : الضعيف العاجز الذى يتكل على غيره .

حدّثنا الصولى قال : حدّثنا ثعلب قال حدّثنى عبد الله بن شبيب قال :

هجاؤه لبنى كعب حين ضحكوا عليه

مرّ الحزين الدِّيلى على مجلس لبنى كعب بن خُزاعة وهو سكران ، فضحكوا عليه ، فوقف عليهم وقال :

لا باركَ الله فى كعبٍ ومجلِسهم * ماذا تجمّع من لؤمٍ ومن ضَرَعِ(1)

لا يدرُسون كتابَ الله بينهمُ * ولا يصومون من حِرص على الشبع

فوثب إليه مشايخُهم فاعتذروا منه ، وسألوه الكفّ وأن لا يزيد شيئا على ما قاله ، فأجابهم وانصرف .

أخبرنى الحرمى قال : حدّثنا الزبير قال : حدّثنا عمرو(2) بن أبى بكر المؤمّلى قال : حدّثنى عبد الله بن أبى عبيدة قال :

81/14

الحزين يضرب على كل قرشى درهمين ويأبى إلا أن يهجو كثيرا

كان الحزين قد ضرب على كلّ رجلٍ من قريش درهمين درهمين فى كلّ شهر ، منهم ابن أبى عَتيق ، بجاءهُ لأخذ دِرهميه وهو على حمارٍ أعجفَ ، قال : وكثيّر مع ابن أبى عتيق ، فدعا ابن أبى عتيق للحزين بدرهمين فقال له الحزين : مَن هذا معك ؟ قال : هذا أبو صخر كثيِّر بن أبى جمعة . قال : وكان قصيرًا دميما ، فقال له الحزين : أتأذن لى أن أهجوَه ببيت ؟ قال : لا لعمرى لا آذنُ لك أن تهجو جليسى ، ولكن أشترى عِرضَه منك بدرهمين آخرين . ودعا له بهما ، فأصغَى ثم قال : لابدّ لى من هجائه ببيت . قال : أوَ أشترى ذلك منك بدرهمين آخرين ؟ ودعا له بهما فأخذهما وقال : ما أنا بتاركِه حتّى أهجوَه . قال : أو أشترى ذلك منك بدرهمين آخرين ؟ فقال له كثير : ائذن له ، وما عسى أن يقول فىّ ؟ ! فأذن له ابن أبى عتيق فقال :

---

(1) الضرع : الذل والمهانة . (2) حـ ، مب ، ها : « عمر » .

قصير القميص فاحش عند بيته * يَعَضُّ القُراد باسْتِه وهو قائمُ

شجاره مع كثير

فوثب كثيِّر إليه فوكَزه[1] فسقط هو والحمار، وخلّص ابن أبى عتيق بينهما وقال لكثير: قَبّحك الله أتأذن له وتبسط إليه يدَك . قال كثيِّر : وأنا ظننته يبلغ فى هذا كلّه فى بيتٍ واحد !

٥ ولكثير مع الحزين أخبار أُخَر قد ذُكرت فى أخبار كثيّر .

أخبرنى الحرمى قال : حدّثنى عمى عن الضحاك بن عثمان قال : حدّثنى ابن عُروة[2] بن أذينة قال :

جزعه لبيع قينة أخرجت عن المدينة

كان الحزين صديقًا لأبى وعشيرًا على النبيذ، وكان كثيرًا ما يأتيه، وكان بالمدينة قَينةٌ يهواها الحزينُ ويُكثِر غشيانَها ، فبيعت وأُخرجت عن المدينة، ١٠ فأتى الحزينُ أبى وهو كئيبٌ حزين كاسمه ، فقال له أبى : مالك يا أبا حكيم ؟ قال : أنا والله يا أبا عامر كما قال كثيّر :

لعمرِى لئن كانَ الفؤادُ من الهوى * بَغَى سَقَمًا إنى إذًا لسقيمُ[3]

سألت حكيما أين شطّت بها النوى * فخبَّرنى ما لا أحبُّ حكيمُ

فقال له أبى : أنت مجنونٌ إن أقمتَ على هذا .

١٥ أخبرنى أحمد بن سليمان الطوسى قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثنى مصعب قال:

---

(١) وكزه : دفعه وضربه . مب ، ها ، ف : « فلكزه » . حـ ، أ ، م : « فذكره » ، وهذه محرفة .

(٢) ما عدا حـ ، مب م « ابن أبى عروة » ، محرف .

(٣) بغاه يبغوه و يبغيه : أصاب منه ونال . قال :

٢٠ صحا القلب بعد الإلف وارتد شأوه * وردت عليه ما بغته تماضر

حـ : « نبى » أ ، م : « نفى » ، صوابهما فى س ، ب . مب ، ها ، ف : « بنى » .

مدیحه لجعفر ابن محمد حين كساه لیزور عبد الله ابن عبد الملك

مرّ الحزينُ على جعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث، وعليه أطمارٌ، فقال له : يا ابنَ أبى الشعثاء ، إلى أين أصبحتَ غادياً ؟ قال : أمتع الله بك ، نزل عبدُ الله بن عبد الملك الحرّةَ يريد الحجّ، وقد كنت وفدتُ إليه بمصرَ فأحسنَ إلىّ . قال : أفما وجدتَ شيئاً تلبسُه غير هذه الثياب؟ قال : قد استعرت من أهل المدينة فلم يُعرنى أحد منهم غير هذه الثياب. فدعا جعفرٌ غلاماً فقال : ائتنى بجبّة صوف ، وقميص ورداء . فجاء بذلك فقال : أَبْلِ وأَخلِقْ . فلما ولّى الحزينُ قال جُلساء جعفرٍ له : ما صنعتَ ؟ ! إنّه يَعمِد إلى هذه الثياب التى كسوتَه إيّاها فيبيعها ، ويُفسد بثمنها . قال : ما أبالى إذا كافأتُه بثيابه ما صنعَ بها . فسمع الحزينُ قولَهم وما ردّ عليهم ، ومضى حتّى أتى عبدَ الله بن عبد الملك فأحسنَ إليه وكساه . فلما أصبح الحزينُ أتى جعفراً ومعه القومُ الذين لاموه بالأمس وأنشده:

وما زال ينمو جعفرُ بنُ محمّد * إلى المجد حتّى عَبّلتْه عواذله[1]

وقلن له هل من طريف وتالد * من المال إلّا أنت فى الحقّ باذله[2]

يُحاولنَه عن شيمة قد علِمْنَها[3] * وفى نفسه أمرٌ كريمٌ يُحاوله

ثم قال له : بأبى أنتَ وأمى، سمعتُ ما قالوا وما رددتَ عليهم .

٨٢/١٤

أخبرنى الحرمى قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن الضحاك عن أبيه قال:

هجاؤه لأبى بعرة

صحبَ الحزينُ رجلاً من بنى عامر بن لؤىّ يلقب أبا بعرة، وكان استُعمل على سعايات[4] فلم يصنعْ إليه خيراً، وكان قد صحب قبله عَمرو بن مُساحق[5] وسعد بن نوفل فأحمدهما[6]، فقال له :

(١) عبلته : تركته وأهملته . ف، مب : « جهلته » . (٢) الحق : واحد الحقوق ، ما يحق على المرء ويجب . (٣) فى الأصول ما عدا مب، ها، ف : « قد علبتها » بالتاء .

(٤) السعاية : العمل على الصدقات . ب، س : « فلم يصنع معه خيرا » .

(٥) حـ، أ، م : « عمرو بن مساحق » فقط . (٦) أحمد فلانا : رضى فعله ومذهبه . ب، س : « فحمدها »، وسائر النسخ : « فأحمدها » .

صحبتُك عامًا بعد سَـعدِ بن نوفلٍ * وعمرٍو فما أشبهتَ سعدًا ولا عمرا

وجادًا كما قصّرت فى طلب العلا * فحُـزتَ به ذمًّا وحازا به شـكرا

أبو بعـــرة وابن أبى عتيق

قال : وأبو بعرة هذا هو الذى كان يعبثُ[1] بجاريةٍ لابن أبى عتيق، فشكته إليه فقال لها : عِدِيهِ فإذا جاءكِ فأدخليه إلىّ . ففعلَتْ فأدخلته عليه، وهو وشيخ من نظرائه جالسان فى حَجَلة[2]، فلما رآهما قال : أقسم بالله ما اجتمعتما إلّا على ريبـة . فقال له ابن أبى عتيق : استُر علينا سـتَرَ الله عليك .

قال : وآل أبى بعرة هم موالى آل أبى سمير . قال : فلما ولِىَ المهدىُّ باعوا ولاءهم منه .

بقية هجاء الحزين لأبى بعرة

قال الزبير: وأنشدنى عمى تمـامَ الأبياتِ التى هجـا بها أبا بعرة — وسمّاه لى فقال : وكان اسمه عيسى — وهى :

أولاك الجعادالبيض من آل مالكٍ * وأنتم بنـــو قَينٍ لحِقتم به نَزْرا

— نصب « نزرا » على الحال، كأنه قال : لحقتم به نزرًا قليلا من الرجال —

نســوق بيعورا أمـــيرا كأنمـا * نَسـوق به فى كلِّ مَجمعـــةٍ وَبرا[3]

فإن يكن البيعـــور ذمّ رفيقَــه * قـــراه فقــد كانت إمارتُه نكرا[4]

ومتبِّـع البيعـــور يرجُـو نوالَه * فقد زاده البيعورُ فى فَقـــره فقـــرا[4]

---

(١) فى جمهور الأصول : « يبعث » ، والوجه ما أثبت من مب، ها، ف .

(٢) الحجلة : بيت كالقبة يستر بالثياب .

(٣) كذا فى م، مب . وهو عبث باسمه «أبو بعرة» . وفى حـ، أ : «بيغورا» وفى ها، ف : «بيقورا» وفى س، ب : «بغبور» ، وبغبور، بالضم : لقب ملك الصين، وليس مرادا . ف «دبرا» . وفى سائر النسخ ماعدا مب : « زبرا » تحريف . والوبر : دويبة على قدر السنور من دواب الصحراء حسنة العينين شديدة الحياء، يشبه بها الرجل تحقيرا له . انظر اللسان (وبر) .

(٤) كذا فى م، مب . وفى حـ، أ : « البيغور » وفى ها، ف : « البيقور » ، وفى س، ب : « البغبـــور » .

أخبرنى الحرمى قال : حدّثنى الزبير قال : حدّثنى صالح ، عن عامر ابن صالح قال :

مدح الحزينُ عمرو بن عمرو بن الزبير فلم يُعطه شيئا .

وأخبرنى بهذا الخبر عمى تامًّا واللفظ له ، ولم يذكر الزبير منه إلّا يسيرا ، قال : حدّثنا الكُرانى قال : حدّثنا العمرى قال : حدّثنى عطاء بن مصعب ، عن عاصم ابن الحدثان قال :

هجاء الحزين لعمرو بن عمرو ابن الزبير

دخل الحزين على عمرو بن عمرو بن الزُّبير بن العوام منزلَه ، فامتدحه وسأله حاجةً ، فقال له : ليس إلى ما تطلبُ سبيل ، ولا تقدر أن تملأ الناس معاذيرَ ، وما كلُّ مَن سألَنا حاجةً استحقّ أن نقضيها ، ولرُبَّ مستحقٍّ لها قد منعناه حاجتَه . فقال الحزين : أفمَن المستحقِّين أنا ؟ قال : لا والله ، وكيف تكون مستحقًّا لشيء من الخير وأنت تشتم أعراضَ الناس وتهتِك حريمَهم[1] ، وترميهم بالمُعضِلات ، إنّما المستحق من كفَّ أذاه ، وبذل نداه ، ووقَمَ[2] أعداه . فقال له الحزين : أفمن هؤلاء أنت ؟ فقال له عمرو : أين تُبعِدنى لا أمّ لك من هذه المنزلة وأفضلَ منها ! فوثب الحزينُ من عنده وأنشأ يقول :

حلفتُ وما صبَرتُ على يمينٍ * ولو أُدعى إلى أيمانِ صبرِ[3]
بربِّ الراقصاتِ بشُعثِ قومٍ[4] * يُوافون الجمارَ لصُبحِ عشرِ
لوَ انَّ اللؤمَ كان مع الثريّا * لكان حليفَه عمرُو بنُ عمرو
ولو أنّى عرفتُ بأنّ عمرًا * حليفُ اللؤم ما ضيّعتُ شعرى

(١) بعده سقط فى مب ، ها ينتهى فى ص ٣٤٠ . (٢) الوقم : الإذلال والقهر . ماعدا ء : « وأرغم أعداه » . (٣) ف : « حلفت يمين صبر » . (٤) الراقصات : الإبل ترقص فى سيرها ، وهو ضرب من الخبب . شعث : جمع أشعث . ماعدا ء : «بشعب قوم» تحريف .

هجاؤه لعمرو بن عمرو ومديحه لمحمد بن مروان

فقال العمرى : وحدّثنى لقيطٌ أنّ الحزين قال فيه أيضا يهجوه ويمدح محمد ابن مروان بن الحكم، وجاءه فشكا إليه عَمرًا، فوصله وأحسن إليه . قال :

٨٣
١٤

إذا لم يكنْ للمرء فضلٌ يَزِينُه * سوى ما ادَّعَى يوما فليس له فَضلُ

وتَلقَى الفتى ضخمًا جميلا رُواؤه * يَرُوعك فى النّادى وليس له عقلُ

٥ وآخرُ تنبو العينُ عنه مهذَّب * يجود إذا ما الضَّخم نَهْنَهَهُ البخلُ

فيا راجيًا عمرو بنَ عمرٍو وسَيبَه * أتعرف عمرًا أم أتاهُ بك الجهل (١)

فإن كنتَ ذا جهلٍ فقد يُخطئ الفتى * وإن كنتَ ذا حزم إذًا حارت النبل (٢)

جهلتَ ابنَ عمرو فالتمس سيبَ غيره * ودونك مرمًى ليس فى جدّه هزلُ

عليك ابنَ مروان الأغرَّ محمّدا * تجِدْه كريمًا لا يطيش له نَبلُ

١٠ قال لقيط : فلما أنشد الحزينُ محمد بن مروان هذا الشّعرَ أمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال له : اكفُف يا أخا بنى ليث عن عمرو بن عمرو ولك حكمُك . فقال : لا والله ولا بحُمْرِ النَّعَم وسُودِها، لو أُعطيتها ما كففتُ عنه، لأنه ما علمتُ كثيرُ الشرِّ، قليل الخير، متسلِّط على صديقه، فَظٌّ على أهله . « وخيرُ ابنِ عمرو بالثريا معلّق » .

استثاره محمد بن مروان فهجا عمرو بن عمرو

١٥ فقال له محمد بن مروان : هذا شعر. فقال : بعد ساعةٍ يصير شعرًا ، ولو شئت لعجّلته . ثم قال :

شرُّ ابنِ عمرٍو حاضرٌ لصديقه * وخيرُ ابن عمرو بالثريّا معلّقُ

ووجهُ ابن عمرٍو باسرٌ إن طلبته * نوالًا إذا جاد الكريم الموفق (٣)

(١) أى أتى بك الجهل إليه . (٢) كذا فى م ، أى ضلت سهامك سبيل القصد .
٢٠ وفى أ : « حازت » . وفى سائر النسخ : « حازت » . (٣) بسر بسورا : كلح .

فبئس الفتى عمرو بن عمرو إذا غدت * كتائب هيجاء المنيّـة تبرق (١)

فلا زال عمـرٌو للبـلايا دريّة * تبـاكره حتّى يموت وتطـرق (٢)

يهرّ هريرَ الكلب عمرٌو إذا رأى * طعامًا فـا ينفـكّ يبكى ويشهق

قال : فزجره محمد عنـه ، وقال له : أفٍّ لك ، قـد أكثرتَ الهجاء ، وأبلغت فى الشّتيمة .

قال العمرى : وحدّثنى عطاء بن مصعب عن عبد الله بن الليث الليثى ، قال :

أبيات أخرى فى هجائه لعمرو بن عمـرو

قال الحزين الدّيلى يهجو عمرو بن عمرو بن الزبير :

لعمرك ما عمرو بن عمرٍو بماجدٍ * ولكنّه كزّ اليدين بخيـلُ

ينـام عن التقوى ويُوقظه الخنا * فيخبطُ أثنـاءَ الظلام يجـولُ (٣)

فلا خـير فى عمـرٍو لجارٍ ولا له * ذِمامٌ ولكنْ للئـام وصولُ (٤)

مواعيـدُ عمرٍو تُرّهاتٌ ووجهُـه * على كلّ ما قد قلت فيه دليـل

جبانٌ وفحّاشٌ لئـيمٌ مذمّمٌ * وأكذبُ خَلقِ الله حين يقول

كلام ابنِ عمرٍو صُوفةٌ وسطَ بَلقع * وكفُّ ابنِ عمرٍو فى الرّخاء تطول (٥)

[وأنْ حَزَبته الحازباتُ تشنّجتْ * يداه ورخٌ فى الهيـاج كليـلُ] (٦)

فبلغ شعرُه عمرًا فقال : ماله لعنَه الله ولعن مَن ولده ، لقـد هجانى بنيّةٍ صادقة ولسانٍ صَنعٍ ذَلْقٍ ، وما عدّانى إلى غيرى . قال : فلقى الحزين عروة بن أذينة الليثى فأنشده هذه الأبيات فقال له : وَيْحك ، بعضُها كان يكفيك ، فقد بنيتَها ولم تُقِمْ

تعليـق عروة بن أذينة على هـذا الهجاء

(١) فى جميع الأصول ما عدا ف : « فنفس الفتى » ، تحريف . (٢) الدرية : مسهل الدريئة ، وهى الحلقة يتعلم الطعن والرمى عليها . تطرق : تجيئه ليلا . (٣) هـذا ما ف . وفى سائر النسخ : « فسول » ولعلها « نسول » من النسلان ، وهو الإسراع فى المشى .
(٤) ما عدا ف : « فلا بشر من عمرو » تحريف . (٥) ب ، س : « الرخال » ، وهى جمع رخل ، وهى الأنثى من ولد الضأن . (٦) التكملة من ف .

أَوَدَها ، وداخَلْتها وجعلتَ معانيهَا فى أكِنَّتها . قال الحزين : ذلك والله أرغبُ للناس فيها . فقال له عروة : خيرُ النـاس من حَلُمَ من الجهّال، وما أراه إلا قد حَلُم عنك . فقال الحزين : حلُم والله عنّى شاءَ أو أبى، برغمه وصَغَره[1] .

٨٤ / ١٤

هجاؤه لبنى الزبير ما عدا بنى مصعب

قال العمرى : فحدّثنا عطاء عن عاصم بن الحدثان قال :

لقى شُبّانٌ من ولد الزُّبير الحزينَ ، فتناولوه بألسنتهم ، وهمُّوا بضربه ، فحـال بينهم و بينه ابنٌ لمُصعب بن الزبير[2]، فقال الحزينُ يهجوهم و يهجو جماعةً من بنى أسد ابن عبد العُزّى ، سوى بنى مصعب الذين منعوهم منه ، قال :

لحا الله حيًّا من قُريش تحالفوا * على البُخل بالمعروف والجودِ بالنُّكْرِ

فصاروا لخـلق الله فى اللؤمِ غايةً * بهم تضرب الأمثال فى النثر والشعرِ

فيا عمرو لو أشبهت عمرا ومصعبا * حُمِدتَ ولكنْ أنت منقبضُ البِشْرِ

بنى أسدٍ، سادتْ قريشٌ بجودها * معدًّا وسادتْكُمْ معـدٌّ يَدَ الدّهرِ[3]

تجود قريشٌ بالنَّـدى ورضيتمُ * بنى أسد باللُّؤم والذّلّ والغـدرِ

أعمرو بنَ عمرٍو، لست ممن تَعدُّه * قريشٌ إذا ما كاثَروا الناسَ بالفخرِ[4]

أبتَ لك يا عمرو بنَ عمرٍو دناءةٌ * وخُلْقٌ لئيم أن تَرِيش وأن تَبرِى

أخبرنى الحرمى قال : حدّثنا الزبير قال : حدّثنى محمد بن الضحاك الحزامى قال : حدّثنى أبى قال :

هجاؤه لعاصم بن عمرو حين لم يقره

كان الحزين سفيهاً نَذْلًا يمدح بالنَّزْر إذا أُعطِيَه ، و يهجو على مثله إذا مُنِع ، فنزل بعاصم بن عمرو بن عثمان فلم يَقْرِه، فقال يهجوه بقوله :

---

(١) الصَّغَر ، بالتحريك : الذل والمهانة . (٢) ما عدا ف : « بينهم و بينه مصعب ابن الزبير » ، تحريف . (٣) يد الدهر ، أى طول الدهر . ب ، س : « مدى الدهر » . ف : « وسادتكم طيا معد » . (٤) ما عدا ف : « هاتَروا الناس » . والمعروف فى المهاترة أنها المسابة بالباطل من القول .

سِيروا فقد جُنَّ الظَّلامُ عليكمُ * فباستِ الذى يرجو القِرى عندَ عاصمِ[1]
ظَلِلنا عليــه وهو كالتَّيس طاعمًا * تَشُــدّ على أكبادِنا بالعمائمِ[2]
ومالى من ذنبٍ إليــه علمتُــه * سوى أنّنى قــد جئتُه غيرَ صائمِ

فقيل له : إنّ عاصمًا كثيرًا ما تسمَّى به قريش. فقال : أمَا والله لأَبيِّننَّه لهم فقال :

إليك ابن عثمان بن عفان عاصم بـ * ـنَ عمروٍ سرَتْ عَنْسِى تخابَّ سُراها[3]
فقــد صادفَتْ كَزَّ اليدَينِ مبخَّلا * جبانًا إذا ما الحربُ شُبَّ لظاها
بخيــلًا بمــا فى رحلِه غيرَ أنّهُ * إذا ما خَلَتْ عِرسُ الخليل أتاها

أخبرنى الحرمى قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن الضحاك عن أبيه قال:

مديحه لهلال بن يحيى

قال الحزين لهلال بن يحيى بن طلحة قوله :

هلالُ بن يحيى غُرّةٌ لا خفَا بها * على الناس فى عُسرِ الزمان ولا اليُسرِ
وسعدُ بن إبراهيمَ ظُفرٌ موسَّخٌ * فهل يستريحُ الناسُ من وسَخ الظفرِ[4]

يعنى سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان ولِىَ قضاءَ المدينة من هشام ابن عبد الملك، فلم يُعطِ الحزينَ شيئًا فهجاه . وقال فيه أيضًا :

أتيتُ هلالًا أرتجِى فَضْــلَ سَيبِه * فأفلتَنِى ممّــا أحبُّ هِــلالُ[5]
هِلال بن يحيى غُرّةٌ لا خفــا بها * لكلِّ أُناسٍ غُرّةٌ وهــلالُ[6]

---

(١) يقال للقوم إذا استذلوا واستخف بهم : باست بنى فلان، وهو شتم لهم . قال الحطيئة :
فباست بنى عبس وأستاه طيئٍ * وباست بنى دودان حاشا بنى نصر
حـ : «فاست» وفى معظم النسخ : «فأنت» ، والصواب ما أثبت من ف مطابقا لما فى البيان (٣ : ١٠٥) والبخلاء ١٨٥ ساسى . وقد نسب فى البخلاء إلى مصعب بن عمر الليثى . (٢) فى البيان والبخلاء : «دفعنا إليه وهو كالذيخ خاظيا» . ما عدا حـ ، ف : «فشد» ، تحريف . وكانوا يشدون على أوساطهم بالعمائم عند المجهدة . (٣) فى معظم النسخ : «عيسى» ، العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . والأوفق «عنسى» كما أثبت من ف . والعنس : الناقة الصلبة . (٤) ف : «متى يستريح» . (٥) حـ ، ف : «بما أحب» . (٦) هنا ينتهى سقط مب ، ها الذى نبهت عليه فى ص ٣٣٦ .

صـــوت

ألم تَشهدِ الجونينِ والشِّعب ذا الصَّفا * وكَرَّاتِ قيس يوم دَيْرِ الجماجِم [١]

تحرِّض يا بنَ القَين قيسًا ليَجعلوا * لقـومك يومًا مثـلَ يوم الأراقم [٢]

بسـيفِ أبى رَغوان سـيفِ مُجاشع * ضربتَ ولم تَضربْ بسيفِ ابنِ ظالم

ضربتَ به عنـد الإمام فأُرعِشَتْ * يداك وقالوا مُحْـدَثٌ غـير صارم

٥

الشعر لجرير، والغناء لابن محرز، ثقيل أوّل بالبنصر .

جرير يعير الفرزدق بضربة الرومى والخبر فى ذلك

وهـذه الأبياتُ يقولها جريرٌ يهجو الفرزدق ، ويعـيِّره بضربةٍ ضربَها بسيفه رجلًا من الروم ، بحضره سليمان بن عبد الملك فلم يَصنعْ شيئا .

فحدّثنا بخبره فى ذلك محمّد بنُ العباس اليزيدى قال : حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدّثنـا صالح بن سليمان ، عن إبراهيم بن جبلة بن مَخْـرَمة الكندى ، وكان شيخًا كبيرا ، وكان من أصحاب عبد الملك بن مروان ، ثم كان من أصحاب المنصور ، قال :

١٠

كنتُ حاضرًا سليمان بن عبد الملك .

وأخبرنا على بن سليمان الأخفش واليزيدى عن السكّرى عن محمد بن حبيب عن أبى عبيـدة ، وعن قتادة عن أبى عبيدة فى كتاب النقائض ، عن رؤبة ابن العجاج قال :

١٥

حَجّ سليمان بنُ عبد الملك ومعه الشُّعراءُ ، وحججْتُ معهم ، فمرّ بالمدينة منصرفا فأُتِىَ بأسرى من الرُّوم نحـوٍ من أربعمائة [٣] ، فقعدَ سليمانُ وعنده عبـد الله بن الحسن

(١) ح : « ذى النقا » وفى سائر النسخ : « والنقا » تحريف . وأثبت ما فى مب ، ها ، ف والديوان ٥٦٣ والنقائض ٤٠٩ . وفى تفسير النقائض : « يعنى شعب جبلة » .

(٢) فى الأصول ما عدا مب ، ها ، ف : « تحرض بابن القين » تحريف . وفى الديوان ٥٦١ والنقائض ٤٠٠ : « تحضض يا ابن القين » .

٢٠

(٣) فى معظم الأصول : « أربع » وصوابه من مب ، ها ، ف ، والنقائض ٢٨٣ .

ابن الحسن[(1)] بن على عليهم السلام ، وعليه ثوبان ممصّران[(2)] ، وهو أقربهم منه مجلسا ، فأدنَوْا إليــه بِطْرِيقَهم وهو فى جامعة[(3)] ، فقال لعبــد الله بن الحسن : قُمْ فاضرب عنقه . فقام فمــا أعطاه أحدٌ سيفًا حتّى دفع إليه حَرَسِىٌّ سيفًا كليلا ، فضربَه فأبانَ عنقَه وذراعَه ، وأطنّ[(4)] ساعدَه وبعضَ الغُلّ . فقال له سليمان : اجلسْ فوالله ما ضربتَه بسَيفك ولكن بحسَبك[(5)] . وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه [وإلى الناس][(6)] فيقتلونهم ، حتّى دفع إلى جريرٍ رجلًا ، فدسّتْ إليه بنو عبس سَــيفًا قاطعا فى قِرابٍ أبيض ، فضربَه فأبانَ رأسَــه ، ودفع إلى الفرزدق أسيرًا فدسّت إليه القيسية سيفا كليلا ، فضرب به الأســيرَ ضَرَباتٍ فلم يصنع شيئا ، فضحك سليمانُ وضحك الناس معه .

هذه رواية أبى عبيدة عن رؤبة .

وأمّا سليمان بن أبى شَيخ فإنّه ذكر فى خبره أنّ سليمان لمــا دَفَع إليه الأسير دفعَ إليــه سيفًا وقال له : اقتلْه به . فقال : لا بل أضربُه بسيف مُجاشِع ، واخترط سيفَه فضربَه به فلم يُغْنِ شيئا ، فقال له سليمان : أمَا والله لقد بقِىَ عليك عارُها وشنَارُها ! فقال جرير قصيدتَه التى يهجوه فيها ، ومنها الصوت المذكور ، وأوّلها قوله :

ألَا حىِّ رَبْعَ المنزلِ المتقــادِمِ * وما حُلّ مُذْ حَلّتْ به أمُّ سالمِ

وهى طويلة . فقال الفرزدق :

---

(١) فى معظم الأصول : «الحسين» وصوابه فى مب ، ها ، ف ، والنقائض وانعاظ الحنفاء ٨ .

(٢) ثوب ممصر : مصبوغ بحمرة خفيفة ، أو بصفرة خفيفة .

(٣) الجامعة : الغل ، لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

(٤) أطنه : قطعه .

(٥) فى النقائض : « فقال سليمان : والله ما هو من جودة السيف أجاد الضربة ، ولكن بجودة حسبه وشرف مركبه » .

(٦) التكملة من النقائض .

صـــــوت

اعتذار الفرزدق عن ضربة الرومي وما قال من الشعر في ذلك

فهل ضَربةُ الرُّوميِّ جاعلةٌ لكم * أباً عن كُليبٍ أو أباً مِثلَ دارمِ

كذاك سيوفُ الهندِ تَنبو ظُباتُها * وتَقطع أحيانًا مَناطَ التمائمِ

ولا نَقتلُ الأسرى ولكنْ نفكُّهمْ * إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المَغارمِ

٥ ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات لحنًا لابن محرز، ولم يجنِّسه .

وقال يعرِّض بسليمان ويعيِّر د بنبوِّ سيفِ ورقاءَ بنِ زهيرٍ العبسيِّ عن خالدِ بن جعفر — وبنو عبس أخوال سليمان — قال :

٨٦/١٤

فإنْ يكُ سيفٌ خانَ أو قَدَرٌ أتى * بتعجيلِ نفسٍ حَتْفُها غير شاهدِ[1]

فسيفُ بني عبسٍ وقد ضَربوا به * نَبَا بيدَيْ ورقاءَ عن رأسِ خالدِ

١٠ كذاك سيوفُ الهند تنبو ظُباتُها * وتقطع أحيانًا مَناطَ القلائدِ

ورُوِيَ هذا الخبرُ عن عَوانة بن الحكم، قال فيه :

إنّ الفرزدق قال لسليمان : يا أميرَ المؤمنين ، هبْ لي هذا الأسير . فوهبَهُ له فأعتقَه ، وقال الأبياتَ التي تقدّم ذِكْرُها ، ثم أقبلَ على رُواته وأصحابه فقال : كأنّي بابنِ المراغةِ وقد بلغه خَبري فقال :

١٥ بسَيفِ أبي رَغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ * ضَربتَ ولم تضرِبْ بسيفِ ابنِ ظالمِ

ضَربتَ به عِندَ الإمامِ فأُرعِشَتْ * يداك وقالوا مُحْدَثٌ غيرُ صارمِ

قال : فما لبثنا غيرَ مدّةٍ يسيرة حتّى جاءتنا القصيدةُ وفيها هذان البيتان ، فعجبنا من فِطنة الفرزدق .

(١) في معظم الأصول : « بتحصيل نفس » وظاهره أنه عكس المعنى ، ويمكن أن يحمل على أنه عجل بإحصاره على حين أن حتفه بعيد . وفي مب و ف والديوان ١٨٦ : « بتأخير نفس » .
٢٠ وفي النقائض ٣٨٤ والعمدة (١ : ١٢٦) : « لتأخير نفس » . وفي الحيوان (٣ : ٩٧) : « لميقات يوم » .

وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنا محمد بن عيسى ابن حمزة العلوى، قال : حدّثنا أبو عثمان المازنى قال :

زعم جهم بن خلف أنّ رؤبة بن العجاج حدّثه ، فذكر هذه القصيدةَ وزاد فيها .

قال : واستوهب الفرزدقُ الأسيرَ فوهبَه له سليمان، فأعتقَه وكساه، وقال قصيدَتَه التى يقول فيها :

ولا نقتلُ الأسرى ولكن نفكُّهمْ * إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ

قال : وقال فى ذلك :

تَبَاشَرَ يربوعٌ بنبوةِ ضربةٍ * ضَربتُ بها بين الطُّلَا والحراقد[1]

ولو شئتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنْقه * إلى عَلَق بين الحجابَينِ جامدِ[2]

فإنْ يَنبُ سيفٌ أو تراخَتْ منيّةٌ * لميقاتِ نَفْسٍ حتفُها غيرُ شاهدِ

فسيفُ بنى عبسٍ وقد ضربوا به * نَبَا بيدَىْ ورقاءَ عن رأسِ خالدِ

قال : وقال فى ذلك :

أَيَضْحَكُ الناسُ أن أضحكتُ سيّدَهم * خليفةَ الله يُستَسْقَى به المطرُ

فما نبا السيفُ عن جُبنٍ ولا دَهَشٍ * عند الإمام ولكنْ أخّرَ القدرُ

ولو ضَربتُ به عمرًا مقلَّدَه * لخرَّ جُثمانُه ما فوقَه شَعَرُ[3]

وما يقدِّم نفسًا قبل ميتَتِها * جَمعُ اليدَينِ ولا الصَّمصامةُ الذَّكَرُ

---

(١) الطلا : جمع : طلوة وطلية، وهى أصل العنق . والحراقد، جمع حرقدة، وهى عقدة الحنجور . سـ، أ، م : « الحرائد » مب، ها، ف : « الحدائد » س، ب : « المحارد »، والصواب ما أثبت .

(٢) فى النقائض ٣٨٤ :

ولو شئت قط السيف ما بين أنفه * إلى علق بين الشراسيف جامد

(٣) هذا البيت لم يرد فى النقائض .

خبر يوم الجونين

فأمّا يوم الجونين الذى ذكره جرير، فهو اليوم الذى أغار فيه عتيبة بن الحارث ابن شهاب على بنى كلاب، وهو يوم الرَّغام[1].

أخبرنى بخبره علىّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدى، عن السكرى عن ابن حبيب، ودماذ عن أبى عبيدة وعن إبراهيم بن سعدان عن أبيه :

أنّ عتيبةَ بن الحارث بن شهاب أغار فى بنى ثعلبة بن يربوع على طوائفَ من بنى كلابٍ يوم الجونين فاطّرد إبلَهم، وكان أنسُ بن العباس الأصمّ، أخو بنى رِعلٍ من بنى سليم، مجاورًا فى بنى كلاب، وكان بين بنى ثعلبة بن يربوع وبين بنى رِعْل عهد: لا يُسفَك دمٌ ولا يؤكل مال. فلمّا سمع الكلابيون الدّعوى : يال ثعلبة! يال عبيد! يال جعفر![2] عرفوهم، فقالوا لأنس بن العباس: قد عَرَفنا ما بين بنى رِعل و بنى ثعلبة ابن يربوع، فأدركهم فاحبسْهم علينا حتّى نلحق . فخرج أنسٌ فى آثارهم حتى أدركَهم، فلما دنا منهم قال عُتيبة بن الحارث لأخيه حنظلة: أغنِ عنّا هذا الفارس. فاستقبله حنظلةُ فقال له أنس : إنّما أنا أخوكم وعَقيدُكم، وكنتُ فى هؤلاء القوم فأغرتم على إبلى فيما أغرتم عليه، وهو معكم . فرجع حنظلة إلى أخيه فأخبره الخبر فقال له : حيّاك الله، وهلم فَوَالِ[3] إبلك، أى اعزلْها . قال : والله ما أعرفها، وبنو أخى وأهل بيتى معى وقد أمرتُهم بالركوب فى أثرى، وهم أعرفُ بها منّى . فطلع فوارس بنى كلاب فاستقبلَهم حنظلة بن الحارث فى فوارس فقال لهم أنس : إنّما هم بَنِيّ وبنو أخى[4] . وإنما يربِّثُهم لتلحق فوارسُ بنى كلاب . فلحقوا فحمل

(١) الرغام، بالفتح : رملة بعينها من نواحى اليمامة . وانظر العمدة ٢ : ١٦٧ .

(٢) فى الأصول : « قال ثعلبة قال عبيد قال جعفر » ، صوابه فى النقائض ٤١٠ .

(٣) من الموالاة . فى معظم الأصول : « توال » ، وأثبت ما فى مب ، ها ، ف والنقائض .

(٤) فى معظم الأصول : « إنما هم منى و بنو أخى » ، وأثبت ما فى مب، ها ، ف والنقائض .

الحَوثرةُ بن قيس بن جَزء بن خالد بن جعفر على حنظلة فقتَله[1] ، وحَمَل لأم بن سَلَمة أخو بنى ضِبَارَى بن عبيد بن ثعلبة على الحوثرة هو وابن مُزنة[2] أخو بنى عاصم بن عبيد ، فأسَراه ودفعاه إلى عتيبة فقتله صَبْرًا ، وهُزِم الكلابيّون ومضَى بنو ثَعلبة بالإبل وفيها إبلُ أنس ، فلم تُقِرَّ أنسًا نفسُه حتى اتبعهم رجاءَ أن يُصيب منهم غِرة وهم يسيرونَ فى شَجْراء[3] . فتخلّف عتيبةُ لقضاءِ حاجته ، وأمسك برأسِ فرسه فلم يشعرْ إلاّ بأنسٍ قد مرّ فى آثارهم ، فتقدّم حتى وثب عليـه فأسَره ، فأتى به عتيبةُ أصحابَه فقال بنو عبيدة : قد عرفنا أنّ لأم بن سلمة وابن مزنة[2] قـد أسرَا الحوثرة فدفعاه إليـك فضربت عنقه ؛ فأعقِبْهما[4] فى أنسِ بن عبّاس ، فمن قَتَلْتَه خيرٌ من أنَس . فأبى عتيبةُ أن يفعل ذلك حتّى افتـدَى أنسٌ نفسَه بمائتى بعـير . فقـال العبّاس ابن مرداس يعيِّر عتيبة بن الحارث بفعله :

تعيير العباس بن مرداس لعتيبة بن الحارث

كثُر الضّجاجُ وما سمعتُ بغادرٍ * كعُتَيبةَ بنِ الحارث بن شهاب

جَلّلتَ حنظلةَ المَخَانةَ[5] والخنـا * ودنِستَ آخرَ هـذه الأحقاب

وأسَــرتمُ أنسًا فمَـا حاولتمُ * بإسارِ جارِكمُ بنى الميقـاب

— الميقاب : التى تلد الحمقى . والوقْب : الأحمق — .

باستِ التى ولدتك واستِ معاشِرٍ * تركوكَ تمرسهم[6] من الأحساب

فقال عتيبة بن الحارث :

رد عتيبة بن الحارث عليه

(١) هذا ما فى مب وها ، ف ، والنقائض . وفى سائر النسخ : « فقتل » .

(٢) كذا فى النقائض مب ، ها ، ف « امرأته » . وفى أ ، ء ، م : « مدية » وسائر النسخ « مذنة » .

(٣) الشجراء : الأرض الكثيرة الشجرة . وهذا ما فى مب ، ها ، ف . النقائض : « فى صحراء » ، وهى الأرض السهلة الواسعة . وفى سائر النسخ : « صحراء » .

(٤) فى معظم الأصول : « فأعقهما » تحريف . صوابه فى مب ، ها ، ف .

(٥) المخانة : الخيانة : وفى معظم الأصول : « المجانة » ، صوابه فى مب ، ها ، ف والنقائض ٤١١ .

(٦) تقدّم مثل هذا فى ص ٣٤٠ س ١ .

غدرتمْ غدرةً وغدرتُ أُخرى * فليسَ إلى توافينا سـبيل
كأنّكمُ غـداةَ بنى كلابٍ * — تفاقدتمْ — علىَّ لكم دليلُ

قوله : تفاقدتم ، دعاء عليهم أن يفقد بعضُهم بعضا .

صـــوت

٥ وبالغُفْر دارٌ من جميلةَ هيجت * سوالفَ حُبٍّ فى فؤادكَ مُنصِبِ[1]
وكنتَ إذا ناءت بها غربةُ النوى * شديدَ القوى لم تدرِ ماقولُ مِشْغَبِ[2]
كريمةُ حُرِّ الوجه لم تدْعُ هالكًا * من القوم هُلكًا فى غدٍ غيرِ مُعْقِب
أَسيلةُ مَجرى الدمعِ خُمصانةُ الحشا * بَرُوق الثّنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشرعب[3]

الغُفْر[4] : منازِل لقيس بالعالية . سوالف : مواضٍ . يقول : هيّجتْ حبًّا قد كان
١٠ ثمّ انقطع . ومُنصِب : ذو نصب . ونأت وناءت وبانت[5] بمعنًى واحد ، أى بعدت .
ومِشْغَب : ذو شغَب عليك وخلافٍ فى حبها . ويروى : « مشعب » أى متعدّد
يصرفك عنها . وقوله : « لم تَدعُ هالكًا » أى لم تندبْ هالكًا هلك فلم يخلِّف غيره

---

(١) الغفر ، بضم الغين وسكون الفاء : كثبان حمر بالعالية فى بلاد قيس ، كما فى معجم ما استعجم ،
وقد استشهد بهذا البيت . وفى معظم الأصول : « وبالعقر » بالقاف ، صوابه فى المعجم وديوان طفيل
١٥ ص ٢ ، مب ، ها ، ف .
(٢) فى معظم الأصول : « ما ترك » ، صوابه من مب ، ها ، والديوان ص ٢ .
(٣) فى معظم الأصول : « بدور » ، وأثبت ما فى مب ، ها ، ف . وفى الديوان ص ٣ وسمط
اللآلى ٥٤٥ : « برود » .
(٤) فى معظم الأصول : « العقر » . وانظر ما مضى قريبا .
٢٠ (٥) فى معظم الأصول : « ونأيت » ولا وجه له . وأثبت ما فى مب ، ها ، ف .

ولم يُعقِّب . ومعنى ذلك أنها فى عددٍ وقوم يخلُف بعضُهم بعضًا فى المكارم، لا كمن إذا إذا مات سـيد قومها أو كريمٌ منهم لم يقُمْ أحد منهم مقامه . والمشرعب : الجسيم الطويل . والشَّرعبيّ : الطويل .

الشعر لطفيل الغنوى، والغناء لجميلة[1] ثقيل أول بالوسطى عن الهشامى . وذكره حماد عن أبيه لها ولم يجنّسه . وروى إسحاق عن أبيه عن سياط عن يونس أنّ هذا أحسن صوتٍ صنعته جميلة .

(١) لعل فى اسمها ما دعا إلى اختيار هذه المقطوعة لطفيل فى غنائها .

نسب الطُّفَيل الغَنَوىّ وأخباره

نسب طفيل الغنوى

قال ابن الكلبي : هو طفيل بن عوف [بن كعب بن خلف](1) بن ضُبَيْس ابن خُليف(2) بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن غَنْم بن غَنِىّ بن أعصُر بن سعد ابن قيس بن عيلان .

٥ ووافقه ابن حبيب فى النسب إلا فى خلف [بن ضبيس](2) فإنه لم يذكر خلفًا وقال : هو طفيل بن عوف بن ضبيس . قال أبو عبيدة : اسم غنىّ عَمرو(3)، واسم أعصُر منبه ، وإنما سُمّىَ أعصُرَ لقوله :

قالتْ عُمَيرةُ ما لرأسِكَ بَعْد ما * نَفِدَ الشبابُ أتى بلونٍ منكَرِ

أعُمَيرَ إنّ أباكِ غيَّرَ رأسَه * مرُّ الليالى واختلافُ الأعصُرِ

١٠ فسمّى بذلك .

هو شاعر جاهلى فحل من أوصف العرب للخيل

وطفيلٌ شاعر جاهلى من الفحول المعدودين، ويكنى أبا قُرّان، يقال إنه من أقدم شعراء قيس . وهو [من](1) أوصف العرب للخيل .

أخبرنى هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك أبو دُلَف الخزاعىّ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريب الأنصارىّ قال : قال لى عمى :

نعّات الخيل من الشعراء

١٥ إنّ رجلًا من العرب سمع الناسَ يتذاكرون الخيل ومعرفتها والبصَرَ بها، فقال: كان يقال إنّ طفيلًا ركِبَ الخيلَ ووليها لأهله ، وإنّ أبا دُوَادٍ الأيادىّ ملَكها لنفسه

(1) التكملة من مب ، ها ، ف . (2) فى الديوان برواية السجستانى عن الأصمعى : «طفيل بن عوف بن ضبيس بن دليف بن كعب بن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غنى بن أعصر» . وفى ب ، س : «طفيل بن عوف بن خليف بن ضبيس» . (3) بما عدا حـ ، مب ، ها ؛ ف : «عمر» ، تحريف .

٢٠

وولِيَها لغيره[1]، كان يليها للملوك ، وأن النابغة الجعدى لما أسلمَ الناسُ وآمنوا اجتمعوا وتحدّثوا ووصفوا الخيل، فسمِعَ ما قالوه فأضافه إلى ما كان سَمِعَ وعَرَف قبل ذلك فى صفة الخيل . وكان هؤلاء نُعّاتَ الخيل .

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا عبد الرحمن، قال حدّثنى عمى قال :

كان طفيل أكبر من النابغة

كان طفيلٌ أكبرَ من النابغة ، وليس فى قيس فَحْلٌ أقدمَ منه .

اعتزاز معاوية به

قال : وكان معاوية يقول : خَلّوا لى طُفيلًا وقولوا ما شئتم فى غيره من الشعراء .

أخبرنى عبد الله بن مالك النحوى قال : حدّثنا محمد بن حبيب قال :

تلقيبه بطفيل الخيل

كان طفيلٌ الغنوى يسمَّى « طُفيلَ الخيل » لكثرة وصفه إيّاها .

أخبرنى محمد بن الحسين الكندى خطيب مسجد القادسية ، قال : حدّثنى الرياشى قال : حدّثنى الأصمعى قال :

كان أهل الجاهلية يسمُّون طفيلاً الغَنَوىّ « المحبِّر » ؛ لحُسْن وصْفه الخيل[2] .

أوصف العرب للخيل

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدّثنى محمد بن يزيد قال : قال أبو عبيدة : طُفيلٌ الغَنَوىّ ، والنابغة الجَعْدىّ ، وأبو دُوَادٍ الإيادىّ ، أعلمُ العربِ بالخيل وأوصفُهم لها .

أخبرنى عمى قال حدّثنا محمد بن سعد الكُرَانى قال : حدّثنا العمرى عن لقيط قال : قال قتيبة بن مسلم لأعرابىّ من غَنِىّ قدِمَ عليه من خُراسان : أىُّ بيتٍ قالته العربُ أعفّ ؟ قال : قولُ طفيلٍ الغنوىّ :

أعف بيت

---

(١) ـ ، أ ، م : « وودادها » ، تحريف . ف ، ها : « ورآها » .

(٢) ب ، س ، م : « يسمون طفيلا الغنوى طفيل الخيل لشدة وصفه الخيل » .

ولا أكونُ وكاءَ الزاد أحبسه * لقد علمت بأنّ الزاد مأكولُ[(١)]

أجود بيت فى الحرب وفى الصبر

قال : فأىُّ بيتٍ قالته العرب فى الحروب أجْوَد ؟ قال : قول طفيل :

بحىٍّ إذا قيل اركبوا لم يقل لهم * عَواوِيرُ يخشَوْنَ الرَّدَى أينَ نَركبُ[(٢)]

قال : فأىّ بيتٍ قالته العرب فى الصَّبر أجود؟ قال: قول نافع بن خليفة الغنوى :

٥ ومِن خيرِ ما فينا من الأمر أنّنا * متى ما نُوافِق مَوطِنَ الصّبر نصبِر

قال : فقال قتيبة : ما تركت لأخوانك من باهلة ؟ قال : قول صاحبهم :

وإنا أُناسٌ ما تزالُ سَوامُنا * تنوّر نيرانَ العدوِّ مَتاسمُه[(٣)]

وليس لنا حىٌّ نُضافُ إليهمُ * ولكن لنا عودٌ شديد شكائمه

[حرامٌ وإن صَلّيتَه ودَهنته * تأوّده ما كان فى السيف قائمُه][(٤)]

أبيات الصوت قالها طفيل فى وقعة أوقعها قومه بطيّ

١٠ وهذه القصيدة المذكورة فيها الغناء يقولها طفيلٌ فى وقْعةٍ أوقعها قومُه بطيٍّ ، وحربٍ كانت بينَه وبينهم .

وذكر أبو عمرو الشيبانىُّ والطُّوسىُّ فيما رواه عن الأصمعىّ وأبى عبيدة :

سبب وقعته بطيّ

أنّ رجلًا من غنىّ يقال له قيس النَّدامىّ[(٥)]، وفَد على بعض الملوك، وكان قيسٌ سَيِّدًا جوادا، فلما حفَل المجلسُ أقبلَ الملكُ على مَن حضره مِن وفود العرب فقال:

١٥ لأضعَنّ تاجى على أكرمِ رجلٍ من العرب ، فوضعه على رأسِ قيسَ واعطاه ما شاء،

---

(١) فى الديوان ٣٢ : « إنى لأعلم أن الزاد » . (٢) فى معظم الأصول : « يجىء » و « عوارين » صوابهما فى مب ، ف والديوان ص ٢٠ . وفى الشعر والشعراء ٤٢٣ : « بخيل » . والعواوير : جمع عوار ، كرمان ، وهو الضعيف الجبان السريع الفرار . (٣) نسب البيتان فى ملحق ديوان طفيل ص ٦٥ إليه ، مع أن النص هنا يقطع بأنهما لشاعر من باهلة .

٢٠ (٤) التكملة من مب ، ها ، ف . (٥) فى معظم الأصول : « الدارى » ، صوابه فى مب ، وها ، ف ومعجم البلدان (رمان) وسمط اللآلى ٥٤٦ .

ونادَمه مُدّة ، ثم أذِن له فى الانصراف إلى بلده ، فلما قَرُب من بلادِ طيِّئٍ خرجوا إليه وهم لا يعرفونه ،[فلقُوه برَمّان][1] فقتلوه ، فلما علموا أنّه قيس ندِموا لأياديه[2] كانت فيهم ، فدفنوه وبنوا عليه بيتا . ثم إنّ طفيلا جمع جموعًا من قيس فأغارَ على طيِّئٍ فاستاقَ من مواشيهم ما شاء، وقتل منهم قتلَى كثيرة . وكانت هذه الوقعة بين القَنَان وشرقىّ سَلْمى[3] ، فذلك قول طفيل فى هذه القصيدة :

فذُوقــوا كما ذُقْنـا غَداةَ مُحجَّرٍ * من الغَيظ فى أكبادنا والتحوُّبِ[4]

فبِالقتــلِ قَتْلٌ والسَّــوامُ بمثله * وبالشَّلّ شَـلٌّ الغائط المتصوِّبِ[5]

أخبرنى على بن الحسن[6] بن على قال : حدّثنا الحارث بن محمد ، عن المدائنى ، عن سلمة بن محارب قال :

تمثل أعرابى ببيت من شعر طفيل حين شمت بالحجاج بن يوسف

لمـا مات محمد بن الحجاج بن يوسف جزِعَ عليه الحجاجُ جزعاً شـديدا ، ودخلَ الناسُ عليه يعزُّونه ويسلُّونه ، وهو لا يَسلُو ولا يزداد إلاّ جزَعاً وتفجُّعا ، وكان فيمن دخَلَ عليه رجلٌ كان الحجاج قتلَ ابنَه يومَ الزاوية ، فلما رأى جزعَه وقلّةَ ثَباته للمصيبة شمِتَ به وسُرّ لمـا ظَهَرله منه ، وتمثّلَ بقول طُفيل :

فذُوقــوا كما ذُقْنـا غداةَ مُحجَّرٍ * من الغَيظ فى أكبادنا والتحوب

وفى هذه القصيدة يقول طفيل :

---

(1) التكلة من ﺣ ، أ ، مب ، ها ، ف . وهى فى أ : « برقان » ، تحريف . وقد أورد القصة ياقوت فى رسم (رمان) . (2) ما عدا ﺣ ، مب ، ها ، ف : « لأيادله » .

(3) سلمى : أحد جبلى طيئ . (4) رواية الديوان ص ١٤ : « فى أجوافنا » . والتحوب : التوجع . (5) يقال غاط فى الوادى يغوط ، إذا ذهب فيه . والتصويب : الانحدار . وانظر ديوان طفيل ص ١٤ . (6) ﺣ : « الحسين » .

تَرَى العَينُ ما تَهوى وفيها زِيادةٌ * من اليُمْنِ إذْ تبدو ومَلْهًى لِملعبِ (١)
وبيتٍ تهبُّ الرِّيحُ فى حَجَراتِه * بأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يحجَّبِ (٢)
سَمَاوتُه أسمالُ بُرْدٍ مُحبَّرٍ * وصَهوتُه مِن أتحمىٍّ معصَّبِ (٣)

أخبرنى عيسى بن الحسين بن الوراق قال : حدّثنا الرياشى عن العتبى عن

٥ عن أبيه قال :

قال عبد الملك بن مَرْوان لولده وأهله : أىُّ بيتٍ ضربته العربُ [على عصابة] (٤) ووصفته أشرفُ خِواءً ، وأهْلاً وبناءً ؟ فقالوا فأكثروا ، وتكلّمَ من حضرَ فأطالوا، فقال عبد الملك : أكرم بيتٍ وصفته العرب بيت طُفيل الذى يقول فيه :

٩٠/١٤ سؤال عبد الملك عن أكرم بيت وصفته العرب

وبيتٍ تهبُّ الرِّيحُ فى حَجَراتِه * بأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يحجَّبِ
١٠ سَمَاوتُه أسمالُ بُرْدٍ مُحبَّرٍ * وصَهوتُه من أتحمىٍّ معصَّبِ (٥)
وأطنابُه أرسانُ جُرْدٍ كأنّها * صُدورُ القَنا من بادئٍ ومعقِّبِ (٦)
نصبتُ على قومٍ تُدِرُّ رماحُهم * عروقَ الأعادى من غَريرٍ وأشيبِ (٧)

---

(١) هذا الصواب من مب ، وها ، ف ، والديوان ٣ . وفى معظم الأصول :

يرى السين ما يهوى وفيها زيادة * من اليمن أن تبدو وملهى وملعب

١٥ وفى تفسير الديوان : « وفيها لمن أراد اللهو ملهى فلعب » .

(٢) الحجرات ، بفتحتين : جمع حجرة ، بالفتح ، وهى الناحية .

(٣) سماوة كل شىء : أعلاه . والمعصب ، كأنه مأخوذ من العصب ، وهو ضرب من برود اليمن يعصب غزله ويشد ثم يصبغ وينسج فيأتى موشيا ، لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ . ويروى : « مشرعب » . (٤) التكملة من مب ، ها ، ف . والعصابة : الجماعة .

٢٠ (٥) ما عدا حـ ، مب : « أتحمى » ، تحريف . وفى جميع الأصول ما عدا مب ، ها ، ف : «معصب» . (٦) البادئ : الذى غزا أول غزوة . والمعقب : الذى غزا غزوة بعد غزوة .

(٧) الغرير : الشاب الذى لا تجربة له . حـ : « عرين » وسائر النسخ « عرين » صوابه فى مب ، ها ، ف والديوان ٤ .

شعر طفيل فى المن على قبيلتين من العرب

وقال أبو عمرو الشيبانى : كانت فزارةُ لقيتْ بنى أبى بَكر بن كلاب وجيرانَهم من مُحارب ، فأوقعت بهم وقعةً عظيمة ، ثم أدركتْهم غنىٌّ فاستنقذَتْهم ، فلما قتلتْ طيِّئٌ قيسَ النَّدامى ، وقتلتْ بنو عَبس هُرَيم بنَ سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف ابن خرشة(1) بن عبيد بن سعد بن كعب بن جِلّان(2) بن غَنْم بن غنىّ ، وكان فارساً حسيبا قد ساد ورأس ، قتله ابن هِدْم العبسىّ طريد الملك(3) ، فقال له الملك : كيف قتلته ؟ قال : « حملت عليه فى الكَبّة ، وطعنتُه فى السَّبّة ، حتى خرجَ الرمح من اللَّبّة(4) » . وقُتِل أسماءُ بن واقِد بن رُقَيد بن رياح بن يربوع بن ثَعْلبة بن سعد ابن عوف بن كعب بن جِلّان ، [وهو من النجوم] ، وحصن بن يربوع بن طريف وأمُّهم جُندع بنت عمرو بن الأغرّ بن مالك بن سعد بن عوف . فاستغاثت غنىٌّ بنى أبى بكر وبنى محارب فقعدوا عنهم ، فقال طفيل فى ذلك يمنُّ عليهم بما كان منهم فى نُصرتهم ، ويرثى القتلى ، قال :

تأوّبنى هَمٌّ من الليل مُنْصِبُ * وجاء من الأخبار ما لا أُكذِّبُ

تتابعن حتّى لم تكن لِىَ ريبةٌ * ولم يكُ عمّا خبَّروا مُتعقَّبُ(5)

وكان هُريمٌ من سِنانٍ خليفةً * وحصنٍ ومن أسماءَ لمّا تَغيّبوا(6)

(1) فى الديوان ١٨ : « خرشبة » .
(2) كذا فى حـ ، سب ، ها ، ف . وفى سائر النسخ : « جلان بن تميم » .
(3) فى اللسان (سبب) أنه النعمان بن المنذر .
(4) الكبة ، بالفتح : الحملة فى الحرب والدفعة فى القتال . والسبة : الاست . واللبة : وسط الصدر والمنحر . وفى اللسان (سبب ، كبب) : « طعنة فى السبة » . وفى اللسان (سبب) : « فقلت لأبى حاتم : كيف طعنه فى السبة وهو فارس ؟ فضحك وقال : انهزم فاتبعه فلما رهقه أكب ليأخذ بمعرفة فرسه فطعنه فى سبته » .
(5) فى ديوان طفيل ١٧ : « تظاهرن » ، « ولم يك عما أخبروا » . وفى شرحه : « تظاهرن : تتابعن جاء بعضهن فى إثر بعض . متعقب : لم أستطع تعقب أخبارهم بتكذيب لما ظهر .
(6) فى تفسير الديوان : « سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشبة . وهريم عم سنان . أسماء بن واقد بن وقيد بن رياح بن يربوع » .

ومن قيسٍ الثّاوى بِرِمّانَ[1] بيتُه * ويومَ [حَقِيلٍ فادَ آخرُ][2] مُعجِب
أشمُّ طويلُ السّاعدين كأنه * فَنِيقُ[3] هِجانٍ فى يديه مُركَّب
وبالسَّهبِ[4] ميمونُ النَّقيبة قولُه * لملتمِسِ المعروف أهلٌ ومَرحَب

صوت

٥ كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقضّ كوكبٌ * بَدا وانجلت عنه الدُّجُنَّةُ كوكبُ

الغناء لسليم أخى بابويه، ثانى ثقيل عن الهشامى. وهى قصيدةٌ طويلةٌ، وذكرتُ منها هذه الأبياتَ من أجلِ الغناء الذى فيها. ومن مختار مرثيته فيها قوله :

لعمرى لقد خَلَّى ابنُ جندع[5] ثَلمةً * ومن أينَ إنْ لم يرأب اللهُ تُرْأَبُ
ندامَاىَ أمسَوْا[6] قد تخلَّيتُ عنهمُ * فكيف أَلَذُّ الخمرَ أم كيف أشرب

١٠ مضَوْا سلفاً قَصْدَ السَّبيل عليهمُ * وصَرْفُ المنايا بالرجال تقلَّبُ

صوت

فَدَيت من باتَ يغنّينى * وبتُّ أسقيه ويَسْقينى
ثم اصطبَحْنا قَهوةً عُتِّقتْ * من عَهدِ سابورَ وشِيرِين

٩١/١٤

الشعر والغناء لمحمد بن حمزة بن نصير وجه القَرْعة، ولحنه فيه رمل أول بالبنصر،

١٥ لا نعرف له صنعة غيره .

---

(١) الثاوى : المقيم . رمان، سبق ذكره فى ص ٣٥٢ . حـ، ا : «بريثان» وفى سائر النسخ ماعدا مب : «برثيان» صوابه من الديوان. (٢) حقيل : موضع فى بلاد بنى أسد. فاد يفيد : مات. وموضع هذه التكملة بياض فى حـ، ا، م وإثباتها من مب، ها، ف، والديوان ١٨ ومعجم البلدان (رمان، حقيل) ، وفى س، ب : «ويوم الوغى ليث لدى الكر معجب» . (٣) الفنيق : الفحل المكرم . والبيت لم يرو فى الديوان. (٤) فى معظم الأصول : «وبالشهب» ، تصحيف، ٢٠ صوابه فى مب وها، ف والديوان ١٩ وسيبويه (١ : ١٤٩) . (٥) فى الديوان : «ابن جيدع» . (٦) أمسوا، هى فى ب، س، ا : «سواء» وم : «سوا» حـ : «انيسوا» والوجه ما أثبت من مب . وفى الديوان : «أضحوا» . وفيه أيضا «منهم» بدل «عنهم» .

نسب محمد بن حمزة بن نُصَير الوصيف وأخباره

نسب محمد بن حمزة وتلقيبه وجه القرعة

هو محمد بن حمزة بن نصير الوصيف مولى المنصور، ويكنى أبا جعفر، ويلقّب وَجهَ القَرعة .

مكانه بين المغنين

وهو أحد المغنّين الحُذّاق الضُّرّاب الرُّواة . وقد أخذ عن إبراهيم الموصلى وطبقته، وكان حسنَ الأداء طيِّبَ الصوت، لا علّة فيه، إلا أنّه كان إذا غنّى الهَزَجَ خاصّةً خرج بسببٍ لا يعرف[1]، إلا لآفة تعرض للحسّ فى جنسٍ من الأجناس فلا يصحّ له بتّةً .

تقدير إسحاق الموصلى له

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أن إسحاق بن محمد الهاشمى حدثه عن أبيه، أنه شهد إسحاقَ بن إبراهيم الموصلىّ عند عمه هارون بن عيسى، وعنده محمد بن الحسن ابن مُصعَب، قال : فأتانا محمدُ بن حمزةَ وجهُ القَرعة، فسرّ به عمّى[2] . وكان شرسَ الخُلُق أبِيَّ النّفس، فكان إذا سُئل الغناءَ أباهُ، فإذا أُمسِكَ عنه كان هو المبتدئَ به، فأمسكنا عنه حتّى طلبَ العُودَ فأُتِىَ به فغنّى، وقال :

مرّ بى سِربُ ظِباءٍ * رائحاتٍ من قباءِ[3]

قال : وكان يُحسنه ويُجيده، فجعل إسحاقُ يشرب ويستعيده حتّى شرب ثلاثة أرطال ثم قال : أحسنتَ يا غلام، هذا الغناء لى وأنت تتقدّمُنى فيه، ولا يُخلَقُ الغناءُ ما دام مثلُك ينشأ فيه[4] .

---

(١) مب، ها، ف : «لا لسبب يعرف» .

(٢) فى معظم النسخ : «فسمى به عمى» والوجه ما أثبت من مب، ها، ف .

(٣) قباء، بالضم : قرية على ميلين من المدينة .

(٤) هذا الصواب من مب، ها، ف، وفى ب، س : «ينشر لحنه» . وفى سائر النسخ : «لحنه» . وفى جميع النسخ : «ولأدعن» بدل «ولا يخلق» .

قال : وحدثني إسحاق الهاشمي عن أبيه قال :

إعجاب مخارق بغنائه

كنا في البستان المعروف ببستان خالص النصرانيّ ببغداد، ومعنا محمد بن حمزة وجهُ القرعة، فيغنِّينا[1] قولَه :

يا دارُ أقفــرَ رسمُهــا * بين المحصَّب والحَجُونِ
يا بشــرُ إنِّي فاعلمي * واللهِ مجتهـدًا[2] يميـني

٥ فإذا برجلٍ راكب على حمارٍ يؤمُّنا وهو يصيح : أحسنتَ يا أبا جعفر، أحسنتَ واللهِ ! فقلنا : اصعَدْ إلينا كائنًا مَنْ كنت . فصعِد وقال : لو منعتموني من الصُّعود لما امتنعتُ . ثم سَفَرَ اللِّثامَ عن وجهه فإذا هو مُخارِق ، فقـال : يا أبا جعفر أعِدْ عليَّ صوتَك . فأعاده فشرِب رِطلاً من شرابنا وقال: لولا أنِّي مدعوُّ الخليفةِ لأقمتُ
١٠ عندكم واستمعتُ هذا الغناءَ الذي هو أحسَنُ من الزَّهَرِ ، غِبَّ المَطَر .

نسبة ما في هـذه الأخبار من الغناء

منهـا :

صـــوت

مرّ بي سِـربُ ظِبـاءِ * رائحـاتٍ من قُبـاءِ
١٥ زُمَرًا[3] نحـوَ المصـلَّى * يتمشَّينَ حِـذائي
فتجاسَـــرتُ وألقيْـ * ـتُ سَرابيـلَ الحيـاء
وقديمًا كان لَهْـوِي * وفُتُـــوني[4] بالنِّســاءِ

---

(١) ا ، م : « فتغنينا » . (٢) ما عدا ء ، م ، مب ، ها ، ف : « مجتهد » .
(٣) زمرا : جماعات . (٤) الفتون : الفتنة .

الغناء لإسحاق مما لا يشكّ فيه من صنعته ، ولحنه من ثقيل أوّل مطلق فى مجرى الوسطى . وذكر محمد بن أحمد المكى أنه لجدّه يحيى . وذكر حبش أنّ فيه لابن جامع ثانىَ ثقيل بالوسطى

٩٢
١٤

ومنها :

صـــوت

٥

يا بِشْـــرُ إنى فاعلِى * واللهِ مُجتهِـدًا يمينى[1]

ما إن صرمتُ حِبالَكمْ * فصِلى حبالى أو ذَرِينى

استبدَلُوا طَلَبَ الحِجا * زِ وسُرّةِ البـلدِ الأمينِ

بحـــدائقٍ محفـــوفةٍ * بالبيتِ من عِنَبٍ وتينِ

١٠

يا دارُ أقفَـرَ رسمُهـا * بين المحصَّبِ والحَجُونِ

أقـوَتْ وغـيَّرَ آيَهـا * طُولُ التَّقادُمِ والسِّنينِ

الشـعر للحارث بن خالد ، والغناء لابن جامع فى الأربعـة الأبيات الأوَل ، رمل بالوسـطى ، ولابن سريج فى الخامس والسـادس والأول والثـانى ثقيل أول بالبنصر .

١٥

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى محمد بن مهرويه قال : حدثنا عبد الله ابن أبى سعد قال : حدثنى الفضل بن المغنّى ، عن محمد بن جبر قال :

علو كعبه فى الغناء وانتصار إسحاق له

دخلنا على إسحاقَ بن إبراهيم الموصلىّ نعودُه من علّةٍ كانَ وجدَها، فصادفْنا عنده مُخارِقًا ، وعَلُّويَةَ ، وأحمد بن المكى وهم يتحدَّثون ، فاتّصل الحديث بينهم ، وعَرَضَ إسحاقُ عليهم أن يقيموا عندَه ليتفرّجَ بهم[2] ، ويُخرِجَ إليهم سِتارتَه يغنُّون من ورائها ،

٢٠

(١) ما عدا حـ ، م ، مب ، ها ، ف : « مجتهد » .

(٢) ب ، س ، أ : « ليفرح » وسائر النسخ : « ليفرج » والصواب ما أثبت من مب ، ها ، ف .

ففعلوا وجاء محمدُ بن حمزة وجهُ القرعة على بقيّة(١) ذلك فاحتبسه إسحاقُ معهم، ووُضِع النبيذ وغنّوا ، فغنّى مخارقٌ أو علّويةُ صوتا من الغناء القديم ، فخالفه محمدٌ فيه وفى صانعه، وطال مراؤهما فى ذلك، وإسحاقُ ساكت ، ثم تحاكما إليه فحكم لمحمد وراجعه علوية، فقال له إسحاق : حسْبك ، فوالله ما فيكم أدرَى بما يخرج من رأسه منه . ثم غنّى أحمد بن يحيى المكّىّ قوله :

٥

* قل للجُمانة(٢) لا تَعجَلْ بإسراج *

فقال محمد : هذا اللحن لمعبد ولا يُعرف له هزَجٌ غيره. فقال أحمد : أمّا على ما شرَط أبو محمد آنفًا من أنّه ليس فى الجماعة أدرَى بما يَخرُج من رأسه منك فلا مُعارضَ لك . فقال له إسحاق : يا أبا جعفر ، ما عنيتُك والله فيما قلتُ ، ولكنْ قد قال إنّه لا يُعرف لمعبد هزجٌ غير هذا ، وكلّنا نعلم إنّه لمعبد ، فأكذِبْه أنت بهزَجٍ آخر له مما لا يُشَكّ فيه . فقال أحمد : ما أعرف .

١٠

نسبة هـــذا الصوت

قال محمد بن الحسن : وحدثنى إسحاقُ الهاشمىّ عن أبيه :

استماع جوارى إسحاق إلى غنائه وإعجابهن به

أنّ محمدًا دخلَ معه على إسحاقَ الموصلىّ مهنّئا له بالسلامة من عِلّةٍ كان فيها ، فدعا بعُود، فأمرَ به إسحاقُ فدُفِـع إلى محمد، فغنّى أصواتًا للقدماء وأصواتا لإبراهيم، وأصواتًا لإسحاق، فى إيقاعاتٍ مختلفة ، فوجّه إسحاقُ خادمًا بين يديه إلى جوارى أبيه ، فخرجْنَ حتّى سمعْنَه من وراء حجاب، ثم ودّعَه وانصرف، فقال إسحاقُ للجوارى : ما عندكنّ فى هذا الفتَى ؟ فقلن : ذكّرْتَنا والله أباك فيما غنّاه . فقال : صدَقتن . ثم أقبلَ علينا فقال : هو مغنٍّ مُحسن، ولكنّه لا يصلحُ للطارحة لكثرة زوائده، ومثله إذا طارحَ جَسَر(٣) الذى يأخُذُ عنه فلم ينتفعْ به، ولكنّهُ ناهيكَ به مِنْ مغنٍّ مُطْرب .

١٥

٢٠

(١) مب ، ها ، ف : «على تقية ذلك» . (٢) أ ، م : «الجماعة» .

(٣) جسر ، بالجيم فى جميع النسخ ، أى عجز . وأصله من قولهم : جسر الفحل وفدر وجفر ، إذا ترك الضراب . مب ، ها ، ف : «حير» .

٩٣ / ١٤

طلب مخارق منه أن يصلح غناء جواريه

قال إسحاق: وحُدِّثت أنه صار إلى مخارق عائدا، فصادف عنده المغنِّين جميعا، فلما طلَع تغامَزُوا عليه، فسلَّم على مخارق وسأله به، فأقبل عليه مخارقٌ ثم قال له: يا أبا جعفر، إنّ جواريَك اللواتى فى مِلكى قد تَرَكن الدَّرسَ مِن مُدّة، فأحبُّ أن تدخلَ إليهن وتأخذَ عليهنّ وتُصلح من غنائهن. ثم صاح بالخدم فسعوْا بين يديه إلى حُجرة الجوارى، ففعلَ ما سأله مخارق، ثم خرجَ، فأعلمَه أنه قد أتى ما أحبَّه، والتفت إلى المغنِّين فقال: قد رأيتُ غَمْزكم، فهل فيكم أحدٌ رضىَ أبو المهنّا أعزّه الله حِذقَه وأدبَه وأمانته، ورضَيه لجواريه غيرى؟ ثم ولَّى فكأنما ألقمَهُم حَجرا، فما أجابه أحد.

صـــوت

عَفَتِ الدِّيارُ مَحلُّها فمُقامُها * بِمِنًى تأبَّدَ غَوْلُها فرِجامُها

فمَدافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّىَ رسمُها * خَلَقًا كما ضَمِنَ الوُحِىَّ سِلامُها

فاقنعْ بما قسمَ الإلهُ فإنّما * قَسَمَ الخلائقَ بيننا عَلّامُها(١)

عروضه من الكامل. عفت: درست. ومِنًى: موضعٌ فى بلاد بنى عامر، وليس منى مكّة. تأبّد: توحّش. والغَول والرِّجام: جبلانِ بالحِمى. والرَّيانُ: وادٍ. مدافعهُ: مَجارى الماء فيه. وعُرِّىَ رسمها، أى تُرِك وارتُحِل عنه(٢). يقول: عُرِّىَ من أهله. وسِلامها: صُخورها، واحدتها سَلِمة.

الشعر للبيد بن ربيعةَ العامرىّ، والغناء لابن سُرَيج، رملٌ بالسبابة فى مجرى البِنصر عن إسحاق، وفيه لابن مُحرِز خفيفُ رملٍ أوّلَ بالوسطى عن حَبَش، وذكر المشامىّ(٣) إنّ فيه رملًا آخَر للهذلى فى الثالث والأول.

(١) ما عدا مب، ها، ف: «فارض بما». (٢) ب، س: «نزل» وسائر النسخ «ترل»، والصواب ما أثبت من مب، ها، ف. (٣) ما عدا مب: «الهاشمى».

نسب لبيد وأخباره

نسبه

هو لَبِيد بن ربيعة بن مالك[1] بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان ابن مضر .

والد لبيد ومقتله

وكان يقال لأبيه "ربيعُ المقترين"[2] لجوده وسخائه . وقتلته بنو أسد[3] في الحرب التي كانت بينهم وبين قومهم وقومه .

عمه أبو براء

وعمّه أبو بَرَاء عامرُ بن مالك ملاعبُ الأسنة ، سُمِّي بذلك لقول أوس ابن حجر فيه :

فلاعَبَ أطرافَ الأسنّة عامرٌ * فراحَ له حظُّ الكتيبة أجمعُ[4]

أم لبيد

وأمّ لبيد تامرة[5] بنت زِنباع العبسية، إحدى بنات جَذِيمة بن رَوَاحة .

صفات لبيد

ولبيدٌ أحد شعراء الجاهليّة المعدودين فيها والمخضرَمين ممّن أدرك الإسلام ، وهو من أشراف الشُّعراء المُجيدين الفُرسان القُرّاء المعمَّرين ، يقال إنه عمِّر مائةً وخمسا وأربعين سنة .

أخبرني بخبره في عُمره أحمد بن عبد العزيزي الجوهري قال : حدثنا عُمَر ابن شبّة عن عبد الله بن محمد بن حكيم . وأخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا

(١) في الخزانة (١ : ٣٣٧) : « بن ربيعة بن عامر بن مالك » .

(٢) هذا يطابق ما في الشعر والشعراء ٢٣١ . وفي مب ، ها ، ف « المقتر » . وسائر النسخ « المعترين » . والصواب في ذلك كله « ربيع المقترين » . ومما يشهد له قول لبيد نفسه يذكر أباه :

ولا من ربيع المقترين رزئته * بذى علق فاقنى حياءك واصبرى

انظر معجم البلدان (علق) .

(٣) في معظم الأصول : « بنو لبيد » ، صوابه من مب ، ها ، ف الشعر والشعراء .

(٤) في معظم الأصول : «لها» ، صوابه في مب، ها، ف والديوان ١١ والخزانة (١ : ٣٢٨) والشعر والشعراء ٢٣٥

(٥) ها ، ف : « تامر » .

ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبى سعد، عن على بن الصباح، عن ابن الكلبى، وعن علىّ بن المسور عن الأصمعىّ، وعن المدائنى وعن رجالٍ ذكرهم، منهم أبو اليقظان وابن دأب، وابن جعدبة، والوقاصى .

عمر لبيد

٩٤
١٤

أن لبيدَ بن ربيعة قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى كلاب بعدَ وفاة أخيه أربَدَ وعامرِ بن الطُّفيل، فأسلَمَ وهاجر وحسُن إسلامه، ونزل الكوفةَ أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فأقامَ بها . ومات بها هنالك فى آخر خلافة معاوية، فكان عمره مائةً وخمسا وأربعين سنة، منها تسعون سنةً فى الجاهلية، وبقيّتُها فى الإسلام .

ما قاله من الشعر فى طول عمره

قال عمر بن شبة فى خبره : فحدثنى عبد الله بن محمد بن حكيم أنّ لبيدًا قال حين بلغ سبعا وسبعين سنة :

قامت تَشَكَّى إلىَّ النَّفسُ مُجْهِشةً * وقد حَمَلتك سبعًا بعد سبعينا[1]

فإنْ تُزادِى ثلاثًا تبلُغى أملًا * وفى الثلاثِ وفاءٌ للثمانينا

فلما بلغ التسعينَ قال :

كأنِّى وقد جاوزتُ عِشرين حِجّةً * خلعتُ بها عن مَنكِبيَّ ردائيا

فلما بلغ مائةً وعشرا قال :

أليسَ فى مائةٍ قد عاشَها رجلٌ * وفى تكامُلِ عَشْرٍ بعدَها عُمُرُ

فلما جاوزها قال :

ولقد سئِمتُ من الحياةِ وطُولها * وسُؤالِ هذا الناسِ كيفَ لَبيدُ

غَلَبَ الرِّجالَ وكانَ غيرَ مغلَّبٍ * دَهرٌ طويلٌ دائمٌ ممدود

(١) فى معظم النسخ : «سبعين» و«الثمانين» . وأثبت ما فى مب وها، ف، والخزانة والمعمرين السجستانى ٦٢ .

يومًا أرى يأتى علىَّ وليـلةٌ * وكلاهما بعدَ المضاءِ يعودُ
وأراه يأتى مثلَ يوم لقيتُه * لم يُنتقَصْ وضَعُفتُ وهـو يزيد

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم[1] السجستانى قال حدّثنا الأصمعى قال :

وفوده على النعمان ونكايته بالربيع ابن زياد

٥ وفد عامر بن مالك ملاعبُ الأسنّة ، وكان يكنَى أبا البَرَاء ، فى رهط من بنى جعفر ، ومعه لبيدُ بن ربيعة ، ومالكُ بن جعفر ، وعامر بن مالكٍ عمّ لبيد ، على النُّعمان ، فوجدوا عنده الربيعَ بن زيادٍ العبسىّ وأمّه فاطمةُ بنت الخُرشُب ، وكان الربيع نديماً للنُّعمان مع رجلٍ من تُجّار الشام يقال له زَرجون بن توفيل[2] ، وكان حريفًا[3] للنُّعمان يُبايعه ، وكان أديباً حسنَ الحديث والنِّدام ، فاستخفّه[4] النعمان ، وكان ١٠ إذا أراد أن يخلوَ على شرابه بعثَ إليه وإلى النِّطاسىّ : متطبِّب[5] كان له ، وإلى الربيع ابن زياد فخلاَ بهم ، فلما قدم الجعفريُّون كانوا يحضُرون النعمانَ لحاجتهم ، فإذا خرجوا من عنده خلا به الربيعُ فطعَن فيهم وذكر مَعايبَهم[6] ، وكانت بنو جعفرٍ له أعداء ، فلم يزل بالنُّعمان حتّى صدّه عنهم ، فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاءً ، وقد كان يُكرِمهم ويُقرِّبهم ، فخرجوا غضاباً ولبيدٌ متخلِّف فى رحالهم يحفَظ متاعهم ، ويغدو بإبلهم ١٥ كلَّ صباحٍ يرعاها ، فأتاهم ذاتَ ليلةٍ وهم يتذاكرون أمرَ الربيع ، فسألهم عنه فكتَموه ، فقال : والله لا حفِظتُ لكم متاعا ، ولا سرّحتُ لكم بعيراً أو تُخبرونى

(١) فى معظم الأصول : « أبو حامد » ، تحريف ، صوابه فى مب ، ها ، ف .
(٢) حـ : « نقيل » وسائر النسخ : « نوفل » وأثبت ما فى مب ، ها .
(٣) حريف الرجل : معامله فى حرفته ، وهو العميل . (٤) م : « فاستحقه » .
٢٠ (٥) المتطبب : الذى يعانى الطب . وفى معظم الأصول : « متطيب » صوابه فى مب ، ها ، ف .
(٦) فى معظم الأصول : « لهم أعداء » صوابه فى مب ، ها ، ف .

فيم أنتم ؟ وكانت أم لبيد يتيمةً فى حِجْر الربيع ، فقالوا : خالُكَ قد غَلَبنا على الملِكِ وصَدّ عنا وجهَه . فقال لبيــد : هل تقدرون على أن تجمعوا بينى و بينــه فأزجُره عنكم بقولٍ مُمِضٍّ[1] لا يلتفت إليه النعمان أبدًا ؟ فقالوا : وهل عندك شىء ؟ قال : نعم . قالوا : فإنّا نَبْلُوك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : تشتم هذه البَقْلة — وقدّامهم بَقلةٌ دقيقة القُضْبان، قليلةُ الورق، لاصقة بالأرض، تدعى التَّرِبَةَ[2] — فقال: «هذه التَّرِبة التى لا تُذكِى نارا ولا تُؤهِــل دارا، ولا تَسُرُّ جارا ، عودُها ضئيل ، وفرعها كليل ، وخيرها قليل، أقبح البقول مرعًى، وأقصرها فرعا ، وأشدُّها قلعا . بلدها شاسع، وآكلها جائع، والمقيم عليها قانع، فالقَوْا بى أخا عَبْس، أردّه عنكم بتَعْس ، وأتركه من أمره فى لَبْس». قالوا : نصبحُ ونَرَى فيك رأينا . فقال عامر : انظروا إلى غلامكم هــذا — يعنى لبيــدًا — فإن رأيتموه نائمًا فليس أمره بشىء، إنما هو يتكلّم بما جاء على لسانه ، وإن رأيتموه ساهرًا فهو صاحبُه . فرمَقوه فوجدوه وقد ركب رحْلًا وهو يكدم[3] وسطه حتّى أصبح، فقالوا: أنت والله صاحبُه . فعَمَدوا إليه فحلقوا رأســه وتركوا ذؤابته، وألبسوه حُلّةً ثم غدا معهــم وأدخلوه على النعمان ، فوجدوه يتغدّى ومعه الربيعُ بن زيادٍ، وهما يأكلان لا ثالثَ لهما، والدار والمجالس مملوءة من الوُفود، فلما فرَغ من الغداء أذِن للجعفريِّين فدَخلوا عليه، وقد كان أمرُهم تقارَبَ، فذكروا الذى قدِموا له مِن حاجتهم، فاعترض الربيعُ بن زياد فى كلامهم، فقال لبيد فى ذلك :

أكُلَّ يومٍ هامتى مقَــزَّعهْ * يارُبَّ هيجا هى خيرٌ من دَعَهْ

نحن بنى أمِّ البنينَ الأربعــه * سيوفُ حَزٍّ وجفانٌ مُتْرَعَهْ

---

(١) فى معظم الأصول : « محيص » صوابه فى مب ، ها ، ف . (٢) التربة بكسر الراء وفتحها : شجرة شاكة وثمرتها كأنها بسرة معلقة . اللسان (ترب) . ب ، س : «التربة» ومعظم الأصول « الثربة » وأثبت ما فى مب. (٣) الكدم : العض .

نحن خيارُ عامرِ بن صعصعه * الضاربون الهامَ تحتَ الخَيْضَعه

والمطعمون الجفنةَ المُدعدَعه[(١)] * مهلاً أبيتَ اللّعنَ لا تأكلْ معه

إنّ استه من برَص مُلمّعه[(٢)] * وإنّه يُدخل فيها إصبعَه

يُدخلها حتّى يُواري أشجعه[(٣)] * كأنّه يطلُب شيئًا ضيّعه

فرفع النعمانُ يدَه من الطعام وقال : خَبَّثْتَ واللهِ علىّ طعامى يا غلام ؛ وما رأيتُ كاليوم . فاقبل الربيعُ على النعمان فقال : كَذَبَ واللهِ ابنُ الفاعلة[(٤)]، ولقد فعلتُ بأمّه كذا وكذا . فقال له لبيد : مثلُك فعل ذلك بربيبةِ أهلِه والقريبةِ من أهله، وإن أمى من نساءٍ لم يكنّ فواعلَ ما ذكرت . وقضى النعمانُ حوائجَ الجعفريّين، ومضى من وقتِه وصَرَفهم، ومضى الربيعُ بن زياد إلى منزله من وقته، فبعث إليه النعمانُ بضعفِ ما كان يَحبوه، وأمره بالانصراف إلى أهله، فكتب إليه الربيع : إنّى قد عرفتُ أنّه قد وقَع فى صدرك ما قال لبيد، وإنّى لستُ بارحًا حتّى تبعثَ إلىّ من يجرّدنى فيعلمَ مَنْ حضرَكَ من الناس أنّى لست كما قال لبيد . فأرسل إليه : إنّك لستَ صانعًا بانتفائك ممّا قال لبيدٌ شيئا، ولا قادرًا على ردِّ ما زلّت به الألسُن، فالحقْ بأهلك . فلحِقَ بأهله ثم أرسل إلى النعمان بأبياتِ شعرٍ قالها، وهى :

الشعر الذى أرسل به إلى النعمان

لئن رحلتُ جِمالى لا إلى سَعةٍ * ما مثلُها سَعةٌ عرضًا ولا طُولا

بحيثُ لو وردَتْ لَخمٌ بأجمعها * لم يَعدِلوا ريشةً من ريشِ سَمويلا[(٥)]

---

(١) المدعدعة : المملوءة .

(٢) الملمعة : ذات اللمع . واللمعة : كل لون خالف لونا .

(٣) الأشجع : مغرز الإصبع .

(٤) م، أ، حـ، مب، ها، ف : « ابن الحمق » .

(٥) فى اللسان (سمل) : « سمويل : طائر . وقيل بلدة كثيرة الطير » .

ترعى الروائمُ أحرارَ البقولِ بها * لا مثلَ رَعيكمُ مِلحاً وغَسْوِيلا (١)

فاثبُتْ بأرضك بعدى واخلُ متكئاً * مع النِّطاسىِّ طوراً وابن تُوفيلا

إجابة النعمان له بالشعر

٩٦ / ١٤

فأجابه النعمانُ بقوله :

شرِّدْ برحلكَ عنِّى حيثُ شئتَ ولا * تُكثِرْ علىَّ ودعْ عنكَ الأباطيلا

فقد ذُكِرتَ بشىءٍ لستُ ناسيَه * ما جاورت مصرُ أهلَ الشّام والنِّيلا

فما انتفاؤك منه بعد ما جَزَعَتْ * هُوجُ المطىِّ به نحو ابن سَمْوِيلا (٢)

قد قيل ذلك إنْ حقًّا وإنْ كذباً * فما اعتذارُك من قولٍ إذا قيلا

فالحقْ بحيثُ رأيتَ الأرضَ واسعةً * فانشرْ بها الطَّرفَ إنْ عرضاً وإنْ طُولا

شعره فى هجاء الربيع بن زياد

قال : وقال لبيد يهجو الربيعَ بنَ زياد — ويزعمون أنها مصنوعة . قال :

رَبيعُ لا يَسُقكَ نحوى سائقُ * فتُطلَبَ الأذحالُ والحقائقُ (٣)

ويَعلمَ المُعْيا به والسّابقُ (٤) * ما أنتَ إن ضُمَّ عليك المازقُ (٥)

إلّا كشىءٍ عاقَه العوائقُ * إنّك حاسٍ حُسوةً فذائقُ

لا بدّ أن يغمز منك العاتقُ (٦) * غمزاً ترى أنك منه ذارقُ (٧)

إنّك شيخٌ خائنٌ منافقُ * بالمخزيات ظاهرٌ مطابقُ

(١) الروائم : التى ترأم أولادها : تعطف عليها . فى معظم الأصول : « حراز البقول » والصواب ما أثبت من ف . وأحرار البقول : ما رق منها ورطب ، وذكورها : ما غلظ وخشن . والغسويل بفتح الغين المعجمة : نبت ينبت فى السباخ . فى الأصول ما عدا مب ، ها ، ف : « عسويلا » ، تصحيف .

(٢) جزعت : قطعت . م : « ابن شمويلا » . ف : « عيرا شماليلا » .

(٣) الأذحال : جمع ذحل ، وهو الثأر . فى معظم الأصول : « الادخال » تصحيف ، صوابه فى مب وها والديوان ٩ . (٤) فى معظم الأصول : « المعنى » ، صوابه من مب ، ها والديوان . (٥) ما عدا حـ ، مب ، ها ، ف والديوان : « إليك المازق » تحريف .

(٦) العاتق : ما بين المنكب والعنق . وفى معظم الأصول : « العائق » وفى مب ، ها « الفائق » .

(٧) ذارق ، من قولهم ذرق يذرق : خذق بسلحه . أ ، م ، حـ : « ذائق » ، وأثبت ما فى الديوان ، مب ، ها ، ف .

كان يخفى بعض شعره ثم أظهره

وكان لبيد يقول الشعر ويقول : لا تُظْهروه، حتى قال :

* عفَت الدّيارُ محلُّها فمُقامها *

وذكر ماصنع الربيع بن زياد، وضَمْرة بن ضَمْرة[1]، ومَنْ حَضَرهم من وجوه الناس، فقال لهم لبيدٌ حينئذ : أظهروها .

٥ قال الأصمعى فى تفسير قوله : الخيضعة ، أصله الخضعة بغير ياء ، يعنى الجلبة والأصوات ، فزاد فيها الياء . وقال فى قوله « بالمخزيات ظاهر مطابق » : يقال طابق الدابةُ، إذا وضَعَ يديه ثم رفَعهما فوضع مكانَهما رجليه، وكذلك إذا كان يطأ فى شوك . والمأزق : المضيق . والنازق : الخفيف .

نسخت من كتاب مروىّ عن أبى الحكم قال : حدثنى العلاء بن عبد الله

١٠ الموقّع قال :

سؤال الوليد له عما كان بينه وبين الربيع

اجتمع عندَ الوليد بن عقبة سُمّارُه وهو أمير الكوفة وفيهم لبيدٌ ، فسأل لبيدًا عما كان بينه وبين الربيع بن زيادٍ عند النُّعمان ، فقال له لبيد : هذا كانَ من أمر الجاهلية وقد جاء اللهُ بالإسلام . فقال له : عزمتُ عليك — وكانوا يرَوْن لعزْمة الأمير حقًّا — فجعَلَ يحدّثهم، فحسده رجلٌ من غنىّ فقال : ما علِمْنا بهذا . قال :

١٥ أجَلْ يا ابن أخى ، لم يُدرِكْ أبوك مثلَ ذلك ، وكان أبوك ممن لم يشهد تلك المشاهدَ فيحدّثك .

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكرانى قال حدّثنى العمرىّ قال : حدثنى الهيثم عن ابن عياش عن محمد بن المنتشر قال :

(١) فى معظم الأصول : «حمزة بن ضمرة» ، تحريف صوابه فى مب ، ها ، ف . وانظر الاشتقاق

٢٠ ١٤٩ والبيان (١ : ١٧١) .

لم يسمع منه شعر فى الإسلام غير يوم واحد

لم يُسْمَع من لبيد شعرُه فى الإسلام غيرَ يومٍ واحد ، فإنّه كان فى رَحَبة غَنِيّ مستلقيا على ظهره قد سجّى نفسَه بثوبه ، إذ أقبل شابٌّ من غنيّ فقال : قَبَحَ الله طُفَيلاً حيث يقول :

جزَى الله عنّا جعفرًا حيثُ أشرفَتْ * بنا نعلُنا فى الوَاطئين فزَلّتِ
أبوْا أن يَمَلُّونا ولو أنّ أمَّنا * تُلاقِى الذى يَلقَوْن منّا لملّتِ
فذو المال موفورٌ وكل مُعصِّبٍ[1] * إلى حُجُرات أدفأت وأظلّتِ
وقالت هلُمُّوا الدار حتّى تبيَّنُوا * وتنجلىَ الغمّاءُ[2] عمّا تجلّتِ

ليت شعرى ما الذى رأى من بنى جعفرٍ حيثُ يقول هذا فيهم ؟ قال : فكشفَ لبيدٌ الثّوبَ عن وجهه وقال : يا ابن أخى ، إنّك أدركتَ الناس وقد جُعِلت لهم شُرطةٌ يَزَعُون[3] بعضَهم عن بعض ، ودارُ رزقٍ تَخرجُ الخادمُ بجرابها فتأتى برزقِ أهلها ، وبيتُ مال يأخذون منه أعطيتَهم ، ولو أدركتَ طُفيلاً يوم يقول هذا لم تلُمْه . ثم استلقَى وهو يقول : أستغفر الله . فلم يزل يقول : أستغفر الله ، حتّى قام .

٩٧ / ١٤

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا محمد ابن حكيم ، عن خالد بن سعيد قال :

سؤال بنى نهد له عن أشعر العرب

قال مَرّ لبيدٌ بالكوفة على مجالس بنى نَهْد[4] وهو يتوكأ على مِحجنٍ له فبعثوا إليه رسولا يسأله عن أشعر العرب ، فسأله فقال : الملك الضِّلّيل ذو القُروح . فرجَع

(١) المعصب ، بكسر الصاد المشددة كما فى القاموس : من يعصب بطنه بالخرق من الجوع . فى معظم الأصول : « مصعب » تحريف صوابه فى مب ، ها . وانظر مجالس ثعلب ٤٦١ وديوان طفيل ٥٧ . (٢) فى معظم الأصول : «العمياء» مب ، ها : «العوراء» والصواب من ف .
(٣) الكلمة محرفة فى الأصل . فهى فى م ، حـ ، ها ، ف : « يرعون » ب ، س : « يدعون » . والصواب فى أ . (٤) فى معظم النسخ : « نهل » ج : « بهر » وكلاهما محرف عما أثبت من مب ، ها ، ف .

٥
١٠
١٥
٢٠

فأخبرهم فقالوا : هذا امرؤ القيس . ثم رجع إليه فسأله : ثم من ؟ فقال له : الغلامُ المقتول من بنى بكر . فرجَع فأخبرهم فقالوا : هذا طرفة . ثم رجع فسأله ثم من ؟ فقال : ثم صاحب المحجَن ، يعنى نفسه .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال : حدثنى أبو عبيدة ٥ قـــال :

لم يقل في الإسلام إلا بيتا واحـدا

لم يقل لبيدٌ فى الإسلامِ إلّا بيتًا واحدا ، وهو :

الحمـــد لله إذْ لم يأتنى أجَـــلى * حتّى لبستُ من الإسلام سِربالا (١)

أخبرنى أحمـد قال : أخبرنى عمى قال : حدثنى محمـد بن عباد بن حبيب المهلّبى قال : حدثنا نصر بن دأب عن داود بن أبى هند عن الشَّعبى قال :

كتاب عمر إلى المغيرة أن يستنشد من قبله من الشـعراء

١٠ كتبَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى المغيرة بن شُعبة وهو على الكوفة : أن آستنشِد من قِبَـلك من شُعراء مِصرك ما قالوا فى الإســلام . فأرسل إلى الأغلب الراجزِ العِجْلىّ ، فقال له : أنشدنى . فقال :

أرجَزًا تريـدُ أم قصيـدا * لقد طلبتَ هيّنًا موجودا

ثم أرسل إلى لبيدٍ فقال : أنشِدْنى . فقال : إنْ شئت ما عُفِىَ عنه — يعنى ١٥ الجاهلية — فقــال : لا ، أنشِدْنى ما قلتَ فى الإسلام . فانطلق فكتب سُورة

تفضيله على الأغلب العجلى فى العطاء

البقرة فى صحيفةٍ ثم أتى بها وقال : أبدلَنى الله هذه فى الإسلام مكانَ الشعر . فكتب بذلك المغيرةُ إلى عمرَ ، فنقص من عَطاءِ الأغلبِ خمسمائة وجعلَها فى عطاء لبيد ،

(١) فى الإصابة ٧٥٣٥ : « قال أبو عمرو : البيت الذى أوله « الحمـد لله إذ لم يأتنى أجلى » ليس لبيد ، بل هو لقردة بن نفاثة » . وقيل إن البيت الذى قاله فى الإسلام :

٢٠ ما عاتب الحـــر الكريم كنفسه * والمــرء يصلحــه الجليس الصالح

الخزانة (١ : ٣٣٧) .

فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة ، فكتب الأغلب : يا أمير المؤمنين أتنقص عطائى أن أطعتك ؟! فردّ عليه خمسمائة وأقرّ عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة .

محاولة معاوية إنقاص عطائه

قال أبو زيد : وأراد معاويةُ أن ينقُصَه من عطائه لمّا ولى الخلافة ، وقال : هذان الفَودان[1] — يعنى الألفين — فما بال العِلاوة ؟ يعنى الخمسمائة . فقال له لبيد : إنما أنا هامةُ اليوم أو غد ، فأعِرنى اسمها[3] ، فلعلّى لا أقبضُها أبدا فتبقى لك العلاوة والفودان[2] . فرقّ له وترك عطاءه على حاله ، فمات ولم يقبضْه .

وقال عمر بن شبّة فى خبره الذى ذكره عن عبد الله بن محمد بن حكيم . وأخبرنى به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قالا :

خبر جوده وإعانة الوليد له على جوده

كان لبيد من جُودَاء العرب[4] ، وكان قد آلَى فى الجاهلية أن لا تهُبَّ صبا إلّا أطعم ، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروحُ فى كلّ يوم على مسجد قومه فيُطعِمهم ، فهبت الصبا يومًا والوليد بن عقبة على الكوفة ، فصعِد الوليدُ المنبر فخطبَ الناس ثم قال : إنّ أخاكم لبيدَ بن ربيعة قد نذَر فى الجاهلية ألا تهُبَّ صبًا إلّا أطعم ، وهذا يومٌ من أيامه ، وقد هبّتْ صباً فأعينوه ، وأنا أوّلُ من فَعَل . ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمائة بكرة ، وكتب إليه بأبيات قالها :

أرى الجزّارَ يشحَذُ شفرتَيه * إذا هبّتْ رياح أبى عقيلِ
أشمُّ الأنف أصيدُ عامرىٌّ * طويلُ الباع كالسّيف الصّقيلِ
وفَى ابنُ الجعفرى بحَلْفتيه * على العِلّاتِ والمالِ القليلِ[5]
بِنَحرِ الكُوم إذ سُحِبت عليه * ذيولُ صبًا تَجاوَبُ بالأصيلِ

٩٨ / ١٤

(١) هذه الكلمة من ها ، ف . (٢) فى معظم الأصول : «العودان» صوابه من مب ، ها ، ف والشعر والشعراء ٢٣٣ والخزانة . والفود فى الأصل : العدل من الأعدال . والعلاوة : ما يكون بين العدلين من خشبة ونحوها . وانظر الخبر برواية أخرى فى المعمرين ٦١ . (٣) هذا الصواب من مب ، ها ، ف . وفى سائر النسخ : «فأعدنى اسمها» . وفى أ : «فأعد فى اسمها» . (٤) الجوداء : جمع جواد . ماعدا حـ ، مب ، ها ، ف : «أجود العرب» . (٥) على العلات : على أى كل حال فى عسره ويسره .

فلما بلغت أبياتُه لبيدًا قال لابنته : أجيبيه ، فلعمرى لقد عشتُ برهةً وما أعيا بجوابِ شاعر . فقالت ابنته :

إجابة بنته الوليد

إذا هبَّتْ رياحُ أبى عَقيلٍ * دعَوْنا عند هَبَّتها الوليدا

أشمَّ الأنف أروعَ عبشميًّا * أعانَ على مروءته لَبيدا

بأمثالِ الهضابِ كأنّ رَكْبًا * عليها من بنى حامٍ قُعودا (١)

أبا وهبٍ جزاكَ اللهُ خيرًا * نحرناها فأطعَمْنا الثّريدا

فعُدْ إنّ الكريمَ له معَادٌ * وظنّى يا ابنَ أروى أن تَعودا (٢)

فقال لها لبيد : أحسنتِ لولا أنك استطعمتِه . فقالت : إنّ الملوك لا يستحيا من مسألتهم . فقال : وأنتِ يابنيةُ فى هذه أشعر .

١٠ أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنى محمد بن عمران الضبى قال : حدّثنى القاسم بن يعلى عن المفضّل الضبى قال :

سجود الفرزدق عند سماع شعر له

قدم الفرزدق فمرّ بمسجد بنى أُقيصر، وعليه رجلٌ يُنشد قول لبيد :

وجَلا السُّيولُ عن الطُّلول كأنها * زُبُرٌ تُجِدُّ مُتونَها أقلامُها

فسجَد الفرزدق فقيل له : ما هذا يا أبا فِراس ؟ فقال : أنتم تعرفون سجدة القرآن، وأنا أعرفُ سجدةَ الشعر .

١٥

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن عمار قال: حدّثنا يعقوب الثقفى، وابن عيّاش، ومسعر بن كدَام، كلُّهم عن عبد الملك بن عُمَير قال :

(١) ماعدا أ ، م ، مب ، ها ، ف : « تجاذب » .

(٢) هذا ما فى مب ، ها ، وفى ف : « بابن أروى أن يسودا » . وفى سائر النسخ : « لا أباك أن تسودا » .

٢٠

سؤال القراء الأشراف له عن أشعر الشعراء

أخبرنى مَنْ أرسله القراء الأشراف — قال الهيثم : فقلت لابن عياش : مَن القراء الأشراف ؟ قال : سليمان بن صُرَد الخزاعىّ، والمسيّب بن نَجَبة الفزارى،[1] وخالد بن عُرفطة الزُّهرى، ومسروق بن الأجدع الهَمْدانى، وهانئ ابن عروة المُرادى[2] — إلى لبيد بن ربيعة وهو فى المسجد، وفى يده مِحجَن فقلت : يا أبا عَقيل، إخوانك يُقرونك السلام ويقولون : أىّ العرب أشعر ؟ قال : الملك الضِّليل ذو القروح . فردُّونى إليه وقالوا : ومَن ذو القروح ؟ قال : امرؤ القيس . فأعادونى إليه وقالوا : ثم مَنْ ؟ قال : الغلام ابن ثمانِ عَشرة سنة . فردُّونى إليه فقلت : ومن هو ؟ فقال : طَرَفة . فردُّونى إليه فقلت : ثم من ؟ قال : صاحب المِحجَن حيث يقول :

إنّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ * وبإذن الله رَيْثِى وعَجَلْ
أحمَدُ اللهَ ولا نِدَّ لهُ * بيديهِ الخيرُ ما شاءَ فعَلْ
مَن هَداه سُبلَ الخيرِ اهتدى * ناعمَ البالِ ومَنْ شاءَ أضَلْ[3]

يعنى نفسه . ثم قال : أستغفرُ الله .

جلس المعتصم وغناه بعض المغنين شعرا لليد بعد تغييره

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعى قال : حدّثنا عمر بن شَبّة عن ابن البواب قال :

جلس المعتصمُ يومًا للشراب، فغنّاه بعض المغنِّين قولَه :

وبنُو العباسِ لا يأتون "لا" * وعلى ألسنهم خفّتْ "نَعَمْ"
زَيّنت أحلامُهم أحسابَهُمْ * وكذاك الحلمُ زَينٌ للكرَمْ

(١) كان المسيب ممن شهد القادسية وحروب على . ترجم له فى تهذيب التهذيب .
(٢) هانئ بن عروة المرادى، مخضرم سكن الكوفة، وكان من خواص على . ترجم له فى الإصابة .
(٣) ديوان لبيد ص ١١ .

فقــال : ما أعرِفُ هذا الشعر، فلمن هو ؟ قيــل : للبيد . فقــال : وما للبيد وبنى العبّاس ؟ قال المغنّى : إنما قال :

* وبنــو الدّيانُ[1] لا يأتون *

بجعلتُه « وبنو العباس » . فاستَحْسَنَ فعلَه ووصلَه .

إعجاب المعتصم بشعر لبيد

٥ وكان يُعجَب بشعر لبيدٍ فقال : من منكم يروى قوله :

* بلينا وما تبـلَى النجومُ الطوالع *

فقال بعض الجلساء : أنا . فقال : أنشِدْنيها . فأنشد :

بَلِينا وما تَبـلَى النُّجومُ الطـوالعُ * وتَبـقَى الجبالُ بعـدَنا والمصانعُ
وقد كنتُ فى أكنافِ جارِ مَضَنّةٍ[2] * ففارقَـنى جارٌ بأربدَ نافـعُ

١٠ فبكى المعتصمُ حتّى جرت دموعهُ، وترحّم على المأمون، وقال : هكذا كانَ رحمة الله عليه ! ثم اندفعَ وهو يُنشِد باقيها ويقول :

فـلا جزِعٌ إنْ فرّقَ الدّهرُ بيننا * فكلُّ امرئٍ يوماً له الدهرُ فاجعُ
وما النـاسُ إلاّ كالدِّيارِ وأهلِهـا * بهـا يومَ حلُّوها وبَعْـدُ بلاقـعُ[3]
ويَمضُـون أرسالاً ونخلُف بعـدَهمْ * كما ضمّ إحـدى الراحتَـينِ الأصابعُ
١٥ وما المـرءُ إلا كالشِّهابِ وضـوئه . * يَحُـورُ رَماداً بعـدَ إذْ هـو ساطع
وما البِرُّ إلا مُضمَراتٌ مِن التُّقَى * وما المـالُ إلا عارياتٌ وودائـعُ[4]

---

(١) بنو الديان، من بنى الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب . تاج العروس (دين) . وقد مدحهم السموأل . الأمالى (١ : ٢٧٠) . وأمية بن أبى الصلت . الأمالى (٣ : ٣٨) . فى الأصول : ما عدا مب ، ها ، ف : « وبنو السريان » ، تحريف . (٢) فى معظم الأصول : « دار
٢٠ مضنة » و « بأربة » ، صوابهما فى ف والديوان والشعر والشعراء ٢٣٦ . (٣) فى معظم الأصول : « وتغدو » صوابه فى مب ، ها ، والديوان والشعر والشعراء : « وغدوا بلاقع » .
(٤) فى معظم الأصول : « وما المرء » صوابه فى مب ، ها ، ف ، والديوان والشعر والشعراء .

أليسَ ورائى إنْ تراخَتْ منيّتى * لُزُومُ العصا تُحْنَى عليها الأصابعُ
أخبِّرُ أخبارَ القرونِ التى مضت * أدِبُّ كأنّى كلما قمتُ راكعُ
فأصبحتُ مثلَ السَّيفِ أخلَقَ جَفنَه * تقادمُ عهدِ القَينِ والنصلُ قاطعُ
فلا تَبعَدَنْ إنّ المنيّةَ مَوعِدٌ * علينا فدانٍ للطُّلوعِ وطالعُ
أعاذلُ ما يُدريكِ إلّا تَظَنِّيًا[1] * إذا رحَلَ الفِتيانُ مَنْ هو راجعُ
أتجزَعُ ممّا أحدَثَ الدهرُ بالفتى * وأىُّ كريمٍ لم تُصِبْه القوارعُ
لعمرِكَ ما تدرى الضَّواربُ بالحصى * ولا زاجراتُ الطَّيرِ ما اللهُ صانعُ

قال : فعَجِبنا والله من حُسن ألفاظه ، وصحّة إنشاده ، وجودة اختياره .

أخبرنى الحسين بن على قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه . وحدّثنا محمد بن جرير الطبرى قال : حدثنا محمد بن حميد الرازى قال : حدثنا سلمة ابن الفضل ، عن محمد بن إسحاق قال[2] :

تبرؤ عثمان بن مظعون من جوار الوليد بن المغيرة

كان عثمان بن مظعون فى جوارِ الوليد بن المغيرة ، فتفكّر يوما فى نفسه فقال: والله ما ينبغى لمسلمٍ أن يكون آمنا فى جوار كافر ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم خائف . فجاء إلى الوليد بن المغيرة فقال له : أحبُّ أن تبرأ من جِوارى . قال : لعلّه رابَكَ رَيب . قال : لا ، ولكن أحب أن تفعل . قال : فاذهبْ بنا حتّى أبرأ منك حيثُ أجرتك[3]. فخرج معه إلى المسجد الحرام فلمّا وقفَ على جماعةِ قريش قال لهم : هذا ابن مظعونٍ قد كنتُ أجرته ثم سألنى أن أبرأ منه ، أكذاك يا عثمان؟

(١) التظنى : التظنن ، وهو الظن .
(٢) الخبر برواية أخرى عن ابن إسحاق فى الخزانة (١ : ٣٤١) . كما أن البغدادى سرد روايات أخرى فى تكذيب لبيد وتصديقه .
(٣) فى معظم الأصول : « أخذتك » ، صوابه فى مب ، ها .

تصديق عثمان بن مظعون وتكذيبه له فى بيت شعر

قال : نعم . قال : اشهدوا أنى منه برىء . قال : وجماعةٌ يتحدّثون من قريش معهم لبيدُ بن ربيعة يُنشدهم ، فجلس عثمان مع القوم فأنشدَهم لبيد :

* ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطلُ *

١٠٠/١٤

فقال له عثمان : صدَقت . فقال لبيد :

٥ * وكلُّ نعيم لا محالةَ زائلُ *

فقال عثمان : كذبتَ . فلم يدر القومُ ما عنَى . فأشار بعضُهم إلى لبيد أن يُعيد ، فأعاد فصدَّقه فى النصف الأول وكذّبه فى الآخر ، لأنّ نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد : يا معشرَ قريش ، ما كان مثلُ هذا يكون فى مجالسكم . فقام أبىُّ بن خلَف أو ابنُه فلطم وجهَ عثمان ، فقال له قائل : لقد كنتَ فى منَعَة من هذا بالأمس . ١٠ فقال له : ما أحوجَ عينِى هذه الصحيحةَ إلى أن يُصيبها ما أصابَ الأخرى فى الله .

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم قال : حدثنى العمرى عن الهيثم بن عدىّ عن عبد الله بن عيّاش قال :

خبر الشعبى مع عبد الملك فيه رواية لشعر لبيد

كتب عبدُ الملك إلى الحجاج يأمره بإشخاص الشعبىّ إليه ، فأشخصَه فألزمه ولدَه ، وأمر بتخريجهم ومذاكرتهم ، قال : فدعانى يوماً فى علّته التى مات فيها فغصّ ١٥ بلقمة وأنا بين يديه ، فتساندَ طويلا ثم قال : أصبحتُ كما قال الشاعر :

كأنّى وقد جاوزت سبعين حِجّة * خلعتُ بها عنّى عِذارَ لجامِ

إذا ما رآنى الناسُ قالوا ألم يكنْ * شديدَ مَحال البطش غيرَ كَهامِ

رمتْنِى بناتُ الدّهرِ من حيث لا أرى * وكيف بمن يُرمَى وليس برامِ

ولو أنّنى أُرمَى بسهمٍ رأيتُه * ولكنّنى أرمى بغير سهامِ

٢٠ فقال الشعبىّ : فقلت : إنّا لله ، استسلم الرّجل والله للموت ! فقلتُ : أصلحكَ الله ، ولكن مثلك ما قال لبيد :

باتت تَشَكَّى إلىّ المـوتَ مُجْهِشةً * وقـد حملتُك سبعًا بعـد سبعينا
فإن تَزادى ثلاثاً تبـلغى أملاً * وفى الثـلاثِ وفـاءٌ للثمانينـا

فعاشَ إلى أن بلغ تسعين سنة فقال [1] :

كأنّى وقد جاوزتُ تِسعِينَ حِجةً * خلعتُ بها عن مَنكِبيّ ردائيا [2]

فعاش إلى أن بلغ مائة وعشر سنين . فقال :

أليس فى مائة قـد غاشهـا رجلٌ * وفى تكاملِ عَشْرٍ بعـدها عُمُـرُ

فعاشَ إلى أن بلغ مائةً وعشرين سنة فقال :

ولقد سئمتُ من الحيـاة وطولها * وسؤال هذا النـاسِ كيفَ لبيـدُ
غَلَبَ الرجالَ وكانَ غيرَ مغلَّبٍ * دهرٌ جديـدٌ دائم ممـدود
يومٌ أرى يأتى عليـه وليـلةٌ * وكلاهما بعـدَ المضاءِ يعـودُ

فرح عبد الملك بسماع شعر لبيد ، ووفاته عقب ذلك

ففرح واستبشر وقال : ما أرَى بأسا ، وقـد وجَدْتُ خَفًّا [3] . وأمرَ لى بأربعة آلافِ دِرهم ، فقبضتُها وخرجت ، فما بلغتُ البابَ حتّى سمعتُ الواعيةَ [4] عليه .

وغنّى فى هذه الأبيات التى أوّلها :

* غلب الرجالَ وكان غيرَ مغلَّبٍ *

عمرُ الوادىُّ خفيفَ رملٍ مطلقٍ بالوسطى عن عمرو .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيه قال : حدثنا هارون بن مسلم عن العمرى عن الهيثم بن عدى عن حمادٍ الراوية قال :

(١) التكملة من مب ، ها ، ف .
(٢) ما عدا مب ، ها ، ف : « سبعين حجة » .
(٣) الخف ، بالفتح : الخفة . ب ، س : « خفة » .
(٤) الواعية : الصراخ على الميت . ما عدا حـ ، مب : « الناعية » .

تمرّس النابغة فيه النجابة وهو صغير

نظر النابغةُ الذبيانى إلى لبيد بن ربيعة وهو صبىٌّ، مع أعمامه على باب النُّعمان ابن المنذر، فسأل عنه فنُسِب له، فقال له: يا غلام، إنّ عينَيك لَعينَا شاعرٍ، أفتقرِض من الشِّعر شيئًا؟ قال: نعم يا عمّ. قال: فأنشدْنى شيئًا مما قلته. فأنشده قوله:

* ألم تَرْبَعْ(١) على الدِّمن الخوالى *

فقال له: يا غلامُ، أنت أشعر بنى عامر، زِدْنى يا بنىّ. فأنشده:

* طللٌ لخولة بالرُّسَيس قديمُ *

فضرب بيدَيه إلى جنبيه وقال: اذهبْ فأنت أشعرُ من قيسٍ كلِّها، أو قال: هوازنَ كلِّها.

وأخبرنى بهذا الخبر عمى قال: حدّثنا العمرى عن لقيط عن أبيه، وحمادٌ الراويةُ عن عبد الله بن قَتادة المحاربى قال:

لقيه النابغة بعد خروجه من عند النعمان وشهد له

١٠١ / ١٤

كنتُ مع النابغة بباب النُّعمان بن المنذر، فقال لى النابغة: هل رأيتَ لبيد ابن ربيعة فيمن حضَر؟ قلت: نعم. قال: أيُّهم أشعر؟ قلت: الفتى الذى رأيتَ من حاله كَيْتَ وكيت. فقال: اجلسْ بنا حتّى يخرج إلينا. قال: فجلسنا فلما خرجَ قال له النابغة: إلىَّ يا ابن أخى. فأتاه فقال: أنشِدْنى. فأنشده قوله:

ألم تُلمِمْ على الدِّمن الخوالى * لسَلْمَى بالمذانِبِ(٢) فالقُفالِ

فقال له النابغة: أنتَ أشعرُ بنى عامر، زِدْنى. فأنشده:

طَلَلٌ لخولةَ بالرُّسَيسِ قديمُ * فبعاقلٍ فالأنعَمَين رُسوم(٣)

(١) ربع كنع: وقف وانتظر وتحبس. (٢) فى معظم الأصول: «بالمذائب»، صوابه من مب، ها، ف والديوان ١٠٨ طبع ١٨٨٠. والقفال، بالضم، كما فى معجم البلدان.

(٣) الرسيس، بهيئة التصغير: واد بنجد لبنى كاهل من بنى أسد. وعاقل: واد بنجد أسفله لبنى أسد. فى معظم الأصول: «بعاقل»، صوابه من مب، ها، ف والديوان ٩١. وجاء أيضا فى شعر لبيد:

وبائحتان تندبان بعاقل * أخا ثقة لا عين منه ولا أثر

والأنعمان: جبل ببطن عاقل. «رسوم» كذا فى الديوان، مب، ها، ف. وفى سائر النسخ: «وشوم».

فقال له : أنت أشعرُ هوازنَ ، زدْنى . فأنشده قوله :

عفَت الدِّيارُ محلُّها فمُقامها * بمِنًى تأبَّدَ غَوْلُها فرِجامها

فقال له النابغة : اذهبْ فأنت أشعر العرب .

وصيته لابن أخيه حينما حضرته الوفاة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدثنى عبد الله ابن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد، أنّ لبيدًا لمـا حضرتْه الوفاة قال لابن أخيه ولم يكن له ولدٌ ذكر : يابنىّ ، إنّ أباك لم يمُتْ ولكنَّه فنِى . فإذا قُبِض أبوك فاقبِله القِبلةَ[1] وسجِّه بثوبه ، ولا تَصرُخَنّ عليه صارخةٌ ، وانظر جَفنتىَّ اللتين كنت أصنعُهما فاصنَعْهما ثم احملْهما إلى المسجد ، فإذا سلَّمَ الإمامُ فقدِّمْها إليهم ، فإذا طَعِمـوا فقلْ لهم فليحضُروا جِنازةَ أخيهم . ثم أنشد قوله :

وإذا دفنتَ أباكَ فاجـ * ـعَلْ فوقَـه خشبًا وطينا[2]

وسَـقائفًا صُمًّا رَوَا * سِيهـا يسدِّدن الغضونا[3]

ليقِينَ حُرَّ الوجهِ سفـ * ـسافَ التُّراب ولن يَقِينا

قال : وهذه الأبيات من قصيدة طويلة .

وقـد ذكر يونس أنّ لابن سُرَيجٍ لحناً فى أبيـاتٍ من قصيدة لبيدٍ هـذه ، ولم يجنِّسه .

صـــوت

أبُنىَّ هـل أبصرتَ أعـ * ـمامى بنى أمِّ البنينـا

وأبى الذى كانَ الأرا * ملُ فى الشِّتاء له قَطِينا

وأبا شَـرِيك والمُنـا * زِلَ فى المضيق إذا لقينا[4]

(١) أقبله الشىء : جعله يلى قُبالته .
(٢) الديوان ص ٤٦ طبع ١٨٨١ .
(٣) فى معظم الأصول : « رواسيها » صوابه من الديوان ، مب ، ها ، ف .
(٤) فى الديوان : « وأبو شريح » .

ما إنْ رأيتُ ولا سمعـ * ـتُ بمثلهـمْ فى العالَمينـا

فبقيتُ بعـدَهمُ وكنـ * ـتُ بطول صُحبتهم ضَنينا

دَعْـنى وما ملكت يَميـ * ـنى إنْ سددت بها الشؤونا (١)

وافعـلْ بمـالِك ما بدا * لك مُسـتعانًا أو مُعينا

٥ قال : وقال لابنتَيه حين احتُضِر (٢)، وفيه غناء :

ما قال من الشعر لابنتيه حين احتضر

تمنَّى ابنتـاىَ أن يعيشَ أبوهما * وهَلْ أنا إلّا من ربيعةَ أو مُضَرْ

فإنْ حانَ يومًا أن يمـوت أبوكما * فلا تَخمِشا وجْهًا ولا تحلِقَا شَـعَرْ

وقـولا هو المـرءُ الذى لا حليفَه * أضاعَ ، ولا خانَ الصَّديقَ ولا غَدَر

إلى الحَـولِ ثم اسمُ السَّلامِ عليكما * ومَن يَبكِ حولًا كاملا فقد اعتذر

١٠ فى هـذه الأبيات هزج خفيف مطلق فى مجـرى الوسطى . وذكر الهشامى أنه لإسحاق . وذكر أحمد بن يحيى أنه لإبراهيم .

١٠٢ / ١٤

كانت ابنتاه ترثيانه ولا تعولان

قال : فكانت ابنتـاه تَلبسان ثيابَهما فى كلِّ يوم ، ثم تأتيان مجلس بنى جعفر ابن كلاب فترثيانِه ولا تُعْوِلانِ ، فأقامتا على ذلك حولًا ثم انصرفَتَا .

صـــوت

١٥ سألنـاهُ الجـزيلَ فـا تأبَّى * فأعطى فـوقَ مُنيتنا وزادا

وأحسَنَ ثمّ أحسَنَ ثم عُـدْنا * فأحسَنَ ثم عُدتُ له فعـادا

مرارًا ما دنـوتُ إليـه إلّا * تبسَّم ضاحكًا وثَنَى الوسادا

الشعر لزياد الأعجم ، والغناء لشارية ، خفيف رمل بالبنصر مطلق .

(١) فى الديوان : « إن رفعت به شؤونا » . مب ، ها : « شرونا » ، وأثبت ما فى سائر النسخ .

٢٠ (٢) ماعدا مب ، ها ، ف : « لما حضرته الوفاة » .

أخبار زيادٍ الأعجم ونسبه

نسبه

زياد بن سليمان[1] ، مولى عَبد القيس ، أحد بنى عامر بن الحارث ، ثم أحد بنى مالك بن عامر الخارجية[2] .

أخبرنى بذلك على بن سليمان الأخفش عن أبى سعيد السكرى . وأخبرنى محمد بن العباس اليزيدى ، عن عمه عن ابن حبيب قال :

٥

هو زياد بن جابر بن عمرو، مولى عبد القيس . وكان ينزل إصطَخْر فغلبت العجمةُ على لسانه ، فقيل له الأعجم .

علة تسميته بالأعجم

وذكر ابنُ النطّاح مثلَ ذلك فى نسبه ، وخالف فى بلده ، وذكر أنّ أصلَه ومولده ومنشأه بأصبهان ثمّ انتقَل إلى خراسان، فلم يزَلْ بها حتّى مات .

مولده ومنشؤه

وكان شاعرًا جَزْل الشّعر فصيحَ الألفاظ على لُكنةِ لسانه ، وجَريِه على لفظ أهل بلده .

١٠

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا محمد بن موسى قال :

حُدِّثت عن المدائنى أنّ زيادًا الأعجَم دعا غلامًا له ليُرسِله فى حاجة ، فأبطأ فلما جاءه قال له : منذ لدُنْ دَأَوْتُك إلى أن قلتَ لَبَّى[3] ما كنت تسنا ؟ يريد منذُ لدُنْ دعوتُك إلى إن قلتَ لبَّيك ما ذا كنتَ تصنع .

مثل من لكنة زياد الأعجم

١٥

فهذه ألفاظه كما ترى فى نهاية القُبْح واللُّكنة .

وهو الذى يقول يرثى المُغيرةَ بن المهلّب[4] بقوله :

رثاؤه المغيرة بن المهلب

(١) وكذا فى المؤتلف ١٣١ . وفى الشعر والشعراء ٣٩٥ والخزانة (٤ : ١٩٣) : « زياد ابن سلمى » . (٢) فى المؤتلف : « أحد بنى عامر بن الحارث ، ثم أحد بنى الخارجية » .

(٣) فى الأصول ماعدا مب، ها : « لى » ، تحريف . وفى الخزانة : « لبى » .

٢٠

(٤) كذا على الصواب فى أ ، مب ، ها ، وهو المطابق للشعر والشعراء ٣٩٧ وأمالى القالى (٢ : ٨) والخزانة ومعجم الأدباء (١١ : ١٧٠) . وفى سائر النسخ : « المهلب بن المغيرة » ، تحريف .

صــــوت

قُـلْ للقَوافِلِ والغَـزِىِّ إذا غزَوْا * والباكِرِين وللمجِـدِّ الرائحِ[1]

إنّ المُـروءةَ والسّماحــةَ ضُمِّنـا * قبرًا بمَـرْوَ على الطّريقِ الواضحِ

فإذا مررتَ بقَـبرِه فاعقِـرْ بهِ * كُومَ الهِجانِ وكلَّ طِرفٍ سابحِ[2]

وانضَحْ جوانبَ قَـبرِه بدِمائها * فلقد يكونُ أخا دمٍ وذبائحِ

يامَن بمهوَى الشّمسِ من حىٍّ إلى * ما بين مَطلعِ قَرنِها المتنازِحِ[3]

ماتَ المغـيرةُ بعد طولِ تعرُّضٍ * للموتِ بين أسـنّةٍ وصفائحِ

والقتلُ ليس إلى القتالِ ولا أرى * حَيًّـا يؤخَّر للشّفيـقِ النـاصحِ

وهى طويلة . وهذا من نادر الكلام ، ونقِىِّ المعـانى ، ومختار القصـيد ، وهى معدودة من مراثى الشُّعراء فى عصر زياد ومقدَّمها .

لابن جامع فى الأبيات الأربعة الأوَل غناءٌ أوّله نشيدٌ كلُّه ، ثم تعود الصّنعةُ إلى الثانى والثالث فى طريقة الهزج بالوسطى .

وقد أخبرنى على بن سليمان الأخفش ، عن السكّرى عن محمد بن حبيب ، أنّ من الناس مَن يروى هذه القصيدةَ للصَّلتَان العبدىّ . وهذا قولٌ شاذّ ، والصحيح أنّها لزياد قد دوّنها الرواةُ ، غيرَ مدفوعٍ عنها .

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدثنى إسحاق بن محمد النخعى قال : حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال :

---

(١) الغزى : اسم جمع للغـازى . ب ، سـ : « للقـرى إذا قروا » ، تحريف . ويروى : « والغزاة إذا غزوا » .

(٢) الطرف ، بالكسر : الجواد الكريم الطرفين : الأب والأم . والسابح : السريع كأنه يسبح بقوائمه .

(٣) كذا فى ف . وفى مب ، ها : « بمعزى الشمس » وسائر النسخ : « لبعد الشمس » . وفى الأمالى :

يا من بمغـدى الشمس أو بمراحها * أو من يكون بقـرنها المتنازح

مثل آخر من أمثلة لكنته

رثى زياد الأعجم المغيرة بن المهلب فقال :

إنّ الشّجاعةَ والسّماحةَ ضُمِّنا * قبراً بمَرْوَ على الطّريقِ الواضحِ

فإذا مررتَ بقبرِهِ فاعقِرْ به * كُومَ الهجانِ وكلَّ طِرفٍ سابحِ

فقال له يزيد بن المهلب : يا أبا أمامة ، أفعقرتَ أنت عنده ؟ قال : كنتُ على بنت الهمار[1] . يريد الحمار .

أخبرنى مالك بن محمد الشيبانى قال :

أبيات لبعض المحدثين فى نحو معنى مرثيته السابقة

كنت حاضرًا فى مجلس أبى العباس ، فقلت وقد قرئ عليه شعرُ زيادِ الأعجم ، فقرئت عليه قصيدته :

قل للقوافلِ والغزىِّ إذا غزَوا * والباكرين وللمجدِّ الرائحِ[2]

قال : فقلت إنّها من مختار الشعر ، ولقد أُنشِدت لبعض المحدَثين فى نحوِ هذا المعنى أبياتًا حسنة . ثم أنشدَنا :

أيُّها الناعيانِ مَن تنعيانِ * وعلى مَنْ أراكما تبكيانِ

اندُبا الماجدَ الكريمَ أبا إسـ * ـحاق ربَّ المعروفِ والإحسانِ

واذهبا بى إنْ لم يكنْ لكما عَقْـ * ـرٌ إلى جنب قبره فاعقِرانى

وانضحا من دمِى عليه فقد كا * ن دمى مِن نَداهُ لو تعلمانِ

أخبرنى وكيع قال : حدثنى إسحاق بن محمد النخعىّ عن ابن عائشة عن أبيه قال :

---

(١) فى جمهور الأصول : « بيت الحمار » ، صوابه فى مب ، ها ، ف .

(٢) ب ، مد : « والقرى إذا قروا » . وانظر ما سبق فى ص ٣٨١ .

قصته مع حبيب ابن المهلب فى شأن الحمامة وديتها

كان المهلب بن أبى صُفرة بخُراسان ، فخرج إليه زيادٌ الأعجم فمدحه ، فأمر له بجائزة فأقام عندهُ أياما . قال : فإنّا لِعشيّةٍ نَشرب مع حبيب بن المهلّب فى دارٍ له ، وفيها حمامةٌ ، إذ سجعت الحمامةُ فقال زياد :

تَغَنَّىْ أنتِ فى ذِممى وعَهدى * وذمّةِ والدى إنْ لم تُطارِى

٥ وبيتُك فاصلِحيه ولا تخافى * على صُفْرٍ مزغّبة صِغارِ

فإنّك كلّما غنّيتِ صوتًا * ذكرتُ أحبّتى وذكرتُ دارى

فإمّا يقتلوكِ طلبتُ ثأرًا * له نبأٌ لأنك فى جِوارى

فقال حبيب : يا غلام ، هاتِ القوس . فقال له زياد : وما تصنعُ بها ؟ قال : أرمى جارتَك هذه . قال : والله لئن رميتَها لاستعدِينّ عليك الأمير . فأتى بالقوس

١٠ فنزع لها سهمًا فقتلها ، فوثب زيادٌ فدخل على المهلّب فحدّثه الحديثَ وأنشده الشعر ، فقال المهلّب : علىّ بأبى بِسطام ، فأُتِىَ بحبيب فقال له : أَعطِ أبا أمامةَ ديةَ جارته ألفَ دينار . فقال : أطال اللهُ بقاءَ الأمير ، إنّما كنتُ ألعب . قال : أعطه كما آمُرك . فأنشأ زيادٌ يقول :

فلله عينًا مَنْ رأى كقَضيّةٍ * قَضَى لى بها قَرْمُ العِراق المهلّبُ

١٥ رماها حبيبُ بن المهلّب رميةً * فأثبتَها بالسّهم والسهمُ يغرب[1]

فألزمَه عَقْلَ القتيل ابنُ حُرّةٍ * وقال حبيبٌ : إنّما كنت ألعبُ

فقال : زيادٌ لا يروَّعُ جارُه * وجارة جارى مثل جِلدى وأقربُ[2]

١٠٤ / ١٤

(١) أثبتها : قتلها مكانها . يغرب ، من قولهم سهم غرب ، إذا أتى من حيث لا يدرى . وفى معظم الأصول : « يقرب » ، والوجه ما أثبت من مب ، ها .

٢٠ (٢) ماعدا مب ، ها : « مثل جارى » .

نصر المهلب له على ولده حبيب

قال : فحَمَلَ حبيبٌ إليه ألفَ دينار على كرهٍ منه ، فإنّه ليشرب مع حبيب يومًا إذ عربِدَ عليه حبيبٌ ، وقد كان حبيب ضَغِنَ عليه ممّا جرى ، فأمر بشقّ قَبَاءِ ديباجٍ كانَ عليه ، فقام فقال :

لعمرك ما الدِّيباجَ خرّقتَ وحدَهُ * ولكنّما خرّقتَ جِلدَ المهلّبِ

فبعث المهلّب إلى حبيب فأحضرَه ، وقال له : صدَق زِياد ، ما خرّقت إلّا جلدى ، تبعث هذا على أن يهجوَنى . ثم بعث إليه فأحضره ، فاستلّ سخيمتَه من صدره وأمر له بمالٍ وصَرَفه .

وقد أخبرنى وكيع بهذا الخبر أيضا . قال أحمد بن الهيثم بن فراس ، قال العمرى عن الهيثم بن عدىّ قال :

نصر المهلب له على ولده يزيد

تهاجَى قَتادةُ بن مُغْربٍ[1] اليشكُرى وزيادٌ الأعجمُ بخراسان ، وكان زيادٌ يخرج وعليه قَبَاءُ دِيباج ، تشبُّها بالأعاجم ، فمرّ به يزيدُ بن المهلّب وهو على حاله تلك ، فأمر به فقُنِّعَ أسواطًا ، ومزّقت ثيابه وقال له : أبأهل الكفرِ والشّرك تتشبّه[2] لا أمّ لك؟ فقال زياد :

لعمركَ ما الديباجَ خَرّقتَ وحدَه * ولكنّما خرّقتَ جِلدَ المهلّبِ

وذكر باقىَ الخبر مثله وقال فيه :

فدعا به المهلّب فقال له : يا أبا أمامة ، قلتَ شيئًا آخر؟ قال : لا والله أيّها الأمير . قال : فلا تقُل . وأعتبه[3] وكساه وحَمَله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له : اعذِر ابنَ أخيك يا أبا أمامة ، فإنه لم يَعرفْك .

---

(١) أ ، م ، ها ، مب ، ف : « معرب » وفى سائر النسخ : « مقرب » ، صوابهما من الشعر والشعراء ، وسيأتى على الصواب قريبا . (٢) ء ، ب ، أ : « أبالمهلب والترك تتشبه » . وفى حـ ، ها ، ف : « أبأهل الشرك تتشبه » . وأثبت ما فى م ، مب . (٣) أعتبه : أزال عتبه ، أى أرضاه .

وهذه الأبياتُ التى فيها الغناءُ يقولها زيادٌ الأعجم فى عُمَر بن عبيد الله ابن معمر التَّيمى .

أخبرنى بخبره فى ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدّثنا عمر ابن شَبّة قال :

شعره فى عراك الفقيه

أتى زيادٌ الأعجم عمرَ بن عَبيد الله بن مَعمر بفارس ، وقدِم عليه عِراك[1] ابن محمّد الفقيهُ من مصر، فكان عِراكٌ يحدّثه بحديث الفقهاء ، فقال زياد :

يحدّثنا أنّ القيامةَ قد أتت * وجاء عِراكٌ يبتغى المالَ من مِصرِ

فكم بين بابِ النُّوبِ[2] إن كنتَ صادقًا * وإيوان كسرى من فَلاةٍ ومن قصرِ

وقال يمدح عُمر بن عُبيد الله :

سألناه الجزيلَ فما تأبَّى * وأعطى فوقَ مُنْيتِنا وزادا

وذكر الأبياتَ الثلاثة .

نسخت من كتاب ابن أبى الدنيا : أخبرنى محمد بن زياد ، عن ابن عائشة .

وأخبرنى هاشم بن محمد قال : حدّثنى عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة ، وخبرُ ابنِ أبى الدُّنيا أتمّ . قال :

استنجازه وعدا لابن معمر وشعره فى ذلك

كان زيادٌ الأعجم صديقًا لعمرَ بن عُبيد الله بن معمر قبل أن يَلى ، فقال له عمر : يا أبا أمامة ، لو قد وَلِيت لتركتُك لا تحتاجُ إلى أحدٍ أبدا . فلما ولىَ فارسَ قصده، فلمّا لقيَه أنشأ يقول :

أبلغْ أبا حفصٍ رسالةَ ناصحٍ * أتَتْ من زيادٍ مستبينا كلامُها

فإنّك مثلُ الشّمس لا سِترَ دونَها * فكيف أبا حفص علىّ ظَلامُها

---

(١) ماعدا مب، ها، ف : « غزال » فى هذا الموضع والشعر بعده .

(٢) فى معظم الأصول : « باب الترك » ، صوابه فى مب ، ها ، ف . ويعنى بباب النوبة ، مصر . ـ فقط : « وأبواب كسرى » .

فقال له عمر : لا يكون عليك ظلامُها أبدًا . فقال زياد :

لقد كنتُ أدعو الله فى السّرّ أن أرى * أمورَ معدٍّ فى يديك نظامُها

فقال له : قد رأيتَ ذلك . فقال :

فلما أتانى ما أردتُ تباشَرتْ * بناتى وقلنَ العامَ لا شكَّ عامُها

قال : فهو عامهنّ إن شاء الله تعالى . فقال :

فإنّى وأرضًا أنت فيها ابنَ معمرٍ * كمكّةَ لم يَطربْ لأرضٍ حَمامُها[1]

قال : فهى كذلك يا زياد . فقال :

إذا اخترتَ أرضًا للمقامِ رضيتُها * لنفسى ولم يثقُلْ علىَّ مُقامُها

وكنتُ أمنّى النفسَ منك ابنَ معمر * أمانىَّ أرجو أن يتمَّ تمامُها

قال : قد أتمّها الله عليك . فقال :

فلا أكُ كالمُجْرِى إلى رأسِ غايةٍ * يُرجِّى سَماءً لم يصبْه غَمامُها

قال : لستَ كذلك فسَلْ حاجتَك . قال : نَجيبةٌ ورِحالتها[2]، وفرسٌ رائع وسائسه، وبَدْرةٌ وحاملها ، وجاريةٌ وخادمُها ، وتَختُ ثيابٍ[3] ووصيفٌ يحمله . فقال : قد أمرنا لك بجميع ما سألتَ، وهو لك علينا فى كلّ عام . فخرج مِنْ عنده حتّى قدم على عبد الله بن الحَشْرَج وهو بسابُور، فانزلَه وألطفَه[4]، فقال فى ذلك :

مدحه لعبد الله ابن الحشرج

إنّ السَّماحةَ والمروءةَ والنَّدَى * فى قُبّةٍ ضُربت على ابن الحَشْرَجِ

مَلِكٌ أغرُّ متوَّجٌ ذو نائلٍ * للمُعتَفِين يمينُه لم تَشنجِ

(١) الطرب : الشوق . (٢) النجيبة : الناقة الكريمة . والرحالة : الرحل .
(٣) التخت : وعاء يصان فيه الثياب . (٤) ألطفه : أتحفه بالهدايا والألطاف .

يا خَيْرَ من صَعِد المنابر بالتقى * بعد النبيِّ المصطفى المتحرِّج
لما أتيتُك راجيًا لنوالكم[(1)] * ألفيتُ بابَ نوالكم لم يُرْتَج

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

أخبرنا محمد بن خلف وكيع، عن عبد الله بن محمد، عن عبيد بن الحسن ابن عبد الرحمن بهذا الخبر فقال فيه : « أتى زيادٌ عبدَ الله بن عامر بن كريز » . والخبر الأوّلُ أصحُّ . وزاد في الشعر :

أخٌ لك لا تراه الدهرَ إلّا * على العِلّاتِ بسّامًا جَوادا

فقال له عمر : أحسنت يا أبا أمامة، ولكَ لكلِّ بيتٍ ألف . قال : دعْني أتمّها مائة . قال : أمَا إنّك لو كنت فعلتَ لفعلتُ، ولكن لك ما رُزِقتَ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا ابن عائشة قال : حدّثني أبي قال : لما خرج ابنُ الأشعث أرسلَ عبدُ الملك إلى عُمر بن عبيد الله بن معْمر ليَقْدَمَ عليه، فلما كان بضُمَيرٍ، وهي من الشام، ماتَ بالطاعون، فقام عبدُ الملك على قبره وقال : أمَا والله لقد علمَتْ قريشٌ أن قد فَقَدتِ اليومَ نابًا من أنيابها . وقال جدّ خَلّاد بن أبي عمرو الأعمى، وكانوا موالىَ أبي وَجْزة بنِ أبي عمرو بن أميّة : أهو اليوم نابٌ لمّا ماتَ، وكان أمسِ ضِرسًا كَليلة ؟! أمَا والله لَوَدِدْتُ أنّ السماء وقَعتْ على الأرض فلم يعِش بينهما أحدٌ بعده ! وسمعها عبد الملك فتغافَلَ عنها .

رثاء عبد الملك لعمر بن عبيد الله

قال : وقال الفرزدق يرثيه :

رثاء الفرزدق لعمر ابن عبيد الله

يا أيُّها الناس لا تَبكُوا على أحدٍ * بعد الذى بضُمَيرٍ وافَقَ القَدرا
كانت يداه لنا سَيفًا نَصُول به * على العدُوّ وغيثًا ينبت الشَّجَرا

(1) أ ، م : « راجيا أموالكم » .

أمّا قريشٌ أبَا حفصٍ فقد رُزئت * بالشّأم إذ فارقتكَ البأسَ والظفَرا

مَن يقتلُ الجوعَ من بعد الشهيدِ ومَنْ * بالسيف يقتل كَبْشَ القوم إذ عَكَرَا[1]

إنّ النـوائحَ لم يَعـدُدْنَ فى عُمـرٍ * ما كان فيـه إذَا المولى به انتخرا

إذَا عدَدنَ فعـالًا أو لَهُ حسبًا * ويومَ هيجاءَ يُغشى بأسُـه البصرا

كم مِن جبانٍ إلى الهيجا دنوتَ له * يومَ اللقـاء ولولا أنت ما صَـبَرا

أخبرنا أحمد حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا عفان بن مسلم، قال : حدّثنا حماد بن سلمة قال : أخبرنا حميد عن سليمان بن قَتّـة[2] قال :

ثناء عبد الله بن عمر على عمر بن عبيد الله

بعث عُمر بن عُبيد الله بن مَعمَر إلى ابن عُمر[3]، والقاسم بن محمد، بألف دينار، فأتيتُ عبد الله بن عُمـر وهو يغتسل فى مُستحَمٍّ له، فأخرج يدَه فصببتها فى يده، فقال : وصَلتَ رحِمًا ، وقد جاءتنا على حاجة . وأتيتُ القاسمَ فأبى أن يَقْبلَها ، فقالت لى امرأته : إنْ كان القاسمُ ابنَ عمّه فأنا لابنـةُ عمّه . فأعطيتُها . قال : فكان عمرُ يبعث بهذه الثّياب العمرية يقسّمها بين أهل المدينة ، فقال ابن عُمر : جَزَى الله مَن اقتنى هـذه الثيابَ بالمدينـة خيرا . وقال لى عمر : لقـد بلغنى عن صاحبك شيءٌ كرهتُه . قلت : وما ذاك؟ قال : يُعطِى المهاجرين ألفا ألفا، ويُعطى الأنصار سَبعَمائة سبعَمائة . فأخبرته فسوّى بينهم[4] .

(١) الكبش : رئيس القوم وسيدهم . فى جمهور الأصول : « كيس » صوابه فى مب، ها، ف، وديوان الفرزدق ٢٩٢ . وفى جمهور الأصـول : « إن غدرا » والوجه ما أثبت من مب، ها ، ف والديوان . عكر : كرّ وعطف .

(٢) حـ : «سليمان بن قبة» . وفى سائر الأصول : «سليمان بن عتبة» ، صوابه فى مب، ها، ف .

(٣) فى معظم الأصول : « إلى عمر » صوابه فى مب، ها، ف .

(٤) حـ : « بينهما » .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا أبو زيد قال :

شراء عمر بن عبيد الله جارية ثم ردّها على صاحبها

كانت لرجل جاريةٌ يهواها ، فاحتاج إلى بيعها ، فابتاعها منه عُمر بن عُبيد الله ابن معمر، فلما قبضَ ثمنَها أنشأتْ تقول :

هنيئًا لك المال الذى قد قبضتَه * ولم يبق فى كفَّىَّ غير التحسُّرِ

٥ فإنّى لحُزْنٍ من فِراقكَ مُوجَعٌ * أناجِى به قلبًا طويلَ التفكّرِ

فقال : لا ترحلى . ثم قال :

ولولا قُعود الدّهرِ بى عنكِ لم يكن * يفرّقنا شىءٌ سوى الموتِ فاعذِرِى

عليكِ سلامٌ لا زيارةَ بيننا * ولا وَصلَ إلا أنْ يشاء ابنُ معمرِ

فقال : قد شئتُ، خذِ الجارية وثمنَها . فأخذَها وانصرف .

١٠ أخبرنى عمى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى محمد بن زياد قال : حدّثنى ابن عائشة قال :

شعر زياد فى استبطاء عمر بن عبيد الله

استبطأ زيادٌ الأعجم عُمر بن عبيد الله بن مَعمر فى زيارته إياه فقال :

أصابت علينا جودَكَ العينُ يا عُمَرْ * فنحنُ لها نبغى التمائمَ والنُّشَرْ [1]

أصابتْكَ عينٌ فى سَماحِك صلبةٌ * ويا رُبَّ عينٍ صُلبةٍ تَفلِق الحجَرْ

١٥ سنَرقيكَ بالأشعارِ حتّى تَملَّها * فإنْ لم تُفِقْ يومًا رقَيناكَ بالسُّوَرْ [2]

فبلغته الأبياتُ فأرضاه وسرَّحه .

أخبرنى عمى قال : حدثنى الكُرانىّ قال حدثنى العمرىّ قال : حدثنى من سمع حمادا الراوية يقول :

(١) النشر : جمع نشرة ، بالضم ، وهى ضرب من الرقية .

٢٠ (٢) ما عدا أ ، ب ، ها ، ف : « رقيناك » .

هجاء زياد الأعجم عباد بن الحصين

امتدح زيادٌ الأعجم عبَّاد بن الحُصين الحَبَطى[1]، وكان على شرطة الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة[2] الذى يقال له "القُبَاع"، وطلب حاجة فلم يَقضِها، فقال زياد :

سألتُ أبا جَهضَمٍ حاجةً * وكنتُ أُراه قريبًا يسيرا

فلو أننى خِفت منه الخلا * فَ والمنعَ لى لم أَسَلْهُ نَقيرا

وكيف الرَّجاءُ لِمَا عندَه * وقد خالط البخلُ منه الضميرا

أَقِلْنى أبا جَهضمٍ حاجتى * فإنى امرؤٌ كان ظنّى غُرُورا

١٠٧ / ١٤

أخبرنى عمى قال : حدثنى الكُرَانىّ عن العُمَرى، عن عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحَدَثان قال :

هجاؤه ليزيد بن حبناء خينا وعظه

مرّ يزيد بن حَبْناء الضبىّ بزيادٍ الأعجم وهو ينشد شعرًا قد هجا به قَتادةَ ابن مغرِب، فأفحش فيه، فقال له يزيدُ بن حبناء : ألم يأنِ لك أن ترعوِىَ وتترك تمزيقَ أعراضِ قومِك، وَيْحك ! حتّى متى تتمادَى فى الضلال، كأنّك بالموت قد صَبَّحك أو مَسَّاك ! فقال زياد فيه :

يحذِّرنى الموتَ ابنُ حبناءَ والفتى * إلى الموت يَغدو جاهدًا ويَرُوحُ

وكلُّ امرئٍ لا بدّ للموتِ صائرٌ * وإن عاش دهرًا فى البلاد يسيح

فقلْ ليزيدٍ يا ابنَ حَبْناء لا تَعِظْ * أخاك وعِظْ نفسًا فأنت جَنُوحُ

---

(١) الحبطى : نسبة إلى الحبطات بفتحتين، وهم أبناء الحبط بفتح فكسر، وهو الحارث بن عمرو ابن تميم بن مرّ . الاشتقاق ١٢٤ والمعارف ٣٥ . وذكر ابن دريد فى الاشتقاق والجاحظ فى البيان (٤ : ٣٦) عباد بن الحصين الحبطى . حـ : «الحنطى» وب، سـ، م «الحنطى» ف : «الحنظلى» صوابه فى أ، مب، ها .

(٢) فى جمهور الأصول : «الحارث أيام عبد الله بن ربيعة»، والصواب ما أثبت من مب، ها، ف . انظر البيان (١ : ١٩٦) والشعر والشعراء ٥٣٦ .

تركتَ التُّقى والدينُ دينُ محمدٍ * لأهل التُّقى والمسلمين يلوحُ
وتابعتَ مُرَّاقَ العراقَين سادرًا * وأنتَ غليظ القُصْرَيَيْنِ صحيح[1]

فقال له يزيد بن عاصم الشَّنِّيّ[2] : قبَّحك الله، أتهجو رجلًا وعظَك وأمرك بمعروف بمثل هذا الهجاء، هلّا كففتَ إذ لم تقبل، أراه والله سيأتي على نفسك ثم لا تَحِيقُ فيك عَتْرانُ[3]، اذهبْ ويحك فأتِه واعتذر إليه لعلّه يَقبلُ عذرَك . فمشى إليه بجماعةٍ من عبد القيس فشفَعوا إليه فيه ، فقال : لا تثريبَ ، لستُ واجدًا عليه بعد يومى هذا .

أخبرني أحمد بن علي قال: سمعت جدى علي بن يحيى يحدث عن أبي الحسن عن رجل من جُعفيٍّ قال :

مدحه المهلب ببيت جائزته ثلاثون ألف درهم

كنتُ جالسا عند المهلّب إذ أقبلَ رجلٌ طويلٌ مضطرب ، فلما رآه المهلّب قال : اللهمَّ إنى أعوذُ بك من شرّه ! فجاء فقال : أصلحَ الله الأمير، إنّي قد مدحتك ببيتٍ صَفَدُه مائة ألف درهم[4] . فسكت المهلّب ، فأعاد القول فقال له : أنشدْه . فأنشده :

فتًى زادَهُ السُّلطانُ في الخير رغبةً * إذا غيَّرَ السُّلطانُ كلَّ خليلِ

فقال له المهلّب : يا أبا أُمامة ، مائة ألف؟! فوالله ما هي عندنا ولكنْ ثلاثون ألفا فيها عُروضٌ . وأمر له بها، فإذا هو زياد الأعجم .

---

(١) المراق : الخوارج ، جمع مارق . والقصريان : مثنى القصرى ، وهى آخر ضلع فى الجنب أسفل الأضلاع . (٢) ما عدا حـ ، مب ، ها ، ف : « الليثى » .
(٣) هذا الصواب من مب ، ف . وفى جمهور الأصول : « ثم لا يحيق فيك غيران » . تحبق : تضرط . وانظر لهذا المثل أمثال الميدانى ٢ : ١٥٧ والبيان ٢ : ١٥ . (٤) الصفد : العطاء .

أخبرنى عمى قال : حدثنى الكرانى وأبو العيناء عن القَحذمىّ قال :

هجاؤه الفرزدق وفزع الفرزدق منه

لقى الفرزدقُ زيادًا الأعجمَ فقال له الفرزدق : لقد هممتُ أن أهجوَ عبد القيس، وأصفَ من فَسْوِهم شيئا . قال له زياد : كما أنتَ حتّى أُسمعَك شيئًا . ثم قال : قل إن شئتَ أو أمسِك . قال : هات . قال :

وما ترَكَ الهاجون لى إن هجوتُه * مَصَحًّا أراه فى أديم الفرزدقِ

فإنّا وما تُهدِى لنا إنْ هجوتَنا * لكالبحرِ مَهما يُلْقَ فى البحر يَغرقِ

فقال له الفرزدق : حَسبك هَلُمَّ نتتارك[1] . قال : ذاك إليك . وما عاوده بشىء .

وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا العتبى عن العباس ابن هشام عن أبيه قال : حدثنى خِراش[2]، وكان عالما راوية لأبى، ولمؤرِّج[3]، ولجابر بن كلثوم ، قال :

أقبل الفرزدقُ وزيادٌ ينشد الناسَ فى المربَد وقد اجتمعوا حولَه ، فقال : مَن هذا ؟ قيل : الأعجم . فأقبل نحوه فقيل له : هذا الفرزدقُ قد أقبل عليك . فقام فتلقّاه وحيّا كلُّ واحدٍ منهما صاحبه ، فقال له الفرزدق : ما زالت تنازعُنى نفسى إلى هجاء عبد القيس منذُ دهر . قال زياد : وما يدعوك إلى ذلك ؟ قال : لأنّى رأيتُ الأشقرىّ هجا كم فلم يصنعْ شيئا ، وأنا أشعرُ منه ، وقد عرفتُ الذى هيّج بينك وبينه . قال : وما هو ؟ قال إنّكم اجتمعتم فى قُبّة عبد الله بن الحَشرج بخُراسان ، فقلتَ له قد قلت شيئا فمن قال مثلَه فهو أشعر منّى ، ومن لم يَقُلْ مثلَه ومدّ إلىّ عنقَه فإنّى أشعر منه . فقال لك : وما قلتَ ؟ فقلتَ : قلتُ :

---

(١) ما عدا ح، مب، ها، ف : « تتشارك » ، تحريف . والمراد بالمتاركة المهادنة .

(٢) أ : « خداش » . (٣) بالراء المشدّدة المكسورة، وهو أبو فيد عمرو بن الحارث السدوسى، قال فى القاموس : سمى بذلك لأريجه الحرب بين بكر وتغلب . والتأريج : الإغراء .

وقافيـةٍ حَذّاءَ بِتُّ أَحُوكُها * إذا ما سُهيـلٌ في السّماء تَلالا[1]

فقال لك الأشقريّ :

وأقلف صلّى بعـد ما ناكَ أمّـه * يرى ذاك في دِين المجوس حَلالا

فأقبلْتَ على من حضر فقلت : يالَأُمِّ كعبٍ أخزاها الله تعالى ، ما أنمّها حين تُخبر ابنها بقُلْفتي ! فضحك الناسُ وغلبت عليه في المجلس .

٥

فقال له زياد : يا أبا فراس ، هَبْ لي نفسك ساعةً ولا تعجّلْ حتّى يأتيك رسولي بهديّتي ثم ترى رأيك . وظنّ الفرزدقُ أنه سيُهدي إليه شيئاً يستكفّه به ، فكتب إليه :

وما تَرَك الهاجُون لي إن أردتُه * مَصَحًّا أراهُ في أديم الفـرزدقِ

وما تركوا لحمًا يدقّون عَظْمَـه * لآكِلِه ألقَـوْه للمتعـرّق

١٠ سأحطِمُ ما أبقَـوْا له من عِظامه * فأنكتُ عظمَ الساق منه وأنتقِي[2]

فإنا وما تُهـدي لنا إنْ هجوتَنا * لكالبحر مهما يُلقَ في البحر يَغرَق

فبعث إليه الفرزدق : لا أهجو قوماً أنت منهم أبدا .

زياد أهجى من كعب الأشقرى

قال أبو المنـذر : زيادٌ أهجى من كعبٍ الأشقريّ ، وقد أوثَر عليـه في عدّة قصائد . منها التي يقول فيها :

١٥ قُبَيِّلةٌ خيـرُها شـرُّها * وأصـدقُها الكاذب الآثمُ[3]

وضَيفهمُ وَسْطَ أبياتهـمْ * وإن لم يكن صائمًا صائمُ

وفيه يقول :

إذا عـذّبَ الله الرجالَ بشِـعرهم * أمِنتُ لكعبٍ أنْ يعذَّبَ بالشعرِ

(١) قصيدة حذاء : سائرة لا عيب فيها ولا يتعلق بها شيء من القصائد لجودتها .

٢٠ (٢) يقال نكت العظم : ضرب طرفه بشيء ليخرج مخه . والانتقاء : استخراج النقي ، وهو المخ . في جمهور الأصول : « فأنكب » ، صوابه من سب ، ها ، ف ، والشعر والشعراء ٩٦ ومعجم الأدباء .

(٣) قبيلة : مصغر قبيلة .

وفيه يقول :

أتشكَ الأزدُ مصفَرًّا لِحَاها * تَساقَطُ من مناخرها الجُوَافُ[(١)]

أخبرنى وكيعٌ قال : حدثنى أحمد بن عمرو بن بكير قال حدثنا الهيثم عن ابن عياش قال :

هجاؤه لأبى قلابة الجرمى

دخل أبو قِلابةَ الجَرْمىّ مسجدَ البصرة وإذا زيادٌ الأعجم ، فقال زياد : مَن هذا؟ قال : أبو قِلابة الجَرْمىّ ، فقام على رأسه فقال :

قُمْ صاغرًا يا كهلَ جَرْمٍ فإنّما * يقال لكَهل الصِّدق قُمْ غيرَ صاغرِ

فإنّك شيخٌ ميّت ومُورَّثٌ * قُضاعةَ ميراثَ البَسوسِ[(٢)] وقاشرِ

قضى الله خَلْقَ النّاسِ ثم خُلِقتمُ * بقيّةَ خَلْقِ الله آخِرَ آخرِ

فلم تسمعوا إلّا بما كان قبلَكم * ولم تُدرِكوا إلّا بدقِّ الحوافرِ[(٣)]

فلو ردّ أهلُ الحق مَن مات منكمُ * إلى حقِّه لم تُدفَنوا فى المقابرِ

فقيل له : فأين كانوا يدفنون يا أبا أمامة ؟ قال : فى النّواويس[(٤)] .

١٠٩ / ١٤

(١) الجواف : ضرب من السمك ، واحدته جوافة . وفى جمهور الأصول : « من مبادبها الحراف » ، والوجه ما أثبت من مب ، ها ، ف ، والشعر والشعراء . (٢) البسوس : مثل فى الشؤم ، وهى البسوس بنت منقذ التميمية ، خالة جساس بن مرة . وحرب البسوس مشهورة فى كتب الأيام . وقاشر : فحل مشئوم ، كان لبنى عوافة بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ما عدا مب ، ها ، ف : « ناشر » ولا وجه له . (٣) أى إلا بتتبع آثار ما تدقه الحوافر . (٤) النواويس : جمع ناوس ، وفى اللسان : « والناوس مقابر النصارى ، إن كان عربيا فهو فاعول منه » .

تم الجزء الخامس عشر من كتاب الأغانى

فِهْرِس

الجزء الخامس عشر من كتاب الأغانى

التراجم التى فى هذا الجزء

فهـــرس الموضـــوعات

صفحة

خبر سلامة الزرقاء ومحمد بن الأشعث

نسب عدى بن نوفل وخبره

صفحة

نسب الخنساء وخبرها وخبر مقتل أخويها صخر ومعاوية

أخبـار حبابة

أخبـار أبى الطفيل ونسبه

أخبار حسان وجبلة بن الأيهم

خبر بديح فى أصوات الأغانى

نسب ابن الزبعرى وأخباره
وقصة غزوة أحد

ذكر عمرو بن معديكرب وأخباره

ذكر خبر قس بن ساعدة ونسبه وقصته فى هـذا الشعر

ذكر هاشم بن سليمان و بعض أخباره

ذكر على بن أديم وخبره

ذكر عمرو بن بانة

ذكر آدم بن عبد العزيز وأخباره

ذكر متمم وأخبـاره

وخبر مالك ومقتله

صفحة

أخبار الحزين ونسبه

صفحة

نسب الطفيل الغنوى وأخباره

صفحة

نسب محمد بن حمزة بن نصير الوصيف وأخباره

نسب لبيد وأخباره

أخبار زياد الأعجم ونسبه

فهـــــرس الشـــــعراء

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

فهــرس رجال السـند

(أ)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

فهـرس المغنين

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهــرس رواة الألحـان

فهـــرس الأعـــلام

(ب)

(ح)

(ز)

(ك)

(و)

فهـــرس الأمم والقبـائل والأرهاط والعشـائر

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

فهرس أسماء الأماكن

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهـــرس أسماء الكتب

فهرس القوافى

فهـــرس أنصـاف الأبيـات

فهـــرس أيام العـــرب

فهـــــرس الأمثـال

فهـــرس الفهـارس

صفحـة

إصـــلاح خطـــأ

خطـــأ	صـــواب	ص	س
قيقعان	قعيقعـان	٢٠	١٢
وغنى جامع	وغنى ابن جامع	٢٣	١٥
ذكر أخبار بصبص	ذكر بصبص (١)	٢٧	١
سرّه	سرّه	٣١	١
ليهرَبوا	ليهرُبوا	٣٢	١٥
وقد أبثثتها	وأبثثتها	٣٣	٤
قد أصد * ـبح	قد أصبـ * ـح	٣٣	١٠
القوم يشعبَه	القوم يشعبُه	٥٥	١١
أم عمرو	أم صخر	٨٦	٢٣
المـ * ـغادر	الـ * ـمغادر	٩٤	١٧
سعيد بنُ	سعيد بنِ	١١٥	٢
أم أمْرى	أم آمرى	١١٥	١٢
عمِدت	عمَدت	١١٧	١٥
أفيحج	أفيحج (٢)	١٢٠	٦
فقـــدم	فقـــدِم	١٢٤	٤
وما تذكرتِ	وما تذكرتَ	١٢٦	١١
سلامة بالفضل	لسلامة بالفضل	١٣٩	١٤

(١) تصحح كذلك عنوانات رءوس الصفحات ٢٧ — ٣٥

(٢) يوضع رقم (٢) على هذه الكلمة ويحذف من نهاية السطر السابق لها .

خطـــأ	صـــواب	ص	س
بئُس	بئَس	١٤١	٣
فألقنى	فالقنى	١٦٨	١٦
وسولُ الله	رسول الله	١٩٧	٩
وحسنُ ثراها	وحسنَ ثراها	٢١٠	١٤
فعسكِر	فعسكَر	٢٣٦	٩
أمضائه	إمضائه	٢٣٦	١٠
لسهيل	لسهل	٢٣٩	١٣
وطلحة	وطليحة	٢٤٤	٢
لحن عباد	لحن ابن عباد	٢٦٥	٥
بالحـ * ـب	بالـ * ـحب	٢٧٠	١٥
غناه عمرِو	غناه عمروٌ	٢٧٥	٣
فى طولُ	فى طُول	٢٧٥	٥
فوبِلحن	فولّجن	٢٨٣	١٩
ترى الناسُ	ترى الناسَ	٢٨٩	١٥
منادمة مسلم	منادمة سلم	٢٩١	١٧
هو مسلمة	هو سلمة	٣٠٣	١٧
عمُـر	عُمـَر	٣٠٤	٤
يعنى أمُّ	يعنى أمّ	٣٠٥	١١
حدا النعال	حذا النعال	٣١٢	٩
أمرأ	امرأ	٣١٣	٨

خطأ	صواب	ص	س
ترفعْنَ	ترفعَنْ	٣٢١	١٤
عمِله	عملته	٣٢٢	٨
خذُ الأكبر	خُذ الأكبر	٣٢٥	٦
حييت	جبتُ	٣٢٩	٦
أعما * مك	أعـ * مامك	٣٣١	١١
ولم تشـ * ـفق	ولم * تشفق	٣٣١	١٢
يا أبا حكيم	يا أبا حكم	٣٣٣	١٠
أبتَ	أبتَ	٣٣٩	١٤
الأيادى	الإيادى	٣٤٩	١٦
عن العتبي عن	عن العتبى	٣٥٣	٤
عبد العزيزى	عبد العزيز	٣٦١	١٤
ثم عدتْ	ثم عدْتُ	٣٧٩	١٦

بعون الله وجميل توفيقه قد تم طبع "الجزء الخامس عشر من كتاب الأغانى" بمطبعة دار الكتب في شهر رمضان سنة ١٣٧٩ هـ (مارس سنة ١٩٦٠ م) ما

محمد حمدى على جنيدى
مساعد رئيس المطبعة

إحسان عثمان
رئيس المطبعة بدار الكتب

(مطبعة دار الكتب ١٤٣/١٩٥٠/٢٠٠٠)

